

عجائب فريدة

من سورة يوسف عليه السلام

تتضمن فوائد عجيبة في التفسير والقصص

والعقيدة والفقه واللغة والأخلاق

إعداد وجمع : عادل أكتوف

∇ إهداء K

إلى من تسامت بها أرواح السماوات في عليائها.. أختي
سليمة رحمها الله

إلى من وضعتني وربتني حتى بلغت أشدي ثم ذهبت
راضية مرضية..

أمي تغمدها الله برحمته

إلى شقيقة القلب ورفيقة الدرب.. زوجي الحنون

إلى من عوضني الله بهما عن والدي ... حماي

وحماتي حفظهما الله وذريتهما

إلى إخوتي وأخواتي ..

إلى كل متشوق للقرآن ومتشوق إليه ..

أهدي باكورة أعمالتي

/

بسم الله الرحمن الرحيم

عن هذا الكتاب

قصة هذا الكتاب غريبة حقا !!

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ذلك أنني لو رحلت أسوق كل العوائق والشواغل التي اعترضتني أثناء جمع مادته لسوّدت في ذلك صحائف ذوات عدد ، ولكن حسبي أن أكتفي بذكر بعضها علّها تكون حافظاً لكل من يهم بمشروع ذي بال ثم يتخلى عنه لسبب من الأسباب ، أن يتحلى بالصبر حتى يتجاوز المشاق التي تعتريه ولا بد.

فبادئ ذي بدء، عندما لمعت في ذهني فكرة الكتابة، قلت في نفسي لقد تطرق إلى سورة يوسف قبلي كبار العلماء وجهابذة المفسرين وجلة الدعاة. فأين أنا من بين كل هؤلاء ؟ ثم أن هذا الموضوع -أقصد قصة سيدنا يوسف عليه السلام -قد نضج حتى احترق كما يقال ! فقد تناولته الأقلام والألسنة بالشرح والتفسير والتحليل حتى يخيل إلى الواحد منا أن الأمر قد استوفى حقه وزيادة (كما قال لي أحد الناشرين) اللهم إلا أن يكرر ما كتبه وقاله السابقون ؛ غير أنني تذكرت ها هنا حادثة قد تبدو بسيطة في ظاهرها ، ولكنها كانت حافظاً كافياً بالنسبة إلي للإدلاء بدلوي رغم بضاعتي المزجاة .

فعندما كنت تلميذاً في الإكمالية طُلب منا أن نكتب موضوعاً إنشائياً عن أحد شهداء ثورة التحرير المباركة ، وذلك بعد أن تناولنا بالدرس سيرة (العربي بن مهدي) وهو أشهر من نار على علم .

ثم لما عدت إلى المنزل مساء، اكتشفت بعد لأي أي أنني لا أملك أي مرجع يتحدث عن شهيد آخر من شهداء ثورتنا المجيدة، فندبت حظي ورحلت أفكر فيما ينبغي علي فعله للتخلص من هذه الورطة، وهنا طرق ذهني سؤال كان قد خفي عني رغم بداهته : فلم لا أتكلم عن العربي بن مهدي نفسه ؟ ولكن بطريقة مختلفة عن تلك التي تناولناها في قسم الدراسة .

وفعلاً أقنعت نفسي بالفكرة، فحاولت أن أكتب عن هذا البطل العظيم بأسلوبي الخاص وحسب شعوري به.

وفي الغد، عندما تقدمت لأعرض ما كتبت ، تقابلاً زملائي باختياري لموضوع تطرقنا إليه في الأمس القريب، لكنني ما إن أتممت مقالتي الإنشائية حتى سرّ بها مدرس اللغة العربية أيما سرور، ومنحني أعلى درجة إلى جانب كلمات الثناء والتشجيع.

فأيقنت من حينها أن المشكل لا يكمن في طرح الموضوع نفسه مرات عدة ، إذا تجنبنا التكرار وإذا قدمنا الجديد والمفيد في طرحنا للقارئ والمستمع على حد سواء.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أما عن فكرة الكتابة نفسها فقد اختمرت في ذهني عندما قرأت في أحد المواضع أن قصة يوسف تحوي أكثر من ألف فائدة كما قال ابن قيم الجوزية وغيره ، فاهتبلت فرصة حلول شهر رمضان الكريم منذ ست سنوات مضت، وبدأت أتناول كل ما يقع تحت يدي ممّا له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بسورة يوسف عليه السلام ، حتى تجمّع لدي قدر لا بأس به من المعلومات ، ثم أنني انتهجت في ذلك طريقة وهي أن أقرأ الكتاب ثم أدوّن ما أراه مناسباً لموضوع البحث ، وبعد هذا أجمع ما تيسر لدي من فوائد حسب ترتيب آيات السورة ، فنتج لي من ذلك ما يصح أن يطلق عليه مشروع كتاب.

وقد آليت على نفسي أن أجتنب الإطناب الممل والاختصار المخلّ وذلك بالتزام المنهج التالي :

- كتابة الآية القرآنية بخط بارز في بداية الصفحة ما أمكن
- تبيان أوجه الاستدلال من الآي
- استنباط الفوائد تبعاً لتسلسل الآيات وترقيمها ووضع عنوان مناسب لها
- توثيق النقول عن العلماء وعزو الآيات
- تخريج الأحاديث والاعتماد على الصحيح منها ما استطعت

ولكن النفس تعترّيتها حالات من فتور الهمة والكآبة والملل، فكنت أنشط أحياناً فأكتب عدة صفحات في اليوم الواحد، وأحياناً لا أكتب شيئاً مدة أسابيع ! ولما رأيت أن مشروعني قد طال عليه الأمد، قلت في نفسي: عليّ أن أقرر إن كنت أودّ فعلاً أن يرى كتابي هذا النور أم أنني سأتخلى عن كل ما جمعت طيلة هذه المدة ويذهب جهدي أدراج الرياح ؟

فعزمت أن أتم ما بدأت فيه ولو كلفني ذلك مزيداً من الوقت والجهد والمال . فتوكلت على الله تعالى في تبييض مادة الكتاب ، مستغلاً في ذلك استقالاتي من العمل ، وحددت لنفسي مدة معينة حتى أبلغ العدد المراد من الفوائد على الأقل ، ثم أنفرغ لمهمة التنقيح والمراجعة والتي تكاد تقارب فعل الكتابة نفسه ، من حيث التركيز والتدقيق و المثابرة .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

هذا فضلا عن الظروف الصعبة التي كنت بصددھا ، والتي تزامنت مع مرض الوالدة ثم وفاتها رحمھا الله تعالى ، وما أتبع ذلك من مشاكل ومتاعب والتي تعترني عادة كل عائلة تمر بظروف مماثلة .

وربما ساهم كل هذا في شحذ همتي قصد رفع التحدي الذي آليت على نفسي أن أنجح فيه.

هذا ولا أريد أن أشغل القارئ الكريم بما يتبع الكتابة من هموم الطبع والنشر والتوزيع والتي لا يكاد يدرك حقيقتها إلا من ولج هذا المجال وأغرق فيه ! وبالرغم ممّا ذكرت ، فهاهو الكتاب يخرج في أبهى حلة ، و أجمل صورة ، وهذا لا يعني أنه منزّه عن الشوائب أو الهنات فذلك مظنة كل كتاب ، لا سيما إذا كان مؤلفه يسلك هذه الدرب الوعرة لأول مرة ، وما أصعبه من مسلك وما أضيّقه من طريق.

هذا ولا يفوتني في آخر هذه الكلمة على أن أؤكد أنّ ما خطّه يراعي لا يعدو أن يكون فتح باب من أبواب القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه مع أنه جهد مقلّ ومقصر . متيقنا أن من يرنو إلى استلھام مزيد من العبر والعظات منه فإن الأفاق لا تزال واسعة جدا أمامه في كل مجال من المجالات العلمية والإنسانية وغيرها كثير . وما أبرئ نفسي عن الخطأ والزلل ، فما كان منه صحيحا فهو من الله و ما جانب الصواب فهو من نفسي ومن الشيطان ، ورحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مقدمة الطبعة الثانية: (سورة يوسف)

لقد مر على الطبعة الأولى قرابة السنتين، وها هي ذي الطبعة الثانية من الكتاب في طريقها إلى الصدور، بعد نفاذ الأولى، ولم يكن سروري بنفاذ الطبعة بقدر سروري بكسر فكرة مسبقة عن الجزائري الذي لا يقرأ.

صحيح أن المقروئية عندنا تمثل مشكلا عويصا منذ سنوات عدة، لكنني أرى أن الحكم على الفرد الجزائري ابتداء بأنه يعزف عن المطالعة وحصص المشكل في عدم مبالاته بتحسين مستواه الفكري والثقافي أرى في ذلك مجانبة للصواب، ونوعا من التبسيط والتسطيح في التحليل، وفيه شيء من التجني أيضا وإلا فكيف نفسر مثلا الأعداد الهائلة التي تؤم معارض الكتاب بكافة الشرائح العمرية، وكيف نفسر أيضا المقروئية المهمة لمختلف الجرائد اليومية، بمعدلات تفوق كثيرا من البلدان، أليس في ذلك دليل على أن المعضلة ذات أبعاد أعمق، تتعلق بإستراتيجية صناعة الكتاب والتي تشمل الطبع والتوزيع والإشهار وعقد المنتديات وهذا دور الدولة، ونشاط الجمعيات الثقافية الفاعلة والاتحادات وهذا دور المجتمع المدني، بالإضافة إلى دور المنظومة التربوية جنبا إلى جنب مع دور الأسرة في تنمية روح حب الاستطلاع والمطالعة.

ثم أليس للظروف الاقتصادية وقعها أيضا والتي تدفع رب الأسرة دفعا إلى التفكير في تأمين لقمة العيش قبل أي شيء آخر، ثم إن فعل المطالعة نفسه هو ثمرة سنين من الدأب والمثابرة والتعود، وهنا يلقي العامل النفسي بظلاله. وحتى لا يأخذنا الحديث بعيدا، فلنترك الأمر لأهل الاختصاص، فإنما هي كلمة اقتضاها السياق، ولنعد إلى مزايا طبعتنا هاته.

أما من حيث الشكل فالكتاب يخرج في ثوب قشيب، يستدعي منا شكر الدار على ما تبذله من جهود في تحسين وتطوير المادة المقدمة للقارئ وهو ما تقرضه التقنيات الحديثة في التصميم والإخراج، أما من حيث المضمون فإنني استدركت بعض الأخطاء المطبعية التي جاءت في الطبعة السابقة، كما قمت بترقيم ما فاتني من الآيات وعزو لبعض الأحاديث التي نددت.

وأهم ما يميز هذه الطبعة هو أنني ألحقت بها فهرس علمية تتضمن الآيات الواردة مرتبة حسب المصحف وكافة الأحاديث والآثار حسب الترتيب الأبجدي إلى جانب الأشعار أيضا، كما أنني قمت بتصميم جداول تتضمن الفائدة ورقم صفحتها ومجالها العلمي، لتسهيل

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

البحث على القارئ إن كان يريد أن يطّلع على الفوائد العقديّة لوحدّها مثلاً أو اللغوية أو الفقهية وهكذا .

وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك حتى تكون الطبعة مزيدة ومنقحة فعلاً، لأنه يفترض على المؤلف أن يستغل فرصة الطبعة الجديدة في إعادة النظر فيما كتب، فإن القلم قد يزل والعقل قد يسهو، كما أن المطالعة المستمرة مع ما تدفعه المطابع من مراجع جديدة وما تتيحه الشبكة العنكبونية من معلومات، كل هذا يسمح بمزيد من المراجعة والتطوير والتحسين نحو الأفضل إن شاء الله.

وشعاري في ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه " كل يوم مر علي ولم أزد فيه علماً فما ذاك من عمري ".
والله الموفق وهو يهدي السبيل.

توطئة :

القرآن الكريم هو روح الأمة الإسلامية عبر العصور وهو قلبها النابض الذي طالما كان المحرك الدافع لكل نهضاتها وتجاوز كبواتها عبر التاريخ ، وإذا ما أرادت هذه الأمة أن تسترجع شيئا من مكانتها وصدارتها بين الأمم فلا بد لها من أن ترجع إلى الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وإن عجبني لا يكاد ينقضي عندما أرى ادعاءنا حب الله تعالى وحب نبيه الكريم لا سيما في ردود أفعالنا ضد الهجمات الحاقدة والمدروسة على رموزنا الإسلامية، غير أننا في الوقت نفسه نتناسى أن المظهر الحق لنصرة الله ورسوله لا يتمثل في إفراغ شحنات عاطفية مناسبة لا تلبث أن تخبو، ثم يعود الحال إلى ما كان عليه ؛ إنما التعبير الحق عن تمسكنا بديننا الحنيف وأفضل دفاع عن نبينا الكريم يكمن في العودة إلى نهجه القويم وسلوكه الباهر والذي كان خلقه القرآن . هذا القرآن الذي نحن في حاجة أكثر من أي وقت مضى للعودة إليه حقا وتدبر معانيه واستنباط درره والعمل بمقتضاه في واقعنا المر المعيش، الذي ما فتئ يذكرنا يوما بعد يوم بشدة بعدنا عن تعاليم القرآن وحلوله التي يقدمها لمشاكلنا ، والذي لا ينتظر منا إلا أن نغترف من نهله المعين .

ومحاولتنا من خلال هذا الكتاب لا تعدو أن تكون تأكيدا لهذا المعنى ، وهو الوقوف عند إحدى سورته وهي سورة يوسف عليه السلام ، والتي اهتم بها كثير من الباحثين قبلي وأفردوها بالبحث والدراسة ، وبالرغم من ذلك فإنها لا تزال كغيرها من سور كتابنا العزيز غضة طرية ، حاملة بين جوانبها ما لا يمكن تصوره من النفع العميم والخير الذي لا ينقضي .

ونكون قد وقفنا حقا إذا ما بيّنا ولو طرفا بسيطا من عظمة كتاب ربنا العزيز في تناوله لقصة من قصص أنبيائه مع اشتغالها على ومضات في العقيدة والفقه والسيرة والأخلاق واللغة والاقتصاد والنفس والتاريخ وغيرها من العلوم في آيات لا تربو عن المائة إلا بقليل ، فأى كتاب في تاريخ البشرية يمكنه أن يفعل عشر هذا !!
وعليه فها هي سورة يوسف أمامك أيها القارئ نرجوها فاتحة لسلسلة تحت عنوان عجائب فريدة من القرآن علها تكون لبنة ولو بسيطة في صرحنا القرآني العظيم .

بين يدي سورة يوسف :

الاسم الوحيد لهذه السورة هو " سورة يوسف"، وقد سميت كذلك لأنها أفردت الحديث عن نبي الله يوسف بن يعقوب ، وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين حتى نجاه الله من ذلك الضيق .

والسورة الكريمة أسلوب فذ فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف ، وفيها من العبر ما لا يوجد في غيرها من قصص التاريخ ، وهي مكية على القول الصحيح .

فقد نزلت على الرسول ρ بعد سورة هود وقبل سورة الحجر، في الفترة الحرجة العصبية من حياة النبي، حيث توالى الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، حين فقد ρ نصيريه زوجه خديجة وعمه أبا طالب ، وبوفاتهما اشتد الأذى والبلاء على رسول الله ρ وعلى متبعي دعوته حتى سمي ذلك العام " بعام الحزن " .

فجاءت سورة يوسف عليه السلام تسليية لرسول الله ρ عما يلقاه ، وجاءت تحمل البشر والأنس والراحة والطمأنينة لمن سار على درب الأنبياء ، فلا بد من الفرج بعد الضيق ومن اليسر بعد العسر .

وفي السورة دروس وعبر وعظات بالغات حافلات بروائع الأخبار العجيبة والأنباء الغريبة.

وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور . ولم تذكر قصة في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف عليه السلام هذه السورة من إطناب.

وعدد آياتها مائة وإحدى عشر آية باتفاق أهل العلم .

سبب نزول السورة :

سبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم أن كفار مكة، لقي بعضهم اليهود وتباحثوا في ذكر محمد ﷺ ، فقال لهم اليهود: سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف؟ فنزلت السورة كاملة .

وروى ابن حبان وابن جرير والحاكم بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه علينا زمناً فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله تعالى قوله " نحن نقص عليك أحسن القصص " .

مناسبة السورة لما قبلها :

إن مناسبة ترتيب سورة يوسف بعد سورة هود أن قوله تعالى في مطلعها - "نحن نقص عليك أحسن القصص"- مناسب لقوله في سورة هود: " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك " (هود /120) و أيضا فلما وقع في سورة هود "فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب"- 74 وقوله "رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت"، ذكر في سورة يوسف حال يعقوب مع أولاده و حال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته فكان كالشرح لإجمال ذلك.¹

تكامل السور الثلاث يونس هود و يوسف :

لقد اشتركت السور الثلاث **يونس- هود و يوسف** في اشتغالها على القصص و الافتتاح بالذكر و بذكر الكتاب وكونها مكيات و بالتسمية باسم نبي.² إذاً فمناسبة الترتيب: تناسب فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، و كذا اختصاص السور المفتحة بالحروف المقطعة بما بدئت به ، وذلك أن كل سورة بدئت بحرف فان هذا يغلب ويكثر أثناء السورة ، ومثل ذلك سورة يوسف، فقد تكررت الكلمات المحتوية على حرف الراء قرابة مائتي مرة ، بمعدل حرفين في كل آية.

¹ السيوطي، أسرار ترتيب القرآن ، ص 109 دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة 2 ، 1985

² السيوطي ، المرجع السابق ، ص 105

من أثر سورة يوسف في القلوب :

إن سورة يوسف وما تضمنته من روائع القصص لتجد القلوب الصافية منها والمطمئنة تمكنا و خشوعا ووجلا عند تلاوتها و قراءتها و تدبرها ، فقد جاء عن علقمة بن وقاص قال : صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقرأ سورة يوسف، فكان إذا أتى على ذكر يوسف سمعت نشيجه من وراء الصفوف.³

وورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا وصل في قراءته إلى قوله تعالى: "وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم" توقف عن التلاوة من البكاء .

كما وردت الآثار عن كثير من السلف ومن العلماء والأمراء والصالحين الذين كانوا يقومون الليل كله بهذه السورة وحدها لما فيها من المعاني.

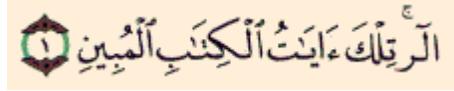
من مقاصد سورة يوسف :

- من أهم أغراض السورة :
- بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وما لقيه في حياته
 - وفيها إثبات أن بعض الرؤى قد يكون فيها إنباء بأمر مغيب
 - وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالح عباده
 - وتحاسد القرابة بينهم
 - ولطف الله بمن يصطفيه من عباده
 - والعبرة بحسن العواقب والوفاء والأمانة والصدق والتوبة
 - وسكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر
 - وتسلية النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلم من الأذى
 - وفيها العبرة بصبر الأنبياء وكيف تكون لهما العاقبة
 - وفيها العبرة بهجرة النبي ﷺ إلى البلد الذي حلّ به كما فعل يعقوب عليه السلام وآله

³ عبد الرحمن المعلمي ، دروس وعظات وعبر من سورة يوسف ، ص 8 دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها واسترقاق الصبي اللقيط واسترقاق السارق وأحوال المساجين ومراقبة المكاييل...⁴



أوجه الاستدلال من الآية :

نستهل حديثنا في أولى الآيات عن الأحرف المقطّعة في القرآن ، ثم ننّبّه على انتصار السور التي وردت في مطالعها هذه الأحرف للقرآن الكريم وأن القرآن كتاب منزل من عند الله تعالى ، ثم نشير هنا إلى بعض خصائص الكتاب الكريم ونتساءل في الأخير لماذا تم وصف القرآن هنا بالإبانة دون غيرها من الصفات .

الفائدة الأولى : لماذا جاءت الأحرف المقطّعة ؟

إن ابتداء السورة بالحروف المقطّعة فيه سر قرآني عجيب يلفت أنظار المعرضين عن هذا القرآن ، إذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم ، وذلك لينتبهوا إلى ما يلقي إليهم من آيات بينات، ولينثير انتباههم وإحساسهم إلى هذا الكتاب السماوي الذي جاءهم به محمد صلوات الله عليه ، منظوم ومركب من أمثال هذه الحروف الهجائية ، من عين ما ينظمون من كلامهم ، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثله - وهم فرسان الفصاحة وملوك البلاغة - فإن هذا العجز أعظم برهان على "إعجاز القرآن".⁵

⁴ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 12، ص 198-199 الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1396 هـ / 1976

⁵ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، ص 40 المكتبة العصرية ، بيروت ، 1424 هـ / 2004

الفائدة الثانية : الانتصار للقرآن

إن كل سورة افتتحت بالحروف، لابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان عظمته وإعجازه مثل: " ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه " حم والكتاب المبين " ، " آلر تلك آيات الكتاب الحكيم "، "ص والقرآن ذي الذكر " وغير ذلك من الآيات الدالة على إعجاز القرآن .⁶

الفائدة الثالثة : القرآن كتاب منزل من عند الله

في قوله تعالى : "تلك آيات الكتاب المبين " إشارة إلى أن الآيات التي أنزلت في هذه السورة ظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم ، والتي تبين لمن تدبرها أنها أنزلت من عند الله لا من عند البشر ، وهي واضحة لا تشبهه على العرب معانيها ، لنزولها بلسانهم . ولذلك عبّر عنها باسم الإشارة "تلك " الذي يدل على البعد والسمو ، فرغم أن هذه الآيات قريبة من القارئ يتلوها آناء الليل وأطراف النهار، إلا أنها بعيدة في مراميها ، سامية في معانيها، لا يفقهها إلا متدبر حصيف .

يقول البوطي : إن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد ، بحيث يعجز الطوق البشري عن الإتيان بمثله ، سواء ذلك في بيانه وبلاغته وفصاحته أو تشريعه وتنظيمه أو أخباره عن الغيب أو الماضي السحيق .⁷

الفائدة الرابعة : لماذا وُصف الكتاب بالمبين ؟

في قوله تعالى " الكتاب " هنا القرآن ، ووصفه "بالمبين " من جهة بيان أحكامه وحلاله وحرامه ومواعظه وهداه ونوره ، ومن جهة بيان اللسان العربي وجودته.⁸

⁶ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج1، ص 40 دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1412 هـ / 1992

⁷ موسى إبراهيم الإبراهيم ، تأملات قرآنية ، ص 103 دار الشهاب، الجزائر، 1988

⁸ عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ص 305 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وقد جاءت فاتحة سورة يوسف كفاتحة سورة يونس، خلا أن القرآن وُصف هنا "بالمبين" وهناك "بالحكيم"، ذلك أن موضوع سورة يوسف قصص نبي تغلبت عليه صروف الزمان بين نُحوس وسعود، كان في جميعها خير أسوة، فيناسب وصفها بالإبانة. وموضوع سورة يونس أصول الدين من توحيد واثبات الوحي والرسالة والبعث والجزاء، وهذه يناسبها الوصف بالحكمة.⁹

وقد جاء وصف الكتاب بـ"المبين" في مطلع سورة يوسف إشارة أيضاً إلى أن قصة يوسف (موضوع السورة) تقوم على مبدأ الإبانة، والإظهار، والكشف. وهذا معناه وجود أمر خفي غير ظاهر ولا مكشوف سيزول عنه ستار الغموض ليبدو ويُستحضر من التغميب ليكون حاضراً بادياً للعيان.¹⁰

وسنعرض أحداث قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) في مراحلها المختلفة ومواقفها المتباينة حتى نتبين قضية (الإخفاء والإبانة) التي يقوم عليها البناء القصصي في سورة يوسف (عليه السلام) والتي أشارت إليها، في براعة ودقة، كلمة (المبين) التي جاءت في مطلع السورة.

الفائدة الخامسة: القرآن كتاب خالد

إن القرآن الكريم كتاب معجز خالد، وقد خصَّ الله محمداً ﷺ بالقرآن معجزة على الزمان، ليراهم ذوو القلوب والبصائر، فيستتبروا بضيائها وينتفعوا بهديها في الحاضر والمستقبل، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً" أخرجه أحمد (341/2)، رقم (8472)، والبخاري (1905/4)، رقم (4696)، ومسلم (134/1)، رقم (152)

وعن ابن مسعود قال: "من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خير الأولين والآخرين". قال البيهقي: أصول العلم. لذلك قال تعالى: "وأنزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء".

⁹ مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص 112 دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ نشر
¹⁰ ياسر محمود الأقرع، الإعجاز البياني في سورة يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (شبكة الأنترنت)

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نومئ هنا إلى مكانة سورة يوسف عليه السلام ، ثم نعرّف بالقرآن الكريم ونتكلم عن كيفية تنزيله و نشير إلى تميّز اللغة العربية وعلاقتها بالقرآن الكريم وفضل هذا الأخير عليها، ونبحث في الألفاظ غير العربية والقول الراجح فيها ، كما نلمّح إلى دور العقل في الإسلام ، ونختم بكيفية التعامل مع القرآن وعاقبة هجره .

الفائدة السادسة : جلاله قدر سورة يوسف

إذا أراد الله أن يهدي هدية أو يعطي عطية قال : "إنا" أو قال " نحن" كقوله هنا: " إنا أنزلناه قرآنا عربيا " وقوله : " إنا أنزلناه في ليلة القدر ".
وإذا عبّر بالجمع فلما لصفاته وأسمائه من الكمال والتعظيم ، وتقديم المهدي عن الهدية لما فيه من تعظيم العطاء، فقد أهدى الله لمحمد ρ هذا الكتاب الخالد ليبلغنا إياه ومن جملة هذه السورة الكريمة.¹¹

الفائدة السابعة : تعريف القرآن الكريم

القرآن الكريم هو:

- " كلام الله عزّ وجل

- الموحى به إلى محمد ρ

- باللفظ العربي

- المتعبد بتلاوته

- المنقول إلينا بالتواتر

- المعجز بلفظه ومعناه" .

ولعل هذا التعريف هو أجمع ما قاله العلماء في هذا الباب.¹²

عائض القرني،سلسلة أحسن القصص: سورة يوسف ، قرص بصري¹¹
موسى إبراهيم الابراهيم ، تأملات قرآنية ، ص 17¹²

الفائدة الثامنة: كيف تنزل القرآن على النبي ﷺ

لقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم لهداية البشر وتعريفهم على طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وليكون معجزة خالدة على مر الدهور، لذلك فقد كان تنزله على كيفية خاصة تختلف عن تنزلات الكتب السماوية الأخرى، فتلك الكتب نزلت جملة واحدة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما القرآن الكريم فأنزل على مرحلتين:

- التنزيل الأول : أنزل القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وذلك تعظيماً لشأنه عند الملائكة الكرام
- التنزيل الثاني : ثم أنزل من بيت العزة إلى رسول الله ﷺ منجماً-مفرداً-على مر ثلاثة وعشرين عاماً ، حسب الوقائع والأحداث.¹³

الفائدة التاسعة: مكانة اللغة العربية وفضلها

إن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني، التي تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه .¹⁴

واللغة العربية لغة أهل الجنة وهي أجمل اللغات ، ففيها 4 مليون مفردة ومشتقة . وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن تعلم اللغة العربية من الدين ، وأنه فرض واجب لفهم مقاصد الكتاب والسنة ومراد الشارع من خطابه ، فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " .¹⁵

موسى إبراهيم الإبراهيم، تأملات قرآنية، ص 21-22. 13
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزء 2، ص 307¹⁴
ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ص 307 . 15

الفائدة العاشرة : فضل القرآن على اللغة العربية

لقد نزل القرآن باللغة العربية القرشية والتي ذابت فيها كثير من ألفاظ اللغات الأخرى ولغات القبائل المجاورة، وكلها أضيفت إلى لغة قريش ، فقوت من شأنها وأزالت الركافة والغثاثة التي كانت موجودة في لغة القبائل الأخرى ، حفظ القرآن بذلك اللغة العربية وجعلها حية.¹⁶

الفائدة11: هل كل ما في القرآن عربي ؟

لقد وردت في القرآن الكريم مئات الألفاظ بغير لغة الحجاز ، منها الفارسية واليونانية والآرامية والكلدانية و الحبشية والحميرية والعبرية والسريانية والمصرية وغيرها مما صنف فيه بعض العلماء وجمع هذه الألفاظ مرتبة على حروف المعجم¹⁷ لكن كل هذه الألفاظ إنما صارت عربية بكثرة الاستعمال وشيوعه، وهو أمر طبيعي مع كل لغات العالم التي تدخلها ألفاظ من غير أصلها وتدرج فيها ، وهو ما يعتبر دليلا على حيوية هذه اللغة ومرونتها

والصحيح أن القرآن الكريم كلام عربي فليس فيه إلا اللغة العربية ، وإن وجد فيه كلمات ظاهرها غير عربي فقد قال العلماء أنها معربة أي منقولة إلى العربية ، أو أنها مما تتوافق فيه اللغتان وذلك مثل : سندس وإستبرق وغيرها .

وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام (بعد أن حكى القول بوقوع الألفاظ غير العربية عن الفقهاء، والمنع عن أهل العربية): " الصواب تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: إنها أعجمية فهو صادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي. وابن الجزري. وآخرون." ¹⁸

¹⁶ محمد صبيح ، بحث جديد في القرآن الكريم ، ص 97 دار الشروق - القاهرة ، الطبعة 8 ، 1413 هـ / 1983

¹⁷ كما فعل السيوطي في كتابه " الإئقان في علوم القرآن " الذي أشبع هذه المسألة تفصيلا

¹⁸ الألوسي، روح المعاني ، جزء 21،صفحة 581 شبكة مشكاة الإسلامية ، 2006

الفائدة 12 : ذكر اللغة العربية في أول السورة له ما بعده

لقد امتدح الله عز وجل القرآن الكريم بأنه أنزل بلسان عربي مبين ، و سورة يوسف عليه السلام خير مثال على غنى اللغة العربية إن على مستوى الألفاظ و المباني ، أو الرموز والمعاني . و من ذلك استعمال اللفظ الواحد بمعاني و دلالات مختلفة حسبما يقتضيه المقام ، بل اختصاص القرآن بمعاني لم يُسبق إليها ومنها : الرؤية والرؤيا ، المرادة ، الأكل الضلال ، الرب ، الإحسان ، وغيرها كثير ، مما سنشير إليه في موضعه إن شاء الله تعالى.

الفائدة 13 : غاية إنزال القرآن الكريم التدبر والعمل

لقد امتدح الله عز وجل في هذه الآية " العاقلين " كما فعل في آيات أخر في القرآن الكريم ، فوصف المتدبرين لأياته ب " أولي الألباب " تارة ، و " أولي النهى " تارة أخرى ، وجعل غاية العقل الفهم ، بوصفه " لعلمكم تعقلون " ، " لعلمكم تتفكرون " ... ومن ثم يتبين لنا أن القرآن الكريم ليس كتابا مقدساً جعل ليوضع على الرفوف قصد التبرك أو ليتخذ زينة للمكتبات ، أو حتى تفتتح وتختتم به المجالس ، وإنما أنزل القرآن ليقرأ ويَتلى ، ثم يُتدبر ، ثم ليعمل به وفق الوجه الصحيح.

الفائدة 14 : مكانة العقل في الإسلام

لقد جعل الله عز وجل العقل مناط التكليف ، أي أن العاقل هو الذي تجب عليه الأحكام الشرعية ، وذلك ظاهر من الحديث المشهور : " رفع القلم عن ثلاث " ¹⁹ ومن القواعد المعلومة أيضا أنه لا يعارض صريح معقول صحيح منقول ، غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن بعض الفرق قد غالت في العقل حتى قَدّمته على النقل ، كما أن بعض الوضّاعين اختلقوا أحاديث كلها مكذوبة في فضائل العقل .

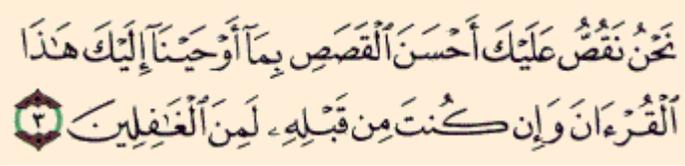
¹⁹ أخرجه أحمد (144/6 ، رقم 25157) ، وأبو داود (139/4 ، رقم 4398) ، والنسائي (156/6 ، رقم 3432) ، وابن ماجه (658/1 ، رقم 2041) ، والحاكم (67/2 ، رقم 2350) وقال : صحيح على شرط مسلم والدارمي (225/2 ، رقم 2296) ، وابن حبان (355/1 ، رقم 142) وهو في صحيح الجامع الصغير 3514 .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فيجب أن ننزل العقل منزلته التي أنزلها القرآن وهو أنه وسيلة لفهم النصوص وفق قواعد وضوابط محددة ، لا إفراط ولا تفریط .

الفائدة 15 : هجر القرآن أنواع

قال ابن القيم : هجر القرآن أنواع : أحدها هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، والثاني هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به، والثالث هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه والرابع هجر تدبره وتفهمه والخامس هجر الاستشفاء والتداوي به وكل هذا داخل في قوله " وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا".²⁰



أوجه الاستدلال من الآية :

نتساءل عن سر تسمية سورة يوسف عليه السلام بأحسن القصص وكذا عن سر عدم تكرارها في القرآن الكريم وعن الغرض من القصص القرآني عموماً . ثم نبين استغناء القصص القرآني عن المرويات الإسرائيلية كما نقف عند التعريف بالوحي وأقسامه ، ونتحدث عن براعة الانتقال من المقدمة إلى مطلع القصة كما نستلهم من الآية مكانة النبي ﷺ عبر تعبيرها عنه بالغفلة ، لنصل إلى الحديث عن البيان التاريخي في السورة .

الفائدة 16: لماذا سميت سورة يوسف أحسن القصص؟

سميت السورة أحسن القصص لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة ، وبيانه قوله في آخرها : لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . وقيل : لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس والأنعام

²⁰ ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 82 دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1408 هـ / 1988

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهّال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقہ والسير، وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرية وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.²¹

ووجه أحسنيتها اشتمالها على حاسد ومحسود. ومالك ومملوك. وشاهد ومشهود، وعاشق ومعشوق. وحبس وإطلاق. وخصب وجذب. وذنوب وغفوة. وفراق ووصال. وسقم وصحة. وحل وارتحال. وذلل وغز، وقد أفادت أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدره وأنه سبحانه إذا قضى لإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العالم اجتمعوا على دفع ذلك لم يقدرُوا وأن الحسد سبب الخذلان والنقصان. وأن الصبر مفتاح الفرج. وأن التدبير من العقل وبه يصلح أمر المعاد إلى غير ذلك مما يعجز عن بيانه بنان التحرير.

زيادة على ما فيها من أنواع التنقلات من محنة إلى محنة، ومن محنة إلى محنة ومنّة ، ومن ذل إلى عز ومن رقّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصّها فأحسنها ووضّحها وبيّنّها.²²

الفائدة 17: كل قصص القرآن أحسن القصص في بابها

قصص القرآن الكريم أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابها :

- فقصة آدم وحواء أحسن قصة لأبوين تائبين
- وقصة قابيل وهابيل أحسن قصة بين أخ حاسد وأخ مؤمن
- وقصة نوح أحسن قصة لخلاص ونجاة القوم المؤمنين
- وقصة إبراهيم أحسن القصص للمتوكلين
- وقصة موسى مع فرعون أحسن قصة للمستضعفين ومنّ الله عليهم
- وقصة عيسى أحسن قصة لإثبات الوجدانية وبراءة الأم
- وقصة يوسف أحسن قصة للرخاء بعد الشدة والفرج بعد الضيق²³

²¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 120 الجزء 9 دون دار نشر ولا تاريخ نشر

²² ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان، ص 283 دار الفكر، بيروت - الطبعة 1، 1423 هـ / 2002

²³ اسماعيل حميدي، فوائد وعبر من سورة يوسف، قرص سمعي

الفائدة 18 : لماذا لم تتكرر سورة يوسف في القرآن ؟

قال الجلال السيوطي: ظهر لي وجه في سوقها مرة واحدة ، وهو أنها نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من الاستيعاب وترويح النفس بالإحاطة ولا يخفى ما فيه.

وقال: وأقوى ما يجب به أن قصص الأنبياء إنما كررت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية إلى ذلك كتكرير تكذيب الكفار للرسول الله ﷺ، فكلمة كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل بالمكذبين، ولهذا قال سبحانه في آيات: ﴿رَفَقْدَ مَضَّتْ سُنْتُ لِأَوْلِيَيْنِ﴾ (الأنفال: 38) ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ (الأنعام: 6) .

وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك، وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن عدم تكرير قصة أصحاب الكهف. وقصة ذي القرنين. وقصة موسى مع الخضر. وقصة الذبيح.

ثم قال: فإن قلت: قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى عليهما السلام مرتين وليست من قبيل ما ذكرت {قُلْتُ} الأولى في سورة {كهيعص} (مريم: 1) وهي مكية، أنزلت خطاباً لأهل مكة، والثانية في سورة آل عمران وهي مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا ولهذا اتصل بهذا ذكر المحاجة والمباهلة .²⁴

الفائدة 19 : القصة القرآنية تغني عن الإسرائيليات

بما أنّ الله عز وجل ذكر أنه يقصّ على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة (قصة يوسف) وبسطها وذكر ما جرى فيها ، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة وحسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كاذب، فهو مستدرك على الله ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً.

فان تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفسير من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصّه الله تعالى بشيء كثير .²⁵

²⁴ الألويسي ، روح المعاني ، جزء 21 ، ص 881 .
²⁵ ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 271 .

الفائدة 20 : أغراض القصة القرآنية

سيقت القصة القرآنية لتحقيق أغراض منها: إثبات الوحي والرسالة وإثبات وحدانية الله وتوحد الأديان في أساسها ، والإنذار والتبشير ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر، والعجلة والتريث، والصبر والجزع ، والشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية والمرامي الخلقية قد تناولته القصة وكانت له أداة له وسبيلا له .

كما أن للقصة أغراضا أخرى متفرقة منها : بيان قدرة الله على الخوارق، وبيان عاقبة الطيبة والصلاح، وعاقبة الشر والفساد، وبيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة والحكمة الكونية البعيدة الآجلة.²⁶

الفائدة 21 : ما هو الوحي ؟

الوحي لغة الإشارة السريعة ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ، وقد حمل على ذلك قوله تعالى : " فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا " (مريم / 11) أي أشار إليهم ولم يتكلم .

والقول الجامع في معنى الوحي اللغوي : أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل ، وإلهام الخواطر بما يلقى الله في روع الإنسان السليم الفطرة ، كالوحي إلى أم موسى ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان ، قال تعالى : " وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم " (الأنعام / 121) .

واصطلاحاً هو استقبال من الرسول لحقيقة غيبية خارجة عن فكره وشعوره وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ، ومنهم من أعطاه كتابا أي : تشريعا يكتب ، ومنهم من لم يعطه .

ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس ، وتتساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن و السرور .

²⁶ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص 144 دار الشروق ، القاهرة ، 1415 هـ / 1995

هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قول الله عز وجل " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء الحجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم " (الشورى / 51) .²⁷

الفائدة 22: أقسام الوحي

وينقسم الوحي بمعناه الاصطلاحي إلى قسمين أساسيين :

* وحي الله إلى ملائكته

* وحي الله إلى رسله من البشر

الأول : ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أن جبريل عليه السلام سمع القرآن

الكريم من الله تعالى بكلامه المخصوص وبالكيفية التي يعلمها الله وحده

الثاني : أما وحي الله إلى رسله من البشر فهو على نوعين :

- النوع الأول : الوحي بغير واسطة وهو قسمان :

أولهما : الرؤيا الصالحة في النوم : كما جرى في بداية دعوة النبي ρ خاصة

ثانيهما : الكلام الإلهي من وراء الحجاب : كما حدث في المعراج

- النوع الثاني : الوحي إلى الرسل بواسطة الملك وهو إحدى حالتين :

أن يتمثل الملك بصورة رجل ويكلم النبي ρ وهذه الحالة أخف

أن يأتي الوحي مثل صلصلة الجرس وهو أشد فيفصم عنه عليه السلام وقد وعى.²⁸

الفائدة 23 : فن براعة التلخيص في مطلع السورة

براعة التلخيص هو فن مشهور ذائع في كلام البلغاء، وهو امتزاج ما يقدمه الكاتب

أو الشاعر من البسط بأول ما استهل به كلامه ،كالبيت الأول من القصيدة والفقرة الأولى

من المقالة ، على أن يختلس ذلك اختلاسا رشيقا ، دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع

بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع الثاني ، لشدة الممازجة والالتئام كأنهما أفرغا في

قالب واحد. أو يوطئ الكاتب فيه بفصل، لفصل يريد أن يأتي بعده، وإما بنكتة تشير إلى

معنى الفصل المستقبل، كقوله تعالى: " نحن نقص عليك أحسن القصص " .

²⁷ محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 43 - 45 دار الشهاب ، الجزائر ، دون تاريخ نشر
²⁸ موسى إبراهيم الإبراهيم ، تاملات قرآنية ، ص 21 و 22

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فانه سبحانه وطأ بهذا الفصل إلى ما يأتي بعده من سرد القصة يوسف عليه السلام فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصاً بارعاً، فان النكتة التي أشارت إلى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن، وهي " أحسن القصص " .
فإن المخاطب إذا قرع سمعه هذا الوصف للقصة تنبه إلى تأملها ، فيجد كل قصة فيها ختمت بخير، و كل ضيق انتهى إلى سعة وكل شدة آلت إلى رخاء، و ذلك أمر عجيب يستحيل أن يأتي على القصة الحديثة " العقدة" تختم بالخير ، أو ما يسمى في عرف القصة الحديثة ب"الحل".²⁹

الفائدة 24 : القرآن أفضل سبيل للتذكر والتذكير

في قوله تعالى : " وإن كنت من قبله لمن الغافلين" دليل على أن التذكر الكامل لا يكون إلا بهذا القرآن ، فإذا كان رسول الله ﷺ وهو أكمل الخلق فطرة وأصفاهم قلباً وأعظمهم عقلاً، كان من قبل القرآن غافلاً ، فما بال غيره ؟
فلا تذكر إلا بهذا القرآن وبهذا الوحي ، وكل طريق آخر للتذكر طريق قاصر، ومن مظاهر الكمال في تذكير القرآن أنه يذكر بالغييب والشهادة في شؤون الدنيا والآخرة، بما يسع الخلق ويدل على الخالق بما يسع النفس والعقل والقلب والروح.³⁰

الفائدة 25: مكانة النبي ﷺ عند الله عز وجل

لقد عبّر الله تعالى بقوله : "وإن كنت من قبله لمن الغافلين" وهو مرادف لعدم العلم أي الجهل بالشيء ، لكن الله عز وجل استعمل هنا الغفلة وليس الجهل.
قال الشيخ جمال الدين القاسمي : لقد وصف الله تعالى عدم علم نبيه بالقصص بالغفلة إجلالاً لشأن النبي ﷺ ولم يشأ أن يصفه بالجهل.

²⁹ محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ص 502 دار اليمامة ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت، الطبعة 7 ، 1999

³⁰ سعيد حوى ، الأساس في التفسير، ص 2629 دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة 5 ، 1419 1999/

الفائدة 26: الغفلة في القرآن

الغفلة في القرآن نوعان :

- غفلة إعراض : كما قال تعالى : " أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " أي تركوا الخير بعد أن علموه ، لذلك خاطب الله عز وجل نبيه بقوله : " ولا تكن من الغافين " وهي الغفلة المذمومة .
- غفلة جهل وذهول : فقد عبّر الله تعالى بالجهل بمعنى الغفلة، في مواضع أخرى من القرآن في غير حق النبي ρ. والثانية وهي المقصودة هنا ، وهي غفلة جهل بالشيء . وفي هذا امتتان من الله على نبيه كقوله تعالى : " ووجدك ضالا فهدى " 31 .

الفائدة 27 : غفلة النبي ρ عن القصص من دلائل نبوته

ليست هذه الآية تصديرا لقصة يوسف ، بل نجد فيها ما يشبه التأكيد الاستهلاكي، مؤيدا بالنقد التاريخي ، على أن النبي ρ كان يجهل تماما القصة المذكورة ، بل إن (جهله) هذا عنصر جوهري لاقتناعه الشخصي ، فأمامنا بلا مرء طليعة لتيار الوحي الذي نزل بموضوع خاص محدد تماما : هو قصة يوسف ، وهي ما زالت حتى تلك اللحظة غريبة عن الفكرة المحمدية ، ولدينا على ذلك واقعان لا بد من الفصل فيهما يتعلق (بجهل) النبي ρ في هذه النقطة :

- فمن الوجهة التاريخية ، لم تكن الفكرة المحمدية قد ضمت بعد تفاصيل قصة يوسف قبل أن ينزل بها الوحي
- ومن الوجهة النفسية ليس لشعور النبي ρ أي دور في عملية الوحي، وهو بدهاة لا يحتوي تيار الوحي الذي لم يأت بعد ، أما لا شعوره فلم يكن له أن يلد تلقائيا فكرة مركبة أثبتها التاريخ بصورة وضعية إيجابية .

عبد الحليم توميات ، سلسلة قصص الأنبياء: سورة يوسف، قرص سمعي³¹

فهذا التسبيق أمام مجرى ظاهرة لا يسيطر عليها الشعور ، وما كان لها أن تصدر فقط عن اللاشعور. هذا التسبيق يظل عصياً على الفهم بصورة مزدوجة لو أننا قصرنا تفسيره على الذات المحمدية .³²

الفائدة 28: السورة كشف وبيان تاريخي

جاءت السورة كشفاً وتبيناً لما خفي على رسول الله من أمر يوسف (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) وفي قوله تعالى (لمن الغافلين) جاء التوكيد باللام ليدل على تأكيد غياب هذا الأمر عن رسوله كلياً ، فلم يقل الله سبحانه (لمن الجاهلين) لأنني قد أجهل الأمر وأكون قد سمعت به ، فأنا أسمع مثلاً عن علم الذرة لكنني أجهله ، أما أن أكون غافلاً عنه، فمعنى ذلك أنه لم يخطر في بالي مطلقاً فالغفلة عن الأمر أشد تغييراً له من الجهل به . لذا فإن رسول الله كان (غافلاً) عن أمر يوسف تماماً، وهنا عندما تأتي السورة بقصة يوسف على ما جاءت عليه من التفصيل والدقة فإن ذلك معناه أن هذا الكلام ليس من النبي ρ وإنما هو وحي من الله (بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) . إذاً فالكتاب المبين سيظهر ما خفي عن النبي ρ ويقص عليه قصة يوسف عليه السلام . وتكون بيانا للتاريخ المغيب .³³

الفائدة 29: نكتة لغوية : لماذا قال " من الغافلين " ولم يقل " غافلاً "

ونكتة جعل النبي ρ " من الغافلين " دون أن يوصف وحده بالغفلة فيقال : " غافلاً " ، للإشارة إلى تفضيله بالقرآن على كل من لم ينتفع بالقرآن، فدخل في هذا الفضل أصحابه والمسلمون على تفاوت مراتبهم في العلم .³⁴

³² مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ص 271 – 272 دار الفكر ، دمشق ، إعادة الطبعة الرابعة ، 1425 هـ / 2004

³³ ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، شبكة الأنترنت

الظاهر بن عاشور ، التحرير والتوير ، ص 204³⁴

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ
كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١٠١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

بدايةً نشير إلى أن سورة يوسف دليل على نبوة الرسول ﷺ ثم نعرّف بالنبِيِّ الْكَرِيمِينَ يوسف ويعقوب عليهما السلام ، ثم نتكلم عن الرؤيا وبعض ما يتعلق بها من مسائل ولماذا ابتدأت السورة برؤيا ، لنعرّج على موضوع الكواكب الوارد في السورة وعلاقته بعلم الفلك ولما قدّمت الشمس على القمر .
ونختم بالحديث عن السجود قبل وبعد الإسلام ونقتطف بعضاً من النكت اللغوية الواردة في الآية .

الفائدة 30 : قصة يوسف عليه السلام دليل على صحة نبوة محمد ﷺ

إنّ في قصة يوسف عليه السلام دليلاً على صحة نبوة محمد ﷺ حيث قصّ على قومه هذه القصة الطويلة وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحداً .
يراه قومه بين أظهرهم ، صباحاً ومساءً وهو أميّ لا يخط ولا يقرأ وهي موافقة لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم ، إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون.³⁵

الفائدة 31 : من هو يوسف عليه السلام ؟

كان ليعقوب عليه السلام من البنين اثنا عشر ولداً ذكراً، واليهم تنسب أسباط بني إسرائيل كلهم ، وسمّوا بالأسباط لأن كل واحد منهم ولد قبيلة . والسبط في كلام العرب : الشجرة الملتقة الكثيرة الأغصان .

عبد الرحمان السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 283³⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام ، سمّاه رسول الله ﷺ الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ، فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وذلك فيما روى البخاري وأحمد عن ابن عمر.³⁶

وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ : أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف ، نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن نبي الله ، قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال: فعن معادن الناس تسألوني؟ قالوا: نعم. قال: فخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا فقهوا".³⁷

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن في إخوته نبي غيره، وأنه لم يوح إليهم.³⁸

وكان يوسف عليه السلام جميل الصورة، حسن الوجه، وكان أبوه يعقوب يؤثره بزيادة المحبة على إخوته ، وكان وأخوه بنيامين من ولد راحيل .³⁹

الفائدة 32 : من هو يعقوب ؟

يعقوب عليه السلام هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم أنه نبي صالح ، وأن الله هداه كما هدى نوحا من قبل ، لقوله تعالى : " ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا هدينا ونوحا هدينا من قبل " (الأنعام)

بعث الله تعالى يعقوب نبيا إلى أهل كنعان ، ثم هاجر إلى خاله (لابان) في فلسطين فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار ، فسمي لذلك إسرائيل.

وتزوج من بنتي خاله وهما (ليا و راحيل) وكان لهما جاريتان أختان (بلها و زلفا) فوهبته كل واحدة منهما جاريتها ، فجمع بين أختين حرتين ، وأختين أمتين ، فكان له من الولد اثنا عشر كما تقدم .⁴⁰

الفائدة 33: ما هي الرؤيا ؟

³⁶ أخرجه أحمد (96/2 ، رقم 5712) ، والبخاري (1237/3 ، رقم 3202)

³⁷ أخرجه البخاري (رقم 4571) ، والدرامي (رقم 228)

³⁸ سنعود إلى قضية هل كان أخوة يوسف أنبياء أم لا في فائدة لاحقة

³⁹ علي فكري ، أحسن القصص، ص 65 ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، دون تاريخ نشر

⁴⁰ علي فكري ، المرجع نفسه ، ص 62

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه النائم من الخير والشيء الحسن . وهي حالة شريفة ومنزلة رفيعة ، فقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي عن أبي الدرداء ، وابن جرير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت قوله تعالى: " لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة " فقال : " لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي أو قال أحد قبلك ، تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تثرى له " 41 ♦

الفائدة 34: درجات الناس بالنسبة للرؤى

- 1- الأنبياء ورؤياهم كلها صدق ، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير
- 2- والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق ، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى التعبير وإذا حصل خطأ في تأويلها لم تقع كما أولت
- 3- ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث ، وهي ثلاثة أقسام :
 - مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم
 - وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث ، ويقال فيها الصدق
 - وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: " وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا " 42 .

الفائدة 35 : سورة يوسف أصل في تعبير الرؤى

إن سورة يوسف أصل لتعبير الرؤيا، فإن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده، و إن أغلب ما تبني عليه المناسبة والمشابهة في الاسم

41 أخرجه أحمد (رقم 22307) ، والترمذي (رقم 2310) والدارمي (رقم 2137) ومالك (رقم 1764) وابن ماجه (رقم 3898) وصححه الألباني في صحيح الترمذي 2273 .

♦ راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية ، وطرق الحديث ، الجزء الثاني ، ص 438 وما بعدها .
42 أخرجه البخارى (2574/6 ، رقم 6614) ، ومسلم (1773/4 ، رقم 2263) وابن ماجه (1289/2) رقم (3917) والدارمي (168/2 ، رقم 2144) ، وابن حبان (404/13) ، رقم (6040) .

أنظر : خالد بن علي بن محمد العنبري ، قاموس تفسير الأحلام ، ص44 دار المنهاج ، القاهرة ، الطبعة 1 ، 20/هـ 1422

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا له ساجدين ، وجه المناسبة فيها أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء (أو الصالحون) والعلماء زينة للأرض وجمال ، وبهم يهتدى في الظلمات ، كما يُهتدى بهذه الأنوار ، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه، ولذلك كانت الشمس أمه ، والقمر أباه ، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث ، فذلك كانت أمه (أو خالته) ، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته ، ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود له معظم محترم ، فذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبيه وإخوته.⁴³

الفائدة 36 : الرؤيا في حق الأنبياء وحي

إن الرؤيا الصادقة من الله وهي البقية الباقية من معاني النبوة، والرؤيا في حق الأنبياء وحي. قال ρ : "الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان " ⁴⁴ وقال ابن عباس : " رؤيا الأنبياء وحي".
والتصديق بها حق ولها التأويل الحسن ، وفيها من بديع الله ولطفه بالمؤمن ما يزيد في إيمانه، ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق.⁴⁵

الفائدة 37 : الرؤيا في حق الصالحين بشارة ورفعة

والمشهور الذي تعاضدت فيه الروايات أن " الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " ⁴⁶، ووجه ذلك عند جمع ، أنه ρ بقي حسبما أشارت عائشة رضي الله

⁴³ ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان ، ص 283 وما بين قوسين إضافات من عندنا ، لأننا نرجح أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء وأن المقصود بأمه في السورة خالته ، لأن أمه راحيل ماتت وهو صغير ، والله تعالى أعلم.

⁴⁴ رواه البخارى (2169/5 ، رقم 5415) ، ومسلم (1772/4 ، رقم 2261) ، وأبو داود (305/4 ، رقم 5021) ، والترمذي (535/4 ، رقم 2277) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (423/13 ، رقم 6059) . النسائي في الكبرى (391/4 ، رقم 7655)

⁴⁵ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الجزء 9 ، ص 123 إلى 126 . وقد أعطى تفصيلات مهمة وفوائد جمة فيما يخص الرؤيا

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

تعالى عنها ستة أشهر يرى الوحي مناماً ثم جاءه الملك يقظة ، وستة أشهر بالنسبة إلى ثلاث وعشرين سنة جزء من ست وأربعين جزءاً .
وذكر الحافظ العسقلاني أن كون الرؤيا الصادقة جزء من كذا من النبوة إنما هو باعتبار صدقها لا غير ، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبياً وليس كذلك .
وقد ورد في بعض الروايات ما فيه مخالفة لما في هذه الرواية من عدة الأجزاء ، ولعل المقصود من كل ذلك على ما قيل: مدح الرؤيا الصادقة والتتويه برفعة شأنها لا خصوصية العدد ولا حقيقة الجزئية.⁴⁷

الفائدة 38 : لماذا ابتدأت قصة يوسف برؤيا ؟

إن ابتداء قصة يوسف عليه السلام ، بذكر رؤياه إشارة إلى أن الله هيأ نفسه للنبوة فابتدأه بالرؤيا الصادقة ، وفي ذلك تمهيد للمقصود من القصة، وهو تقرير فضل يوسف عليه السلام من طهارة وزكاء نفس وصبر .
فذكر هذه الرؤيا في صدر القصة كالمقدمة والتمهيد للقصة المقصودة .
وجعل الله تلك الرؤيا تنبيها ليوسف عليه السلام بعلو شأنه ليتذكرها كلما حلت به ضائقة فتطمئن بها نفسه أن عاقبته طيبة .⁴⁸

الفائدة 39: من دلالات فعل " رأى " : الرؤية الروحية

كما أشرنا إليه فائدة سابقة ، فإن السورة تبدأ في استعمال ألفاظ ذات دلالات مختلفة ، فهنا الفعل (رأى) يقصد به **الرؤية الروحية** في الحلم ولا يكون ذلك بالعين المجردة بل بالدماغ أو العقل الباطن إن شئت .
وورود الفعل بصيغة الماضي يوحي لنا بأن يوسف عليه السلام إنما رأى هذه الرؤيا مرة واحدة فحسب ، ولعل ذلك لطفاً به لصغر سنه ورهافة حسه .

الفائدة 40: ما حال الرؤيا في بيت يعقوب عليه السلام ؟

⁴⁶ الحديث رواه البخاري ، وفي رواية : " رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " : أخرجه البخاري (2564/6 ، رقم 6588) أحمد (10/4 ، رقم 16227) . ومسلم (1775/4 ، رقم 2265) النسائي في الكبرى (225/6 ، رقم 1074)

⁴⁷ الألويسي ، روح المعاني ، جزء 21 ، ص 191

⁴⁸ الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 208

كانوا يعدّون الرؤيا من طرق الإنباء بالغيب، إذا سلمت من الاختلاط وكان مزاج الرائي غير منحرف ولا مضطرب، وكان الرائي قد اعتاد وقوع تأويل رؤياه، وهو شيء ورثوه من صفاء نفوس أسلافهم إبراهيم وإسحاق عليهم السلام، فقد كانوا آل بيت نبوة وصفاء سريرة.

ولما كانت رؤيا الأنبياء وحيا، وقد رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ولده فلما أخبره " قال يا أبت افعل ما تؤمر ". وإلى ذلك يشير قول يعقوب عليه السلام: " ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ". فلا جرم أن تكون مرآئ أبنائهم مكاشفة وحديثا ملكيا. والاعتداد بالرؤيا من قديم أمور النبوة.⁴⁹

الفائدة 41: في علم تعبير الرؤيا

علم تعبير الرؤيا هو علم يعرف به تفسير ما يقع في النوم، ومنفعته البشرية بما يرد من خير والإيذان بما يقع من شر، والإطلاع على ما غاب. ولا بد في المعبر من فطنة وفراسة وصلاح لأنه يعبر حال النائم، وحال الوقت، وغير ذلك. وفي الحديث: "الرؤيا لأول عابر"⁵⁰

وقد خصّ النبي ρ من ذلك بأمر لم يشاركه فيه غيره، ويليه الصديق رضي الله عنه.⁵¹

الفائدة 42: من الإسرائيليات : تسمية النبي ρ لكواكب يوسف

ينبغي الإشارة إلى حديث جاء فيه تسمية الأحد عشر كوكبا رواه أبو جعفر بن جرير والبيهقي وغيرهما عن النبي ρ وهو حديث ظاهر الوضع كما قاله ابن الجوزي وأبو زرعة وضعّه ابن كثير أيضا.*

⁴⁹ راجع الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقد أطنب في حال الرؤيا وتاريخها عند العرب وأهل الكتاب والفلاسفة وغيرهم وأتى بكلام فيه دقة الباحث وتعمق المؤرخ وروح المفسر، ص 209 وما بعدها.

⁵⁰ أخرجه ابن ماجه (1288/2، رقم 3915) قال البوصيري (157/4): هذا إسناد ضعيف وضعّه الألباني أيضا

⁵¹ محمد بن عجيبة الحسني، تفسير الفاتحة الكبير، ص 32

* ورغم ذلك فجد هذا الحديث في ثنايا كثير من كتب التفسير دون التنبيه إلى وضعه، وهو من جملة الإسرائيليات التي ينبغي أن ينزه عنها قصص القرآن، وستعرض لبعضها كلما سمح المقام بذلك أثناء تناولنا لهذه القصة العظيمة.

الفائدة 43: كواكب يوسف وعلم الفلك

في الآية إشارة إلى طبيعة الأجرام السماوية وهو موضوع علم الفلك، الذي يبحث في مواقع الأجرام الفلكية وأبعادها ومادتها وشكلها ومدد دورانها، وعلاقتها بالكواكب وتأثيرها بالشمس والقمر من حيث الميل والاعتدال والمد والجزر .

وعلم الفلك قديم لا يعرف له واضح على وجه التحديد، إذ عرفه الصينيون والهنود والمصريون القدامى واليونانيون ، وعنهم أخذ المسلمون العرب ، وكان ذلك على عهد أبي جعفر المنصور العباسي رحمه الله ، وعهد حفيده هارون الرشيد رحمه الله، وازدهر على عهد ولده المأمون، وعنهم أخذه الأوربيون وطوّروه، فبلغ كماله وأصبح من أهم فنون العلم والمعرفة وأكثرها فائدة وجدوى بعد العلوم الشرعية.⁵²

الفائدة 44: هل الآية دليل على وجود أحد عشر كوكبا ؟

إن بعض الكتاب جعل هذه الآية دليلا على وجود أحد عشر كوكبا في المجموعة الشمسية، ومعلوم أن الكواكب المعروفة لحد الآن هي تسعة كواكب اكتشف آخرها عام 1930 وهو كوكب بلوتو .

وكان هناك افتراض بأنه يوجد وراء مدار الكوكب التاسع في المنظومة الشمسية جرم آخر مجهول يقع وراء مدار بلوتو، وتتجاوز كتلته كتلة الأرض وربما يعادل كتلة الشمس ، وذلك طبقا للمعطيات الأولية وبناء على كشوف أعمال الرصد.⁵³ ويسميه البعض الآن الكوكب العاشر .

وفي ديسمبر 2005 تم رصد هذا الكوكب بوضوح ، وأطلق عليه اسم كوكب زينا ، وهو أكبر بقليل من كوكب بلوتو .

ثم قرّر الاتحاد الدولي لعلماء الفلك أخيرا أن يطلق عليه اسم كوكب إيريس ، كما أثار هذا الاكتشاف جدلا واسعا في تعريف الكوكب ، لا يزال مستمرا إلى اليوم.⁵⁴

إلا أننا نقول بأنه لا ينبغي تحميل الآيات القرآنية ما لا تدل عليه حقيقة ، بدعوى الإعجاز العلمي أو إثبات الحقائق العلمية في القرآن ، خاصة لغير المتخصصين الذين يخوضون في

⁵² أبو بكر الجزائري، العلم والعلماء ، ص 87 دار الشهاب ، الجزائر ، الطبعة 1 ، 1985
ف.كوماروف ، طرائف علم الفلك ، ص 95 ⁵³ دار مير للطباعة والنشر ، موسكو ، 1985
⁵⁴ الملحق العلمي لمجلة العربي ، العدد 19، ديسمبر 2006 " إيريس كوكب الشقاق والنزاع " ص 4

مسائل ليست في متناولهم، مما يجعل كتاب الله عرضة للأهواء والآراء فوجب التنبيه والتثبت.⁵⁵

الفائدة 45 : السجود قبل الإسلام وبعده

السجود من سجد البعير إذا خفض رأسه لراكبه حين ركوبه ، وكان من عادة الناس في تحية التعظيم بفلسطين ومصر وغيرها الانحناء مبالغة في الخضوع والتعظيم ، وقد استعمله القرآن في انقياد كل المخلوقات لإرادة الله وتسخيره، ولا يكون السجود عبادة إلا بال قصد والنية للتقرب إلي من يعتقد أن له عليه سلطانا غيبيا فوق سلطان الأسباب المجهولة ، ولذلك فسجود الملائكة لآدم ، وإخوة يوسف لأخيهم يعّد من قبيل التعظيم والتبجيل والاعتراف بالمكانة ، غير أن الإسلام نسخ هذا الحكم كلية و جعل السجود مختصا بالله وحده دون سواه مهما عظمت مكانته ، ولذلك ورد في حديث الرسول ﷺ "لو كنت أمرا أحدا بالسجود لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " .⁵⁶ (أخرجه الترمذى (465/3، رقم 1159) ، وقال : حسن غريب . والدارمي (406/1 ، رقم 1464) والحاكم (190/4 ، رقم 7327) وقال : صحيح الإسناد . و أحمد (381/4 ، رقم 19422) والطبراني (52/20 ، رقم 90) وهو في الصحيحة (3366)

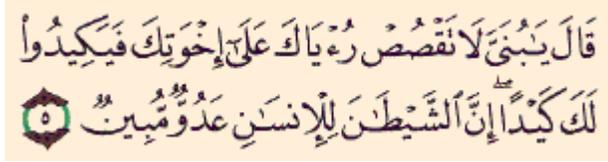
الفائدة 46 : لماذا قَدّمت الشمس على القمر في الآية ؟

إن تقديم الشمس على القمر في الآية يطابقه الشرع والواقع ، أما الواقع فلأن الناس في حاجة إلى الشمس أكثر من حاجتهم إلى القمر ، ذلك أن الشمس تمد الخلق بالحرارة والإشراق والتغذية ، كذلك الأم فإنها تغدق على ولدها بالدفء والحنان والتغذية أيضا ، فقدّم ذكر الأم وهي هنا الشمس لأن الطفل محتاج إلى أمه أكثر من أبيه ، فهو مطابقة للواقع . أما القمر فيمثل أباه يعقوب ، وهو هنا الوحي أيضا، لأن القمر نور والوحي نور أيضا ، كما قال تعالى : "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ،

⁵⁵ قد يظن البعض أننا ننفي بذلك الإعجاز العلمي أو نقف ضده ، وهو وهم ، فإن الجهود التي تبذلها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وعلى رأسها د.زغول النجار حفظه الله من الأهمية والخطورة بما كان ، وبحيث لا يمكن لعاقل أن يقف منها موقف المتفرج بله المعادي ، ولكننا أحببنا فقط النصيحة بعدم المسارعة إلى تقرير حقائق من غير برهان علمي ، حتى لا يكذب القرآن مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ص 113 ⁵⁶

أن يكون للتوكيد باعتبار أن طول الفصل بالمفاعيل استدعى ذلك، فجاء بـ"رأيهم" نظرية وتنوعاً للحديث.

- التغليب : في قوله " ساجدين " أجرى الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر مجرى العقلاء وهو الذي يسميه النحاة " تغليبا"، ذلك لأنه لما وصف الكواكب والشمس والقمر بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليهما حكمهم كأنها عاقلة فلم يقل " ساجدة"، وهذا كثير شائع في كلام العرب ، أن يلبس الشيء الشيء من بعض الوجوه ، فيعطي حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابس والمقاربة.⁶⁰



أوجه الاستدلال من الآية :

نستهل حديثنا عن الآية بالتكلم عن ما يفعله من رأى رؤيا وعلى من يقصها لنبنين بعدها جواز ذكر الإنسان بما يكره وبضرورة البعد عن أسباب الشر لمن استطاعه واتباع بالحديث عن علم يعقوب بالرؤى وبفراسته .فكلام عن الشيطان وعداوته الأبدية للإنسان لنصل إلى استنباط آداب الوالد مع ولده والولد مع والده ، ونختم بقطوف لغوية

الفائدة 49 : ماذا يفعل من رأى رؤيا ؟

الآية ترشدنا إلى التزام آداب الرؤيا وهو ما فصلته السنة، حيث يستحب لمن رأى رؤيا صالحة ثلاثة أشياء :

- أن يحمد الله عليها
- أن يستبشر بها
- أن يتحدث بها لمن يحب دون من يكره

⁶⁰ راجع في ذلك الزمخشري، الكشاف، ج 2 ، ص 242 دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ نشر ومحى الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ص 503 دار اليمامة ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت، الطبعة 7 ، 1999

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

حيث ثبت عن الرسول ρ أنه قال : " إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر ، ولينقل على يساره ثلاثا وليستعد بالله من شرها ، ولا يحدث به أحدا فإنها لا تضره" ⁶¹

وروى مسلم (5854) من حديث أبي قتادة : " فإن رأى رؤيا حسنة فليشر ولا يخبر إلا من يحب " .

الفائدة 50 : علم يعقوب بالرؤى

وقد علم يعقوب عليه السلام تعبير هذه الرؤيا وهي خضوع إخوة يوسف عليه السلام وتعظيمهم إياه تعظيما زائدا ، بحيث يخرون له ساجدين ، إجلالا واحتراما وإكراما، فخشي يعقوب أن يحدث بهذا المنام أحدا من إخوته فيحسدونه على ذلك ، ولكنه لم يخبر يوسف عليه السلام بتأويل رؤياه على التفصيل ، وربما كان ذلك عن وحي ، أو لصغر سن يوسف .

الفائدة 51 : على من تقصّ الرؤيا ؟

الآية أصل في ألا تقصّ الرؤيا على غير شقيق ولا ناصح، ولا عن من لا يحسن التأويل فيها ، فقد روى الترمذي عن النبي ρ أنه قال : " الرؤيا معلقة برجل طائر ما لميحدث بها صاحبها، فإذا حدث بها وقعت ، فلا تحدثوا بها إلا عاقلا أو محبا أو ناصحا". وقال حسن صحيح. ⁶²

وقيل لمالك : أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال : أ بالنبوة يُلعب ؟

⁶¹ أخرجه أحمد (8/3 ، رقم 11069) ، والبخارى (2563/6 ، رقم 6584) ، والترمذي (505/5 ، رقم 3453) ، وقال : حسن صحيح غريب . وأخرجه أيضا : النسائي في الكبرى (223/6 ، رقم 10729) ، وأبو يعلى (513/2 ، رقم 1363) ، والحاكم (434/4 ، رقم 8181) وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

راجع خالد بن علي العنبري، قاموس تفسير الأحلام ، ص45

⁶² أخرجه أبو داود (305/4 ، رقم 5020) ، وابن ماجه (1288/2 ، رقم 3914) ، والحكيم (387/1) ، والطبراني (206/19 ، رقم 464) ، والبيهقي في شعب الإيمان (190/4 ، رقم 4766) . وأخرجه أيضا : ابن أبي شيبة (173/6 ، رقم 30449) ، وأحمد (10/4 ، رقم 16227) . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه ابن حجر .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وقال مالك أيضا : لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيراً أخبر به، وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت . قيل : فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه، لقول من قال أنها على ما تأولت عليه؟ فقال : لا .

ثم قال : الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة .⁶³

الفائدة 52 : جواز ذكر الإنسان بما يكره في مواضع

في هذه الآية دليل على إباحة أن يحذر المسلم أخاه المسلم ممّا يخافه عليه، ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة ، لأن يعقوب عليه السلام قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيدا .

وقد فصل الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين " باب ما يباح من الغيبة " في المواطن التي تُباح فيها الغيبة لغرض صحيح شرعي ، ويمكن جعل هذا المقام في الباب الرابع، وهو تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.⁶⁴

الفائدة 53 : البعد عن أسباب الشر

في الآية دليل أيضاً على جواز ترك إظهار النعمة عند من يخشى منه الحسد والكيد، فينبغي للمسلم أن يبتعد عن أسباب الشر وكتمان ما تخشى مضرته . قال النبي ﷺ : " استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود " ،⁶⁵ *

الفائدة 54 : فراسة المؤمن صائبة

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 127 ⁶³

⁶⁴ النووي ، رياض الصالحين ، ص 441 إلى 442 " باب ما يباح من الغيبة "

⁶⁵ أخرجه العقيلي (108/2 ، ترجمة 580) ، والطبراني (94/20 ، رقم 183) ، وأبو نعيم في الحلية (215/5) والبيهقي في شعب الإيمان (277/5 ، رقم 6655) . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (55/3 ، رقم 2455) ، وفي الصغير (292/2 ، رقم 1186) ، والديلمي (85/1 ، رقم 269) وصححه الألباني في صحيح الجامع بمجموع طرقه)

* يرجع إلى باب الحقد والحسد من كتاب إحياء علوم الدين ، وقد جعله الذهبي فيما يحتمل أنه من الكبائر ، وقد قال ﷺ " لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا " أخرجه الطبراني (309/8 ، رقم 8157) . قال الهيثمي (78/8) : رجاله ثقات . وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (3386)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

دلّتنا الآية على أن يعقوب عليه السلام كان أحسّ من بنيه حسدهم لأخيهم يوسف وبغضهم له ، فهاه عن قص الرؤيا عليهم خوفاً أن تغل بذلك صدورهم ، فيعملوا الحيلة في هلاكه، وهو ما سعوا إليه فعلا بعد ذلك .
ومعرفته عليه السلام لما أخبر به مما لم تدل عليه الرؤيا إما بفراصة، وكثيراً ما تصدق فراصة الوالد بولده كيفما كان الوالد، فما ظنك بفراسته إذا كان نبياً. أو بوحى؟ وقد يدعى أنه استدل بالرؤيا على كل ذلك .

الفائدة 55 : من هو الشيطان ؟

الشيطان في لغة العرب يطلق على كل عات متمرّد ، وقد أطلق على هذا المخلوق لعنّوه وتمرده على ربه .
وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله ، ولذا أسماه الله (إبليس) والبّس في لغة العرب من لا خير عنده ، وأبلس يئس وتحير .
وقد خلق الشيطان من نار لقوله ρ : " خلقت الملائكة من نور و خلقت الجن من نار و خلق آدم مما وصف لكم " 66 **

الفائدة 56 : عداوة الشيطان للإنسان أبدية

قال ابن الجوزي : اعلم أن الأدمي لما خُلِق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه ، أعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب

66 عمر سليمان الأشقر ، عالم الجن والشياطين ، ص 18 قصر الكتاب ، الجزائر ، 1989
**أخرجه أحمد (153/6 ، رقم 25235) ، ومسلم (2294/4 ، رقم 2996) وأخرجه أيضاً : عبد بن حميد (ص 430 ، رقم 1479) ، وإسحاق بن راهويه (277/2 ، رقم 786) ، وابن حبان (25/14 ، رقم 6155) ، وأبو الشيخ في العظمة (726/2 ، رقم 2) ، والبيهقي (3/9 ، رقم 17487) ، والديلمي (191/2 ، رقم 2953)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم⁶⁷.

ولذا فإنه لا يفتر عنهم ليلاً ولا نهاراً، ولا سرا ولا جهاراً، فهو يعمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله ، وقد أمر الله تعالى بالحدز منه في كثير من الآيات وهذه منها ، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى .

الفائدة 57 : قوام التربية بين الترغيب والترهيب

أنظر كيف أن يعقوب عليه السلام جمع بين الترغيب والترهيب في خطابه لابنه يوسف عليه السلام ، فنهاه عن قص رؤياه على اخوته لعلمه بحسدهم ، لكنّه في ذلك نسب الشر إلى الشيطان حتى لا يثير الضغائن ، ثم أتبع ذلك بتبشيريه بكون العاقبة له.

الفائدة 58 : أدب الولد مع الوالد

في كلمة " لأبيه " بيّن أدبه بقوله " يا أبت " مشيراً بأداة البعد " يا " إلى أن أباه عالي المنزلة جداً، وإلى أن الكلام الآتي له وقع عظيم ، فينبغي أن يهتم بسماعه والجواب عنه ، ولأن يوسف صغير والمنام عظيم خطير، فقال : " إني رأيت " .

الفائدة 59 : أدب الوالد مع الولد

إن استخدام كلمة " يا بني " في النداء بصيغة التصغير يوحي بالحنان والموودة من يعقوب لابنه ، ولصغر سنّه ، وللشفقة عليه ، ويسمى النحاة مثل هذا تصغير التحبيب، وما أطف قول بعض المتأخرين:

قد صغر الجوهر في ثغره لكنه تصغير تحبيب

⁶⁷ عبد الرحمان بن الجوزي ، تلييس إبليس، ص 33 دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة 4 ، 1490 هـ /

1990

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وهو بذلك يضرب لنا مثالا في معاملة الوالد مع ولده .

الفائدة 60 : من التدبير ترك التدبير لله

إن رؤيا يوسف عليه السلام من الإلهامات المجملة وهي إنذارات وبشارات. ويجوز أن يكون علم يعقوب عليه السلام ذلك من الرؤيا؛ قال بعضهم: إن يعقوب دبر ليوسف عليهما السلام في ذلك الوقت خوفاً عليه فوكلَ إلى تدبيره فوقع به ما وقع ولو ترك التدبير ورجع إلى التسليم لحفظ .

الفائدة 61 : نكت لغوية

- قال تعالى " يكيدوا لك " أي إن أنت قصصتها عليهم كادوك ، وإنما لم يقل فيكيدوك، كما قال في الآية الأخرى: " فكيدوني " ليكون ذلك أبلغ وأكد في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ، زيادة على أنه أكد على معنى الاحتيال والتأمر بالمصدر : " كيدا " وهو هنا مفعول مطلق .
- في قوله تعالى " لا نقصص " أكد النهي بإظهار الإدغام وفكّه ، فهو أجمل من إدغامه، فلم يقل : " لا نقصص " ، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وَكَذَلِكَ يَجْجِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ
أَبُوتِكَ مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتساءل في هذه الآية عن معاني اجتناب يوسف عليه السلام ونبين مختلف الأقوال المتعلقة بتأويل الأحاديث وإتمام النعمة ، ثم نتطرق إلى سر تكريم أهل يعقوب وتقديم إبراهيم في نسب يوسف عليهما السلام . ثم نعرِّج على مكانة الأسرة الصالحة وعن المحبة فيها .
لنكتشف بعدها صفتي العلم والحكمة من صفات الله عزَّ وجل لنختتم بنكت لغوية .

الفائدة 62 : اصطفاؤه يوسف عليه السلام

الاجتناب يعني الاصطفاء ، واجتناب الله العبد تخصيصه إياه بفيض الهي تحصل منه أنواع المكرمات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، وهذا يتضمن الثناء على يوسف وتعدد نعم الله عليه فإن يوسف عليه السلام قد تغذى بلبان النبوة، وتعهده أبوه بالأخلاق الكريمة، فنشأ نشأة صالحة وأحس من صغره بمجد آبائه وأجداده ، فسار على منهجهم وتمسك بأدابهم وأخلاقهم ، فأنعَّم الله عليه بالعلم والحكمة ، والعصمة من الوقوع في الدنيا والرزايا .
وكان عليه السلام ذو نفس كريمة أبية ، وروح ظاهرة وعزيمة قوية ، فاصطفاه الله بهذه الرؤيا ، كما اصطفاه للنبوة والملك ، وعلمه من تعبير الرؤيا وأتم عليه نعمته بالنبوة وما ينضاف إليها من سائر النعم ، وعلى آل يعقوب بالتقوى والصلاح.⁶⁸

على فكري ، أحسن القصص ، ص 66⁶⁸

الفائدة 63 : ما هو تأويل الأحاديث ؟

بَيَّنَّ اللهُ عز وجل أنه علم نبيه يوسف من تأويل الأحاديث، واختلف العلماء في المراد بذلك .

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أن المراد بذلك : تعبير الرؤيا . فالأحاديث على هذا القول هي الرؤيا. قالوا : لأنها إما حديث نفس أو ملك أو شيطان ، وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها، ويدل على ذلك آيات عديدة في هذه السورة ستمر بنا .

وقال بعض العلماء : المراد بتأويل الأحاديث معرفة معاني كتاب الله وسنن الأنبياء ، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها ، يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها. وسميت أحاديث لأنها يحدث بها عن الله ورسوله ، فيقال : قال الله كذا ، وقال الرسول كذا و كذا ، كقوله تعالى : " فبأي حديث بعده يؤمنون " وقوله : " الله نزل أحسن الحديث " .

قال الشنقيطي : الظاهر أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كله من تأويل الرؤيا وعلوم كتب الله وسنن الأنبياء ، والعلم عند الله تعالى .⁶⁹

الفائدة 64 : ما هو إتمام النعمة ؟

قوله تعالى : { وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها: بالنبوة، قاله ابن عباس
والثاني: بإعلاء الكلمة.

والثالث: بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم، ذكرهما الماوردي.⁷⁰

ومن إتمام النعمة سعادات الدنيا وسعادات الآخرة.

أما سعادات الدنيا فالإكثار من الأولاد والخدم والأتباع والتوسع في المال والجاه والحشم وإجلاله في قلوب الخلق وحسن الثناء و الحمد.

الشنقيطي ، أضواء البيان ، الجزء 2 ، ص 202 دار عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ نشر ⁶⁹203
ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط⁷⁰

وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والأخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى.⁷¹

الفائدة 65 : النعمة على العبد قد تشمل أهله

إن نعمة الله على العبد نعمة على من يتعلق به من أهل بيته ، و أقاربه و أصحابه وأنه ربما شملهم ، وحصل لهم ما حصل له سببه ، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب " ولما تمت النعمة على يوسف حصل لآل يعقوب من العزة والتمكين في الأرض، والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.⁷²

وتروي كتب السيرة ما حصل من بركة النبي محمد p في منازل بني سعد عند مرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب ، وكيف عادت مُمرعة مخضرة بعد أن كانت مجدبة قاحلة، وعاد الدرّ حافلا في ضرع ناقتها الكبيرة المسنة بعد أن كان يابسا ، ممّا يدل على علو شأن الأنبياء ومنزلتهم عند ربهم حتى كونهم أطفالا صغارا⁷³

الفائدة 66 : تكريم أهل يعقوب

إن " آل يعقوب " هم أهله ونسله وغيرهم ، وأصل آل أهل ، بدليل تصغيره على أهيل ، إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر ومكانة ، يقال آل النبي وآل الملك ، ولا يقال آل الحجاج ولكن أهله⁷⁴. كما قال تعالى : " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران " . (آل عمران / 33) .

⁷¹ فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، جزء 9 ص 72 ، مكتبة مشكاة الإسلامية ، 2006

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 283 ⁷²

راجع في ذلك سيرة ابن هشام ، الجزء الأول ، ص 64 ⁷³

⁷⁴ استدلل البعض على أن هذا التكريم دليل على نبوة إخوة يوسف ولا دليل لهم إلا هذه الآية ، وربما كانت دليلا عليهم لا لهم ، فإنه لم يقل : وعلى إخوانك ، بل قال : " على آل يعقوب " وهو يشمل الأبناء والأحفاد ونسلهم ، كما قال : آل عمران فالمراد حفيده وهو عيسى بن مريم ، وقد قال ابن عطية في تفسيره : يريد في هذا الموضع الأولاد والقرابة التي هي من نسله أي يجعل فيهم النبوة .

كما أن ما أتاه إخوة يوسف من كبائر ومعاصي يتعارض مع مقامات النبوة ، وسنعود إلى هذه القضية بالتفصيل

الفائدة 67 : لما قُدم إبراهيم في نسب يوسف عليه السلام ؟

قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : " كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق " أي كما أتم النعمة من قبل هذا العهد على جدك وجد أبيك ، وقدم إبراهيم لأنه الأشرف منهما ، والعرب وغيرها تفعل ذلك ، وقد كانوا يقولون للنبي ρ يا ابن عبد المطلب . وقد قال يعقوب ذلك لما كان يعلمه من وعد الله لإبراهيم باصطفاء آله ، وجعل النبوة والكتاب في ذريته ، وما علمه من رؤيا يوسف وأنه الحلقة الأولى في السلسلة النبوية التي ستكون من بعده من أبنائه .

الفائدة 68 : تلقي النبوة يقتضي الإعداد والاستعداد

إذا أراد الله أمراً من الأصول العظام قَدَم بين يديه مقدمة ، توطئة له وتسهيلاً لأمره ، واستعداداً لما يرد على العبد من المشاق ولطفاً بعبده ، وإحساناً إليه ، فأول يعقوب رؤيا ابنه بأن الشمس أمه والقمر أبوه والكواكب إخوته ، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له ويسجدون له إكراماً وإعظاماً ، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتناب الله له ، واصطفائه إياه ، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل والتمكين في الأرض . وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب الذين سجدوا له وصاروا تبعاً له فيها .⁷⁵

الفائدة 69 : السورة كشف وبيان رمزي

تبدأ القصة بذكر الرؤيا على لسان يوسف (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) والرؤيا أمر يراه النائم ، غالباً ما يكون رمزاً وإشارة ودلالة (كما جاء في رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام) والرمز أمر غامض خفي يحتاج إلى بيان وإظهار وكشف ، وتأويل رؤيا يوسف يعني فك رموزها المستورة ، وبيان مدلولاتها الخفية . ولذا جاء تأويل سيدنا يعقوب رؤيا ابنه على أنها النبوة إظهاراً وكشفاً لما جاء رمزاً غامضاً .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

إذ قال سيدنا يعقوب (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، إذا أول سيدنا يعقوب رؤيا ابنه يوسف على أنها النبوة، وأن ما جاء في الرؤيا من إشارات هو من علامات تلك النبوة.⁷⁶

الفائدة 70 : من صفات الله تعالى العلم

العلم مبالغة في العلم ، وهو المحيط بجميع المعلومات ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماوات ، يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في جو السماء ، ويعلم السرّ وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر، بعلم قديم أزلي ، لم يزل موصوفا به في أزل الأزل ، لا بعلم متجدد حاصل بالانتقال .

ومن عرف أن الله العالم بكل شيء ، واكتفى بعلمه في كل شيء ، فكان واثقا به في كل شيء ، متوجها إليه في كل شيء .⁷⁷

الفائدة 71 : التخلق بالعلم

إن التخلق بالعلم أن تتضلع⁷⁸ من علوم الشريعة ، وتتبحر فيها ذوقا وحالا ومقاما ، فحينئذ تكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام ، قد حزت الوراثة كلها .

الفائدة 72 : من صفات الله تعالى الحكمة

الحكيم ذو الحكمة البالغة ، وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه ، والإتيان بالأفعال على ما ينبغي . وقيل : الحكيم بمعنى المحكم من الأحكام ، بمعنى الإتيان ، وهو إتيان التدبير وإحسان التقدير .

⁷⁶ ياسر محمود الأفرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

⁷⁷ محمد بن عجيبة الحسني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص 132-133 دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة 1،

1425 / ٥ / 2004

⁷⁸ (تضلع) امتلا شعبا أو ربا و يقال تضلع من العلوم و نحوها ، المعجم الوسيط

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ومن عرف أن الله هو الحكيم ، لم يعترض عليه في شيء ، ولم يتهم حكمه بشيء ، بل يرى كل أفعاله جميلا بالنسبة إليه .⁷⁹

الفائدة 73 : التخلق بالحكمة

التخلق بالحكمة هو إتقان العلم والعمل ، فتكون حكيما في أقوالك وأفعالك ، وجميع أمورك . قال تعالى : "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" (البقرة / 269) .

الفائدة 74 : مكانة الأسرة الصالحة

ابتدأت القصة من الأسرة ذات البيت الواحد والأب الواحد ، والأسرة آية صلاح المجتمع أو فساده ، بدأت القصة برؤيا يوسف عليه السلام ومخاطبته لأبيه بقوله " يا أبت " وهي من أقوى الروابط وأوثقها ، وتبين مقدار تعلق الطفل بوالده لأنه خصّه بقص الرؤيا عليه ولاستعماله هذا الأسلوب الرقيق واللطيف في مخاطبته .

وإذا كانت السورة الكريمة لا تحدثنا بادئ ذي بدء عن حب يعقوب لابنه، إلا أن قول الأب لابنه: " لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيذا" إشارة إلى هذا الحب ، ولا عجب أن يستشف يعقوب النبي بعض حجب الغيب، وتلك منّة من الله يمنّ بها على من يشاء من عباده ولقد دفع يعقوب ثمن هذا الحب الذي لم يستطع أن يخفيه عن الآخرين ، دفعه لوعة وألماً وسقم جسد، ومرارة فراق، وتلك قضية لازالت أسر كثيرة تجني من آثارها البغضاء والحدق والغل .⁸⁰

الفائدة 75: من أحقّ الأولاد بالمحبة ؟

إن سبب زيادة حبه يعقوب عليه السلام ليوسف وأخيه صغرهما وموت أمهما، وحب الصغير أمر مركوز في فطرة البشر فقد قيل: لابنة الحسن: أي بنيك أحب إليك؟ فقالت :

- أصغرهم حتى يكبر
- وأمراضهم حتى يشفى

⁷⁹ محمد بن عجيبة الحسني ، المرجع السابق، ص 154
⁸⁰ فضل حسن عباس ، القصص القرآني ، ص 408 شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1989

الفائدة 76 : لماذا أثر يعقوب عليه السلام يوسف بالمحبة ؟

إن سبب حب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف لا يعود لكونه صغيرا فحسب ، لأنه لو كان السبب الوحيد ما ذكر، لكان بنيامين أوفر حظاً في ذلك لأنه أصغر من يوسف عليه السلام كما يدل عليه قولهم: إن أمهما ماتت في نفاسه. فالذي ينبغي أن يعول عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ومعالم النبوة، ومن آثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر الأولاد، وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدتها تلك الأمارات عنده. ولعله وإن كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أشرف وأعلى بما كان يصدر عن سائر الأولاد.

الفائدة 77 : اللف والنشر

في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : " وكذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم " فن يسمى باللف . وهو أن تختصر القصة في كلمات موجزة ، وهو ما جمعه الآية بإعجاز ، فقلوه :

- وكذلك يجتبيك ربك : يتضمن الاصطفاء والنبوة والوحي
- ويتم نعمته عليك : تتضمن العلم والحكمة وتأويل الرؤى وإنجاءه من الكروب
- وعلى آل يعقوب : أن مأل إخوته يكون خيرا بسببه
- كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق : حسن المنبت والسير على هديهما بما فيه الهجرة والابتلاء
- إن ربك عليم حكيم : عليم حيث يضع رسالته وحكيم في كل أفعاله وإن لم تبد حقيقتها إلا بعد زمن

81 نسب هذا القول أيضا إلى غيرها في تفاسير أخرى فوجب التنبيه

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ثم انتقلت السورة إلى نشر القصة بالتفصيل ، ابتداء من قوله " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين " .⁸²

الفائدة 78 : نكت لغوية

في قوله تعالى " كما أتمّها على أبويك " نكتتان :

- استعمال الأب بمعنى الجد
- التشبيه المرسل المجمل لوجود أداة التشبيه

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتحدث عن إخوة يوسف عليه السلام وترية يعقوب إياهم على عقيدة التوحيد ، ثم نتناول جملة من القضايا المتعلقة بالآية منها إعداد النفس لتلقي قصة يوسف عليه السلام وعناصر القصة ، و ماهية الآيات وأنواعها ، وسر المقابلة بين يوسف وإخوته وكذا بعض من خصائص السورة المختلفة و التقديم لها

الفائدة 79 : عن إخوة يوسف

لقد كان يعقوب عليه السلام يحث أبناءه على إتباع ملة إبراهيم الحنيفية السمحة ، وطاعة الله والخضوع له ، وإتباع قواعد الإسلام . وقد اختار أسماءهم لتدلّ على الخضوع والتسليم لله ، وفي ذلك تلميح لضرورة انتقاء أسماء الأبناء كما جاء في الأحاديث . كما أنه قبيل وفاته أوصاهم على الثبات على عقيدة التوحيد وتبليغها كما نصّ عليه القرآن .

⁸² إسماعيل حميدي ، عظات وعبر من سورة يوسف ، قرص سمعي

الفائدة 80: اختصاص الأمة المحمدية بالقصص الحق

لقد خصّ الله نبيه محمدا وأمته بهذه القصة الصحيحة ، وإن بعض أخبارها كان من أسرار بعض الممالك القديمة في فجر التاريخ مما عفا عليه الزمن وغيّته الأحقاب التاريخية ، فلم يكشفها إلا الوحي ، حتى هذا النبي الموحى إليه، كان قبل ذلك غافلا عن أخبارها، غير دارٍ بأسرارها. وبما أن الله تعالى أوحى إليه هذا القرآن - وهو أحسن الوحي أنزله بلسان عربي مبين ليقراه على أمته لعلهم يعقلون ما فيه من توجيهات وأخبار وعجائب وأسرار، ويتأثرون بما فيه من عبر - فقد اختار له هذه القصة لينقلها إلى العالم.

الفائدة 81: إعداد النفس لتلقي أحداث القصة

وأما إعداد النفس لتلقي الآيات والعبر، ولمتابعة حوادث القصة وأخبارها، فقد جاء في المشهد الأول من القصة حين حكى يوسف رؤياه لأبيه ، وحين حدّره أبوه من إفشاء سر هذا العلم الذي يدل على أنه سيكون له في مستقبله شأن كبير، ويتساءل قارئ القصة وهو يتابع هذا المشهد بشوق وحذر وترقب ، تُرى ماذا سيكون لهذه الرؤيا من تأثير في مستقبل هذا الطفل؟ ويستمر تساءل القارئ: تُرى ماذا سيفعل هؤلاء الكبار بأخيه الصغير من كيد؟ وماذا أعدت له الأقدار من مفاجآت؟ كما يستمر التساؤل عن تأويل هذه الرؤيا : ترى ماذا سيؤول إليه حال هذا الطفل إذا كبر وأنعم الله عليه بالنبوة وعلمه من تفسير الأحلام .

كما يتساءل عن قوله تعالى : " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين " أي علامات ودلالات لها مغزاهما، فيترقب ويفكر وهو يتابع القصة ليجد في كل مشهد آية أو دلالة أو عبرة وكل هذه التساؤلات تهيب النفس لمتابعة موضوع العبرة ومغزاهما بشوق ولهفة

83 .

⁸³ عبد الرحمان النحلوي ، التربية بالعبرة ، ص 45 إلى دار الفكر ، دمشق دار الفكر ، دمشق - بيروت،

الطبعة الأولى ، 1415 هـ / 1994

الفائدة 82: الآيات وأنواعها

- الآية هي الأمر العجيب الملفت للنظر والذي يستدل به من جهات وهي أنواع :
- آيات كونية: رصيد النظر في الكون لإثبات الحق " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " (فصلت/53)
- آيات إعجازية : وهي المعجزات الخارقة للنواميس الكونية والتي يثبت بها الرسل صدق بلاغهم عن الله تعالى. " قال رب اجعل لي آية " (مريم/10)
- آيات فيها الأحكام : وهي المبنوثة في الكتب المنزلة " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات " . (آل عمران/7)

وقد جمعت سورة يوسف الأنواع الثلاثة :

- فهي تثبت القدرة كآيات الكون ، منها الإنجاء من الجب ودلالة قد القميص ورؤيا الملك والكيد بالصواع وارتداد بصر يعقوب وغيرها
 - وهي معجزة في صدق أخبارها وتفصيل أحداثها وإعجاز ألفاظها ومبانيها ومعانيها
 - وفيها من الأحكام المتعلقة باللقطة والجعالة والكيل وآداب الرؤيا وجزاء السرقة
 - ...
- إذا فسورة يوسف جاءت بالآيات العظيمة التي ينبغي الوقوف عندها ولا يعرض عنها.⁸⁴

الفائدة 83 : قصة يوسف عليه السلام دليل التوحيد والرسالة

إن في قوله تعالى : " آيات للسائلين " بيان على أن قصة يوسف تحمل دلالات على وحدانية الله تعالى ، وعلى نبوة محمد ρ ، آيات دالة على عظمة الله وقدرته في تصديق رؤيا يوسف عليه السلام ، ونجاته ممن كادوه ، وعصمته وعلو أمره .

⁸⁴ مستمد من محمد متولي الشعراوي ، تفسير سورة يوسف ، قرص سمعي مع التصرف

الفائدة 84 : من آيات السورة الصدق

في مقصد هذه الآيات خمسة أوجه :

أحدها: الدلالة على صدق محمد ρ حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدتهم، ولا نظر في الكتب.

والثاني: صدق ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه.

والثالث: صدق رؤياه وصحة تأويله.

والرابع: صدق يوسف في ضبط نفسه وقهر شهوته حتى قام بحق الأمانة.

والخامس: صدق حدوث السرور بعد اليأس.

الفائدة 85 : سورة يوسف بشرى لكل مكروب

إن النقم قد تكون ذريعة لكثير من النعم ، ففي بدء القصة أحداث كلها أتراح أعقبها نتائج كلها أفرح . وقال ابن عطاء: من الآيات أن لا يسمع هذه القصة محزون مؤمن بها إلا استروح وتسري عنه ما فيه .

الفائدة 86 : عناصر القصة

لقد احتذى هذا الأسلوب كثير ممن وضعوا كتب القصص والروايات فتراهم يبدؤون بذكر نبأ هام يشغل بال القارئ و يحيره في فهم علله وأسبابه وما يزلون يتدرجون به من حال إلى حال ومن شرح معنى وكشف خفي رويدا رويدا بأناة وحذق حتى يشرحوا ذلك النبأ في نهاية القصص .⁸⁵

الفائدة 87 : ينبغي أن يبحث عن مواطن العبر في السورة

في قوله تعالى : " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين " فيه تأكيد وتحقيق على أنه ينبغي لكل أحد أن يسأل عن مثل هذا القصص ، إذ هي مقر الاتعاض والاعتبار.⁸⁶

المراغي ، تفسير المراغي ، ص 114⁸⁵

⁸⁶ فالقصص القرآني إنما وُظف للاعتبار والاتعاض ومن ثم العمل ، لا أن يبحث في التفاصيل والتفريعات التي لا فائدة منها ترتجى .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فقصة يوسف خير مثال على هذا النوع ، لأن فيها من العبر ما لا يوجد في غيرها من قصص التاريخ ، وهي تدلنا على أن القصص المذكور في القرآن ليس للتسلي و السمر ، إنما جعل للاقتداء والاعتبار والاعتاظ .

الفائدة 88: لماذا خصّ ذكر السائلين ؟

إن قيل: لم خص السائلين، ولغيرهم فيها آيات أيضا؟ فعنه جوابان : أحدهما: أن المعنى: للسائلين وغيرهم، فاكتفى بذكر السائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحر من البرد في قوله: { تَقِيكُمُ الْحَرَّ } [النحل: 81] والثاني: أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية، كان لغيرهم آية أيضا؟ وإنما خص السائلين، لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخبر.⁸⁷

الفائدة 89 : من آيات الله في قصة يوسف العلوم الباطنة

من آيات الله في قصة يوسف لمن يريد أن يسأل عن أحداثها الحسية الظاهرة وعلومها الباطنة كعلم يعقوب بتأويل رؤيا يوسف وعلمه بكذبهم في دعوى أكل الذئب له ، ومن شمه لريح يوسف منذ فصلت العير من أرض مصر ذاهبة إلى أرض كنعان، ومن رؤية يوسف لبرهان ربه ومن كيد الله له ليأخذ أخاه بشرع الملك ، ومن علمه بأن إلقاء قميصه على أبيه يعيده بصيرا بعد عمى بقي كثيرا من السنين .

الفائدة 90 : من أسرار المقابلة بين يوسف وإخوته

في قوله تعالى " في يوسف و إخوته " مقابلة عجيبة ، فإذا كان يوسف عليه السلام يمثل نموذجا سامقا للمبادئ والأخلاق السامية : الصبر، الثبات، العفة ، اليقين ، الجود، العطاء ، الإحسان، الحلم ... وغيرها كثير مما سيمر بنا، فإن إخوته على النقيض من ذلك تماما فإنهم - وكما سنراه أيضا- قد أضلوا لقواعد تصب كلها في الشر : الغيرة ، الحسد، الإقدام على التصفية الجسدية ، الكذب، الافتراء ، نقض العهود ، الإيذاء ، الغلظة في القول

ابن الجوزي ، زاد المسير، مكتبة مشكاة (الأنترننت)⁸⁷

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

، التكذيب ، العقوق⁸⁸ ... ، وهو ما يمثل طبائع بني إسرائيل واليهود حقا. ولعل الحليم منهم يمثل الأقلية الصالحة بنسبة واحد من عشرة .
فانظر كيف كان لنا آيات حقا في مقابلة يوسف بإخوته في هذه السورة.

الفائدة 91: اللهم حسنْ خُلُقِي كما حَسَنْتِ خُلُقِي⁸⁹

وقال بعضهم: إن من الآيات في يوسف عليه السلام أنه حجة على كل من حسن الله تعالى خلقه أن لا يشوّهه بمعصيته ومن لم يراع نعمته الله تعالى فعصى كان أشبه شيء بالكنيف المبيض والروث المفضض. وقد قال الممتنبي :
وما الحسن في وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن في فعله والخلائق

الفائدة 92 : سورة يوسف آية في دقة أخبارها

لقد أنزل الله سورة يوسف جملة واحدة ، فيها كل ما في التوراة من خبر وزيادة⁹⁰ فكان ذلك آية للنبي ρ بمنزلة إحياء عيسى بن مريم عليه السلام للميت ، ودلالة قدرة الله وحكمته في كل شيء وعبرة لمن سأل عن قصته .

⁸⁸ يقول الشيخ عمر عبد الكافي أنه أحصى واحدا وثلاثين خلقا سيئا لإخوة يوسف والتي وردت في ثنايا السورة. وقد توارثتها أجيال اليهود فيما بعد ، والله المستعان.

⁸⁹ هو حديث صحيح، أخرجه الخرائطي عن أبي السعود وكذا ابن حبان (935) ، ورواه أحمد (3822 و 2482) عن عائشة (صحيح الجامع 1307)

⁹⁰ لقد عقد سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير طيلة تفسيره لسورة يوسف مقارنة بين ما جاء في القرآن وما في التوراة المخرفة بتفصيل دقيق ، فليراجع . وكذلك فعل مالك بن نبي في الظاهرة القرآنية ، حيث قابل بين قصة يوسف في القرآن وفي الإنجيل وخرج باستنتاجات جد هامة .

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا
وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نشير إلى الحسد في كلام إخوة يوسف وإلى حال الحاسد، ونتساءل عن سر تعرض يوسف عليه السلام للأذى من إخوته وكذا عن تخطئة الأبناء لأبيهم . لنومئ إلى مفهوم العصبية والقوة و نتبع القول عن الطبع والتطبع.

نعرف من خلال الآية أيضا الضلال ونتساءل عن سر وصف إخوة يوسف عليه السلام أباهم بالضلال . لنختم بالحديث عن كيفية معاملة الأبناء وعن الكشف النفسي في هذه الآية .

الفائدة 93 : الحسد ما هو ؟

إن الغيظ إذا كُظم لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن ، فاحتقن فيه فصار حقدًا، وعلامته دوام بغض الشخص واستتقاله والنفور منه ، فالحقد ثمرة الغضب والحسد من نتائج الحقد.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال : " لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا " ⁹¹ وإن النفس قد جبلت على حب الرفعة ، فهي لا تحب أن يعلوها جنسها ، فإذا علا عليها ، شق عليها وكرهته ، وأحبت زوال ذلك ليقع التساوي، وهذا أمر مركوز في الطباع .

لذا يكثر الحسد بين الأقران والأمثال و الإخوة، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل التنافس فيها ، فيثور التنافر والتباغض .⁹²

⁹¹ (أخرجه مالك (907/2 ، رقم 1616) ، وأحمد (287/2 ، رقم 7845) ، والبخارى (1976/5 ، رقم 4849) ، ومسلم (1985/4 ، رقم 2563) ، وأبو داود (280/4 ، رقم 4917) ، والترمذى (356/4 ، رقم 1988) وقال : حسن صحيح)

⁹² ابن قدامة المقدسي، مختصر منهج القاصدين ، ص 192 إلى 193 المكتبة العصرية ، بيروت ، 1424 هـ / 2004

الفائدة 94 : حسد إخوة يوسف لأخيهم ما سببه ؟

إن أصل العداوة والحسد التزاحم على غرض واحد وهو هنا حب الأب، وإيثاره ليوسف وأخيه بنيامين بمحبته . لذا قال إخوة يوسف : " ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا " فاللام للتأكيد وتحقيق مضمون الجملة ، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه. فالحسد قد يكون على مجرد الحب ، فقيل (حتى على الحب لا أخلو من الحسد)⁹³

الفائدة 95 : حال الحاسد

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي : يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود :

- أولاً : غم لا ينقطع
- ثانياً : مصيبة لا يؤجر عليها
- ثالثاً : مذمة لا يحمد عليها
- رابعاً : سخط الرب
- خامساً : يغلق عنه باب التوفيق⁹⁴

الفائدة 96 : لماذا لم يتعرض بنيامين لما تعرض له يوسف عليه السلام ؟

{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ} بنيامين، وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من جانبي الأم والأب وهي أقوى من الأخوة من أحدهما، ولم ينكروه باسمه إشعاراً بأن محبة يعقوب عليه السلام له لأجل شقيقه يوسف عليه السلام، ولذا كانت معاملتهم إياه أقل سوءاً من معاملتهم ليوسف عليه السلام ، وإن لم يسلم من آذاهم كما سيأتي في قوله تعالى: " إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون " .

⁹³ واختلف إن كان وصلهم خبر رؤيا يوسف أم لا ، فقد سكت السياق القرآني عن ذلك ، وإن كانت المحبة وحدها كافية لحسدهم كما قلنا إما إن كانوا قد علموا بالرؤيا ، فيكون ذلك مدعاة لتأجج نار الحقد والحسد أكثر فأكثر ، والله أعلم

⁹⁴ شهاب الدين الأبهسي ، المستطرف من كل فن مستظرف، ص 219 دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ نشر

الفائدة 97 : كيف يؤمن أبناء يعقوب بنبوة أبيهم ثم يخطئونه ؟

ظن أبناء يعقوب أن ما كان منه عليه السلام إنما كان عن اجتهاد وأنه قد أخطأ في ذلك، والمجتهد يخطئ ويصيب وإن كان نبياً، وبهذا ينحل ما قيل: إنهم إن كانوا قد آمنوا بكون أبيهم رسولاً حقاً من عند الله تعالى فكيف اعترضوا وكيف زيفوا طريقته وطعنوا فيما هو عليه، وإن كانوا مكذبين بذلك فهو يوجب كفرهم والعياذ بالله تعالى وهو مما لم يقل به أحد ووجه الانحلال ظاهر.⁹⁵

الفائدة 98 : العصبية والقوة

لقد برّر إخوة يوسف موقفهم بتساؤلهم عن سبب تفضيل يعقوب عليه السلام ليوسف وأخيه في المحبة عليهم ، وهما اثنان صغيران لا كفاية لهما ولا منفعة ، وهم جماعة عشرة رجال كفاة، يقومون بمرافقة والدهم ، فهم أحق بزيادة المحبة لفضلهم بالكثرة والمنفعة .
والعصبية والعصاة العشرة فصاعداً، وقيل إلى الأربعين ، سمّوا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب.⁹⁶

فنزى أن إخوة يوسف جعلوا أساس التفضيل الكثرة والقوة ، ومن ثمّ كان مقياسهم دنيوياً محضاً ، بعيداً عن أسباب أخرى للمحبة كالتقوى وحسن الخلق ، وشابهوا في ذلك قياس إبليس الذي رأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له ، لأنه رأى أن النار أفضل من الطين وهو قياس فاسد، فإن الطين أنفع من النار لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو ، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق.⁹⁷
وقد تطوّر هذا المفهوم " العصبية " إلى " العصبية" عند ابن خلدون والذي أعطاهما بعداً اجتماعياً وسياسياً ، وجعلها محرك الدولة ، وجاء أيضاً مفهوم " العصب " التي تساهم في صناعة القرار .⁹⁸

الألوسي، روح المعاني ، جزء 21، ص 391⁹⁵
الزمخشري ، الكشاف ، ص 243 إلى 244⁹⁶
ابن كثير ، صحيح قصص الأنبياء ، ص 17 مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة 2 ، 1422 هـ / 2002⁹⁷
⁹⁸ راجع هذه المفاهيم في كتب علم الاجتماع وعلم السياسة

وبقي الإشكال يطرح دائماً حول مفهوم القوة ومصدرها وشرعيتها : القوة المادية (مفهوم اخوة يوسف) أم القوة الروحية والخلقية (والتي يمثلها يوسف عليه السلام) وانتقل من الأسرة إلى الدولة إلى تسيير شؤون الدولة .⁹⁹

الفائدة 99 : الطبع يغلب التطبع

إنه متى تقاربت طباع جماعة ، أنس بعضهم ببعض وتحابوا ، وكانوا حزبا وحربا على من ليس من مسلكتهم ، فهؤلاء الإخوة العشرة لما اتفقوا في الصفات اتفقوا على كراهة يوسف الذي هو أمة وحده ، فضلا ولطفاً وأدباً ، وكمالاً.

الفائدة 100 : ما هو الضلال المبين ؟

الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي .

ويدل لهذا المعنى ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن الكريم وفي كلام العرب، فمنه قوله تعالى لنبينا : " ووجدك ضالاً فهدى " أي لست عالماً بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهذاك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم .
ومنه بهذا المعنى قول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بها

بدلاً أراها في الضلال تهيم

يعني أنها غير عالمة بالحقيقة في ظنها أنه يبغي بها بدلاً، وهو لا يبغي بها بدلاً .

وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين، إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة وإنزال الأمر منزلته اللائقة به ، حيث أثر اثنتين على العشرة ، مع أن العشرة أكثر نفعاً وأقدر على القيام بشؤونه وتدبير أموره .¹⁰⁰

⁹⁹ يمكن أن تجتمع لدى الفرد القوتان معاً، كما حدث مع طالوت : " إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم " (البقرة 247) وكما سيحدث مع يوسف حين يمكن في الأرض.
الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 203¹⁰⁰

الفائدة 101: لماذا وصف إخوة يوسف أباهم بالضلال ؟

إنما جعلوا أباهم في ضلال مبين لثلاثة أوجه :

- لأنه فضّل الصغير على الكبير
- القليل على الكثير
- من لا يراعي ما له على من يراعيه¹⁰¹

الفائدة 102 : حب يوسف بين الأب والإخوة

- كان حب يوسف عند الإخوة ضلالا ، وعند يعقوب جمالا
- وكان عند الإخوة غير مباح وعند يعقوب رشاد وصلاح
- وكان عند الإخوة تعباً وعناء وعند يعقوب سبباً وغبى¹⁰²

الفائدة 103 : كيف يجب أن يعامل الأبناء ؟

لا بد أن نقف لنستوحي من الآيات درسا تربويا، يتعلق بشؤون الأسرة ترشد إليه هذه

الآية الكريمة .

إن إخوة يوسف فعلوا ما فعلوه لما رأوا من معاملة أبيهم وتفضيله يوسف عليهم ، وهي من القضايا التي تغرس في الأسرة البغض والكراهية وتقطع الأواصر ، وما نظن إلا أن الآيات الكريمة كانت تهدف لتقرير هذه الحقيقة، وهي تعليم الآباء أن لا يشعروا الأبناء بتفضيل أحد على أحد ، ونجد الرسول ρ يؤكد على هذه القضية في أحاديثه وأحكامه، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما : " أنَّ أباه وهبه بستانا وأنَّ أمه أعجبتها أن يشهد النبي ρ على ذلك فأخذه أبوه وقال : يا رسول الله ، إنني نحللت (أي أعطيت) ابني هذا بستانا، وإنَّ أمه أعجبها أن تشهد على ذلك. فقال الرسول : ألك غيره؟ قال : نعم . قال : أعطيتهم كلهم مثل ما أعطيته؟ قال : لا ، فقال النبي ρ : أرجعه - أي أرجع ما أعطيته له - فإني

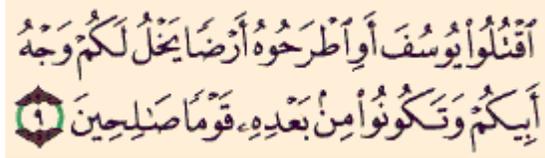
الماوردي ، النكت والعيون ، ص ج 2 ، ص 241¹⁰¹
¹⁰² سراج الدين الأوسي ، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام ، ص 38 دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى 2003/ 1424

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

لا اشهد على جور" ثم قال ρ : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".¹⁰³ (أخرجه البخارى (938/2 ، رقم 2507) ، ومسلم (1243/3 ، رقم 1623) ، والنسائى (260/6 ، رقم 3681) . وأخرجه أيضًا : أحمد (268/4 ، رقم 18389) .

الفائدة 104 : السورة كشف وبيان نفسي

(إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أراد الله تعالى أن يبين لنا ما خفي علينا من موقف إخوة يوسف مما أخفوه من حسد وغيره حسب ما جاء على لسان سيدنا يعقوب، فجاءت علة هذا الموقف وسببه على لسان إخوة يوسف. فكشفت لنا السورة عن خفي القلوب ، ونربط ذلك دائماً بأول السورة : " كتاب مبین".¹⁰⁴



أوجه الاستدلال من الآية :

تجرنا هذه الآية إلى البحث في نبوة إخوة يوسف من عدمها، ونردف بالتحذير من ارتكاب المعاصي وشؤمها على الإنسان و نعرّف هنا الغربة وكربتها. ثم نتناول التوبة وأنواعها لنتبع قطوفنا بالكلام عن العداوة بين الإخوة وبالنظر في نفسية إخوة يوسف عليه السلام لنختم ببعض النكت اللغوية الواردة في الآية .

الفائدة 105 : هل كان إخوة يوسف أنبياء ؟

في الآية دلالة على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء، لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل المسلم ، بل كانوا مسلمين فارتكبوا معصية ثم تابوا . وقيل أنهم كانوا أنبياء ، وهذا يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي وعن عقوق الآباء ، وتعريض مؤمن للهلاك ،

فضل حسن عباس ، القصص القرآني ، ص 398¹⁰³
¹⁰⁴ياسر محمود الأفرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

والتأمر في قتله ، ولأن الأنبياء معصومون عن الكبائر ، وقد جمع إخوة يوسف أنواعا منها
105 .

أما القول بأنهم أوحى إليهم بعد ذلك ، فلم يقيم دليل عليه ، ولم يذكروا إلا قوله تعالى :
"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط " .
وهذا فيه احتمال لأن بطون إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب ،
ويذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون ،
ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ، ولم يقيم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى
إليهم .¹⁰⁶

فالصحيح أن الأسباط ليسوا " أولاد يعقوب " وإنما هم القبائل من ذرية يعقوب كما نبه
عليه المحققون ، وفي ذلك حماية لأبهة النبوة ، ألا ترى قوله تعالى حكاية عن نبينا ρ "
فلقد لبثت فيكم عمرا من قبله " الآية .

يعني لبثت بين ظهرانيكم (أربعين سنة) وما رأيتم افتراءً ولا خيانة، فإنه ρ كان
مشهورا فيما بينهم بمحمد الأمين قبل الرسالة ، فالقول بأنهم أنبياء مع ما ارتكبه من جرائم
لا يقبله عقل حصيف ، ولأن حال الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة يجب أن تكون حالة
عصمة عن النقائص المعتر بها في عرف أهل العقول السليمة، مثل السرقة والكذب
والخيانة .

والمذهب عند الجمهور منع صدور الكبائر بعد البعثة وقبلها ، أما الصغار فلا تصدر
منهم بعد البعثة عمداً ، ويجوز صدورها منهم سهواً ، ولكن لا يصرون عليها ولا يقرون.¹⁰⁷

وذكر الشيخ ابن تيمية في مؤلف له خاص في هذه المسألة ما ملخصه: الذي يدل
عليه القرآن واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف عليه السلام ليسوا بأنبياء وليس في القرآن ولا
عن النبي ρ بل ولا عن أحد من أصحابه رضي الله تعالى عنهم خبر بأن الله تعالى نبأهم
وإنما احتج من قال: بأنهم نبؤوا بقوله تعالى في آيتي البقرة. والنساء: {والأسباط} وفسر ذلك

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 133¹⁰⁵

ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص 487¹⁰⁶

¹⁰⁷ راجع في ذلك البحث النفيس الذي قام به الشيخ الطاهر بن عاشور في مسألة عصمة الأنبياء والمرسلين
قبل وبعد النبوة فقد أجاد وأفاد. الطاهر بن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة ، ص 47 - 48 الشركة
التونسية للتوزيع ، تونس ، 1985

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

بأولاد يعقوب والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذريته كما يقال لهم: بنو إسرائيل، وكما يقال لسائر الناس: بنو آدم.

وقوله تعالى: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف: 159) {وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} (الأعراف: 160) صريح في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل وكل سبط أمة، وقد صرحوا بأن الأسباط من بني إسرائيل كالعوائل من بني إسماعيل، وأصل السبط كما قال أبو سعيد الضرير: شجرة واحدة ملتفة كثيرة الأغصان فلا معنى لتسمية الأبناء الاثني عشر أسباطاً قبل أن ينتشر عنهم الأولاد، فتخصيص الأسباط في الآية ببنيه عليه السلام لصلبه غلط لا يدل عليه اللفظ ولا المعنى ومن ادعاه فقد أخطأ خطأ بيناً.

والصواب أيضاً أنهم إنما سموا أسباطاً من عهد موسى عليه السلام، ومن حينئذ كانت فيهم النبوة فانه لم يعرف فيهم نبي قبله إلا يوسف، ومما يؤيد ذلك أنه سبحانه لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: {وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ} (الأنعام: 84) الآيات فذكر يوسف ومن معه ولم يذكر الأسباط ولو كان إخوة يوسف قد نبؤوا كما نبىء لذكروا كما ذكر، وأيضاً إن الله تعالى ذكر للأنبياء عليهم السلام من المحامد والثناء ما يناسب النبوة وإن كان قبلها؛ وجاء في الحديث «أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم نبي ابن نبي» فلو كانت إخوته أنبياء كانوا قد شاركوه في هذا الكرم، وهو سبحانه لما قص قصصهم وما فعلوا بأخيهام ذكر اعترافهم بالخطيئة وطلبهم الاستغفار من أبيهم ولم يذكر من فضلهم ما يناسب النبوة وإن كان قبلها، بل ولا ذكر عنهم توبة باهرة كما ذكر عن ذنبه دون ذنبهم، ولم يذكر سبحانه عن أحد من الأنبياء قبل النبوة ولا بعدها أنه فعل مثل هذه الأمور العظيمة من عقوق الوالد. وقطيعة الرحم. وإرفاق المسلم وبيعه إلى بلاد الكفر. والكذب البين إلى غير ذلك مما حكاه عنهم، بل لو لم يكن دليل على عدم نبوتهم سوى صدور هذه العظائم منهم لكفى لأن الأنبياء معصومون عن صدور مثل ذلك قبل النبوة وبعدها عند الأكثرين، وهي أيضاً أمور لا يطيقها من هو دون البلوغ فلا يصح الاعتذار بأنها صدرت منهم قلبه وهو لا يمنع الاستتباء بعد، وأيضاً ذكر أهل السير أن إخوة يوسف كلهم ماتوا بمصر وهو أيضاً مات بها لكن أوصى بنقله إلى الشام فنقله موسى عليه السلام ولم يذكر في القرآن أن أهل

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

مصر قد جاءهم نبي قبل موسى غير يوسف ولو كان منهم نبي لذكر، وهذا دون ما قبله في الدلالة كما لا يخفى.¹⁰⁸

الفائدة 106 : الحذر من الذنوب وما يستتبعها

تدلنا الآية على الحذر من شؤم الذنوب وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوباً متعددة ، ولا يتم لفاعله إلا بعد جرائم ، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه ، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل ، وكذبوا عدة مرات ، وزوروا على أبيهم ، ولا تستبعد أنه قد يكثر البحث فيها في تلك المدة ، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف ، وكلما صار البحث حصل من الإخبار بالكذب والافتراء ما حصل، وهذا شؤم الذنب ، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة .¹⁰⁹

الفائدة 107 : من آثار الذنوب والمعاصي

إن من آثار الذنوب قلة التوفيق وفساد الرأي وخفاء الحق وفساد القلب، وخمول الذكر وإضاعة الوقت ، ونفرة الخلق والوحشة بين العبد وبين ربه ، ومنع إجابة الدعاء وقسوة القلب ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ولباس الذل وإهانة العدو وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت ، وطول الهم والغم ، و ضنك المعيشة وكسف البال .

كل هذه تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء ، والإحراق عن النار ، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة .¹¹⁰

الفائدة 108 : الغربة كربة

قولهم : " أو اطرحوه " معناه أبعده وانفوه عن أرضنا ومنه قول عروة بن الورد :
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا
يغرر وي طرح نفسه كل مطرح

الألوسي ، روح المعاني ، جزء 21 ، ص 191¹⁰⁸
ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 283¹⁰⁹
¹¹⁰ ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 32-33 دار الشهاب ، الجزائر ، 1987

والنوى الطروح : أي البعيدة¹¹¹

فلقد ذكروا أمرين مزينين فإن الغربية كربة أية كربة؛ والله تعالى در من قال:

حسّنوا القول وقالوا غربة إنما الغربية للأحرار ذبح

الفائدة 109 : التوبة الجاهزة

التوبة الجاهزة هي أن ينوي العبد المعصية ثم يتبعها بالتوبة كما فعل إخوة يوسف عليه السلام، فيتعمد الوقوع في المعصية مع علمه بعظمتها ، ويطمع في مغفرة الله بعد ذلك ، كالذي يأكل مال اليتيم ثم يبني مسجدا !!
وقد قال العلماء أن توبة هذا العبد صحيحة إن أتى بشروطها (كما سيأتي) واستدلوا بتوبة إخوة يوسف وقبولها من الله تعالى وصلاح حالهم ، إلا أنهم قالوا أيضا أن هذا العبد على خطر عظيم ، فلا يأمن مكر الله ، كما أنه قد يموت قبل التوبة .

الفائدة 110 : التوبة الصحيحة ما هي وكيف تكون ؟

في قول إخوة يوسف : " وتكونوا من بعده قوما صالحين " معناه تتوبوا توبة من بعد هذا الذنب إلى الله فيقبلها منكم وتصبحوا قوما صالحين .

والتوبة لغة هي الرجوع ، وشرعا هي ندم يورث عزما وقصدًا يغير سلوك الفرد ويحوّل حياته الآثمة إلى حياة سالحة .

والإجماع منعقد على وجوبها لأن الذنوب مهلكات مبعديات عن الله تعالى، ودليلها قوله تعالى : " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " (النور / 31) .

والتوبة النصوح هي الخالصة لله تعالى ، الخالية من الشوائب ، ويذكر الله فضل التوبة ويبين أنها تعود بالمحبة على فاعلها " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " (البقرة / 222) ، والإسلام يقرن التوبة بالعمل الصالح لنيل غفران الله ، فيجعل عمل الخير تكفيراً للإثم قال تعالى : " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " (طه / 82).¹¹²

الفائدة 111 : شروط التوبة

¹¹¹ ابن عطية ، تفسير ابن عطية ، جزء 3 ص 222 دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1413 هـ - 1993 م
¹¹² عفيف عبد الفتاح طيارة ، الخطايا في نظر الإسلام ، ص 25 - 26 مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، دون تاريخ

من شروط التوبة :

- الندم : لا تتحقق التوبة إلا به ، لأن العبد إذا لم يندم فذلك دليل على الرضا بالقبح .
قال ρ : "الندم توبة " 113
 - الإقلاع عن الذنب : يجب على التائب أن يكف عن المعصية على الفور
 - العزم على عدم العودة : وعليه أن يكون صادقا ومخلصا فيه
- وإذا كان الذنب متضمنا لحق آدمي ، فعلى التائب أن يصلح ما أفسد ، أو يسترضي من أخطأ في حقه لما ثبت عن النبي ρ أنه قال : " من كان لأخيه عنده مظلمة من مال وعرض فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات " (رواه البخاري .)

الفائدة 112 : هل تكون التوبة مع يقين عظم الذنب ؟

فان قيل : ما بال الإنسان يقع في الذنب مع علمه بقبح عواقبه كحال إخوة يوسف ؟ فإجابته هو انتظار عفو الله عز وجل ، وعفو الله سبحانه ممكن ، بدليل أن الله تعالى لم ينكر عليهم أن تكون لهم توبة رغم عزمهم على القتل كما قال القرطبي، إلا أن الإنسان ينبغي له الأخذ بالعزم ، وما مثال ذلك إلا كمثل رجل أنفق أمواله كلها، وترك نفسه وعياله فقراء، ينتظر من الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز في خربة ، وهذا ممكن ، إلا أن صاحبة مَلَقَب بالأحمق!!

الفائدة 113 : مبدأ الغاية تبرر الوسيلة

من الغريب حقا أن يكون هذا المبدأ المنسوب للمفكر الايطالي ميكيافلي في كتابه الأمير (وإن لم يرد مطلقا بهذا اللفظ في كتابه) قد سبقه إليه إخوة يوسف عندما فكروا في أن

¹¹³ أخرجه أحمد (422/1 ، رقم 4012) ، والبخارى في التاريخ الكبير (373/3) ، وابن ماجه (1420/2) ، رقم 4252) . قال البوصيري (248/4) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وأخرجه ابن حبان (377/2) ، رقم 612) ، والحاكم (271/4 ، رقم 7612) ، والبيهقي في شعب الإيمان (386/5) ، رقم 7029) . وصححه أحمد شاکر والألباني .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

غاية الصلاح الدنيوي والآخروي أيضا لا بأس أن يُنتهج في سبيلها وسائل غير شرعية ولا مشروعة .

بل إن هذا المبدأ أصبح إحدى دعائم السياسة اليهودية العالمية ، وإذا علمنا أن اليهود ينتسبون إلى إخوة يوسف زالت الغرابة ، فإذا عرف السبب بطل العجب !

الفائدة 114 : ظلم الأهل أشد وقعا

تدلنا الآية على أنه قد يقع بين الإخوة من العداة مثل ما يقع من الأجانب ، بل أشد، وأنه قد تجتمع الجماعة الجمة الغفيرة على إلحاق الضرر والكيد لذوي قرياهم ، ولو كان أخا متغيراً .

الفائدة 115: العداة بين الإخوة لأب

إن الإخوة لأب قد توجد بينهم ضغائن وأحقاد ربما تصل إلى تمني الموت أو الهلاك أو الجوائح التي تكون مصدر النكبات والمصائب .

الفائدة 116 : نظرة إلى نفسية إخوة يوسف

إن هذه الآية على قصرها قد بيّنت النفسية التي كان عليها إخوة يوسف لدى تأمرهم عليه فابتدأهم بقول : " اقتلوا يوسف" دليل على أن حسدهم قد بلغ بهم منتهاه ، حيث استحلوا دم أخيهم وقرروا الإضرار به وانتهاك ما أمرهم الله بحفظه ، رغم أنهم كانوا أهل دين ومن بيت نبوة، ومن جهة ثانية تبين أنهم كانوا على عجلة من التخلص من مزاحمة الفاضل بأسرع وسيلة وهي أكبر جريمة ، كما تبين استجماعهم واستيثاقهم من هذا الأمر .

أما قولهم " أو اطرحوه أرضا" فيجلبى لنا أنهم عزموا في أحسن الأحوال على التفرقة بين يوسف وأبيه عليهما السلام تفرقة لا يحاول من جرائها اقتراباً، لينقلوه إلى أرض أخرى فيهلك ويُفترس ويستريحون منه .

وقولهم " يخل لكم وجه أبيكم " يدلنا على أنانيتهم في حب استنثارهم بمحبة الأب دون مشارك ، وبدل أن يكون ذلك بالطاعة والعمل الصالح ، كان بالتأمر والمكيدة، فعوقبوا بحرمان المحبة من أبيهم .

أما قولهم " وتكونوا من بعده قوما صالحين " فهو من باب تبرير الذنب لعلمهم بفداحته ، كما قال ρ: " والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطّلع عليه الناس " ¹¹⁴، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم ، تسهيلا لفعله ، وإزالةً لشناعته ، وتنشيطا من بعضهم لبعض .

فانظر جانبا من إعجاز القرآن الكريم كيف يجمع في الآية الواحدة المعاني الكثيرة والفوائد الدقيقة لمن تدبره . " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر " .

الفائدة 117 : نكت لغوية

- الحذف في قوله تعالى : " اقتلوا يوسف " تقديره قال قائل منهم اقتلوا يوسف ، وذلك ليكون أحسم لمادة الأمر ، أو كأنهم أطبقوا على قتله إلا من قال لا تقتلوا يوسف وكان الباقون راضين فجعلوا أمرين .
- الإضمار في قوله تعالى : " اطرحوه أرضاً" أي في أرض ، فأسقط حرف الجر ، وجاءت أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف وإبهامها .
- المجاز في قوله تعالى : " يخل لكم وجه أبيكم " أي يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلي غيركم ، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها وينازعونها إياها ، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم ، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه .
وقيل يخل لكم ، يفرغ لكم من الشغل بيوسف ¹¹⁵.

¹¹⁴ أخرجه أحمد (182/4 ، رقم 17668) ، والبخارى فى الأدب المفرد (110/1 ، رقم 295) ، ومسلم (1980/4 ، رقم 2553) ، والترمذى (597/4 ، رقم 2389) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضاً : الحاكم (17/2 ، رقم 2172) وقال : صحيح الإسناد .
الزمخشري ، الكشاف ، ص 244 ، وكذا محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ص 505¹¹⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- في قوله تعالى: " اقتلوا يوسف " جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن الكلام المتقدم " ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا " يثير سؤالاً عن غرض القائلين مما قالوه فهذا المقصود للقائلين وإنما جعلوا له الكلام السابق كالمقدمة لتتأثر نفوس السامعين فإذا ألقى إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال إليه .
وهذا فن من صناعة الخطابة أن يفتح الخطيب كلامه بتهيئة نفوس السامعين لتتأثر بالغرض المطلوب ، فإن حالة تأثر النفوس تغني عن الخطيب غناء جمل كثيرة من بيان العلل والفوائد .

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَأَنقُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهٖ فِي غَيْبَتِ
الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

ها هنا بداية سلسلة الابتلاءات في قصة يوسف عليه السلام فهي مناسبة للتعريف بالابتلاء والحكم منه ، كما نغتنم ذات المناسبة للحديث عن منهج القصة القرآنية في إغفال الأسماء والأمكنة والأزمنة .
ونقتبس من الآية خطورة جريمة القتل وكذا قاعدة أخف الضررين ، كما نتعرف على مفهوم غيابة الجب وتأثيره النفسي . ثم نعرض على مصطلح فقهي هو اللقطة .
كما تضمنت الآية مبادئ سامية جاءت على لسان المتكلم تتمثل في الاقتصاد في الانتقام وفي سنة التدافع وفي آداب الحوار والمناقشة . لنتم بمقابلة بين السيرة النبوية والسيرة اليوسيفية ، وبنكت لغوية كما هي عادتنا .

الفائدة 118 : بداية سلسلة الابتلاءات في قصة يوسف

لقد فتح يوسف عينيه فرأى إخوته لأبيه يحسدونه حب أبيه وأبيهم ، فغاظهم ذلك الحب له أكثر منهم ، وأخذوا يفكرون في الكيد له ، والانتقام منه، وهذه طبيعة اليهود حين لا تخالط حقيقة الشريعة قلوبهم ، فلا ينصاعون إلى قدر الله وتقديره .

فيوسف في ابتلاء دائم مع إخوته ، يكرهونه ويكيدون ويتآمرون ضده ، وهو لا يبادلهم إلا الحب والأخوة ، ويعاملهم بأدب الصغير نحو الكبير . ولقد توجت هذه المكائد بقرار قتله من معظمهم ، لولا تدخل أحدهم حيث رأى إلقاءه في البئر .¹¹⁶

الفائدة 119: ما هو الابتلاء وما أحواله ؟

الابتلاء في اللغة مأخوذ من الفعل ابتلى ومجرده بلى ، فنقول : بلاه بلوا وبلاء ، أي اختبره . ومنه قوله تعالى : " ونبلوكم بالشر والخير فتنة " أي نختبركم . وابتلى اختبر ومنه قوله تعالى : " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " أي اختبره بها ، والمبتلى المختبر . والابتلاء الاختبار والأمر الجلل ينزله سبحانه بالموحد ليتبين مدى صبره ومنه قوله تعالى : " إن هذا لهو البلاء المبين " .

والذي يقرأ القرآن الكريم والسنة النبوية ويتدبر نصوصهما يدرك أن الله خلق الناس لابتليهم قال تعالى : " إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " (الإنسان/2) . والمؤمن لا يتوقف الابتلاء عنه ، بل يتعرض إلى ابتلاءات أخرى ، وفتن كثيرة ومحن عديدة¹¹⁷ ، لأنه سيسأل عن كل لحظة من لحظات عمره فيما أفناها وعن كل كلمة قالها وعن كل عمل عمله وسيجزى على الخير خيرا وعلى الشر شرا قال تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " (الزلزلة 7-8) ولقد قرر الله تبارك وتعالى هذا الابتلاء لكل من ينسب نفسه للإيمان فقال سبحانه : "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " (العنكبوت / 2-3).¹¹⁸ ومعلوم أن الابتلاء يكون على قدر الإيمان ، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين هم دونهم ثم الذين هم دونهم وهكذا .

¹¹⁶ محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات، ص 142 دار الشهاب ، الجزائر ، الطبعة 2،

1408 هـ / 1988

¹¹⁷ وهو ما تجسده قصة يوسف عليه السلام بحق ، وسنأتي على ذكر كل ابتلاء في موضعه وموقف يوسف في كل واحد منها .

¹¹⁸ محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص 11 إلى 19

الفائدة 120: الحِكم من وراء الابتلاء

- 1 - تكفير السيئات : فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها ¹¹⁹
- 2 - رفع المنزلة والدرجة عند الله تبارك وتعالى : عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون " فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد " . ¹²⁰
- 3 - المكافأة في الدنيا : وذلك مثلما قال تعالى حكاية عن أيوب لما صبر على البلاء حتى صار يضرب به المثل في ذلك : " وآتيناه أهله ومثلهم ممنا " (ص / 43)
- 4 - إخلاص النفوس لله : فمن شأن الابتلاء أن ينقي النفوس من الشوائب والقلوب من الرياء والعمل من الشرك ويوجهها نحو الإخلاص .
- 5 - إظهار الناس على حقيقتهم : كما قال تعالى : " ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه " (الحج / 11)
- 6 - الاقتداء بالصابرين : حين يبتلي الله تعالى أناسا ويصبرون وينالون من المكافأة والرفعة عند الله تبارك وتعالى ، يكون هذا حافزا للمؤمنين أن يصبروا ويصابروا ويحتملوا كما صبر أولئك المؤمنون حقا ، فنالوا ما نالوا من الرضا والقبول والرضوان والنعيم في الآخرة ، والعزة في الدنيا . ¹²¹

الفائدة 121 : منهج القصة القرآنية

إن منهج القصة القرآنية العدول عن ذكر الأسماء أو الأمكنة أو الأزمنة التي لا جدوى من معرفتها ، فالتحديد التاريخي ليس هدفا من أهداف القصة القرآنية ولا يزيد في دلالتها

¹¹⁹ أخرجه أحمد (303/2 ، رقم 8014) ، وعبد بن حميد (ص 298 ، رقم 961) ، والبخارى (2137/5 ، رقم 5318) ومسلم (1992/4 ، رقم 2573) .

¹²⁰ أخرجه أحمد (64/6 ، رقم 24403) ، والبخارى (1281/3 ، رقم 3287) . وأخرجه أيضا : إسحاق بن راهويه (1016/3 ، رقم 1761) .

¹²¹ محمد عبد القادر أبو فارس ، المرجع السابق ، ص 37 - 39 بتصرف

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

شيئاً ولذلك لا يجوز تحديد ذلك وأخذه عن المصادر غير الموثوقة ومجاورة الدائرة اليقينية المأمونة في هذا .

فلسنا في حاجة إلى هذه الروايات ولا إلى تحديد الزمان والمكان والأشخاص، فالقصة القرآنية كما وردت في القرآن كافية لأداء الغرض منها في سياق السورة ، ولتقرير القيم والقواعد التي جاءت لتقريرها ، ولو كان تحديد زمانها ومكانها وملابساتها يزيد في دلالتها شيئاً ما ترك تحديدها، فلنستعص عن ذلك كله بالبحث في دلالات القصة وحقائقها وإيحاءاتها .¹²² ♦

الفائدة 122 : خطورة جريمة القتل

إن جريمة القتل تعتبر من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله ، فقد قال تعالى في حقها "ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً " (النساء / 94).

وقال أيضاً : " من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً " (المائدة / 32) .

وقال ρ : " لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً "¹²³

وقال ρ أيضاً : " لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا "¹²⁴

الفائدة 123 : قاعدة أخف الضررين

إن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما ، فإن إخوة يوسف لما اتفقوا على قتل يوسف ، أو إلقاءه أرضاً ، وقال قائل منهم " لا تقتلوا

¹²² سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 1 ص 120 ♦ وسنلتزم هذا المنهج في كتابنا ما أمكن بالإعراض عن ذكر كل ما لا نفع من إيراده مما يتعلق بقصة يوسف عليه السلام ، لأنها من أكثر القصص القرآني الذي تعرض للتشويه و الزيادة والروايات التي لا طائل تحتها ، مما ينحرف عن بها عن القصد الذي أوردت من أجله.

¹²³ أخرجه أحمد (94/2 ، رقم 5681) . وأخرجه أيضاً : عبد بن حميد (ص 270 ، رقم 856) ، والبخارى (2517/6 ، رقم 6469) ، والطبراني في الأوسط (107/2 ، رقم 1401) ، والحاكم (390/4 ، رقم 8029) ، وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين .

¹²⁴ أخرجه النسائي (82/7 ، رقم 3986) ، والبيهقي في شعب الإيمان (344/4 ، رقم 5341) . وابن ماجه بلفظ : " لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق " من حديث البراء بن عازب (أخرجه ابن ماجه (874/2 ، رقم 2619) ، قال البوصيري (122/3) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . والبيهقي في شعب الإيمان (345/4 ، رقم 5343) . وهو في صحيح ابن ماجه . راجع الذهبي ، الكبائر ، ص 16 إلى 23

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

يوسف أو ألقوه في غيابات الجب" كان قوله أحسن منهم وأخف وأمثل مما أشار به الآخرون من قتله أو تركه بغياء مهلكة ، لأنه يحصل به إبعاد يوسف عليه السلام عن أبيه إبعادا لا يرجى بعده تلاقيهما دون إلحاق ضرر الإعدام ، فان التقاط السيارة ليوسف عليه السلام أبقى له وأدخل في الغرض من المقصود لهم وهو إبعاده ، لأنه إذا التقطه السيارة أخذوه عندهم أو باعدوه فزاده بعدا عن بعد ، وسبب هذا القول خفف عن إخوته الإثم الكبير .^{125*}

الفائدة 124: غيابات الجب

غيابة الجب هي قعره ، سمي بذلك لغيبته عن أعين الناظرين ، ومن قرأ بالجمع فكان بتلك الجب غيابات ، وشاءت حكمة الله تعالى أن يكون قرارهم فيما يفعلونه قائماً على مبدأ الإخفاء والستر في الجب ثم ظهر الإظهار والإبانة والكشف بالنقاط السيارة . وانظر كيف تعبر غيابة الجب عن المعنى النفسي العميق الذي تنطوي عليه نفوسهم ، فكل ما غاب عنك فهو غيابة ، فيكون تغييب يوسف حسياً ومعنوياً ، وهو المراد منهم جميعاً .

الفائدة 125 : أحوال اللقطة والالتقاط

الالتقاط تناول الشيء من الطريق ، وقيل وجود الشيء على غير طلب ، ومنه قوله تعالى " يلتقطه بعض السيارة " أي يجده من غير أن يحتسبه . وأجمع العلماء على أن اللقطة ما لم تكن تافها يسيراً أو شيئاً لا بقاء لها فإنها تعرّف حولاً كاملاً ، وأجمعوا أن صاحبها إن جاء فهو أحق بها من ملتقطها ، إذا ثبت له أنه صاحبها . واختلفوا في الأفضل من تركها أو أخذها ، والأمر فيه سعة ، فمن شاء أخذها ومن شاء تركها بدليل حديث النبي p : " لك أو لأخيك أو للذئب " .¹²⁶

* هناك من استدلل بهذه الآية على الطبيعة الخيرة لإخوة يوسف في أنهم تراجعوا عن القتل إلى النفي ، ولا نرى ذلك ، بل إن هذا لا يخرج من باب الشر وهو إلحاق الأذى بالمسلم ، وما القتل والطرح والإلقاء إلا معاصي أحلاها مَرَّ .

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 284¹²⁵
القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 134 إلى 138¹²⁶

الفائدة 126 : الاقتصاد في الانتقام

في قوله تعالى " إن كنتم فاعلين" فيه تعريض بزيادة التريث فيما أضمره لعلهم يرون الرجوع عنه أولى من تنفيذه ، ولذلك جاء في شرطه بحرف الشرط وهو (إن) إيماء إلى أنه لا ينبغي الجزم به ، فكان هذا القائل أمثل الإخوة رأياً وأقربهم إلى التقوى ، وقد علموا أن السيارة يقصدون إلى جميع الجباب للاستسقاء ، لأنها كانت محفورة على مسافات مراحل السفر ، وفي هذا الرأي عبرة في الاقتصاد من الانتقام والاكتفاء بما يحصل به الغرض دون إفراط .

الفائدة 127 : سنة التدافع

أشارت الآية الكريمة إلى سنة من سنن الله تعالى وهي : "سنة التدافع" ، وهو الصراع بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، فهؤلاء إخوة يوسف أجمعوا على قتله ظلماً ، فهياً الله واحداً منهم يطلب منهم تخفيف هذا المكر بإلقائه في الجب ، وهكذا سنة التدافع بين الخير والشر .¹²⁷

الفائدة 128: من آداب الحوار و المناقشة

تبين لي من هذه الآية الكريمة كيف جاءت آداب الحوار والمناقشة على لسان أحلم إخوة يوسف وذلك عبر المراحل التالية :

- النقد والمعارضة : بقوله " لا تقتلوا يوسف " أي أنه اعتقد أن هذا الحل غير سليم ، ولكنه لم يقف عند هذا الحد وإلا كان كلامه مجرد مخالفة.
- تقديم البديل : " وألقوه في غيابة الجب " قدّم هنا بديلاً أفضل بالإلقاء (الوسيلة) وذلك باجتناب القتل (تحقيق الهدف بتكاليف أقل).
- التذليل والبرهان : " يلتقطه بعض السيارة " لم يقدم بديله مجرداً هكذا بل دعمه بدليل حتى يكون رأيه مقبلاً ، ورأى في ذلك مكسباً للطرفين ، إبعاد يوسف من جهة (يربح إخوة يوسف) والإبقاء على حياته من جهة أخرى . (يربح يوسف)

عبد الرحمان المعلمي ، دروس وعظات وعبر في سورة يوسف ، ص 127 ²⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- ترك باب المناقشة مفتوحا : " إن كنتم فاعلين " إن أردتم الأخذ برأيي ، فهو مجرد اجتهاد .
ولعل لهذه الأسباب وجد هذا الرأي القبول عند إخوة يوسف والله تعالى أعلم .

الفائدة 129 : الإيذاء بين سيرة يوسف عليه السلام وسيرة النبي P

لقد تعرض يوسف عليه السلام إلى الإيذاء من قبل أقرب الناس إليه ، وكذلك نبينا عليه السلام تعرض للإيذاء والاضطهاد من قومه ومنهم بعض أعمامه .

الفائدة 130 : نكت لغوية

- فصل جملة " قال قائل منهم " جرى على طريقة المقاولات والمحاورات كما جرى في قوله تعالى : " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها " .
- العدول عن اسم العلم إلى التذكير والوصفية لعدم الجدوى في معرفة شخصه وإنما المهم أنه من جماعتهم ، وتجنبنا لما في اسمه العلم من الثقل اللفظي .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتحدث عن الإلحاح للحصول على الشيء ، وعن واجبات الآباء إزاء الأولاد والأولاد اتجاه آبائهم ونكمل بنكتة لغوية .

الفائدة 131 : سر النجاح الإكثار في الإلحاح (قوة الإصرار)*

لما جاء إخوة يوسف إلى أبيهم ليطلبوا منه الإذن لهم باصطحاب يوسف معهم ، استخدموا في خطابهم أسلوب الاستفهام الإنكاري التعجبي فقالوا : " مالك لا تأمنا على

* وهي من مفاهيم البرمجة اللغوية العصبية NLP، وإن كان فيها بعض المآخذ ، ليس هذا موطن الحديث عنها

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

يوسف " وهذا يدل على أنهم طلبوا منه ذلك مرارا ، وأنهم عرفوا ذلك من خلال ملازمة أبيهم ليوسف وعدم فراقه له ، ونجحوا في هدفهم بعد قوة إصرارهم .

الفائدة 132 : واجب الأب حماية ولده وحفظه

إن الأب ينبغي عليه الاحتياط في حفظ ولده خاصة من الحسدة ، لذا كان يعقوب عليه السلام لا يأذن ليوسف عليه السلام بالخروج مع إخوته للرعي أو للسبق خوفا عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم أو من غيرهم ، ولم يكن يصرح لهم بذلك ، ولكن حاله في منعه من الخروج كحال من لا يأمّنهم عليه .

الفائدة 133 : من سوء الخلق التلاعب بعواطف الأبوة

لقد استخدم إخوة يوسف عليه السلام أسلوب النداء للبعيد ب " يا " فقالوا: " يا أبانا" فكأن أباهم بعيد عن رغبتهم وطلبهم ومحبتهم ، وفي إضافة الأب إلى " نا" الدالة على المتكلمين توحى بالاستعطاف لأبيهم بحق الأبوة ، وأنّ أبوتهم تشملهم ويوسف عليه السلام ، وقالوا "مالك لا تأمنا " فأظهروا أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي غاية الشفقة عليه ، ليستنزله عن رأيه في تخوفه منهم ، وكأنهم قالوا: لم تخافنا عليه؟ ونحن نحبه ونريد الخير به .

الفائدة 134 : واجب الإخوة الأمان والنصح

تدلنا الآية الكريمة على أن واجب الإخوة نحو أخيهم هو الشفقة عليه وحمايته من كل ما من شأنه أن يؤذيه أو يسبب له ضررا ، ولذا فإنهم يمنعونه ويذودون عنه فيشعر بينهم بالأمان كما أنهم يقومون بنصحه وهو كل عمل أو قول فيه نفع للمنصوح.

الفائدة 135 : نكتة لغوية

في التعبير بقوله : " مالك لا تأمناً جمال ودلالة ، ذلك أنه أجمع القراء على حذف حركة الرفع ، وهي النون التي تنتهي بالفعل " تأمن " أصلها " تأمئنا " بضم النون الأولى باعتبار الكلمة فعلاً مضارعاً مرفوعاً، ولكن النون هنا سكنت وأدغمت في نون الضمير المتصل " نا " ، وفي هذا دلالة على نفي سكون قلب يعقوب على يوسف بأمنه عليه من اخوته على أبلغ وجه ، مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون .

أَرْسِلُهُ مَعْنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نستشف من الآية دور اللعب في تنمية الأطفال ، كما نشير إلى خطورة الكذب و أنه لا يؤدي إلى خير ، ونتعرض لبعض من فنون القراءات التي تساعدنا في فهم الآية .

الفائدة 136: سرعة تنفيذ الجريمة من تمام الحقد والحسد

في قول إخوة يوسف عليه السلام " غدا " دلالة على أن حقد هم على أخيهم الصغير قد بلغ بهم منتهاه ، وأنهم لم يعودوا يطبقون وجوده بينهم أو حتى مجرد النظر إليه ، ولذلك أرادوا التخلص منه بأسرع ما يمكن وليكن في الغد ، فكان تنفيذ الجريمة مباشرة بعد الإجماع على استئثار يوسف بمحبة أبيهم، دون تروٍ أو مراجعة أو تعطيل .

الفائدة 137 : دور اللعب في التربية

اللعب هو شُغل بمباح بالفعل والقول بقصد انشراح النفس ودفع السامة ، وهو ضد الجد، مثل الجري والقفز والسبق والرماية . وما لم يشغَل عن واجب فهو مباح وإلا صار لهواً .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وبالنسبة للطفل الصغير حتى السابعة و ما بعدها يكون اللعب جانبا هاما من حياته، فالجهد الفائض يمكن أن يصرف في اللعب، كله أو بعضه على الأقل. واللعب ذاته بالنسبة للصغير مجال واسع للتربية والتوجيه وتنمية المواهب والقدرات والاستعدادات ، فهو ليس مجرد إنفاق طاقة فائضة ، ولكنه فرصة للتربية والتدريب في ذات الوقت .
ومن هنا ينبغي أن يكون اللعب موجها وتحت إشراف المربي، سواء كان لعبا فرديا للطفل في سنواته الأولى أو لعبا جماعيا حين يكبر ويستطيع المشاركة مع الآخرين وذلك حين ينمو في نفسه الخط الجماعي بعد الخط الفردي.¹²⁸

الفائدة 138 : أدب رحلات الأطفال

لا يستبعد أن يؤخذ من قوله تعالى : " أرسله معنا غدا يرتع ويلعب " أدب الرحلة كالرحلات العلمية التربوية النافعة المفيدة التي ينبغي للأباء والمربين أن يُعنوا بتنظيمها وتأطيرها الإطار الصحيح . وفي الآية دليل أيضا أن القوم إذا خرجوا من المدينة إلى الرحلة فلا بأس بالمرح والمزاح في غير مأثم ولا إفراط .

الفائدة 139 : خطورة الكذب

في ادعاء إخوة يوسف النصح والحفظ كذب فاضح ،والكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب .

فعن ابن مسعود قال : قال النبي ρ : " لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " ¹²⁹

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله ρ من الكذب ولقد كان رسول الله ρ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها . (رواه أحمد وهو صحيح) .
وإن الكذب قد حرم لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، فإن اقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا، وقد يتعلق به ضرر غيره.¹³⁰
وهو يعد خصلة من خصال النفاق حتى تترك ، وإحدى الكبائر .

محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، الجزء 2 ، ص 157 - 158¹²⁸
¹²⁹ أخرجه البخاري (2261/5) ، رقم (5743) ، ومسلم (2012/4) ، رقم (2607) . وأخرجه أيضا : أبو يعلى (71/9) ، رقم (5138) ، وابن حبان (508/1) ، رقم (273) ، والبيهقي (243/10) ، رقم (20927) .

الفائدة 140 : الكذب لا يؤدي إلى خير

في قول إخوة يوسف " وإنا له لحافظون " تأكيد للتحقيق ، تنزيلا لأبيهم منزلة الشاك في أنهم يحفظونه وينصحونه .
وتقديم له في " له لناصحون" و " له لحافظون" يجوز أن يكون لأجل الرعاية والاهتمام بشأن يوسف عليه السلام في ظاهر الأمر، ويجوز أن يكون للقصر الإدعائي ، جعلوا أنفسهم لفرط عنايتهم به بمنزلة من لا يحفظ غيره ولا ينصح غيره.
وفي هذا القول الذي تواطؤا عليه عند أبيهم عبرة حتى يتحايلوا عليه لغرض دنيء فبدؤوا بالاستقهام عن عدم أمنه إياهم على أخيه وإظهار أنهم نصحاء له ، وحققوا ذلك بالجملة الاسمية وبحرف التوكيد، ثم أظهروا ما حرصوا إلا على فائدة أخيهم وأنهم حافظون له وأكدوا ذلك أيضا ب " إن" و " اللام" وهم كاذبون .

الفائدة 141 : من فنون القراءات

- في هذه الآية ثلاث قراءات :
- يرتع ويلعب : فالمعني هو يوسف عليه السلام ، يرتعي فيتدرب على فن الرعي حتى يتدرب على شؤون الكبار ، ويلعب كما هو شأن الصغار ، فيجمع بذلك بين الجد واللهو .
 - نرتع ويلعب : أي يذهب إخوة يوسف للرعي ويتركونه يستمتع باللعب
 - نرتع ونلعب : أي يشاركون يوسف في الرعي واللعب بما أنهم إخوته ، ويفترض فيهم حسن الرعاية وكمال الإرشاد .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ
يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نعزف الخوف والحزن في الآية ولماذا جمع يعقوب عليه السلام بينهما ، ثم نتبع بالتكلم عن الذئب وأحواله ولماذا اعتذر يعقوب عليه السلام بالذئب عن إرسال يوسف ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 142 : ما هو الحزن ؟

الحزن لغة هو ألم القلب بفراق المحبوب .
أما من الناحية النفسية فالحزن هو أحد مظاهر الكآبة النفسية وانعكاس عضلي لها يرتسم على عضلات الوجه أو العيون ولو بدون بكاء وتشنّج ، ولربما ينعكس على العاطفة أيضاً فيزيدها تأججاً لتقشي وتفضح كوامنها المكبوتة . وكثيراً ما يقترن ضيق النفس بالحزن والكآبة ويترادفا معاً فحيثما وجد الضيق وجدت الكآبة والحزن معاً وبالعكس . ولقد عبر الله تعالى في كتابه المجيد وفي مواقع متعددة عن الكآبة والاكتئاب بلغة الحزن وفراغ الفؤاد وضيق النفس والصدر والسأم أو الملل والخوف إذ قال في سورة القصص الآية 10 (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لو لا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين).¹³¹

الفائدة 143 : ما هو الخوف ؟

أما الخوف فهو انزعاج النفس وتألم القلب واحتراقه بسبب توقع نزول المكروه في الاستقبال .

والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى مكروه في الآخرة ، فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروهاً من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه .¹³²

¹³¹ د.علاء الدين القبانجي ، الاكتئاب والعلاج القرآني (شبكة الأنترنت)

راجع في ذلك : أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، الجزء 2 ، ص 1521 وما بعدها ¹³²

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ولذلك أسند يعقوب عليه السلام الخوف إلى الذهاب بابنه المفقوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف عليه السلام.

وقد قيل ما أصاب يعقوب ما أصابه في ولده إلا من أجل خوفه عليه وغفلته عن استبداعه ربه ولو استودعه ربه لحفظه ، لكن لا ينفع حذر من قدر ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .¹³³

الفائدة 144 : الجمع بين الخوف والحزن

جمع يعقوب عليه السلام في هذه الآية بين الخوف والحزن ، وهو ما يعبر عن مكونات النفس البشرية .

ولا شيء أضر بالإنسان من الحزن والخوف لأن الحزن يتولد من مكروه ماضٍ أو حاضر ، والخوف يتولد من مكروه مستقبل فإذا اجتمعا على امرئ لم ينتعج بعيشه بل يتبرم بحياته ، والخوف والحزن أقوى أسباب مرض النفس ، كما أن السرور والأمن أقوى أسباب صحتها فالحزن والخوف موضوعان بإزاء كل محنة وبلية .¹³⁴*

الفائدة 145 : من أحوال الذئب

الذئب حيوان من الفصيلة الكلبية ، وهو كلب بري وحشي ، من خلقه الاحتيال والنفور ، وهو يفترس الغنم ، وإذا قاتل الإنسان فجرحه ، ورأى عليه الدم أصّر به ، فربما مزّقه .
وذئاب بادية الشام كانت أشد خبثا من بقية الذئاب ، ولعلها كانت كذئاب بلاد الروس .
والعرب يقولون : إن الذئب إذا حورب ودافع عن نفسه حتى عض الإنسان وأسأل دمه أنه يستأسد على الإنسان حين يرى دمه ، فقال الشاعر :

فكنت كذئب السوء حين يرى دما بصاحبه يوما أحال على الدم

وقد يتجمع سرب من الذئاب فتكون أشد خطرا على الواحد من الناس والصغير .

ابن عجيبة الحسيني ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، جزء 9 ص 76¹³³
¹³⁴ الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز

* كذلك يؤكد علماء NLP على ضرورة أن يظهر الفرد بمظهر الإنسان الواثق من نفسه فلا يُظهر أية أحزان أو هموم أو ضعف . لأن الظهور بمظهر الإنسان الحزين يعطي انطباعاً بالضعف لدى الآخرين . إذن هنالك تأكيدات من قبل العلماء على ضرورة عدم الخوف وعدم الحزن لتكسب الشخصية القوية .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

والتعريف في "الذئب" تعريف الحقيقة والطبيعة ، ويسمى تعريف الجنس، وهو هنا مراد به غير معين من نوع الذئب أو جماعة منه .

وسورة يوسف هي السورة الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها الذئب ♦ ، أما في السنة فقد وردت عدة أحاديث ذكر فيها هذا الحيوان لضرب المثل به .¹³⁵

الفائدة 146: التربية بالتلقين

لقد اعتذر يعقوب عليه السلام لأبنائه عن عدم إرسال يوسف معهم بعذرين : أحدهما أن ذهابهم به ومفارقتة إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة ، والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم واقل به اهتمامهم ، فيأتيه ذئب فيأكله وهم لا يشعرون .

فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه .

وفي ذلك عبرة بأنه يجب توشي الحذر والحيطه عند الكلام أمام الأبناء وعدم تلقينهم مبادئ خاطئة عن غير قصد، كالتحدث عن الغير أمامهم أو المزاح المبالغ فيه أو تكليمهم في أشياء لا يزال إدراكهم قاصراً عنها فيكون سببا في إثارة فضولهم لاكتشافها فتقع الكارثة ، لأن العقل الباطن للأطفال يكون في مرحلة جد متقدمة وفضولهم وحب استطلاعهم أيضا ، وهو سلاح ذو حدين ، إذا أسيء استعماله عاد بالوبال على الطفل ، فيجب التعامل معه بحكمة وحيطه شديدين .

الفائدة 147: لماذا اعتذر يعقوب عليه السلام بالذئب ؟

خصّ يعقوب عليه السلام الذئب بالذكر لأن الأرض على ما قيل: كانت مذئبة (أي كثيرة الذئاب)، وقيل: لأنه سبع ضعيف حقير فنبه عليه السلام بخوفه على يوسف منه على خوفه عليه مما هو أعظم منه افتراساً من باب أولى، ولحقارة الذئب خصه الربيع بن ضبع الفراري في كونه يخشاه لما بلغ من السن ما بلغ في قوله:

(والذئب) أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

♦ لسورة يوسف أوليات أخرى سنذكرها في موضعها
الظاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 230- 231¹³⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وقيل: لأنه عليه السلام رأى في المنام أن ذنباً قد شد عليه فكان يحذره، ولعل هذا الحذر لأن الأنبياء عليهم السلام لمناسبتهم التامة بعالم الملكوت تكون واقعاتهم بعينها واقعة، وإلا فالذنب في النوم يؤول بالعدو.¹³⁶

الفائدة 148: نكتة لغوية

قوله تعالى: { وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } فيه قولان :
أحدهما: غافلون في اللعب.
والثاني: مشغولون برعيتكم

قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا إِذَا الْخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

يشدنا في هذه الآية استمالة إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم عن طريق المغالطة في الحوار والادعاء بالكاذب بمحبة الأخ وتعليمه وتسليته ، غير أننا نوضح أن المعايير الخاطئة لا تؤدي إلا إلى نتائج خاطئة و خاصة لما يتعلق الأمر باستعمال مفاهيم دينية لأغراض دنيوية بحتة .

الفائدة 149 : المغالطة في الحوار

لقد مرّ بنا أنّ يعقوب عليه السلام اعتذر لأبنائه بعذرين، فأجابوا عن أحدهما دون الآخر، فإن الأول وهو حبه ليوسف وعدم صبره على غيابه وتفضيله إياه وهو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعيئوا به ، وأجابوه عن الثاني بشدة التعجب والحلف والتأكيد، لئن كان ما خافه من خطفة الذنب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة

الألوسي ، روح المعاني ، جزء 21 ص 99 .¹³⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفي الخطوب ، إنهم إذا لقوم خاسرون. وفي هذا عبرة من مقدار إظهار الصلاح مع استبطان الضر والأذى.¹³⁷

الفائدة 150: استمالة إخوة يوسف لأبيهم كيف تمت ؟

لقد حاول إخوة يوسف استمالة أبيهم بجملة من الأمور :

- توفير الأمن لأخيهم
 - النصح والنصيحة له
 - أخذه للعب والمرح والرتع
 - حفظه ورعايته
 - الدعاء على أنفسهم بالخسران إن هم فرّطوا فيه
- فأنت ترى كيف أنهم حبكوا خطّتهم من كل جانب ، و تلاعبوا بعواطف الأبوة وتظاهروا بالأخوة الصادقة وكل ما تقتضيه من التزامات ، فهل تركوا ليعقوب عليه السلام من منفذ ؟

الفائدة 151 : الخسران

أراد إخوة يوسف بالخسران أحد هذه الأمور :

- خاسرون : أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا
- أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عنهم ولا جدوى في حياتهم
- أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسارة والدمار ، حين أكل الذئب بعضهم ، وهم أهل الفتوة والقوة والمقدرة واليقظة.

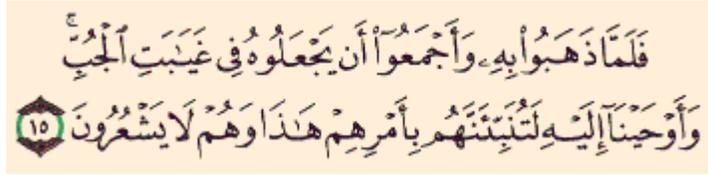
غير أن الخسران الحقيقي هو خسران الآخرة كما قال تعالى : " قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأموالهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين " (الزمر/15).

الفائدة 152 : المقدمات الخاطئة تؤدي إلى نتائج خاطئة

كان إخوة يوسف يتكلمون بألفاظ ذات دلالات شرعية في ظاهرها ، الضلال ، الصلاح ، الخسران غير أن مقياسهم كان دنيويا بحتا، وهو مقياس محدود وناقص، وغاب عن عقلم أنه من غلب على فكره الجانب الدنيوي فحسب كانت نتائج تفكيره ناقصة ومشوّهة ، لذا فقد جانبوا الصواب ، واستحقوا اللوم والعتاب .

الفائدة 153 : نكتة لغوية

- دخول اللام على إن الشرطية وفيه فائدتان:
- إضمار القصد : تقول في نفسك : لئن آتاني الله من فضله لأتصدقن
 - الالتزام بالوعد: لئن ظفرت به لأفعلن به كذا



أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية مناسبة للإشارة إلى إيجاز القرآن في إيراد القصص وفيها دليل على صغر سن يوسف عليه السلام حين رميه في البئر ، كما نتحدث عن طبيعة هذا الإلقاء وعن نفسية يوسف في البئر. كما نقتبس من الآية فوائد الصبر في المحن وكرامات الصابرين عند الله تعالى وتنسأل عن طبيعة الوحي إلى يوسف ، ونختم بالكلام عن جب يوسف عليه السلام وعن تعامل الناس مع آثار الأنبياء .

الفائدة 154 : الإيجاز الفني في القرآن

إن من الخصائص الفنية للقصة في سورة يوسف تلك الفجوات بين المشهد والمشهد، التي يتركها تقسيم المشاهد و" قص " المناظر، مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الستار، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة ، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق .

وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب .

فقصة يوسف عليه السلام قد قسّمت ثمانية وعشرين مشهدا، وأولها هو هذا حيث انتقل المشهد من عزم إخوة يوسف عليه السلام على إلقاءه في الجب ثم إلى المحاورّة بينهم وبين يعقوب عليه السلام في محاولة الخروج بيوسف إلى البداية ، ثم نجدهم الآن وقد ذهبوا به أمام الجب، وهو يعبر عن جمل محذوفة فيها ذكر أنهم ألحوا على يعقوب عليه السلام حتى أقتنعه فأذن ليوسف عليه السلام بالخروج معهم ، وهو الإيجاز الفني .

والمعنى فلما أجابهم يعقوب عليه السلام إلى ما طلبوا ذهبوا به وبلغوا المكان الذي فيه

الجب . 138

الفائدة 155 : كان يوسف غلاما صغيرا

الأرجح أن يوسف عليه السلام كان غلاما صغيرا يقارب عشر سنين* عندما ألقى في

الجب ويؤيده جملة من الأدلة :

- قوله تعالى : " لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة " : ولا يلتقط إلا الصغير .

- وقوله : " وأخاف أن يأكله الذئب " وذلك أمر يختص بالصغار ، والذئب تجترئ على الذي تحس منه ضعفا في الدفاع عن نفسه .

- قوله : " أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون " واللعب يكون للصغار غالبا

- قوله " فأدلى دلوه " فتعلق يوسف بالدلو وعدم إحساس الوارد به إلا عندما رآه دليل على خفة وزنه وهو لا يكون إلا للصغار ، وهو ما يدلّ عليه أيضا حديث عائشة في حادثة الإفك ، حيث ظنّها الصحابة في هودجها رغم شغوره لأنها كانت جارية خفيفة الوزن . والله أعلم .

سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 187 - 188¹³⁸

* وقد أبعد من قال أن سنه كانت سبع عشرة سنة ، والغالب أنه من الإسرائيليات ، وإن كان وروده كثيرا في كتب التفسير .

الفائدة 156: حكمة إضمار موافقة يعقوب على ذهاب ابنه

نلاحظ أن هذه الآية بدئت ب (فلما ذهبوا به) ومعنى ذلك أنه ووفق لهم على أن يأخذوه معهم ، غير أنه جرت عادة القرآن أن يستغني بعبارة ويطوي فيها عبارات ولا يتحدث عن التفصيلات إلا إذا كانت ذات دلالة مهمة، ولم تذكر الآيات موافقة سيدنا يعقوب صراحة لأنه لم يكن موافقا وإنما اسلم أمره لله ، فلما رأى إلحاح أولاده أن يصطحبوا يوسف لم يشأ أن يصطدم برغبتهم.¹³⁹

الفائدة 157 : الإجماع على إلقاء يوسف

في قوله " أجمعوا " دليل على أن أمر الإلقاء أخذ منهم وقتنا ، وكان هناك أخذ ورد وتردد من بعضهم ، لكن الأغلبية* فرضت منطقتها الخاطيء مما جعل الأقلية تخضع وتستكين ، فكان من أمرهم أن عزموا واتفق رأيهم عليه ف:

- أحاطوا به جميعا
- أذوه وضربوه
- نزعوا قميصه
- ثم ألقوه في الجب

الفائدة 158 : محنة يوسف الثانية : الإلقاء في الجب

لقد تعرض يوسف عليه السلام بالإلقاء في الجب لمحنة شديدة وهو غلام ، وذلك ليصلب عوده وليعده الله لتحمل أعباء الرسالة والدعوة طاهرا نظيفا قويا، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئا لما أوتوا من المواهب ، ولما يكلفون به من أعمال. فقد جاء في حديث حصين بن عمران عن الرسول ρ أنه قال : " من أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " ¹⁴⁰

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 20¹³⁹
* سنعود إلى قضية الكثرة في القرآن الكريم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وإن محن الله تعالى يبتلى بها العبد ، وفرضه فيها الصبر والتسلي .

الفائدة 159 : نفسية يوسف في البئر

إنني أدعو القارئ الكريم ليتصور معي كيف كان حال يوسف عليه السلام وهو يقارب العشر سنوات من عمره ، وقد ألقى في بئر ذو ماء قليل ، وتخيل معي وهو في هذا البئر المهجور الموحش المظلم ، يقضي في ذلك ساعات ، يرى هوام الأرض تسير في البئر وقليل الماء المخلوط بالطين يقف عليه .

وإن أهدنا إذا وقف بباب بئر يشعر بالرهبة والخوف وهو على سطح الأرض ، فكيف بالغلام يوسف عليه السلام وهو في ظلمات ثلاث : ظلمة البئر ، وظلمة الليل وظلمة الوحدة وكيف كانت حالته النفسية ، إنه لم يقع وإنما ألقى في البئر ، ومن الذي ألقاه ؟ إنهم إخوته الحاسدون الحاقدون ، إنه ظلم ومن الإخوة الأقارب وهو أشد وقعا على النفس فتداركت رحمة الله يوسف عليه السلام المبتلى ، فسكنت نفسه وهداً روعه ، وخففت من روعه ، وسكنت الأمن والأمان ، والطمأنينة والسلام.¹⁴¹

الفائدة 160 : الصبر

الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن المعصية ، كاللطم وشق الثياب ونحوه .
فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة ، فإذا قام العبد به كما ينبغي ، انقلبت المحنة منحة ، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته.¹⁴²

ولهذا فقد آدخ الله لأولئك الصابرين من الأجر ما يفوق ما آدخه لضروب العبادات الأخرى من ثواب جزيل، فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " "

¹⁴⁰ أخرجه أحمد (369/6 ، رقم 27124) . قال الهيثمي (292/2) : إسناده حسن ، والطبراني (245/24) ، رقم 627) . وأخرجه أيضاً : الحاكم (448/4 ، رقم 8231) . وهو في (سلسلة الأحاديث الصحيحة 3063) .

¹⁴¹ محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص 142 – 143 بتصرف ابن قيم الجوزية ، فضائل الذكر والدعاء ، ص 3¹⁴²

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة¹⁴³ . وقال تعالى " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " (السجدة / 24) .

الفائدة 161: من كرامات الصابرين

لقد أعطى الله الصابرين تسع كرامات :

- أولها : محبته " والله يحب الصابرين " (آل عمران 146)
- الثانية : نصرته " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " (البقرة 249)
- الثالثة : سكنى الغرف " أولئك يجزون الغرف بما صبروا " (الفرقان 75)
- الرابعة : الأجر " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب " (الزمر 10)
- الخامسة : البشرى " وبشّر الصابرين " (البقرة 155)
- السادسة والسابعة والثامنة : الصلوات والرحمة والهدى " أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " (البقرة 157)
- التاسعة : تسليم الملائكة عليهم : " سلام عليكم بما صبرتم " (الرعد 24)¹⁴⁴

الفائدة 162 : صبر يوسف عليه السلام

وهكذا فإن يوسف عليه السلام النبي الكريم الذي تربى في حجور الأنبياء ، وتحدر من شجرة عريقة وهو كريم على الله بالاجتباء بالرسالة ، قضى مراحل حياته الأولى وهو يخرج من ضائقة ليدخل في أختها ، فقد أمه وهو طفل ، ثم تأمر عليه اخوته فاخطفوه من أحضان أبيه ورموا به في البئر ، ليلقى في غيبتها مصيره المجهول .

¹⁴³ أخرجه أحمد (450/2 ، رقم 9810) ، وهناد (238/1 ، رقم 402) ، وابن حبان (176/7 ، رقم 2913) ، والحاكم (350/4 ، رقم 7879) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (374/3 ، رقم 6335) . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (319/10 ، رقم 5912) . وصححه أحمد شاكر .

¹⁴⁴ سراج الدين الأوسي ، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام ، ص 182

فكان تكاثر المصائب إشارة إلى ما يرشح له المرء من خير وما يرد له من كرامة وما نراه في سير الأنبياء والصديقين والشهداء و الصالحين، يؤكد أن عظم المنزلة مع ثقل الأحمال ومعاناة الصعاب .¹⁴⁵

الفائدة 163 : الوحي إلى يوسف عليه السلام

قال بعضهم في قوله تعالى " وأوحينا " دليل على نبوة يوسف عليه السلام في ذلك الوقت . قاله الحسن ومجاهد والضحاك و قتادة وزاد : أعطاه الله النبوة وهو في الجب على حجر مرتفع عن الماء .

لكننا نرجح أن ذلك كان وحي إلهام وهو ما قال به جملة من العلماء :

- قال ابن كثير : يقول الله تعالى أنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق ، تطيبا لقلبه وتثبيتا له ، إنك لا تحزن مما أنت فيه فإن لك فرجا ومخرجا حسنا، وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك ، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع .¹⁴⁶
- وقال الرازي : وفائدة هذا الوحي تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه ، بأنه سيحصل له الخلاص من هذه المحنة .¹⁴⁷
- وقال السعدي : فيه بشارة ليوسف عليه السلام بأنه سينجو مما وقع فيه ، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض .¹⁴⁸
- وقال الشنقيطي : أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أوحى إلى يوسف عليه السلام أنه سينبئ إخوته بهذا الأمر الذي فعلوه في حال كونهم لا يشعرون .

ثم صرح في هذه السورة الكريمة بأنه جلّ وعلا أنجز ذلك الوعد في قوله " قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون " وصرح بعدم شعورهم بأنه يوسف في قوله " وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون " .¹⁴⁹

محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص 134- 135¹⁴⁵

ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص 488¹⁴⁶

الصابوني، صفوة التفاسير ، ص 544¹⁴⁷

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 283¹⁴⁸

فالمحتمل أن يكون أوحى إليه أنه سيلقاها ويوبخهم على ما صنعوا ، فيكون الوحي بواسطة الملك إرهافا ليوسف عليه السلام قبل النبوة رحمة من الله ليزيل عنه كربه فأعلمه بما يدل على أن الله سيخلصه من هذه المصيبة وتكون له العاقبة على الذين كادوا له ، وإيدان بأنه سيؤانسه في وحشة الجب بالوحي والبشارة ، وبأنه سينبئ في المستقبل إخوته بما فعلوه معه ، كما تدل عليه نون التوكيد إذا اقترنت بالجملة الخبرية، وذلك يستلزم نجاته وتمكّنه من إخوته، لأن الإنباء لا يكون إلا في حال من تمكن منهم وأمن من شرهم.¹⁵⁰ والله تعالى أعلم.

الفائدة 164 : في عدم شعور إخوة يوسف

في قوله تعالى : " وهم لا يشعرون " ربما كان هذا أمرا من الله تعالى نحو يوسف في أن يستتر نفسه عن أبيه وأن لا يخبر بأحوال نفسه ، فلهذا السبب كتم أخبار نفسه عن أبيه طوال تلك المدة ، مع علمه بوجود أبيه خوفا من مخالفة أمر الله تعالى ، وصبر على تجرع تلك المرارة ، فكان الله سبحانه وتعالى قد قضى على يعقوب عليه السلام أن يوصل إليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليكثر رجوعه إلى الله تعالى ، وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يكمن الوصول إليها إلا بتحمّل المحن الشديدة.¹⁵¹

الفائدة 165 : السورة كشف وبيان روحي

في لحظة التغيب والإخفاء (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ)
يطمئن الله سيدنا يوسف بأن الأمر الذي يحاولون إخفاءه سوف يظهر ويكشف (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وذلك عبر الوحي الذي هو الكشف والبيان الروحي
152.

الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 149 205
الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 150 234
فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، ص 80 151
152 ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

الفائدة 166 : أحوال جب يوسف عليه السلام

هذا الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام يقع في أرض " دوثان " ، ودوثان كانت مدينة وصارت خرابا في أيامنا هاته .

واتفق واصفو الجب على أنه بين (بانياس) و(طبرية) وأنه على اثنتي عشر ميلا من طبرية مما يلي دمشق ، وأنه قرب قرية يقال لها (سنجل) .

قال قدامة : هي طريق البريد بين بعلبك وطبرية ، وكانت حوله صحراء هي مرعى ومرتع ، وكان على طريق القوافل

ووصف المتأخرون بالضبط المأخوذ من الأوصاف التاريخية القديمة أنه الطريق الكبرى بين الشام ومصر ، وكانت تجتاز الأردن تحت بحيرة طبرية وتمر على دوثان وكانت تسلكها قوافل العرب التي تحمل الأطياب إلى المشرق ، وفي هذه الطريق جباب كثيرة .

وجب يوسف معروف بين طبرية وصفد ، بنيت عليه قبة في زمن الدولة الأيوبية بحسب التوسم وهي قائمة إلى الآن .¹⁵³

الفائدة 167 : تعامل الناس مع آثار الأنبياء

إن من شأن الناس سرعة التعلق بالآثار والمواد التي تنسب للأنبياء والصالحين وهي في الغالب تكون مدعاة لانقطاعهم عن الله تعالى ، وحجة لاتخاذها مزارات ، تضرب عليها القباب – كما هو شأن بئر يوسف – وتشد إليها الرحال.

لذلك كان السلف من الأمة شديدي الحرص على التحذير من مغبة هذا التعلق مخافة إفضائه إلى الشرك .

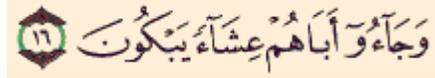
وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع شجرة بيعة الرضوان لما أخبر أن الناس قد اتخذوها مزارا، درعا للفتنة وحفاظا على جوهر التوحيد.¹⁵⁴

الظاهر بن عاشور ، المرجع السابق، ص 235¹⁵³
محمد الغزالي ، فقه السيرة ، ص 330¹⁵⁴

الفائدة 168: بين يوسف عليه السلام وأم موسى (أو بين الإلقاء الإيماني والإلقاء الشيطاني)

شدني في هذه الآية مقابلة بين بداية قصة موسى وبداية قصة يوسف عليهما السلام، ذلك أن الله عز وجل أوحى إلى أم موسى أن تلقيه في الماء وهو إلقاء إيماني ينبع عن يقين بالخالق وتسليم مطلق لإرادته ، بينما كان إلقاء يوسف في الماء أيضا، نابعا من وحي شيطاني لإخوته وهو ينم عن درجة من الحقد والحسد والتسليم للشيطان، فستان بين الإلقاءين !!

ثم إن الله عز وجل ثبت أم موسى بالإلهام ، بأنه سيرد عليها ابنها وأنه سيجعله من المرسلين وثبت يوسف عليه السلام أيضا ،بأنه سيظهر على إخوته وأنه سيعلمهم بفعلتهم الشنيعة هاته وهم لا يشعرون ، فسبحان الله ما أعظم حكمة الخالق وقدرته .



أوجه الاستدلال من الآية :

نومئ إلى سبب قدوم إخوة يوسف عليه السلام ليلا وإلى طبيعة البكاء، كما نتبين من خلال سلوك إخوة يوسف عليه السلام طرفا من فنون التمثيل، لنتمم بنكته لغوية .

الفائدة 169 : لماذا جاء إخوة يوسف وقت العشاء

العشاء وقت غياب الشفق الباقي من شعاع الشمس بعد غروبها؛ وإنما جاء إخوة يوسف عليه السلام عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ، ولذا قيل : لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين ، ولا تعتذر بالنهار من ذنب ، فتتلجج في الاعتذار. ♦155

التلجج : التردد في الكلام ، يقال الحق أبلج والباطل لجلج ، أي يتردد من غير أن ينفذ (مختار الصحاح ، الرازي ، ص 488)
القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 144¹⁵⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

قال ابن كثير : جاءوا أباهم عشاء يبكون، أي في ظلمة الليل ليكون أمشى لعذرهم لا لحذرهم ، و أظهروا الأسف والجزع على يوسف معتذرين عما وقع فيما زعموا لأبيهم.¹⁵⁶ وقد يكون تأخرهم وعودتهم عشاء تنميما للكذب ومبررا فكأنهم يقولون : قد بحثنا عن يوسف طوال النهار وجزءا من الليل، ورغم هذا أخذه الذئب ، ولو أنهم جاءوا عصرا لا تهمهم أبوهم بالتقصير - حسب ظنهم- وربما طلب منهم الذهاب بقية النهار ثانية فأرادوا بهذا المجيء الليلي إعلان نهاية الفرصة .

الفائدة 170 : البكاء لا يدل حتما على الصدق

الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال أن يكون تصنعا، وإنما اصطنع إخوة يوسف البكاء تمويها على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف عليه السلام ولعلهم كانت لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان موجهه ، وفي الناس عجائب من التمويه والكيد، ومن الناس من تتأثر أعصابهم بتخيل الشيء ومحاكاته فيعتريهم ما يعتري الناس بالحقيقة ، وهو ما يدعى التمثيل في وقتنا الحالي.

وبعض المتظلمين بالباطل يفعلون ذلك ، وفطنة الحاكم لا تتخذ لمثل هذه الحيل ولا تنوط بها حكما ، وإنما يناط الحكم بالبيئة .
جاءت امرأة إلى شريح تخاصم في شيء وكانت مبطللة فجعلت تبكي، وأظهر شريح عدم الاطمئنان لدعواها، ف قيل له : أما تراها تبكي ؟ فقال : قد جاء إخوة يوسف عليه السلام أباهم عشاء يبكون وهم ظلمة كذبة ، لا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بالحق.¹⁵⁷
ومن الأمثال " دموع الفاجر بيديه " وقيل " إن الدمع المصنوع لا يخفى " .

الفائدة 171: من فنون التمثيل

لقد برع إخوة يوسف في تقمص عدة أدوار، وأظهروا في ذلك مقدرة فائقة كادت تتطلي حتى على يعقوب عليه السلام لولا ما أوتيته من فراسة وحكمة ونبوة.

ابن كثير ، صحيح قصص الأنبياء ، ص 197¹⁵⁶
الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير، ص 236¹⁵⁷

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ذلك أنهم تظاهروا بالشفقة على أخيهم الصغير والرأفة والرحمة به ، وحبكوا في ذلك "سيناريو" يقوم على أخذه معهم في رحلة قصد الترويح عن النفس واللعب ، وربما عللوا لذلك بلطافة الجو وخضرة المراعي ، ودور اللعب في تنمية شخصية أخيهم .
والآن نراهم يؤدون لونا آخر من "الدراما" ، يتمثل في إظهار الحزن والألم لفراق المحبوب مع ذرف الدموع الغزيرة وشدة الاستكانة والتأثر ، في وسط ديكور ليلي يضفي مزيدا من السواد والمأساوية على المشهد ، فيا لها من موهبة ¹⁵⁸!

الفائدة 172 : نكتة لغوية

إن لفظي جاء وأتى من الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه .
فالأول " جاء" يقال في الجواهر والأعيان ، والثاني " أتى" يقال في المعاني و الأزمان .
ولهذا ورد جاء في قوله تعالى هنا " وجاءوا أباهم عشاء" وقوله : " وجاءوا على قميصه بدم كذب " وقوله : " ولمن جاء به حمل بعير " وكلها في سورة يوسف .
وورد " أتى " في قوله تعالى : " أتى أمر الله " و " أتاها أمرنا " " هل أتى على الإنسان حين من الدهر " .
وقال الراغب : " الإتيان مجيء بسهولة ، فهو أخص من مطلق المجيء . ¹⁵⁹
ولهذا فإن كل كلمة في أي آية من آيات القرآن إنما وضعت في مكانها أحسن وضع وأنه لو حدث أن بدلت هذه الكلمة بغيرها إذن لما اتسق نظم الآية ، ولأحس القارئ أن أمراً حدث فيها

¹⁵⁸ ربما لا نبالغ كثيرا إذا ما أرجعنا براعة الممثلين اليهود الذين تعج بهم أمريكا الآن في إحدى الجوانب إلى أنهم أحفاد إخوة يوسف هؤلاء !! . وراجع إن شئت : فؤاد سيد عبد الرحمان الرفاعي ، النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية .

وبخاصة الفصل الثاني : اليهود والسيطرة على صناعة السينما والتلفزيون والمسرح ، ص 36-56
السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، ص 255 ¹⁵⁹

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا
فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

الآية دليل على جواز المسابقة ، مما يسمح لنا بالحديث عن طبيعتها وأنواعها ، لنعرّج على استعمال فعل الأكل ، وكذا نتكلم عن الصدق والكذب ، وعن معنى الإيمان في هذا الموضوع لنختم بالدلائل على كذب إخوة يوسف .

الفائدة 173 : في السباق والمسابقة

في قوله تعالى " نستبق " نفتعل من المسابقة ، والاستباق افتعال من السبق ، وهو هنا بمعنى التسابق.

قال ابن العربي : المسابقة شريعة في الشريعة ، وخصلة بديعة وعون على الحرب ، وقد فعلها ﷺ بنفسه وبخيله ، وسابق عائشة رضي الله عنها على قدميه فسبقته ، فلما كبرت سابقتها رسول الله ﷺ فسبقها ، فقال لها " هذه بتلك " .¹⁶⁰

قال الشقيري : نستبق أي في الرمي أو على الفرس ، أو على الأقدام ، والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العدو لأنه الآلة في القتال .
وقد ورد في السنة المسابقة بين الخيل ، والمسابقة بالنضال والإبل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر " .¹⁶¹

وروى البخاري عن أنس قال : كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضاء لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه ، فقال : " حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه " .¹⁶²

رواه أحمد (25878) وابن حبان (4601) وهو في صحيح أبي داود ص 2878¹⁶⁰ ،
¹⁶¹ (أخرجه الشافعي (350/1) ، وأحمد (256/2) ، رقم (7476) ، وأبو داود (29/3) ، رقم (2574) ،
والترمذي (205/4) ، رقم (1700) وقال : حسن . والنسائي (227/6) ، رقم (3589) ، وابن ماجه (960/2) ، رقم
(2878) ، والبيهقي (16/10) ، رقم (19532) . وأخرجه أيضاً : ابن حبان (544/10) ، رقم (4690) .

¹⁶² البخاري (2807) وأبو داود (4798) وابن حبان (3964) والنسائي (3122) . راجع القرطبي ،
الجامع لأحكام القرآن ، ص 145 إلى 148

الفائدة 174: أنواع المسابقة

جواز المسابقة ومشروعيتها ، فالمسابقة تكون في نصل أو خف أو حافر أي على الإبل و الخيل و السهام.

هذه الأمور التي تعين على الجهاد تجوز المسابقة فيه بجعل أي مقابل ، أما إذا كان ليس من الأمور المعينة على الجهاد ونشر الدين فلا يجوز السبق به بجائزة ، فصار عندنا المسابقات على ثلاث أنواع :

أ-جائز بعوض . ب-جائز بغير عوض. ج-محرم .

أ-جائز بعوض :مثل مسابقه سهام الرمي بالبندقية على الخيل ، مسابقه الرمي بالطائرات، بالدبابات ، بأي وسيلة بالرمي لأنه معين على الجهاد يجوز أن يجعل فيه جوائز ، فابن تيميه رحمه الله أدخل فيها المسابقات المعينة على نشر الدين . فلو عملنا مسابقة في حفظ القرآن وحفظ السنة وحفظ العلم يجوز أن تكون بجعل أي بمقابل بجائزة .

ب- القسم الذي بغير عوض : مثل المسابقة على الأقدام و اختلّفوا في الغطس قال بعضهم يلحق بالأول لأنه يعين على الجهاد ،فمسابقة الأقدام تجوز بدون جائزة، أي بغير مقابل هذا مثال .

ج-المحرّم : مثل نقر الديكة ، مناطق الكباش ، مصارعه الثيران . لا تجوز لا بجائزة ولا بغير جائزة لأن فيها تعذيبا للحيوان .¹⁶³

الفائدة 175 : فعل الأكل ما فائدة استعماله ؟

قال الإمام الخطابي : قوله تعالى : " أكله الذئب " أي أكله أكلا وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلا و لا عظما ، و ذلك أنهم - أي إخوة يوسف - خافوا مطالبة أبيهم بإيهاهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروا فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى ، لأن الافتراس معناه في فعل السبع: القتل وحسب ، وأصل الفرس : دق العنق .

¹⁶³ صالح المنجد ، 100 فائدة من سورة يوسف ، ص 8 يتصرف

فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل ، على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع .¹⁶⁴

الفائدة 176 : الاحتيال بالتعريض بالصدق

في قول إخوة يوسف " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " تلتطف عظيم في تقرير ما يحاولونه ، يقولون ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب ، فأكله الذئب فأنت معذور في تكذيبك لنا لغرابية ما وقع ، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا .
وهو تعريض بأنهم صادقون فيما ادعوه لأنهم يعلمون أن أباهم لا يصدقهم فيه، فلم يكونوا طامعين بتصديقه إياهم .
وهو نوع آخر من الاحتيال بالتظاهر بالصدق في قولهم رغم أن كل الأدلة تشير إلى تورطهم في هذه الجريمة .

الفائدة 177 : لماذا اتهم إخوة يوسف أنفسهم بالكذب ؟

علم إخوة يوسف أن يعقوب عليه السلام لا يصدقهم لأمر :
1. ما هو عليه من صحة الفراسة ، لنور القلب وقوة الحدس
2. أن الكذب في نفسه لا يخلو عن دليل بطلانه
3. أن المرتاب يكاد يعرب عن نفسه
فذلك صنعوا حيلة في التأكيد بما يقرب قولهم وهو مجيئهم بالقميص المَلطخ بالدم الكذب ليلاً.¹⁶⁵

شوقي أبوخليل ، الإسلام في قفص الاتهام، ص 48¹⁶⁴
عبد الرحمان المعلمي ، دروس وعظات وعبر في سورة يوسف ، ص 36¹⁶⁵

الفائدة 178: الإيمان أصله التصديق

الإيمان إفعال من الأمن، ثم يقال آمنه إذا صدقه، وحقيقته آمنه من التكذيب والمخالفة، وأما تعديته بالباء فلتضمنه معنى "أقر وأعترف" .
فالإيمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق ، لأن المراد من قوله : " وما أنت بمؤمن لنا" أي بمصدق ، وإذا ثبت أن الأمر كذلك في أصل اللغة وجب أن يبقى في عرف الشرع كذلك.

أما إذا ذكر مطلقا غير معدي، فقد اتفقوا على أنه منقول من المسمى اللغوي . الذي هو التصديق . إلى معنى آخر . لأن الإيمان في مفهوم الشرع ليس عبارة عن التصديق اللساني فحسب، فهو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا لغيرهم.

الفائدة 179 : دلائل على كذب إخوة يوسف

- أنهم زعموا أنهم سيأخذون يوسف عليه السلام ليرتعي ويلعب ، فذهبوا يلعبون هم وتركوا يوسف لوحده ليحرس
- متى كان الصغير يصلح لحراسة المتاع من السرقة أو من الذئب ؟
- كيف تركوا الذئب يأكل يوسف وهو عين ما حذرهم يعقوب عليه السلام وطلب منهم حمايته ورعايته ، إن لم يكن الأمر مدبرا سلفا ؟

وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية دليل على جواز العمل بالقرائن ، كما أن فيها دلالة عجيبة على القميص وأنواعه في الدنيا والآخرة ، ثم أن فيها دلالة على علم يعقوب بكذب بنيه ومن ثم صبر عليهم صبورا جميلا نحاول أن نعرف كنهه ، ونستيقن أن من الأهل أعداء يجب الحذر منهم،

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ونستشف أيضا خصيصة من خصائص بني إسرائيل . وبعدها نتساءل عن سر سرعة رد يعقوب وعن عدم تفتيشه عن يوسف عليه السلام ، لنصل إلى نفسية يعقوب عليه السلام في هذا الموضوع، ونختتم بلطيفة بلاغية بعد أن نوضح أن في هذه الآية تسلية للنبي ρ .

الفائدة 180 : اكتمال فصول المؤامرة

ندرك أن إخوة يوسف عليه السلام قد أتموا فصول المؤامرة التي نسجوا خيوطها عبر المراحل التالية :

- عرض البدائل : القتل ، النفي ، الإلقاء
- اختيار البديل الأمثل : الإلقاء في الجب
- التخطيط : برمجة رحلة في وقت محدد والانفراد بيوسف
- التنفيذ : قصد يعقوب عليه السلام والضغط عليه
- المراقبة : التأكد من زوال خطر يوسف في عدم خروجه من البئر
- التدعيم : تدعيم الخطة بالوسائل المادية المتمثلة في القميص¹⁶⁶

الفائدة 181 : العمل بالأمارات والقرائن

استدل الفقهاء بهذه الآية في أعمال الإمارات في مسائل من الفقه كالقسامة¹⁶⁷، وأجمعوا على أن يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصفة القميص ، وهكذا يجب على

¹⁶⁶ لقد اعتمد اليهود دائما على الخطط المحكمة وكان هذا دأبهم دوما عبر التاريخ ، وراجع إن شئت : محمد خليفة التونسي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، تقديم عباس محمود العقاد .

¹⁶⁷ أصلها البينة على المدعي واليمين على من أنكر أبدا وهو قول أبي حنيفة ووافقه طائفة من الفقهاء والمحدثين كالبخاري وطرد في ذلك كل دعوى في القسامة . والقول الثاني أنه يرجح جانب أقوى المتداعين وتجعل اليمين في جانبه ، وهو مذهب مالك وأحمد .

والقسامة هي من القسم، وجاءت في حديث بشير بن يسار عن سهل بن أبي حثمة فذكر قصة القتل وقال فيه : فذكروا لرسول الله مقتل عبد الله بن سهل فقال عليه السلام : " يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته " وهو مخزج في الصحيحين وراجع أيضا : ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، ص 429 وما بعدها في شرح الحديث 33 عن ابن عباس أن رسول الله ρ قال : " لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر " وهو حديث حسن وبعضه في الصحيحين .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت ، فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح وهي قوة التهمة ، ولا خلاف بالحكم فيها ، قاله ابن العربي .¹⁶⁸

وقد كان شريح وإياس بن معاوية يحكمان في الأموال المتنازع فيها بمجرد القرائن الدالة على صدق أحد المدّعين .

وقد روي عن الشافعي وأحمد استحسان قول القافة في سرقة الأموال .
والأخذ بذلك و الحكم بالفراسة والقرائن والاستدلال بالأمارات مسألة كبيرة عظيمة النفع ، جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقا كثيرا ، وأقام باطلا كبيرا ، وإذا توسع وجعل معوّله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من الظلم والفساد .¹⁶⁹

الفائدة 182 : أحوال القميص

قال الماوردي : في القميص ثلاث آيات :

- حين جاءوا عليه بدم كذب (وهو قميص الجفاء) .
- وحين قَدِّمِصه من دبر (وهو قميص البراء) .
- وحين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا (وهو قميص الشفاء)

الفائدة 183 : قمصان المؤمن

المؤمن كذلك له ثلاثة أقمصة :

- قميص الخدمة " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " (الأعراف 310)
 - قميص العفة " وريشا ولباس التقوى " (الأعراف 26)
 - قميص الكرامة " ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق " (الكهف 31)
- وفي كل قميص فائدة :

- ففي قميص الخدمة يناجي مولاه
- وفي قميص العفة يغلب شهوته وهواه

¹⁶⁸ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 150 ¹⁶⁹ ابن قيم الجوزية ، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص 9

- وفي قميص الكرامة يرى من جلّ عن الأشباه¹⁷⁰

الفائدة 184 : الرأي يحتمل الصواب والخطأ

قال ابن أبي رفاعه : ينبغي لأهل الرأي أن يتهموا رأيهم عند ظن يعقوب عليه السلام وهو نبي، حين قال له بنوه : " إننا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متنا فأكله الذئب " قال " بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا " فأصاب هنا .
ثم قالوا : " إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا و ما كنا للغيب حافظين " . قال : " بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا " فلم يصب .¹⁷¹

لذا فالرأي قسمان : محمود ومذموم ، فالرأي المذموم ما كان الباعث عليه الهوى المحض أو كان قائله لا يصدر فيه عن علم ولا دراية .
أما الرأي المحمود ، فهو ما كان مستندا إلى أصول علمية شرعية ووفق ضوابط دقيقة واضحة .¹⁷²

الفائدة 185 : كيف عرف يعقوب أن بنيه كاذبون ؟

الأول: أنه عرف ذلك بسبب أنه كان يعرف الحسد الشديد في قلوبهم.
والثاني: أنه كان عالما بأنه حي لأنه عليه الصلاة والسلام قال ليوسف: {وكذلك يجتبيك ربك}
وذلك دليل قاطع على أنهم كاذبون في ذلك.
القول الثالث: قال سعيد بن جبير: لما جاؤوا على قميصه بدم كذب، وما كان متخرقا، قال كذبتم لو أكله الذئب لخرق قميصه¹⁷³

سراج الدين الأوسي ، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام ، ص 52¹⁷⁰
القرطبي ، المرجع السابق ، ص 152¹⁷¹

¹⁷² موسى إبراهيم الإبراهيم ، تأملات قرآنية ، ص 81 ، وراجع أيضا مقدمة صفة صلاة النبي للألباني لبيان آراء السلف في الرأي وكيف ينبغي أن يكون في الشرع .
فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، جزء 9 ص 82¹⁷³

الفائدة 186 : الصبر الجميل

الصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى، قاله مجاهد .
وقال سفيان الثوري : ثلاث من الصبر : أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ، ولا تزكي نفسك .

ومن آداب الصبر استعماله في الصدمة الأولى لقوله ρ : " إنما الصبر في الصدمة الأولى " 174

ومن الآداب الاسترجاع عند المصيبة لحديث أم سلمة وهو من رواية مسلم .
ومن الآداب سكون الجوارح واللسان . قال بعض الحكماء : الجزع لا يرد الفائت ولكن يسر الشامت ، أما البكاء فجائز .

ومن حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب ، وإذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها ، فكتمانها من نعم الله عز وجل الخفية .

وقال علي رضي الله عنه : " من إجلال معرفة الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك . 175

وذكر البخاري حديث عائشة في حادثة الإفك قولها : والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: " فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " 176 .

الفائدة 187 : من الأهل أعداء يجب الحذر منهم

قال محمد بن إسحاق بن يسار : لقد اجتمع إخوة يوسف على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلّة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل ، وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحببيه

174 أخرجه الطيالسي (ص 272 ، رقم 2040) ، وأحمد (217/3 ، رقم 13297) ، وعبد بن حميد (ص 362 ، رقم 1203) ، والبخاري (430/1 ، رقم 1223) ، ومسلم (637/2 ، رقم 926) ، وأبو داود (192/3 ، رقم 3124) ، والترمذي (313/3 ، رقم 988) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (263/6 ، رقم 10907) ، وابن ماجه (509/1 ، رقم 1596) ، وابن حبان (154/7 ، رقم 2895) . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة (59/3 ، رقم 12092) ، والبيهقي (65/4 ، رقم 6919) .

ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهج القاصدين ، ص 277 175
176 قصة الإفك معروفة ومشهورة في كتب السيرة ، راجع صحيح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق فتحي السيد ، ص 1485 وما بعدها .

على كبر سنه ورقة عظمه ، مع مكانه من الله فيمن أَحَبَ طفلاً صغيراً ، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه .¹⁷⁷

الفائدة 188: لماذا كان رد يعقوب على وجه السرعة ؟

- في رد يعقوب عليه السلام وتكذيبه لهم ثلاثة أوجه :
- أنه كان ذلك بوحى من الله تعالى إليه بعد فعلهم
 - أنه كان عنده علم بذلك قديم أطلع الله عليه
 - أنه قال ذلك حدسا بصائب رأيه وصدق ظنه¹⁷⁸

الفائدة 189 : لماذا لم يفتش يعقوب عليه السلام عن ابنه ؟

وللإمام الرازي عليه الرحمة في هذا المقام بحث، وهو: أن الصبر على قضاء الله تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين ومكر الماكرين فغير واجب بل الواجب إزالته لاسيما في الضرر العائد إلى الغير فكان اللائق بيعقوب عليه السلام التفتيش والسعي في تخلص يوسف عليه السلام من البلية والشدة إن كان حياً، وفي إقامة القصاص إن صح أنهم قتلوه بل قد يقال: إن الواجب المتعين عليه السعي في طلبه وتخليصه لأن الظاهر أنه كان عالماً بأنه حي سليم لقوله **لَوْكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** {يوسف: 6}، فإن الظاهر أنه إنما قاله عن وحي، وأيضاً إنه عليه السلام كان عظيم القدر جليل الشأن معظماً في النفوس مشهوراً في الآفاق فلو بالغ في الطلب والتفحص لظهر ذلك واشتهر ولزال وجه التلبيس فما السبب في تركه عليه السلام الفحص مع نهاية رغبته في حضور يوسف وغاية محبته له، وهل الصبر في هذا المقام إلا مذموم عقلاً وشرعاً؟

ثم قال: والجواب أن نقول: لا جواب عن ذلك إلا أن يقال: إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديداً للمحنة وتغليظاً للأمر، وأيضاً لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوىاء وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وأنه لو بالغ في البحث ربما أقدموا على إيذائه وقتله،

ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ¹⁷⁷487
الماوردي ، النكت والعيون ، ج 2 ، ص ¹⁷⁸245

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وأيضاً لعله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة وأن أمره سيعظم بالأخرة ثم لم يرد هتك ستر أولاده وما رضي بإلقائهم في ألسنة الناس، وذلك لأن أحد الولدين إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وإن أنتقم يحترق على الولد الذي ينتقم منه، ونظير ذلك ما أشار إليه الشاعر بقوله: قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي ولئن عفوت لأعفون جلا ولئن سطوت لموهن عظمي فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلية رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى لا سيما إن قلنا: إنه عليه السلام كان عالماً بأن ما وقع لا يمكن تلافيه حتى يبلغ الكتاب أجله.¹⁷⁹

وإنما فوّض يعقوب عليه السلام الأمر إلى الله ولم يسع للكشف عن مصير يوسف عليه السلام لأنه علم تعذر ذلك عليه لكبر سنه، ولأنه لا عضد له يستعين به على أبنائه أولئك

180.

الفائدة 190: الاستعانة بالله تعالى

{والله المستعان على ما تصفون} والمعنى: أن إقدامه على الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله تعالى، لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع وهي قوية والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا، فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين، فما لم تحصر إعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة.

الفائدة 191: من خصائص بني إسرائيل

قوله تعالى: " وجاءوا على قميصه بدم كذب " قال عبد الله العَلَمِي¹⁸¹: لقد قصّ الله علينا ما أجراه بنو إسرائيل من أبيهم، وبعضهم على بعض، لنكون على بصيرة من أعمالهم معنا، وعلى حذر من حيلهم علينا، لأنهم إذا كانوا يفعلون هذه الأفعال مع أصولهم وحواشيهم الأقربين، فماذا عساهم أن تكون أعمالهم مع من لم يكن من عنصرهم

الألوسي، روح المعاني، جزء 21، ص 902¹⁷⁹

الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 239 - 240¹⁸⁰

¹⁸¹ وقد قال هذا الشيخ الفلسطيني هذا الكلام في الأربعينات وقبل احتلال اليهود لفلسطين بعد حرب 1948 فتأمل.

لذا علينا أن نأخذ من هذه الأعمال موعظة نتفعلها اليوم في معاملتنا مع الصهيونيين في فلسطين، وهي أنه إذا لم يوجد من هؤلاء الإخوة العشرة رحمة وعطف لأبيهم وأخيهم بل إذا لم يسلم أبوهم وأخوهم من شرورهم فكيف نسلم نحن العرب من كيدهم؟¹⁸²

الفائدة 192 : نفسية يعقوب عليه السلام

يتضح لنا جلينا من الآية الحالة النفسية التي كان عليها يعقوب عليه السلام لما تلقى خبر افتراس الذئب لابنه يوسف عليه السلام ، فانه واجهه بموقف من ثلاثة أوجه :

◆ الوجه الأول : أنه قال " بل سَوَلت لكم أنفسكم أمرا " فعَبّر بحرف الإضراب "بل" إبطالا لدعواهم أن الذئب أكله ، فقد صرّح لهم بكذبهم ، بأن زَيّنت لهم نفوسهم ليحصل لهم ما بيّتوه بينهم .

والإبهام الذي في كلمة " أمرا" يحتمل عدة أشياء مما يمكن أن يؤذوا به يوسف عليه السلام من قتل أو بيع أو تعريب ، لأنه لم يعلم تعيين ما فعلوه ، وتتكير (أمرا) للتهويل .

◆ الوجه الثاني : في قوله " صبر جميل " تعبير عن تفويض أمره لله وأنه خاطب نفسه بذلك ، ووصف الصبر الجميل ليدل على عظم المصاب فقابله بعظم الصبر وأجمله لأنه لا جزع فيه ، فجمال الصبر أحسن أحواله ، وهو أن لا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته .

◆ الوجه الثالث : قوله " والله المستعان على ما تصفون " أراد الاستعانة بالله ليوسف عليه السلام على الخلاص مما أحاط به.

والتعبير عما أصاب يوسف عليه السلام " بما تصفون " في غاية البلاغة، لأنه كان واثقا أنهم كاذبون في الصفة ، وواثقا بأنهم ألقوا بيوسف عليه السلام ضرا .

فلما لم يتعين عنده المصاب، أجمل التعبير فيحسبون أن ما يصفونه هو موته بأكل الذئب إياه ، ويعقوب يريد أن ما يصفونه هو المصاب الواقع الذي وصفوه وصفا كاذبا .

فكانت نفسية يعقوب عليه السلام مزيجا من الأسف على فعلة اخوة يوسف عليه السلام وعلمه بكذبهم ، ثم تفويض للأمر وصبر على ما فعلوه، إلى أمل وطمع في أن يحفظ الله يوسف عليه السلام ويكشف أمره مستقبلا .

¹⁸² عبد الحليم توميّات ، قصة يوسف عليه السلام ، قرص سمعي.

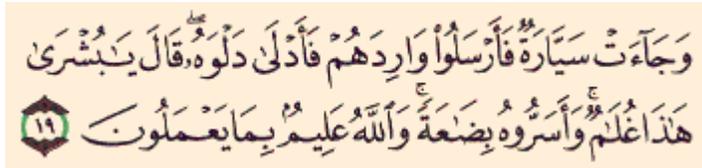
الفائدة 193 : تسليية للنبي ρ لما يتعرض له من أذى

وفي هذا تسليية للنبي ρ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من أهلهم من الأذى ، فقد لقي النبي ρ من آله أشد ما لقيه من كفار قومه ، مثل عمّه أبي لهب ، والنضير بن الحارث وأبي سفيان بن حرب ، وإن كان هذا قد أسلم وحسن إسلامه ، فإن وقع أذى الأقارب في النفوس أشد من وقع أذى البعداء كما قال طرفة بن العبد :
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند¹⁸³

الفائدة 194 : لطيفة بلاغية

من المجاز إقامة صيغة مقام صيغة أخرى وهو أنواع كثيرة ، منها :
إطلاق المصدر على المفعول ، نحو قوله تعالى " وجاءوا على قميصه بدم كذب " أي مكذوب فيه ، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام .¹⁸⁴
فوصف الدم بالكذب مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه ، كما يقال للكذاب : هو الكذب بعينه، والزور بذاته .

والفاعل والمفعول يسميان بالمصدر ، كما يقال : ماء سكب ، أي مسكوب .
والفاعل كقوله تعالى " إن أصبح ماؤكم غورا " أي غائراً، كما سمو المصدر بهما، قالوا
للعقل : المعقول ، وللجلد : المجلود ، ومنه قوله تعالى " بأبكم المفتون " .¹⁸⁵



أوجه الاستدلال من الآية :

نقتبس من الآية لطف الله تعالى بنيه يوسف عليه السلام بإنجائه من البئر ، ثم إن فيها إشارة إلى القوافل في ذلك العهد، وفيها إيماء إلى جمال يوسف عليه السلام . وفيها مقابلة عجيبة بين حزن يعقوب وبشارة الوارد وهو تجسيد لأحوال الدنيا . وفيها وصف لطمع

الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 198 - 199¹⁸³
السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 53¹⁸⁴
محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم ، ص 508¹⁸⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

التجار عامة ومن ثم النهي عن الطمع عموماً، وفيها وصف للحكمة الواسعة لله تعالى وفي آخرها وعيد لكل ظالم وإخبار بإحاطة الله بكيد كل كائد مع وجوب المراقبة الدائمة لله تعالى .

الفائدة 195 : لطف الله بيوسف عليه السلام ونجاته من محنة الجب

لقد ساق الله تعالى ليوسف عليه السلام سيارة وهم الرفقة المارة يسيرون من الشام إلى مصر فأخطئوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبا من الجب ، وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران ، إنما هو للرعاة والمجتاز ، فأرسلوا واردهم وهو الذي يتطلب لهم الماء ، فلما جاء ذلك البئر وأدلى دلوه تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وهكذا سخر الله عز وجل من ينجي يوسف عليه السلام من محنته الأولى بالإلقاء في الجب وصدق الله القائل " إنَّ مع العسر يسرا " وقيل كان ذلك بعد ثلاثة أيام من إلقائه فيها

الفائدة 196: عن القوافل السيّارة

في قوله " سيّارة " جمع سيّار ، بناء مبالغة للذين يكثررون السير في الطرق - كقولهم حدّاد ونجّار - وهي قافلة من القوافل التي كانت تحمل البضائع بين مصر والشام . ويذكر المؤرخون في هذا الصدد أن الملك المصري "سنوسرت الثالث" أمر بحفر قناة في شرق الدلتا تصل بين أقصى فروع النيل شرقا وخليج السويس، وهي أقدم اتصال مائي بين البحرين الأحمر والمتوسط، وقد سماها الإغريق " قناة سيزوستريس" نسبة إلى الملك "سنوسرت الثالث". ومن الفوائد التي عادت على البلاد من حفر هذه القناة ازدياد النشاط التجاري وتوثيق الصلات التجارية بين مصر وبلاد "بونت" (الصومال الحالية)، وأيضاً ازدياد النشاط التجاري بين مصر وبلاد الشام، وجزر البحر المتوسط، مثل كريت وقبرص¹⁸⁶.

الحضارة المصرية القديمة ،دار المناقشات (الأنترنت)186

الفائدة 197 : جمال يوسف عليه السلام

يدل قول الوارد " يا بشرى هذا غلام " على فرحه وابتهاجه بالعثور على الغلام فإنه لما خرج من البئر إذا غلام كالقمر ليلة البدر ، أحسن ما يكون من الغلمان . وقال p في حديث الإسراء : " فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن " ¹⁸⁷

وقال كعب الأحبار : كان يوسف حسن الوجه ، جعد الشعر ♦ ، ضخم العينين ، مستوي الخلق ، أبيض اللون ، غليظ الساعدين والعضدين ، خميص البطن ♦♦ ، صغير السرة ،

إذا ابتسم رأيت النور من ضواحيه وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه ، لا يستطيع أحد وصفه ، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل ، وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقيل أنه ورث ذلك الجمال من جدته " سارة " وكانت قد أعطيت سدس الحسن ، فلما رآه الوارد قال : " يا بشرى هذا غلام " ¹⁸⁸

الفائدة 198 : البشارة

البشارة بالأمر السار (قال يا بشرى هذا غلام) وقد تكون البشارة بالأمر السيئ (فبشرهم بعذاب أليم) لكن أكثر ما تستعمل البشارة في الأمر الحسن .

ويجوز إعطاء مقابل لمن بشرك بالخير كما أن كعب بن مالك رضى الله عنه لما جاءه الذي يبشره بتوبة الله عليه بعد تخلفه عن غزوة تبوك خلع له قميصه فأعطاه إياه ¹⁸⁹ .

¹⁸⁷ أخرجه أحمد (148/3 ، رقم 12527) ، ومسلم (145/1 ، رقم 162) ، وأبو يعلى (109/6 ، رقم 3375) ، وفى (216/6 ، رقم 3499) . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة (333/7 ، رقم 36570) ، وأبو عوانة (113/1 ، رقم 344)

♦ جعد الشعر : ضد المرسل ، وتجعد الشيء تقبض

♦♦ خميص البطن : أي داخل البطن ، والأخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض (مختار الصحاح، 171)

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 153 ¹⁸⁸

¹⁸⁹ كما ورد في حديث الثلاثة الذين خلفوا وهو في الصحيحين في قول النبي عليه السلام لكعب : (يا كعب بن مالك أبشر)

و في هذا الحديث فوائد فقهية جمة ، ينبغي أن تراجع . (أورد بعضها أبو يوسف هاني فاروق محقق كتاب الشيخ صالح المنجد)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فمن بشرك و قال نجحت ، أو جاءك ولد ، أو بَشَّرَكَ بأمر طيب فتكافؤه على البشارة بهدية بأي شيء يُرضيه أو بأي شيء يطيب نفسه جزاء ما أدخل السرور عليك ، ومنه قول العامة: (هات البشارة).¹⁹⁰

الفائدة 199 : مصائب قوم عند قوم فوائد*

في الوقت الذي تأسف يعقوب عليه السلام على فقد ولده يوسف وحزن عليه أشد الحزن ، فان صاحب الدلو قال : يا بشرى هذا غلام .
وهذا حال الدنيا والسنة الكونية من حزن يقابله فرح ، وسرور يقابله قرح .

الفائدة 200: الطمع من دأب التجار

لقد أخفى السيارة خبر التقاط يوسف عليه السلام خشية أن يكون من ولد بعض الأحياء القريبة من الماء قد تردى في الجب ، فإذا علم أهله بخبر طلبوه وانتزعوه منهم ، لأنهم توسموا فيه مخايل أبناء البيوت ، ولذلك كان قوله " وأسروه " مشعراً بأن يوسف عليه السلام أخبرهم بقتته ، فأعرضوا عن ذلك طمعا في أن يبيعوه، وذلك من فقدان الدين بينهم ، أو لعدم وجود الدين. وجعلوه بضاعة ، أي عرضا للتجارة ومتاعها، فعزموا على بيعه.¹⁹¹

الفائدة 201: النهي عن الطمع

وقد نهى النبي ﷺ عن الحرص وعن الطمع فقال : " أجمع اليأس مما في أيدي الناس"¹⁹² وقال بعضهم لو قيل للطمع : من أبوك ؟ قال : الشك في المقدور. ولو قيل له : ما حرفتك ؟ قال : اكتساب الذل ، ولو قيل له : ما غايتك ؟ قال : الحرمان .
وقد قيل : الطمع يذل الأمير ، واليأس يعز الفقير.¹⁹³

¹⁹⁰ صالح المنجد ، 100 فائدة من سورة يوسف، ص 9

* عجز بيت مشهور لأبي الطيب المتنبي ، وراجع إن شئت ديوانه ، ص 320.

الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ص 242 - 243¹⁹¹

¹⁹² أخرجه أحمد (412/5 ، رقم 2354) ، وابن ماجه (1396/2 ، رقم 4171) قال البوصيري (285/3) :

هذا إسناد ضعيف . والطبراني (154/4 ، رقم 3987) ، وأبو نعيم في الحلية (362/1) . وأخرجه أيضا :

البيهقي في الزهد الكبير (87/2 ، رقم 102) . . والحاكم وقال صحيح الإسناد)

ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهج القاصدين ، ص 205 - 206¹⁹³

الفائدة 202 : حكمة الله واسعة

في قوله تعالى : " والله عليم بما يعملون " إشارة إلى أن الله عليم بما يفعله إخوة يوسف عليه السلام ومشتروه ، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ، ولكن له حكمة وقدر سابق فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه " ألا له الخلق والأمر فتبارك الله أحسن الخالقين "

الفائدة 203 : وعيد لكل ظالم

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} لم يخف عليه سبحانه إسرارهم، وصرح غير واحد أن هذا وعيد لإخوة يوسف عليه السلام على ما صنعوا بأبيهم وأخيهم وجعلهم إياه، وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء .

وقد قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تتم

الفائدة 204 : الله محيط بكيد الكائدين يا محمد

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ وإعلام له بأني عالم بأذى قومك وأنا قادر على الإنكار عليهم ، ولكني سأملي لهم ، ثم أجعل لك العاقبة ، والحكم عليهم ، كما جعل ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته .¹⁹⁴

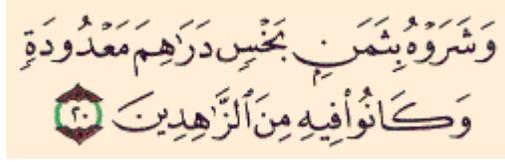
الفائدة 205 : وجوب المراقبة الدائمة لله تعالى

وفي الآية أيضا وعيد وتهديد لكل من يسيء العمل ويغتر بالهوى وطول الأمل بأن الله عز وجل يمهل ولا يمهل، وأنه يمكن للظالم حتى إذا أخذه لم يفته ، ولذلك فعلى العبد المراقبة الدائمة لله وهو أصل التقوى .

الفائدة 206 : السورة كشف وبيان حسي

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ص 489¹⁹⁴

ويأتي الإظهار والإبانة بعد التغييب (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) إن ما أريد له أن يختفي ويستتر، كشفه الله تعالى وأبانه، وخرج سيدنا يوسف من البئر. غير أن السيارة الذين وجدوا سيدنا يوسف لم يحملوه بشكل ظاهر علني، مخافة أن يطالب به أحد من زويه إن كان حراً ، أو يدعي ملكيته سيّد إن كان عبداً ، لذا (أَسْرُوهُ بِضَاعَةً)، أي أنهم قاموا بإخفائه بنية بيعه، وهذا إخفاء وستر، سيتبعه كشف وإبانة حين يصلون إلى مصر ويبيعونه¹⁹⁵.



أوجه الاستدلال من الآية :

في هذه الآية من الفوائد الكثير ، ففيها صبر يوسف على محنة الاسترقاق، وفيها أن قيمة العبد في تقواه وصلاحه ، وفيها من الفقه أن تداول الشيء يحيله على الجواز، وكذا جواز شراء الشيء العظيم بالثمن القليل، وفيها حديث عن الزهد المذموم والممدوح. ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 207 : محنة يوسف الثالثة : الاسترقاق

لقد امتحن الله يوسف عليه السلام بمحنة أخرى وهي شديدة على النفس الأبية التي ترعرعت تنتسم أنسام الحرية ، في بداوتها وبأديتها وأسرتها ، لقد صار يوسف مملوكا كما يملك المتاع ، يشتري ويباع، ولا يملك لنفسه حولا ولا طولا ، إنه يعامل معاملة الرقيق ، فيباع بثمن بخس بعد أن ينتشل من البئر¹⁹⁶.

الفائدة 208 : لماذا بيع يوسف بثمن بخس ؟

ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (الأنترنت)¹⁹⁵

¹⁹⁶ محمد عبد القادر أبو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص 142

بيع يوسف عليه السلام بثمان بخرس دراهم قليلة سهلة العدّ، لأنه في ظنهم غلام يحتاج إلى تربية، ولا يستطيع أن يقدم شيئاً لمشتريه، كالفلاحة وحمل الأثقال، أو أي عمل شاق يقوم به. وكان الغلام كان مقوماً في عرف التجار بثمان قليل أيضاً.

الفائدة 209: قيمة العبد عند الله في تقواه وصلاحه

إن يوسف كان عزيزاً عند الله كيف لا وهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، ورغم ذلك فقد باعه إخوته بدراهم قليلة تعدّ عدّاً ولا توزن وزناً (وكانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية أي الأربعين درهماً ومن ثمّ يعبرون عن القليل بالمعدود)، لكن ذلك لا ينقص من قيمته عند الله شيئاً، وهو ما يدلنا على أن العبد الصالح قد يُعدّ في الناس هيناً وضعيفاً، لكن تكون مكانته عند الله عظيمة، كما جاء في حديث النبي ﷺ: "رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره" (رواه مسلم /4754).

الفائدة 210: تداول الشيء يحيله على الجواز

في الآية دليل على أن الشيء إذا تداولته الأيدي، وصار من جملة الأموال، ولو لم يعلم أنه كان على غير الشرع، أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع أو استعمال، فإن يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعاً حراماً لا يجوز، ثم ذهب به السيارة إلى مصر فباعه بها، وبقي عند سيده غلاماً رقيقاً، وسمّاه الله سيدياً، وكان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق المكرم. ¹⁹⁷

الفائدة 211: جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير

ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان، ص 284¹⁹⁷

في هذه الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير، ويكون البيع لازماً، ولهذا قال مالك: لو باع درة ذات خطر عظيم بدرهم ثم قال: لم أعلم أنها درة وحسبتها خرزا لزمه البيع ولم يلتفت إلى قوله.¹⁹⁸

الفائدة 212: بيع النفس للشيطان بالشهوات هو البيع البخس

قال الجنيد: كل ما وقع تحت العد والإحصاء فهو بخس ولو كان جميع ما في الكونين فلا يكن حظك البخس من ربك فتميل إليه وترضى به دون ربك جل جلاله، وقال ابن عطاء: ليس ما باع إخوة يوسف من نفس لا يقع عليها البيع بأعجب من بيع نفسك بأدنى شهوة بعد أن بعته من ربك بأوفر الثمن قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ} (التوبة: 111)

الفائدة 213: الزهد ما هو؟

الزهد في الشيء الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه. يقال شيء زهيد، أي قليل حقير.

والزهد المذكور في الآية هو زهد مذموم، لأنه إذا كان المقصود به الاخوة، فكان زهدهم فيه هو زواله عن أبيه لا ماله. وإن كان السيارة فإنه لم يكن عندهم غيباً لقول الاخوة إنه عبد أبى منا، فأرادوا التخلص منه، وزهدهم قلة رغبتهم فيه، أما إن كان المقصود الواردة فانهم خافوا اشتراك أصحابهم معهم، ورأوا أن القليل من ثمنه في الانفراد أولى.

أما الزهد المحمود فيفصل بثلاثة أشياء:

- أن يكون العبد بما في الله أوثق منه بما في يد نفسه، وهو ينشأ من صحة اليقين وقوته
- أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا
- أن يستوفي عند العبد حامده وذامه في الحق، وهذا من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها وقلة الرغبة فيها.

وقد روي عن السلف عبارات أخر في تفسير الزهد في الدنيا وكلها ترجع إلى ما تقدم

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 157¹⁹⁸

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وقيل الزهد ثلاثة أصناف : زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة .
فالزهد الفرض : الزهد في الحرام ، والزهد الفضل : الزهد في الحلال ، والزهد السلامة :
الزهد في الشبهات .¹⁹⁹

الفائدة 214 : نكت لغوية

- معنى (شروه) باعوه، يقال شرى كما يقال باع . ويقال : اشترى كما يقال ابتاع ومثلها رهن وارتهن ، وعامض و اعتاض ، وكرى واكترى .
والأصل في ذلك وأمثاله أن الفعل للحدث ، والافتعال لمطاولة الحدث .
- البخس : أصله مصدر بخسه إذا نقصه عن قيمة الشيء ، وهو هنا بمعنى المبخوس كالخلق بمعنى المخلوق ، وقيل كل بخس في القرآن هو نقص ، إلا " بثمن بخس " أي حرام ، قاله مقاتل بن سليمان .♦
- دراهم : جمع درهم وهو المسكوك، وهو معرّب عن الفارسية كما في صحاح الجوهري ، وقد أغفله الذين جمعوا ما هو معرب في القرآن كالسيوطي في الإتيان .
- تقديم المجرور " فيه " على عامله " زاهدين " بدل " زاهدين فيه " للتنويه بشأن المزهود فيه ، وللتنبيه على ضعف توسمهم وبصارتهم مع الرعاية على الفاصلة .²⁰⁰

رَجَّحَ أَنْ يَكُونَ

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتساءل في هذه الآية عن من اشترى يوسف عليه السلام ، وعن أحوال مصر ، ثم أن فيها إشارة إلى أن يوسف عليه السلام يسير على آثار جده إبراهيم عليه السلام ، وفيها لطف بهذا النبي الكريم وتهيئة له للنبوة عبر إكرام مثواه ، ثم أن فيها حديثا عن الفراسة وأحوالها . وفيها أيضا إشارة إلى العناية الإلهية بالمؤمن وأن هذا الأخير محبوب من الخلق، وفيها معالجة لقضية التبني وخطورتها ، كما أنه يمكننا أن نعقد مقارنة بين نموذج زوجة فرعون وزوجة العزيز في تربيتهما لنبيين من أنبياء الله تعالى ومقابلة أيضا بين يوسف وموسى عليهما السلام في نشأتها في قصر علية القوم، لنختم بالحديث عن هجرة الأنبياء وبنكتة لغوية .

الفائدة 215 : من الذي اشترى يوسف عليه السلام ومن زوجه ؟

هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد . وظاهر أمر العزيز أنه كان كافراً. و قد غدت المدن خلال هذه الفترة تحت إدارة مدير(عز مر) أي حاكم إداري. ولعل لفظ العزيز في القرآن يدل عليه،سواء حكام الأقاليم (النبلاء) أو المدراء الإداريين للمدن .
واسم امرأته راعيل بنت رعائيل، وقال غير واحد : اسمها زليخا .

الفائدة 216: من أحوال مصر

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

مدينة مصر في ذلك الوقت هي (منفيس) ويقال (منف) وهي قاعدة مصر السفلى وهي الجزء الشمالي التي يحكمها قبائل من الكنعانيين عرفوا عند القبط باسم (الهكسوس) أي الرعاة وأسماهم المصريون الرعاة، لأنهم اغتصبوا بلادهم دون حق. والهكسوس في اللغة المصرية القديمة معناها أيضا " حكام البلاد الأجنبية"، وهم قبائل بدوية آسيوية، جاءت من فلسطين، تسللت تلك القبائل إلى شرق الدلتا، واستقرت في مدينة "أواريس" ("صان الحجر" قرب مدينة الزقازيق الآن) واتخذتها عاصمة، وواصلت زحفها جنوباً حتى احتلت مدينة "منف"، ومصر الوسطى. وفي الوقت نفسه سيطر النوبيون على الجزء الجنوبي من البلاد، ولم يبق مستقلاً سوى جزء يحكمه أمراء طيبة (ثيبة) وهي اليوم خراب وموضعها يسمى الأقصر ، جمع قصر ، لأن بها أطلال القصور القديمة ، أي الهياكل.

الفائدة 217 : يوسف على أثر جده إبراهيم

بيع يوسف لرئيس شرطة مصر ، وذلك أن ملك مصر في ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول إبراهيم ، وكان منهم الملك الذي أكرم مثنوى إبراهيم وأعطاه الأموال الكثيرة ، والمعلوم أن يوسف عليه السلام قد وصل إلى عرش مصر، وعصره لا يبعد عن عصر أبيه خليل الله الذي قدر المؤرخون أحدثه بحوالي 1800-1850 ق.م ، (وأرجعه البعض إلى ما قبل 2000 ق.م) ، بينما حكم الهكسوس لمصر لم يبدأ في أقدم تقدير له، إلا في حوالي 1720 ق.م .

الفائدة 218: بلد المؤمن حيث يعبد الله تعالى

بلد المسلم لا يكون بالضرورة حيث أهله و إخوانه وجيرانه ، بل قد يكون فيه غير مطمئن أو يكون مضطهدا ولا يمكنه أن يقيم شعائر دينه ، فحينئذ تستحب له الهجرة والضرب في الأرض. وقد قال الشاعر :

و إن نبت بك أوطان قد نشأت بها فارحل فكل بلاد الله أوطان

وإن جفاك أخ قد كنت تألفه فاطلب سواه فكم في الأرض إخوان

الفائدة 219 : لطف الله بيوسف عليه السلام وتهيئته للنبوة

لقد منّ الله عز وجل يوسف عليه السلام فانتقل إلى بيت من أغنى بيوتات مصر، إلى منزل عزيز مصر، كبير وزرائها الذي اشتراه وأحبه وتبناه . وهكذا شبّ يوسف عليه السلام في هذا الجو المترف من بيوتات الأغنياء المترفين في مصر ، ولكن عناية الله لم تغفل عنه لحظة واحدة ، وإنما قدر الله له أن يشب ويشد عوده في هذا الجو ، ليتعرف لغة القوم الذين سيبعث فيهم نبيا، ويدرس واقعهم ويعرف كيف يتعامل معهم لإصلاح عاداتهم السيئة ومفاهيمهم الخاطئة ، بعد نشأ وربي في بيت النبوة في كنف أبيه ورسخت في نفسه وسلوكه ، رسالة التوحيد وأخلاق النبوة .²⁰¹

الفائدة 220 : إكرام المثوى

المثوى مكان الثوي والمبيت والإقامة ، والمقصود بإكرام مثواه إكرامه ، ولكن التعبير أعمق ، لأنه يجعل الإكرام لا لشخصه فحسب ، ولكن لمكان إقامته . . وهي مبالغة في الإكرام في مقابل مثواه في الجب وما حوله من مخاوف وآلام ! فسبحان الذي نقل يوسف عليه السلام من ضيق البئر إلى رحابة القصر، ومن جُب إلى حُب.

الفائدة 221 : فإساسة العزيز في يوسف عليه السلام

لقد طلب عزيز مصر من امرأته أن تجعل إقامة يوسف عليه السلام عندهم كريمة ، أي كاملة في نوعها في المقام وطيب الطعام واللباس والحسن ، وأراد أن يجعل الإحسان إليه سببا في اجتلاب محبته إياهما ونصحه لهما فينفعهما بأن يكفيهما بعض المهمات ، أو يتخذانه ولدا فيبير بهما ولعله كان آيسا من ولادة زوجه . وإنما قال ذلك لحسن تفرسه في ملامح يوسف عليه السلام المؤذنة بالكمال . ولذلك فقد ورد عن ابن مسعود قوله : أحسن الناس فإساسة ثلاثة : العزيز حين تفرس في يوسف فقال: "

عبد الرحمان النحلوي ، التربية بالعبرة ، ص 51 ²⁰¹

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا " ، وبنت شعيب حين قالت لأبيها في موسى : "استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين " ، وأبو بكر حين استخلف عمر .

وقد رد ابن العربي هذا القول لأن الصديق إنما ولى عمر بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصحبة وطولها ، والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمئة ، وليس ذلك من طريق الفراسة ، وأما بنت شعيب (والأرجح أنها بنت رجل صالح) فكانت معها العلامة البينة على قوة وأمان موسى عليه السلام .

وأما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة والله أعلم .²⁰²

الفائدة 222 : علم الفراسة

هو علم يعرف به الاستدلال بخلق الإنسان على خلقه . وموضوعه أحوال الإنسان الظاهرة من تلك الحيثية .

ومنفعته معرفة طباع الإنسان الشخص عند إرادة صحبته ، أو تزوجه ، أو استعماله للعمل ، أو نحو ذلك .²⁰³

الفائدة 223 : التهيئة والعناية من تمام التمكين

التمكين في الأرض هنا مراد به ابتدائه وتقدير أول أجزائه ، فيوسف عليه السلام بحلوله محل العناية من عزيز مصر قد خط له مستقبل تمكينه من الأرض بالوجه الأتم الذي أشير له بقوله تعالى : " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء " . لأن الله لما قدر في سابق علمه أن يجعل يوسف عليه السلام عالما بتأويل الأحاديث وأن يجعله نبيا أنجاه من الهلاك ، ومكّن له في الأرض تهيئة لأسباب مراد الله .²⁰⁴

ولا يخفى أن حمل التمكين في الأرض على التمكين في قلب العزيز ، أو في منزله خلاف الظاهر . ولعل الظاهر حملة على جعله ملكاً يتصرف في أرض مصر بالأمر والنهي ،

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الجزء 9 ، ص 190²⁰²
²⁰³ لقد تطور هذا المفهوم على يد علم النفس ، وأصبح علما قائما بذاته والذي يسمح بتحديد سلوك الشخص ونفسيته من خلال صورته وسماته الرئيسية ، وكثيرا ما يستعمل عند التوظيف أو في بعض المسائل القضائية .
الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ص 247²⁰⁴

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وهناك من ذهب إلى أن المراد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ : مكنا له في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيقضي بها بين أهلها.

الفائدة 224 : المؤمن محبوب من الخلق

إن الله تعالى يجعل لعباده المؤمنين محبة عظيمة في نفوس خلقه ، قال تعالى : "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً " وقال ρ : " إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض " .²⁰⁵

الفائدة 225: الولد مطلوب مرغوب

إن العزيز وامرأته كانا يحييان في رغد من العيش والترف ، ورغم ذلك فإن السعادة لم تكن لتكتمل لهما إلا بوجود الولد الذي يؤنس وحشتهما ويدخل السرور والبهجة إلى قلوبهما ، لذلك سارع العزيز إلى التكفل به لما توسم فيه من النباهة وحسن السمات . وصدق الله إذ قال: " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " .

الفائدة 226: التبني

التبني هو أن يتكفل الرجل بتربية ورعاية الولد فيكون بمنزلة ابنه حقيقة ، فينسب إليه ويورثه إن مات . وقد كان مشروعاً في شرائع السابقين وفي صدر الإسلام ، فكان زيد بن حارثة متبني الرسول ρ وكان يدعى زيد بن محمد ، حتى نزل الحكم بإبطال التبني بقوله تعالى : " أذعوهم لأبائهم هو أفسط عند الله " وقوله : " ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " .

²⁰⁵ " أخرجه البخارى (1175/3 ، رقم 3037) ، ومسلم (2030/4 ، رقم 2637) . وأخرجه أيضاً : مالك (953/2 ، رقم 1710) ، وابن حبان (86/2 ، رقم 365) ، والطبرانى فى الأوسط (179/5 ، رقم 5001) .

الفائدة 227: من أخطار التبني

لا يمكن للطفل المتبنى أن ينزل منزلة الابن الحقيقي، ففي الوقت الذي ظن العزيز فيه أن هذا الطفل يصلح ولداً (أو نتخذه ولداً)، رغبت زوجته أن تتخذه صديقاً حميماً أو زوجاً آخر، ومن هنا ألغى الإسلام التبني تماماً، وهي رسالة للذين يتبنون الأطفال الرضع، أنه مهما قال الطفل للمرأة ماما وبادلته الشعور ، فإذا شبّ فالمشاعر تتغير والألفاظ تتبدل والمواقع تنعكس، وكذا الذين يربون البنات، فإذا كبرن تحركت الشياطين وأوعزت أن هذه الفتاة الجميلة تصلح عروساً (ويا ليت) أو صديقةً وفيّةً قريبة المنال .

الفائدة 228 : ظاهرة الخدم

الغريب في المنزل جمرة تحت الرماد، وكذا شأن الخدم والخادومات، وكم اشتعلت بهم النيران- نيران الغرائز، ونيران المفاسد، وفي بعض البلاد فضحت تجارة بيع الأطفال بسبب كثرة الخادومات المستوردات.

الفائدة 229 : بين آسيا و زليخة (أو قيمة المرأة في إيمانها)

نلاحظ أن آسيا امرأة العزيز عندما رأت موسى عليه السلام أحبته وكانت صادقة في قولها: " قرّة عين لي ولك " ، فشملمته برعاية وحنان الأمومة ، أما زليخة زوج العزيز فإنها ما إن رأت الفتى يوسف حتى أحبته ، ولكن كان حبا من نوع آخر ، أدى بها فيما بعد إلى المرادة والانجراف وراء نزواتها .

فما الفرق بين الاثنتين رغم أنهما ربيتا في قصر الرياسة ؟ فالجواب أن الإيمان كان هو الفارق الأساسي ، فآسيا كانت مؤمنة بالله عز وجل فإيمانها يمنعها من مجرد التفكير بالسوء ، بينما زليخا ليس لها رادع أخلاقي يمنعها من إتباع الهوى والاستسلام للشيطان والنفس أمارة بالسوء كما صرّحت به فيما بعد .

الفائدة 230 : أمر الله غالب دائما

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

قالت الحكماء في قوله تعالى : " والله غالب أمره " : والله غالب على أمره حيث أمره يعقوب عليه السلام ألا يقص رؤياه على اخوته فغلب أمر الله حتى قص ، ثم أراد اخوته قتله فغلب أمر الله حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه ، ثم أراد الاخوة أن يخلو لهم وجه أبيهم فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم ، وافتكره بعد سبعين أو ثمانين سنة فقال : " يا أسفا على يوسف " ثم تدبروا أن يكونوا من بعده قوما صالحين أي تائبين ، فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصروا عليه حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سنين وقالوا لأبيهم " إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ " ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص ، فغلب أمر الله فلم يندع وقال " بل سولت لكم أنفسكم أمرا " ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب أبيهم ، فغلب أمر الله فازدادت المحبة والشوق في قلبه ، ثم دبّرت امرأة العزيز أنها إن ابتدرته بالكلام غلبته ، فغلب أمر الله حتى قال العزيز " استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين " .
ثم دبّر يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقى فغلب أمر الله فنسي الساقى ، ولبث يوسف في السجن بضع سنين .²⁰⁶

الفائدة 231 : الهجرة بين سيرة يوسف عليه السلام وسيرة النبي ρ

هاجر يوسف عليه السلام قصرا من الشام إلى مصر وهاجر النبي ρ كرها أيضا من مكة إلى المدينة وقال : " أما والله لا أخرج منك وإنى أعلم أنك أحب بلاد الله إلى وأكرم على الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت " .²⁰⁷

الفائدة 232: يعقوب عليه السلام من القلة العالمية

في قوله تعالى " ولكن أكثر الناس لا يعلمون " إيماء إلى أن الأقل يعلمون أن أمر الله غالب دائما كيعقوب عليه السلام ، فهاهي ذي أقواله السابقة واللاحقة صريحة في ذلك ، ولكن علمه إجمالي لا تفصيلي ، إذ لا يحيط بما تحبئه الأقدار .²⁰⁸

الفائدة 233 : مقابلة بين يوسف وموسى عليهما السلام

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 191²⁰⁶
²⁰⁷ أخرجه أبو يعلى (69/5 ، رقم 2662) قال الهيثمي (283/3) : رجاله ثقات . وأخرجه أيضا : الحارث كما في بغية الباحث (460/1 ، رقم 387) .
المراعي ، تفسير المراعي ، ص 127²⁰⁸

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

نلاحظ من قصة يوسف وموسى عليهما السلام تشابها واضحا ، فلقد ربّي موسى عليه السلام في قصر فرعون وفي كلاً من زوجه المؤمنة آسيا ، وكان في ذلك أكبر حكمة بحيث أنه نجا من الذبح وعرف خفايا قصر فرعون والذي سيرسل إليه نبيا فيما بعد . ويوسف عليه السلام تربى في أحضان قصر العزيز ، وتمكن من أن يطلع على الفساد الخفي والديني داخله ، وكذا تمكن من الإلمام ببعض شؤون الدولة المالية والاقتصاد ممّا سيؤهله إلى اعتلاء منصب العزيز مستقبلا ، ولله التدبير !

الفائدة 234 : نكت لغوية

- ❖ الشراء : في قوله تعالى " الذي اشتراه " المراد منه الذي دفع الثمن فملكه ، وإن لم يتول الاشتراء بنفسه ، فان فعل الاشتراء لا يدل على دفع العوض ، ولذلك يكتب الموثقون في مثل هذا أن شراءه لفلان .
- ❖ امرأته : تعني زوجه فان الزوجة يطلق عليها اسم المرأة ويراد منه معنى الزوجة .
- ❖ المثوى : حقيقته المحل الذي يثوي إليه المرء أي يرجع إليه ، وهو هنا كناية عن حال الإقامة عندهما ، لأن المرء يثوي إلى منزل إقامته .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في هذه الآية إشارة إلى محنة أخرى خفية في حياة يوسف عليه السلام ألا وهي معيشة القصر ، ثم أننا سنجيب عن معنى الأشد في الآية وسنقارن بين نمو يوسف وموسى عليهما السلام ، كما سنبين معاني الحكمة والعلم والإحسان ، ثم نذكر طرفا من إحسان يوسف عليه السلام ولماذا ذكر في هذا الموضع بالذات ، لنختتم بتضمن الآية وعدا للنبي ﷺ بالتمكين .

الفائدة 235: المحنة الرابعة: معيشة القصر

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

إن محنة يوسف هذه تكمن في أن يعيش حياة الخدم والرقيق في بيت عزيز مصر مع امرأته العابثة العارية من الخلق والفضيلة ، والجائحة نحو الرذيلة ، إنه يعيش في جو لم يألفه جو القصور الذي يسوده الفسق والفجور . والفحش والتفحش ، والزنا والخنا ، وانعدام المروءة و الشهامة .
فكان يعاني من مشاهدة مشاهد الفسق والفجور ، والعبث والمجون والانحراف فيكبت نفسه ويأخذها بالحزم ، والضبط .²⁰⁹

الفائدة 236 : الأشد ما هو ؟

الأشد من الشد وهو الربط على الشيء والعقد عليه ، و هو استكمال القوة وتناهي البأس وقال الراغب : وفيه تنبيه على أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه ، فلا يكاد يزياله وقيل في الأشد : ثماني عشرة سنة، وعشرون وثلاث وعشرون ، وثلاثون . وقيل : الأشد بلوغ اللحم .

وقد أثبت علماء الاجتماع أن الاستعداد النفسي يظهر رويدا رويدا حتى إذا ما بلغ المرء سنا معينة ، وقف عند هذا الحد ولم يظهر فيه شيء جديد غير ما ظهر من بدء سن التمييز إلى هذه السن .
وواضح أن القرآن لا يحدد العمر لأنه في ذاته قد لا يكون له دلالة ما ، فقد يبلغ الرجل ثلاثين أو أربعين سنة وينقصه الكثير من التجارب التي لا تنقص من هو اقل منه سنًا .
فالمهم الصفات الجسمية والعقلية التي يبلغها الإنسان من السن .
والمعنى هو استكمال القوة ثم يكون النقصان من بعد .²¹⁰

الفائدة 237 : الاستواء بين يوسف وموسى عليها السلام

قال ابن عباس الأشد ما بين الثمان عشرة سنة إلى الثلاثين . ثم من الثلاثين سنة إلى الأربعين يبقى سواء من غير زيادة ولا نقصان، ومن الأربعين يأخذ في النقصان .

²⁰⁹ محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص 144
محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ص 510²¹⁰

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما حق، لأن الإنسان يكون في أول العمر في النمو والتزايد ثم يبقى من غير زيادة ولا نقصان، ثم يأخذ في الانتقاص فنهاية مدة الازدياد من أول العمر إلى العشرين ومن العشرين إلى الثلاثين يكون التزايد قليلا والقوة قوية جدا ثم من الثلاثين إلى الأربعين يقف فلا يزداد ولا ينقص ، ومن الأربعين إلى الستين يأخذ في الانتقاص الخفي، ومن الستين إلى آخر العمر يأخذ في الانتقاص البين الظاهر، ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة . وهو الاستواء .

والحكمة فيه ظاهرة لأن الإنسان يكون إلى رأس الأربعين قواه الجسمانية من الشهوة والغضب والحس قوية مستكلمة فيكون الإنسان منجذبا إليها ، فإذا انتهى إلى الأربعين أخذت القوى الجسمانية في الانتقاص، والقوة العقلية في الازدياد فهناك يكون الرجل أكمل ما يكون فلهذا السر اختار الله تعالى هذا السن للوحي.

ويدل عليه قوله تعالى : حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة " (الأحقاف /15) فيوسف بلغ أشده ولكنه لم يستو بعد . والله تعالى أعلم.

الفائدة 238 : الحكمة والعلم منحة إلهية

الحكم والحكمة مترادفان هنا ، وهو : علم حقائق الأشياء والعمل الصالح واجتباب ضده ، كما قال تعالى في ذكر داود وسليمان عليهما السلام : " وكلا أتينا حكما وعلما " قال ابن العربي : الحكم هو العمل بالعلم .

ويحتمل أن يريد بالحكم : السلطان في الدنيا وحكما بين الناس . والمراد بالعلم ، علم زائد على النبوة ، وهو تعبير الرؤيا ، وتكثير (علما) للنوعية أو للتعظيم .

وقال الرازي : الحكم ، الحكمة العملية لأنها حكم على هدى النفس ، والعلم : الحكمة النظرية .

الفائدة 239: لماذا قَدّمت الحكمة على العلم

وإنما قدمت الحكمة العملية هنا على العلمية، لأن أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وأما أصحاب الأفكار العقلية والأنظار الروحانية فإنهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولاً، ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية.
وطريقة يوسف عليه السلام هو الأول، لأنه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله عليه أبواب المكاشفات، فلهذا السبب قال: {أتيناها حكما وعلماً}.²¹¹

الفائدة 240 : الإحسان

الإحسان هو استحضار العبد قرب الله منه ، وأن يعبد على هذه الصفة ، وأنه بين يديه كأنه يراه وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم . كما جاء في رواية أبي هريرة : " أن تخشى الله كأنك تراه " .

ويوجب أيضا النصح في العبادة ، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها²¹² وهو درجتان : الأولى أن يعبد الإنسان ربه عبادة رغبة وطلب كأنه يراه ، فيجب أن يصل إليه وهذه الدرجة من الإحسان هي الأكمل ، فإن لم يصل إلى هذه الحالة فالى الدرجة الثانية : أن يعبد الله عبادة خوف وهرب من عذابه ، ولذلك قال النبي ρ : "فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ²¹³ ، أي فإن لم تعبد كأنك تراه فإنه يراك .²¹⁴

الفائدة 241 : من إحسان يوسف عليه السلام : العبادة والتقوى

وفي الآية دليل على أن يوسف عليه السلام كان محسنا في عمله متقيا في عفتوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على عبادته وتقواه ورضاه عن تهتك امرأة العزيز .
وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلو مرتبة الإحسان ، وتنبيه على أنه تعالى إنما آتاه ما آتاه لكونه قد نأى بنفسه عن الرذائل والشبهات وهو الشاب الذي بلغ أشده أي أقصى ما يصل إليه من كمال البنية والفكر ، ومن هنا قال الحسن: من أحسن عبادة الله سبحانه في شبيبته آتاه الله تعالى الحكمة في اكتهاله.

فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، جزء 9 ص89 ، مع التنبيه على أن الأمر نسبي وهو مظنة للاجتهاد ، فنورد هذا استئناسا .²¹¹

ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، ص 58²¹²

²¹³ : أخرجه أحمد (426/2 ، رقم 9497) ، والبخارى (27/1 ، رقم 50) ، ومسلم (39/1 ، رقم 9) ، وابن

ماجه (25/1 ، رقم 64)

النووي ، ابن دقيق العيد ، العثيمين ، الرياض الندية في شرح الأربعين النووية ، ص 35 - 36²¹⁴

الفائدة 242: لماذا ذكر حكم وعلم وإحسان يوسف عليه السلام

يحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمانة بالسوء، مستعلية عليها قاهرة لها.

ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مقهورة ضعيفة ، صار العبد من الأولياء الذين تعهد الله بحفظهم كما جاء في الحديث القدسي : " كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به " 215

الفائدة 243 : وعد للنبي ρ بالتمكين

في الآية وعد للنبي ρ بالتمكين ، أي فلا يهولنك يا محمد فعل الكفرة وعتوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين الصابرين على النوائب كما صبر يوسف أجمل صنع .
وقال الطبري : وهذا وإن كان مخرجه ظاهرا على كل محسن ، فالمراد به محمد ρ، يقول تعالى كما فعلت بيوسف بعد أن قاسى ما قاسى ثم أعطيته ما أعطيته ، كذلك أنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكّن لك في الأرض .

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ

أوجه الاستدلال من الآية :

نستفيد من هذه الآية الحذر من الخلوة وأسبابها ، كما تخبرنا بمحنة أخرى تتمثل في المراودة وخطواتها المحتواة على الإغواء والمحاصرة والدعوة إلى النفس، كما أننا سندرس أسباب امتناع يوسف عليه السلام عن الفاحشة رغم توفر مغرياتها العشر، ونوعا آخر من إحسانه ، ونعرّف بعض المفاهيم الواردة فيها وهي الظلم والفلاح لنختم بنكتة لغوية .

215 أخرجه البخارى (2384/5 ، رقم 6137) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (58/2 ، رقم 347) ، والبيهقى (219/10 ، رقم 20769) ، وأبو نعيم فى الحلية (4/1) . رواه البخارى (6502) ، وهو فى سلسلة الأحاديث الصحيحة 1640

الفائدة 244 : الحذر من الخلوة وأسباب الفتنة

في الآية تنبيه على الحذر من الخلوة بالنساء اللاتي يخشى منهن الفتنة ، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها ، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى ، بسبب انفرادها بيوسف ، وحبها الشديد له الذي ما تركها حتى أوردته تلك المرودة ، ثم كذبت عليه فسجن بسببها مدة طويلة .

الفائدة 245 : المحنة الخامسة : المرودة

هذه المحنة العظيمة " المرودة " أعظم على يوسف عليه السلام من محنة إخوته ، وصبره عليها أعظم أجرا ، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل وقدم محبة الله عليها ، وأما محنته بإخوته فصبره صبر اضطرار بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه السلام بقي مكرما في بيت العزيز ، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، فراودته امرأة العزيز سيدة المنزل الذي آواه ووعاه، راودته على نفسه وصارت تعرض عليه كل المغريات وتحاصره .²¹⁶

وإنها لمحنة صعبة ، يمر بها شاب في ريعان الشباب، تحاصره امرأة بغرائزها المتقدة ، تريد منه ما يتمناه كل شاب ويميل إليه بغريزته .

فماذا كان موقفه وهو في هذا المأزق يتقاذفه داعيان، فإما أن يلبي داعي الغريزة والشهوة الجارفة ، وإما أن يلبي نداء الضمير الذي يحذره من السقوط ويذكره بغضب الله إن هو اختار المعصية والفاحشة وخان سيده الذي أحسن إليه وآواه.²¹⁷

الفائدة 246 : الخطوة الأولى للمرودة : الإغواء

إن المرودة في الآية مشتقة من راد يرود ، إذا جاء وذهب ، شبه حال المحاول أحدا على فعل شيء مكررا وذلك بحال من يذهب ويجيء في المعاودة إلى الشيء المذهوب عنه ، فأطلق راود بمعنى حاول .

ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان ، ص 284 و ص 273²¹⁶
عبد الرحمان النحلوي ، التربية بالعبارة ، ص 51²¹⁷

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

والمفاعلة مستعملة في التكرير ، وأيضا فإنها تستعمل للمخادعة ، أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده ، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه ، وهي عبارة عن التحيل لمواقعتها إياه ، ومنه الرائد لطالب الماء والكأ. وقد كان طلبها برفق ولين ودعة لنفسها أكثر من مرة ، وذلك أنها أحبته حبا شديدا لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على التجميل له والإغواء الدائم ومحاولة الاستدراج من غير جدوى

الفائدة 247 : نزاهة يوسف عليه السلام

إن التعبير بقوله تعالى " التي هو في بيتها " يدل على تمكن امرأة العزيز من مشاهدة جماله حيناً فحيناً ، مما يحقق مراودتها ، وفيه زيادة تقرير امتناع يوسف عليه السلام منها مع كمال قدرتها عليه ، مما يدل على نزاهته وطهارته ذيله وعصمة الله له لأنه كونه في بيتها - أي بيت سكانها الذي تبيت فيه - من شأنه أن يطوعه لمرادها ، لكنه امتنع مع شدة الدواعي .

الفائدة 248 : الخطوة الثانية : المحاصرة

إن التضعيف بقوله تعالى " غلقت " تستعمل للتكثير ، ولإفادة شدة الفعل وقوته ، أي أغلقت الأبواب إغلاقاً محكما ، ويقال إنها كانت سبعة أبواب . وفعلها هذا يدل على أمور ثلاثة :

- الأول أنها انتقلت من مجرد الإغواء إلى الفعل
- الثاني أن شدة الفعل يدل على أن الشهوة قد بلغت بها منتهاها
- الثالث أنها أرادت أن تؤمن ليوسف المكان وأن تحاصره ولا تدع له مجالا للاختيار ، خاصة أنه كان مملوكا فلا يرفض لها أمرا .

الفائدة 249 : الخطوة الثالثة : الدعوة إلى النفس

بعد أن حاولت امرأة العزيز إيقاع يوسف عليه السلام في الفاحشة ، عن طريق الإغواء بكثرة التكرار والمخادعة واللين واللفظ ، ثم انتقلت بعدها إلى المحاصرة وتأمين المكان واستغلال النفوذ ، فإنها لم تجد بدا أن تطلب منه مواععتها صراحة ، بل أن يبادر بذلك ويعجل من غير توان .

الفائدة 250 : دواعي امتناع يوسف عليه السلام

تأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث : المرادة ، تغليق الأبواب والدعوة إلى النفس بدواعي العفاف الثلاث :

- الاستجارة بالله عز وجل من ارتكاب الفواحش ، وإن الامتناع والاعتصام به يقتضي أن الله أمر بذلك الاعتصام .
- عدم خيانة سيده الذي أنقذه من الهلاك وأكرم كفالتة وأحسن تعهده فكيف يسيء إليه بالخيانة في حرمه
- اجتناب الظلم وهو اسم جامع للإثم ، لأن في ارتكاب الفاحشة ظلم كليهما ، نفسه بارتكاب معصية مما انقضت الأديان على أنها كبيرة ، وظلم سيده الذي آمنه على بيته وأمنها على نفسها إذا اتخذها زوجا وأحصنها

وفي هذه التعليقات عبرة عظيمة من العفاف والتقوى وعصمة الأنبياء قبل النبوة من الكبائر كما تقدم بحثه .

الفائدة 251: من إحسان يوسف الاعتراف بالجميل

في قوله تعالى على لسان يوسف " إنه ربي أحسن مثواي " دليل أن معرفة الإحسان واجب لأن يوسف امتنع عنها لأجل شينين لأجل المعصية والظلم ولأجل إحسان الزوج إليه ، فلم ينكر ذلك بل أقر بإكرام العزيز له وأن من الشهامه الكف عن محارمه .

الفائدة 252 : ما هو الفلاح ؟

الفلاح هو الظفر وإدراك البغية، وذلك ضريان: دنيوي. وأخروي، فالأول: الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء. والغنى. والعز، والثاني: أربعة أشياء: بقاء بلا فناء. وغنى بلا فقر. وعز بلا ذل. وعلم بلا جهل، ولذلك قيل: لا عيش إلا عيش الآخرة، ومعنى أفلح دخل في الفلاح كأصبح وأخواته، ولعل المراد به هنا الفلاح الأخروي، وبالظالمين كل من ظلم كائناً من كان فيدخل في ذلك المجازون للإحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى دخولاً أولاً²¹⁸.

الفائدة 253: ما هو الظلم

الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومن أمثال العرب في الشبه : من أشبه أباه فما ظلم ، قال الأصمعي : ما ظلم أي ما وضع الشبه في غير موضعه .
وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد ، ومنه حديث الوضوء " فمن زاد فقد أساء وظلم " (رواه أحمد وابن ماجة والنسائي وهو حسن)
والظلم ميل عن القصد ، والعرب تقول : ألزم هذا الصوب ولا تظلم عنه ، أي تجر عنه والظلمة : المانعون أهل الحقوق حقوقهم .
قال ابن حجر : " الظلم اسم لما أخذ بغير حق ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي ، والغصب أخذ حق الغير بغير حق " .
وقال ابن الجوزي : " وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لأنه لو استتار بنور الهدى لاعتبر ، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى ، اكتتفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً " .²¹⁹

الفائدة 254: من فنون القراءات في " هيت "

" هيت لك " اسم فعل أمر بمعنى بادر وأسرع . وفيه ضمير المخاطب كصه ومه . قيل أن أصلها من اللغة الحورانية ، وهي نبطية .

الألوسي ، روح المعاني، جزء 21 ، ص 322²¹⁸
²¹⁹ محمد سرور بن نايف زين العابدين ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله : شعيب عليه السلام ، ص 11-12

و اللام في " لك " لزيادة بيان المقصود بالخطاب ، كما في قولهم : سقيا لك ، وشكرا لك ، وأصله هيتك .

قال النحاس : فيها سبع قراءات، فمن أجل ما فيها وأصح إسنادا ما رواه الأعمش عن أبي وائل قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ " هَيْتُ لك " قال : فقلت إن قوما يقرؤونها " هَيْتُ لك " فقال : إنما أقرأ كما علمت .

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع " وقالت هَيْتُ لك " بكسر الهاء وفتح التاء .²²⁰

الفائدة 255 : عشر مغريات لارتكاب الفاحشة

لقد تعرض يوسف عليه السلام لعشر مغريات ، كانت إحداها فقط تكفي أن يستجيب لنداء الشيطان وامرأة العزيز لولا لطف الله به وتقواه وعفته وهي :

- 1- أنه كان شابا: يافعا مقبلا على الدنيا ، ينبض بالحياة
- 2- أنه كان عَرَبًا : وهو أشد تأثيرا على شهوة العبد
- 3- أنه كان غريبا : بعيدا عن أرضه وأهله وهو أدعى أن يفكر في الحرام
- 4- أنه كان مملوكا : لم يكن يملك حريته ، بل كان مقيدا
- 5- أنه كان محل ثقة سيده : فكان بإمكانه استغلال مكانته وإثتمان العزيز له على بيته
- 6- أنه كان يتعرض لإغواء امرأة العزيز مرّات عدة وبأساليب مختلفة
- 7- أنه كان في غيبة العزيز ووحيدا مع زوجه ، ليس معها أحد للاطلاع
- 8- أنه كان مؤمنا من قبل امرأة العزيز بإغلاق الأبواب وتأمين المكان
- 9- أن شغف امرأة العزيز وعشقها بلغا بها المنتهى ولم تكن تنتظر إلا التنفيذ
- 10- أن امرأة العزيز مكنته من نفسها صراحة بعد استفاد كل الطرق

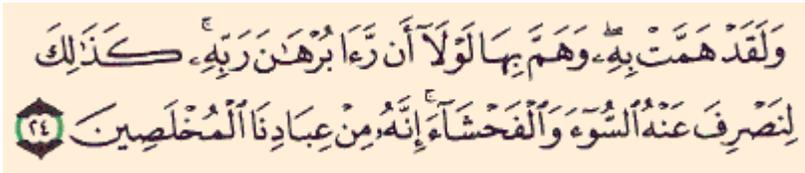
²²⁰ راجع القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 163 إلى 165 ففيه تفصيل عن كلمة " هيت " ومختلف القراءات والروايات الواردة فيها لمن أراد الاستزادة ، وهناك من قال أن أصل كلمة هيت قبطية خالصة ، وأنها قد وجدت في بعض الآثار المصرية .
وهناك من ذهب إلى أنها كلمة أمازيغية الأصل. و معناها هانأنا ذي، وهي من الكلمات التي عرفت اختلافا كبيرا في معناها الأصلي ولغتها الأصلية ، وربما يحتاج الأمر إلى بحث دقيق وموضوعي من أصحاب الاختصاص.

الفائدة 256 : عدم إجابة نداء الفاحشة مدعاة إلى الاستغلال بظل الله يوم القيامة

بمناسبة استعصام يوسف عليه السلام ، يورد ابن كثير الحديث الوارد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ومنهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله "221 .

الفائدة 257 : نكت لغوية

❖ " وراودته التي هو في بيتها " لم يقل وراودته زليخا أو امرأة العزيز ، إما لاستهجان التصريح بالاسم في حكم المراودة والاحتيال في طلب الواقعة ، وإما للإخفاء عن الآخر لئلا يتهموها ، وإما لزيادة تقرير بثبوت المسند للمسند إليه ، أو لزيادة تقرير المقصود وهو الامتاع ونزاهة يوسف عليه السلام .
وإضافة البيت إلى ضميرها لما أن العرب تضيف البيوت إلى النساء باعتبار أنهن القائمات بمصالحه أو الملازمات له، وخرج على ذلك قوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} (الأحزاب: 33) وكثر في كلامهم صاحبة البيت. وربة البيت للمرة .
❖ الكناية في قوله " وراودته " كنى عن طلب الجماع بالمراودة



أوجه الاستدلال من الآية :

نفس القول في همّ يوسف عليه السلام ، وكذا في البرهان الذي رآه ودلائله من السورة، كما نعود إلى فعل رأى ودلالته في هذا الموضوع ، كما نتيقن عفة يوسف عليه السلام وكيف أن اتهام الأنبياء بدعة يهودية ، نعرّف السوء والفحشاء والإخلاص ونختم بمعرفة أسباب النجاة من الفتن .

221 أخرجه أحمد (439/2 ، رقم 9663) ، والبخارى (234/1 ، رقم 629) ، ومسلم (715/2 ، رقم 1031) ، والنسائي في الكبرى (461/3 ، رقم 5921) ، وابن حبان (338/10 ، رقم 4486) . وأخرجه أيضاً : ابن خزيمة (185/1 ، رقم 358) .

في قوله تعالى " ولقد همّت به وهمّ بها " لا خلاف في أن يوسف عليه السلام لم يأت بالفاحشة ، وإنما الخلاف في وقوع الهم منه .
وقد انقسم المفسرون إلى ثلاثة أقسام :

- القسم الأول :

ذهبوا إلى أن يوسف عليه السلام همّ وقصد الفاحشة وأتى ببعض مقدماتها واستدلوا بظاهر الآية الكريمة ، ومنهم من أسرف في إيراد القصص الإسرائيلي ففسجوا خيالات كاذبة حول يوسف عليه السلام وكيف أنه استجاب للمرأة ولم يمنعه من ذلك إلا أنه رأى أباه وقد تمثّل له فنهاه عن ذلك وتوعده إن فعل ، وقال البعض أنه رأى جبريل .
222 .

وهذا القول مردود بأدلة كثيرة جدا منها :

- أن هذا الكلام لا ينسجم مع منصب النبوة وجلالة قدر الأنبياء
- أن القرآن الكريم بيّن براءة يوسف عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي، حيث بيّن شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته وشهادة الله له بذلك ، واعتراف إبليس له .
أما الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم : يوسف والمرأة وزوجها والنسوة والشهود .
- 1- أما جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: " هي راودتني عن نفسي" وقوله : " قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه " .
- 2- وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة " ولقد راودته عن نفسه فاستعصم " وقولها : " الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين "
- 3- وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله : " قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين "
- 4- وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله تعالى : " وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين "
- 5- وأما شهادة الله عز وجل ببراءته ففي قوله : " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين "

6- وأما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته ففي قوله تعالى : " قال بعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين " فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ولا شك أن يوسف من المخلصين كما صرح الله تعالى به في قوله : " أنه من عبادنا المخلصين " فظهرت دلالة القرآن من جهات متعددة على براءة يوسف عليه السلام .²²³

- القسم الثاني :

ذهبوا إلى أن المراد بهم يوسف عليه السلام هو هم قلبي صرفه عنه وازع التقوى . وهذا لا معصية فيه ، لأنه أمر جبلي لا يتعلق به التكليف ، كما في الحديث عنه ρ : " أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك " يعني ميل القلب الطبيعي . ومثال هذا ميل الصائم بطبعه إلى الماء البارد مع أن تقواه تمنعه من الشراب وهو صائم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة " . لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفا من الله وامتنالا لأمره كما قال تعالى : " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى " . وهمّ بني حارثة وبني سلمة بالفرار يوم أحد ، كهّم يوسف هذا ، بدليل قوله تعالى : " إذ همّت طائفتان منكم أن تقشلا والله وليهما " لأن قوله " وليهما " يدل على أن الهم ليس بمعصية لأن اتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراء على المعصية . والعرب تطلق الهمّ وتريد المحبة والشهوة ، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهي: هذا ما يهمني ، ويقول فيما يحبه ويشتهي : هذا أهمّ الأشياء إليّ بخلاف همّ امرأة العزيز فإنه همّ عزم وتصميم ، بدليل أنها شقّت قميصه من دبر وهو هارب عنها ، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلا عجزها عنه ، ومثل هذا التصميم على المعصية ، معصية يؤاخذ بها صاحبها .

قال ابن عطية : ويجوز عليه (يوسف) الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقفته ، وأن يتصحب خاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة ، وإن فرضناه نيبا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو خاطر ، ولا يصح عليه شيء مما ذكر (من الإسرائيليات) لأن العصمة مع النبوة .

الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 206- 207 ²²³

وقال القرطبي : إذا كان نبيا فلم يبق إلا أن يكون الهم الذي همّ به ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر ، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذه عن الخلق ، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه ، وقد جاء في الحديث القدسي : " إذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة " أخرجه البخارى (6/2724 ، رقم 7062) ، ومسلم (1/117 ، رقم 128) ، والترمذى (5/265 ، رقم 3073) ، وقال : حسن صحيح . وابن حبان (2/104 ، رقم 380) .²²⁴

القسم الثالث :

ذهبوا إلى أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم أصلا ، بل هو منفي عنه لوجود البرهان ، وهو الصحيح.

لأن هذا القول يلتئم مع قوله تعالى : " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء " ومع قوله في الآية نفسها " إنه من عبادنا المخلصين " لأن همّه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده ، وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة ، وأن قوله : " وهمّ بها " لا يصلح جوابا ، لأن "لولا" لها الصدارة ، ولأننا لا نقول أن هذا الجواب ولكنه دليل الجواب .

ونظير ذلك قوله تعالى : " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين " ، لأن "لولا" حرف امتناع لوجود ، فامتنع الهم لوجود البرهان

وامتنع إبداء أم موسى بما في نفسها على ابنها لوجود ربطنا على قلبها ، والجواب محذوف تقدم دليله على لولا .²²⁵

وهذا الوجه اختاره أبوحيان وأبو حاتم وابن العربي والشنقيطي والطاهر بن عاشور وعبد الوهاب النجار وعبد الرحمان الثعالبي ولم ينفه ابن كثير والرازي وغيرهم كثير . وهو أجرى الأقوال على قواعد اللغة العربية ، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه ، كقوله تعالى : " فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين " أي إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه .

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 167 - 168 بتصرف²²⁴
عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، ص 124²²⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فالأول دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب ، لأن جواب الشرط وجواب " لولا" لا يتقدم ولكن يكون المذكور قبله دليلا عليه، كالأية المذكورة وكقوله تعالى : " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " أي إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم .

وعلى هذا القول فمعنى الآية : " وهمّ بها لولا أن رءا برهان ربه " أي لولا أن رآه همّ بها فما قبل " لولا" هو دليل الجواب المحذوف ، كما هو الغالب في القرآن واللغة .²²⁶ وقد قال غير واحد أن في الكلام تقديم وتأخير ، معناه أنه لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ، فلما رأى البرهان لم يهم .

قال ابن العربي : وقد أخبر الله سبحانه عن حال يوسف من حين بلوغه بأنه آتاه حكما وعلما ، والحكم هو العمل بالعلم ، وكلام الله صادق وخبره صحيح ووصفه حق ، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد في أهله ، فما تعرض لامرأة العزيز ولا أناب إلى المرادة ، بل أدبر عنها وفرّ منها ، حكمة خصّ بها وعمل بما علمه الله تعالى .

وقال علماء الصوفية : إن فائدة قوله تعالى " ولما بلغ أشده أتيناه حكما وعلما " أن الله عز وجل أعطاه العلم والحكمة بأن غلب الشهوة ليكون ذلك سببا للعصمة .²²⁷ فبهذا تعلم أن يوسف عليه السلام بريء من الوقوع فيما لا ينبغي ولم يخالطه همّ بامرأة العزيز ، لأن الله عصمه من الهم بالمعصية بما أراه من البرهان .

الفائدة 259 : لماذا لم يقل : همّت به ولم يهمّ بها ؟

والسؤال الذي قد يطرح : إذا لم يقع هم من يوسف عليه السلام ، فلماذا لم نقل الآية : ولقد همّت به ولم يهمّ بها ، ولماذا جاء هذا التقديم والتأخير ؟ والجواب يكون من وجهين :

الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 214²²⁶
عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان ، ص 316-317²²⁷

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- الأول أن الله عز وجل لو جاء بالآية على هذا الوجه ، لتوهم أن يوسف لم يكن له ميل للنساء ، رغم أنه كان في ريعان الشباب مكتمل الرجولة ، وهذا ما يعد من المعاييب وهو ما لا يليق بمقامات النبوة .فلو قال ولم يهم بها ، قد يتوهم أن ذلك لعدم قدرة أو عجز .
 - الثاني أن الله عز وجل أراد أن يبين لنا أنه وضع يوسف عليه السلام في أصعب امتحان مع كثرة الدواعي والمغريات (ذكرنا منها عشرة) فلو كان إنسان آخر مكانه لكانت واحدة منها كفيلة بجعله يقع فيها ، لكن يوسف عليه السلام ثبت وعصمه الله ، فدلّ على وجوب الاقتداء به .
- وهذا أمر ميسور لمن تدبّر قصة يوسف عليه السلام وتتبع مواقفه من أولها لآخرها ، لأن من أهم خصال يوسف عليه السلام هي الثبات على الحق مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال ، على ما سنزيده إيضاحا فيما سيأتي إن شاء الله من الفوائد.

الفائدة 260 : البرهان الذي رآه يوسف ما هو ؟

البرهان لغة هو الحجة ، وهذا البرهان من جملته صرف يوسف عليه السلام عن الهم بامرأة العزيز ، ولولا ذلك لكان حال البشرية لا يسلم من الهمّ بمطاوعتها في تلك الحالة لتوفر دواعي الهم من حسننها ، ورغبتها فيه ، واغتياب أمثاله بطاعتها والقرب منها، ودواعي الشباب المسولة لذلك ، فكان برهان الله هو الحائل بينه وبين الهمّ بها دون شيء آخر .

واختلف المفسرون في ما هو هذا البرهان ، فمنهم من يشير إلى أنه حجة نظرية قَبّحت له هذا الفعل ، وقيل : هو وحي إلهي ، وقيل : حفظ إلهي ، وقيل : مشاهدات تمثّلت له.²²⁸

والصحيح أن البرهان هو ما أودعه الله في قلبه من الخشية مما منّ عليه به من مراقبته وحجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب وتطهير نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة.

فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات.

ومن هنا كان من المخلصين الذين استخلصوا من الصفوة المختارة، أما أن يكون البرهان رؤية أبيه أو جبريل ، فذلك مما لا نظنه ، لأن الله قد أتى عليه وسمي مخلصا ، فعلم

الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 254²²⁸

بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام ، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم، ناظرا في دليل التحريم ووجه القبيح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن ، و ليقتنى به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار و التثبيت في مواقف العثار، فإن هذا الثناء ليس ليوسف خاصة وإنما هو لكل من تمسك بهديه واعتنى بهديه واقتفى أثره

الفائدة 261 : دلائل البرهان من السورة

- من أدلة البرهان في سورة يوسف وهو من باب تفسير القرآن بالقرآن :
- قوله : " إني رأيت أحد عشر كوكبا " والرؤيا إلهام وتبشير
 - قوله : " وكذلك يجتبيك ربك " وهو الاصطفاء والاختيار
 - قوله : " وأوحينا إليه " وهو إلهام ووعده بحسن العاقبة
 - قوله : " وكذلك مكنا ليوسف " والتمكين دليل على الرضا والقبول
 - قوله : " وكذلك نجزي المحسنين " والجزاء من حسن العمل
- فكل هذا من البرهان والحجة البرهانية التي أوتيتها قبل مرادة امرأة العزيز .

الفائدة 262: من دلالات فعل " رأى " : الرؤية القلبية

يدل استعمال فعل " رأى " بصيغة الماضي في الآية ، على أن يوسف قد جاءه البرهان والحجة قبل الحادثة ، وذلك حتى يستعد لها ويثبت فيها ، وذلك كقوله تعالى في شأن يونس عليه السلام : " فلولا أنه كان من المسبحين " أي كان من مكثري التسبيح قبل أكل الحوت له ، كما ورد في الآثار . و يشهد له أيضا الحديث : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة *

راجع الزمخشري ، الكشاف ، ص 249 إلى 250 229
* رواه الترمذي وأحمد ، وحسنه جماعة من المحدثين منهم ابن حجر وان رجب والصنعاني ، وصححه أحمد شاكر (مسند أحمد 287/4) والألباني في صحيح الجامع 7957 وصحيح الترمذي 2516.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وبناء على كل ما سبق من الآيات التي تشير إلى البرهان، نقول أن الإلهام والاصطفاء والتبشير والتأنيس والوعد والحكمة والعلم ، كلها لا يكون محلها إلا القلب فالرؤية هنا رؤية قلبية ، وهو استعمال آخر لهذا الفعل العجيب .
وبذلك يبطل كل ما أورده القصاص والوضاعون من أنواع الرؤى البصرية التي حاولوا بها أن يشوّهوا بها صورة يوسف ، وأنى لهم ذلك !!

الفائدة 263 : طهارة يوسف وعفته عليه السلام

لقد شهد الله في هذه الآية الكريمة " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين " بطهارة يوسف أربع مرات :

- أولها " لنصرف عنه السوء والفحشاء " أي تثبتاه على العفة أمام دوافع الفتنة والإغراء لنصرف عنه المنكر والفجور ، وهذه آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه همّ بالمعصية ، ولو كان كما زعموا لقال " لنصرفه عن السوء والفحشاء " فلما قال : " لنصرف عنه " ، دلّ على أنّ ذلك شيء خارج عن الإرادة ، فصرفه الله عنه بما منحه من موجبات العفة والعصمة ، واللام للتأكيد والمبالغة.²³⁰
- الثاني : قوله " والفحشاء " أي وكذلك لنصرف عنه الفحشاء ، والسوء هو خيانة السيد، والفحشاء المعصية وهي هنا الزنا .
- الثالث : قوله : " إنه من عبادنا " أي من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين ، مع أنه تعالى قال : " وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " فأضافه إلى نفسه، والعبودية أقصى درجات التكريم .
- الرابع : قوله " المخلصين " أي هو مخلص من جملة المخلصين ، أي هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذي قال فيهم " إنا أخلصناهم بخالصة الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار " .

وهذا من أدلّ الألفاظ على كونه منزهاً عما أضافوه إليه .²³¹

الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 548²³⁰
الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 206²³¹

الفائدة 264 : اتهام الأنبياء وتشويه صورتهم بدعة إسرائيلية يهودية

إن إصاق التهم الباطلة بيوسف عليه السلام ليس غريبا عن القصص الإسرائيلي ، فقد ذكرت التوراة المحرفة أن داود انتهك عرض زوجة أحد ضباطه بعد أن أعجب بها ، وأن سليمان كان داعرا مزوجا يقتني 700 زوجة و 300 خليفة ، وأن إبراهيم ترك زوجته الجميلة سارة في قصر فرعون يستمتع بها طيلة إقامته في مصر خوفا من فرعون وطمعا ، وأن ابنه إسحاق قد ترك زوجته في قصر أبيمالك ملك الأدوميين يستمتع بها هو الآخر ، وأن الملك عوّضه كما عوّض فرعون أباه بالغنم والبقر والحمير و العبيد .

وتواصل التوراة سخافاتنا فتزعم أن يعقوب قد سرق من أبيه صنما ذهبيا وأنه قد صارح الله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) فصرعه في مكان يدعى إسرائيل بالقرب من نابلس ولذلك سمي بإسرائيل .

وأن يعقوب قد تحايل على أخيه عيسو واشترى البكورية منه وهو جائع ، بقصعة من عدس ، وكذلك تحايل على أبيه فباركه أبوه ظنا منه أنه عيسو ، فنقم هذا عليه ، ثم رشاه يعقوب بما أحضره من مال وحيوان من خاله لابان ، فضمن سكوته عنه ورضاه .

ولو شئنا أن نعد المخازي والسخائم والجرائم التي ألصقها الأخبار في توراتهم بالأنبياء والرسل لضاق بنا المجال ، فمدونوا التوراة كان لهم ولع خاص بالحض على : سفك الدماء وهتك الأعراض واغتصاب الأموال...والعياذ بالله.²³²

الفائدة 265 : السوء والفحشاء ما هما ؟

الفرق بين السوء والفحشاء فيه وجوه :

- أن السوء جناية اليد والفحشاء هي الزنا
- السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء هي الزنا

الفائدة 266 : الإخلاص يؤدي إلى النجاة

إنّ من دخل الإيمان قلبه ، وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ، ما هو جزاء لإيمانه

داود عبد العفو سنقرط ، جذور الفكر اليهودي ، ص 68-72²³²

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وإخلاصه لقوله : " وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلّصين " على قراءة من قرأها بكسر اللام ، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه ، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه ، فلما أخلص عمله لله ، أخلصه الله ، وخلصه من السوء والفحشاء .²³³

الفائدة 267 : خمسة أسباب للنجاة من الفتن

1 - تقوى الله تعالى : أي حرص العبد على مخافة الله كفيل بأن يبعد عنه كل الشرور قال تعالى " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا " فإن تقوى يوسف كانت سببا لنجاته.

2 - الاستعاذة بالله والالتجاء إليه : وهو مستنبط من قوله " معاذ الله "

3 - المروءة وحسن الخلق : مستنبط من قوله " إنّه ربي أحسن مثواي "

4 - تذكر شؤم المعصية وعاقبتها " مأخوذ من قوله " إنه لا يفلح الظالمون "

5 - الإخلاص وهو منجى في الدنيا والآخرة " إنه من عبادنا المخلصين " ²³⁴

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تدلنا الآية على وجوب الفرار من محل الفتنة ، وتدلنا كذلك على اختصار القرآن المعجز ، كما تشير إلى العمل بالعادة والعرف وتعرفنا على معنى السيادة في سياقها

التاريخي ، لننتهي بالنظر إلى نفسية امرأة العزيز في هذا الموقف و نعرّج بعدها على مغبة التساهل في الاختلاط. لنصل إلى الحيل في كلام امرأة العزيز ، ونبيّن شيئاً من تاريخ السجن والعذاب ، لنختم بالحديث عن البيان في السورة فيما يتعلق بالنجاة ، وبنكت لغوية

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 284 ²³³
عبد الحليم توميّات ، قصة يوسف عليه السلام ، قرص سمعي ²³⁴

الفائدة 268 : الفرار من محلّ الفتنة

يستفاد من الآية أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه ، ليتمكن من التخلص من المعصية ، لأن يوسف عليه السلام – لما راودته التي هو في بيتها – فرّ هاربا بطلب الباب ليتخلص من شرّها .²³⁵ وقد أوجب بعض العلماء ترك المكان الذي يكون فيه أهل المعصية والفتنة ، كما استفادوه من حديث قاتل المائة نفس المشهور .*

الفائدة 269 : اختصار القرآن المعجز

لقد أبدع إيجاز الآية في جمع معاني كثيرة تحت جملة " استبقا الباب وقدت قميصه" وذلك أنه لما رأى برهان ربّه هرب منها فتعاديا (من العدو)، هي لترده لنفسها وهو ليهرب منها فأدركته قبل أن يخرج . وانظر كيف استعمل الاستباق : افتعال من السبق ، وهو هنا إشارة إلى تكلفهما السبق ، أي أن كل واحد منهما يحاول أن يكون هو السابق إلى الباب ، ثم كيف حذف حرف الجر ، فالأصل استبقا إلى الباب ، ليبين سرعة التنفيذ والابتدار إلى الباب . فقبضت في أعلى قميصه فتخرق القميص حتى نزل التخریق إلى أسفل القميص والقد هو الشق والقطع ، وأكثر ما يستعمل في الطول ، وكان القطع من الخلف لأنه كان موليا عنها معرضا ، فأمسكته منه لرده عن إعراضه .

الفائدة 270 : العمل بالعرف والعادة

في الآية دليل على القياس والاعتبار ، والعمل بالعرف والعادة ، لما ذكر من قدّ القميص مقبل ومدبرا ، وهذا أمر انفرد به المالكية في كتبهم ، وذلك أن القميص إذا جذب من خلف تمزق من تلك الجهة ، وإذا جذب من قدام تمزق من تلك الجهة ، وهذا هو الأغلب .²³⁶

ناصر السعدي ، المرجع السابق، ص 284²³⁵
* الحديث متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري . وراجع : أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، ج 2، ص 1387 وما بعدها
القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 171²³⁶

الفائدة 271 : السيادة وسياقها التاريخي

إن السيادة قد تكون بالنسب وقد تكون بالملك وقد تكون بالكرم وقد تكون بالشجاعة وقد تكون بالملك ، وقد تكون بغير ذلك من الأمور التي يكون بها الإنسان سيذا ، وقد يقال للزوج سيد بالنسبة لزوجته ، كما في قوله تعالى : " وألفيا سيدها لدى الباب" ²³⁷ وإطلاق السيد على الزوج قيل : إن القرآن حكى به عادة القبط حينئذ ، كانوا يدعون الزوج سيذا ، والظاهر أن ذلك لم يكن مستعملا في عادة العرب ، فالتعبير به هنا من دقائق التاريخ ، ولعل الزواج في مصر في ذلك العادة كان بطريق الملك غالبا . ²³⁸

الفائدة 272 : نفسية امرأة العزيز

تبين لنا الآيات أن امرأة العزيز كان يفترض منها أن تكون أمّا حنوناً وتعويضا ليوسف عليه السلام عمّا تعرض إليه من محن الحقد والحسد والبيع ، لكنها بدلا من ذلك راودته عن نفسه ، وهذه التجربة التي مرّ يوسف أو المحنة لم تكن فقط في مواجهة "المراودة" في هذا المشهد الذي يصوره السياق ، إنما كانت في حياة يوسف فترة المراهقة التي قضاها كلّها في جوّ هذا القصر مع هذه المرأة بين سن الثلاثين والأربعين ، في جو القصور وجو البيئة المترفة ، وهذه الدعوة السافرة الجاهرة الغليظة إلى فعل الفاحشة ، لا تكون أو ل دعوة من المرأة إنما هي تكون الدعوة الأخيرة. ²³⁹

وهو نهاية موقف طويل من الإغراء بعدما أبى يوسف في كل مرة واستعصم ، وقد حاولت امرأة العزيز أن تغالبه على نفسه الطاهرة النظيفة أن يمارس معها السوء والفحشاء ، ويقع في غضب الله ويغدو عبداً لشهواته ، وشهوات امرأة فاجرة ، لا ترعى حرمة زوجها ولا منزلها ، " وغلقت الأبواب " لتخلو به ، فلا يدخل عليهما أحد ، وقد تزيّنت له في أحسن زينتها ، وتهيات له لتوقعه في حبائلها ، " وقالت هيت لك " ، هاأنذا بين يديك ، وقد تهيات لك .

فهد بن ناصر السليمان ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين ، الجزء 3 ، ص 124 ²³⁷
الظاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 256 ²³⁸
سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 39 ²³⁹

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وهنا تبرز " المرأة" في حالة من أنكر حالاتها ، وهي دفعة من دفعات غريزتها " واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر " وهنا تدرك المرأة غريزتها أيضا ، فتجد الجواب حاضرا، إنها تتهم الفتى " ما جزء من أراد بأهلك سوءا" لأنها لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادّعت أن يوسف عليه السلام راودها عن نفسها ولكنها امرأة تعشق ، فهي تخشى عليه الردى ، فتشير بالعقاب المأمون " إلا أن يسجن أو عذاب أليم " ونكرت جزء كل من فعل ذلك على العموم، ولم تصرّح بذكر يوسف لدخوله في العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها. وذلك تبرينا لساحتها عند زوجها من الريبة ، والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يؤاتيتها خيفة منها ومن مكرها ، وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعا .

الفائدة 273 : الاختلاط والتساهل فيه يؤدي إلى المحاذير

إن كثيرا من الناس يتساهلون في إدخال أنواع من الرجال إلى بيوتهم بحيث يكون بين هؤلاء الرجال والنساء علاقة : من ذلك من يوصل الحاجيات إلى البيوت أو أصدقاء الرجال، أو غير ذلك من خادم وتابع، وكل صورة من هذه الصور نوع تعرض وتعريض للفتنة ، إلا إذا ضبطت هذه الأمور ضوابط الشرع .²⁴⁰

الفائدة 274: الحيل في قول امرأة العزيز

قال الرازي : في قول امرأة العزيز " قالت ما جزء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم " ضروب من الحيل :

- 1 - إيهام زوجها أن يوسف قد اعتدى عليها بما يسوءها ويسوءه
- 2- أنها لم تصرّح بجرمه حتى لا يشتد غضبه ويقسو في عقابه كأن يبيعه أو يقصيه عن الدار وذلك غير ما تريد
- 3 - أنها هدّدت يوسف وأندرتة بما يعلم منه أن أمره بيدها ليخضع لها ويطيعها

سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ص 2653²⁴⁰

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

4 - إنها قالت " إلا أن يسجن " والمراد منه أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخويف فحسب، أما الحبس الدائم فكان يقال فيه : (يجب أن يجعل من المسجونين) ألا ترى أن فرعون حين هدّد موسى قال : " لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين " .²⁴¹

الفائدة 275: بين الحب الصادق والحب الكاذب

لما اقترن شدة حبه بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه ، ولو خلاص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق على نفسها .

الفائدة 276 : عن السجن والعذاب

لقد رددت امرأة العزيز يوسف عليه السلام بين صنفين من العقاب : وهما السجن أو العذاب .

والسجن هو الحبس ، وكان الحبس عقاباً قديماً في ذلك العصر ، واستمر إلى زمن موسى عليه السلام فقد قال فرعون لموسى عليه السلام " لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين "

وأما العذاب فهو أنواع ، وهو عقاب أقدم في اصطلاح البشر ، ومنه الضرب والإيلام بالنار ويقطع الأعضاء ، وسيأتي ذكر السجن في هذه السورة مراراً .²⁴²

الفائدة 277 : السورة كشف وبيان للنجاة

ها هو يوسف عليه السلام وقد بلغ أشده، تراوده امرأة العزيز، وتغريه بارتكاب الفاحشة، والأمر يتطلب الإخفاء والستر (وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ)، ولما أبى يوسف عليه السلام النزول عند رغبتها، وكبر عندها ذلك، كان أول ما فعله سيدنا يوسف وكذلك امرأة العزيز هو الاتجاه إلى الأبواب المغلقة يوسف ليفتحها و امرأة العزيز لعدم تمكينه من ذلك، (وَأَلْفَيْهَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)

المراغي، تفسير المراغي، ص 132²⁴¹
الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 257²⁴²

فالباب الذي أغلق على أنه وسيلة من وسائل الإخفاء والستر، هو الآن أداة من أدوات الإظهار والكشف. ²⁴³

الفائدة 278 : نكت لغوية

- ❖ في قوله " واستبقا الباب" إن قيل كيف قال هنا " الباب" بالإفراد وقت قال بالجمع غلقت الأبواب؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار .
- ❖ في قوله " وقدت قميصه " القَدّ الشق والقطع ، وأكثر ما يستعمل في الطول ، والقط يستعمل في العرض .
- ❖ في قوله " وألفيا سيدها " الإلقاء وجدان شيء على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه فالأكثر أن يكون مفاجئا ، وقد حضر العزيز في غير أوانه . ولذلك لم يستعمل لفظ وجدا أو غيره من الألفاظ .

قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن
كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾
وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في هذه الآية نكتشف كيفية دفاع يوسف عن نفسه ، وحسن أدبه في ذلك ، كما نتعرف على أحوال الشاهد ولماذا كان من أهلها ، ثم نتعلم كيف يكون التحقيق في القضية ، ثم نتكلم عن القميص وسر الاستدلال به ، لنتمم بالأمارات الدالة على صدق يوسف عليه السلام ، ويكشف السورة عن البراءة ، ثم بنكت لغوية .

²⁴³ ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

الفائدة 279 : دفاع يوسف عن نفسه

لما أغرت امرأة العزيز بيوسف عليم السلام وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفاع عن نفسه فقال " هي راودتني عن نفسي" ولولا ذلك لكتّم عنها ، وقال العلماء : لما برأت نفسها ولم تكن صادقة في حبه - لأن من شأن المحب إثارة المحبوب - قال هي راودتني عن نفسي ، فنطق يوسف بالحق في مقابلة بهتها وكذبها عليه . كأنه لم يبين عن كشف القضية فلما نعت به غضب فقال الحق .²⁴⁴

الفائدة 280 : حسن أدب يوسف عليه السلام (الرجل الحصيف)

رغم دقة الموقف وصعوبته ، فإن يوسف عليه السلام لم يخاطب امرأة العزيز بقوله "أنت راودتني" بل قال " هي راودتني عن نفسي " ولا أشار إليها بقوله " هذه راودتني " وكل هذا على سبيل الأدب في الألفاظ والاستحياء في الخطاب ، فأبرز الاسم في ضمير الغائب تأدبا مع الوزير وحياء منه .²⁴⁵

وهذا يبين لنا جلجا أخلاق يوسف العالية ، فغير يوسف كانت تاله " اللخمة" ولكن يوسف الواعي يجيب صادقا وبأدب رفيع .

الفائدة 281 : أحوال الشاهد من هو ؟

في قوله تعالى " وشهد شاهد من أهلها " :
- قال بعض العلماء هو صبي في المهد وممن قال ذلك : ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير . وقد قال القرطبي : لو كان صبيا تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون أن يحتاج استدلال بالقميص ، وكان يكون ذلك خرق عادة ونوع معجزة .
- وعن مجاهد : أنه ليس بإنسي ولا جان ، وهو من خلق الله تعالى ، وهو مردود بقوله تعالى : " من أهلها " لأنه صريح في أنه إنسي من أهل المرأة .
- وعن زيد بن أسلم : أنه كان ابن عم لها كان حكيما .

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 172²⁴⁴
محمد الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ص 510²⁴⁵

والصحيح أن الشاهد رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشيره في أموره وكان من جملة أهل المرأة ، وهو قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي ورواية عن ابن عباس . أما حديث " تكلم أربعة وهم صغار... منهم صاحب يوسف " فلو صحّ ، يكون المعنى صغيرا ليس بشيخ ، والله أعلم .²⁴⁶

الفائدة 282 : دلائل أن الشاهد هو رجل حكيم

- من الأدلة على أن الشاهد كان رجلا حكيما ما يأتي :
- الأول : أنه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله إنها كاذبة كافيا وبرهانا قاطعا ، لأنه من البراهين القاطعة القاهرة.
- الثاني : أنه تعالى قال " وشهد شاهد من أهلها " وإنما قال من أهلها ليكون أولى بالقبول في حق المرأة ، ولو كان هذا القول صادرا عن الصبي الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة ولا يتفاوت الحال بين أن يكون من أهلها وبين أن لا يكون من أهلها وحينئذ لا يبقى لهذا القيد أثر .
- الثالث : أن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلا على من تقدمت له معرفة بالواقعة وإحاطة بها .²⁴⁷

الفائدة 283 : في من تكلم صغيرا

ورد حديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه «أن النبي p قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم. وصاحب جريج. وصبي كان يرضع من أمه فمر راكب حسن الهيئة فقالت: أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الصبي الثدي، وقال اللهم لا تجعلني مثله».²⁴⁸

والرابع الذي تكلم هو غلام الأخدود الذي ورد في الحديث الطويل الذي رواه مسلم (3005) أما من عداهم فلم تبلغ الآثار في ذلك درجة الصحة كما قال العلماء ، والله أعلم .

* حديث [لم يتكلم في المهد إلا أربعة: عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون] رواه الطبراني في الكبير ، وهو ضعيف ، أنظر (ضعيف الجامع / 2140)
²⁴⁶ القرطبي ، المرجع السابق ، ص 173- 174
فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، جزء 09 ص 99 بتصرف كبير ²⁴⁷
²⁴⁸ أخرجه أحمد (308/2 ، رقم 8058) ، والبخاري (1268/3 ، رقم 3253) ، ومسلم (1976/4) ، رقم (2550) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وقال جلال الدين السيوطي: وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر، ونظمتها فقلت:

ويحيى وعيسى والخليل ومريم	تكلم في المهد النبي محمد
وطفل لذي الأخدود وديرويه مسلم	ومبرى جريج ثم شاهد يوسف
يقال لها تزني ولا تتكلم	وطفل عليه مر بالأمة التي
وفي زمن الهادي المبارك يختم. ²⁴⁹	وماشطة في عهد فرعون طفلها

الفائدة 284 : لماذا كان الشاهد من أهلها ؟

قال ابن حيان الأندلسي : وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها ، وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة .
وجعل الله تعالى الشاهد من أهلها قيل: لكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وألزم لها، بأن كون شهادة القريب مطلقاً أقوى مما لا ينبغي أن يشك فيه.

الفائدة 285 : التحقيق في القضية كيف يكون ؟

إن القرائن يعمل بها عند الاشتباه ، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار ، فما يصلح للرجل فإنه للرجل ، وما يصلح للمرأة فهو لها ، هذا إن لم يكن بيّنة وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بيّنة .
والعمل بالقيافة ♦ في الأشباه والأثر من هذا الباب ، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قدّ القميص ، واستدل بقده من دبر على صدق يوسف وكذبها .
فعلى هذا إذا وجد المسروق في يد السارق ، خصوصاً إذا كان معروفاً بالسرقة ، فإنه يحكم عليه بالسرقة ، وهذا أبلغ من الشهادة ، وكذلك وجود الرجل يتقيأ الخمر، أو وجود

الألوسي ، روح المعاني ، جزء 21 ، ص 722²⁴⁹
♦ القيافة : هو الاعتماد على الأمارات المغلبة على الظن لا سيما في مسألة ثبوت النسب . وهي على ضربين : قيافة البشر وقيافة الأثر
فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الإنسان ، وأما قيافة الأثر فالاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف .
وربما يقوم مقامها الآن علم التشريح والبصمات والوراثة وتحليل ADN وغيرها
راجع : ابن قيم الجوزية ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ص 17 وما بعدها

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

المرأة التي لا زوج لها ولا سيد حاملا ، فإنه قام بذلك الحد ما لم يقم مانع منه ، ولهذا سمى الله هذا الحكم شاهدا فقال : " وشهد شاهد من أهلها " .²⁵⁰

فهذه الآيات المذكورة أصل في الحكم بالقرائن ، لأن ذكر الله لهذه القصة في معرض تسليم الاستدلال بتلك القرينة على براءة يوسف يدل على أن الحكم بمثل ذلك حق وصواب .

الفائدة 286 : للحق علامات تدل عليه

إن الله تعالى للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه ، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها فمن الله في هذه القصة بمعرفة الصدق منهما ، تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام ، فبعث شاهدا من أهل بيتها ، يشهد بقرينة من وجدت معه فهو الصادق .²⁵¹

الفائدة 287: لماذا الاستدلال بخرق القميص

لا شك أن الاستدلال بكيفية تمزيق القميص نشأ عن ذكر امرأة العزيز وقوع تمزيق القميص تحاول أن تجعله حجة على أنها أمسكته لتعاقبه ، ولولا ذلك ما خطر ببال الشاهد أن تمزيقا وقع ، وإلا فمن أين علم الشاهد تمزيق القميص .²⁵²

الفائدة 288 : دلالة قد القميص من قبل

وأما دلالة قده من قبل على صدقها فمن وجهين:

- أحدهما: أنه إذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسه قادت قميصه من قدام بالدفع.
- وثانيهما: أن يسرع إليها ليلحقها فيتعثر في مقام قميصه فيشقه .

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 284²⁵⁰

ناصر السعدي ، المرجع السابق ، ص 285²⁵¹

الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 257²⁵²

الفائدة 289: الأمارات الدالة على صدق يوسف عليه السلام

- أن يوسف كان مولى لامرأة العزيز، وفي مجرى العادة أن المولى لا يجبراً أن يتسلط على سيده وينشد إلى مثل هذا .
 - أنهم رأوا يوسف يعدو عدوا شديدا ليخرج ، ومن يطلب امرأة لا يخرج على هذا النحو
 - أنهم رأوا الزينة قد بدت على وجه المرأة، ولم يكن لها من أثر على وجه يوسف
 - أنهم لم يشاهدوا من أخلاق يوسف في تلك الحقبة الطويلة ما يؤيد مثل هذه التهمة أو يقوي الظن عليه بأنه هو الطالب لا الهارب²⁵³
 - أن المرأة ما نسبت يوسف إلى طلب الفاحشة على سبيل التصريح بل ذكرت كلاما مجملا مبهما، وأما يوسف عليه السلام فإنه صرّح بالأمر، ولو أنه كان متهما لما قدر على التصريح باللفظ الصريح ، فالخائن خائف.
 - إن زوج المرأة كان عاجزا وأثار طلب الشهوة في حق المرأة كانت متكاملة فإلحاق هذه الفتنة بها أولى.²⁵⁴
- ثم إنه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوي تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه بريء وأن المرأة هي المذنبة ، وهو قوله : " وشهد شاهد من أهلها " .

الفائدة 290 : السورة كشف وبيان للبراءة

وتسارع امرأة العزيز باتهام يوسف بأنه أراد بها الفاحشة، وأرادت بذلك ستر الحقيقة وتغييبها ، لكن وجود شاهد من أهلها واقتراحه أن يُنظر في القميص هل قدّم من قبل فتكون امرأة العزيز صادقة أم من دبر فتكون من الكاذبين ، هذا الشاهد كان أداة الكشف والإظهار التي أبانت براءة يوسف وعفته²⁵⁵.

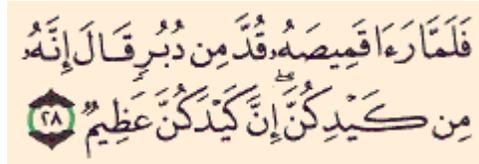
²⁵³ مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ص 134

فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، جزء 09 ص 100²⁵⁴

²⁵⁵ ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

الفائدة 291 : نكت لغوية

- ❖ الكناية : كنت عن نفسها بذلك ولم تقل بي بدل {بِأَهْلِكَ} كنى هو عليه السلام عنها بضمير الغيبة فقال: {هِيَ رَاوَدْتَنِي} ولم يخاطبها بأنت راودتيني، ولا أشار إليها بهذه راودتني
- ❖ {هِيَ رَاوَدْتَنِي} فإن {هي} ضمير باتفاق، وليس هو للغائب بل لمن بالحضرة، وكذا {إِحْدَاهُمَا يَأْتِي اسْتَجْرُهُ} (القصص: 26) وهذا في المتصل وذلك في المنفصل، وقول من يخاطب شخصاً في شأن آخر حاضر معه قلت له: اتق الله تعالى وأمرته بفعل الخير، وقد يقال: إنه نزل الضمير فيهن منزلة الغائب وكذا في عكس ذلك يبلغك عن شخص غائب شيء فنقول: ويحك يا فلان أتفعل كذا؟ تنزلاً له منزلة من بالحضرة، وحينئذ يقال: الحد المستفاد مما ذكر إنما هو للضمير باعتبار وضعه .
- ❖ وقال السراج البلقيني في رسالته المسماة (نشر العبير لطي الضمير) :
المفسر لضمير الغائب إما مصرح به ،أو مستغنى بحضور مدلوله حساً أو علماً ،
فالحس نحو قوله تعالى: {قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي} و {إِحْدَاهُمَا يَأْتِي اسْتَجْرُهُ} كما ذكره ابن مالك .



أوجه الاستدلال من الآية :

نتحقق في هذه الآية من معاني بعض المصطلحات مثل الرؤية والكيد، كما نتعرف على بعض من صفات النساء وخاصة نساء القصور ، ونتكلم عن كيد الشيطان وكيد النساء .

الفائدة 292 : من دلالات فعل رأى : رؤية التحقيق والتثبت

لازلنا مع فعل رأى العجيب ، فهنا الرؤية ليست مجرد نظرة عابرة أو خاطفة ، إنما يقصد بها رؤية التحقيق والتثبت . فقد استوثق العزيز من أن القميص قطع من الخلف ،

بعد أن دقق النظر بما لا يدع مجالاً للشك ، وذلك كما يفعل المحققون في مكان ارتكاب الجريمة .

الفائدة 293 : الكيد ما هو ؟

الكيد لم يضبط تحديد معناه في كتب اللغة، وظاهره أنه يرادف المكر والحيلة. وقال الشعراوي : احتيال مستور لمن لا تقوى على مواجهته . ومن ثم فالكيد لا يصدر إلا من ضعيف . وقد قال الشاعر : وضعيفة فإذا أصابت فرصة قتلت كذلك فرصة الضعفاء

وقال الراغب الأصفهاني : ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر. وهو يقتضي أن الكيد أخص من الاحتيال وما ذلك إلا لأنه غلب استعماله في الاحتيال على تحصيل ما لو اطلع عليه المكيد لاحترز منه، فهو احتيال فيه مضرة ما على المفعول به .

فمراد الراغب الأصفهاني بالمذموم ، المذموم عند المكيد لا في نفس الأمر. وقال ابن كمال باشا : الكيد الأخذ على خفاء ولا يعتبر فيه إظهار الكائد خلاف ما يبطنه. ويتحصل من هذه التوقيعات: أن الكيد أخص من الحيلة ومن الاستدراج.²⁵⁶

الفائدة 294 : بيان براءة يوسف على لسان الشاهد من طرف خفي

قال بعضهم في قوله " إن كان قميصه قدّ من دبر " الآية : وهذا تكذيب لها وتصديق له عليه السلام على أطف وجه، كأنه قال: أنتِ التي راودتني فلم يفعل ، وفّر فاجتدبتيه فشقت قميصه فهو الصادق في إسناد المرادة إليك ، وأنت الكاذبة في نسبة السوء إليه . ولذلك جعل براءة يوسف آخر كلامه ، لأن المعلوم أن الكلام ينسب بعضه بعضاً ، وأن ما يقوله المتكلم آخر ، يكون أعلق في القلب واللّب.

الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 1681²⁵⁶

الفائدة 295: هل الخطاب خاص بامرأة العزيز أم عام للنساء ؟

الخطاب في قوله : " إن كيدكن عظيم " هنا عام للنساء مطلقاً ، وليس مختصاً بامرأة العزيز ، وتعميم الخطاب للتنبية على أن الكيد خلق لهن عريق :
ولا تحسب هنأاً لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

الفائدة 296: كيد ربات القصور أعظم تاريخياً

قال الألويسي : ولربيات (أي المتصرفات) القصور من النساء القدر المعلى من الكيد ، لأنهن أكثر تفرغاً من غيرهن مع كثرة اختلاف الكيادات إليهن فهنّ جوامع كوامل * .
وتقوم مقامهن الآن نساء الطبقة الأرستقراطية ، أو ما يسمى سيدات المجتمع .
الفائدة 297 : النساء من مطايا الشيطان إن انحرفن

ولعظم كيد النساء اتخذهن إبليس عليه اللعنة وسائل لإغواء من صعب عليه إغواؤه ، ففي الخبر «ما أيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء» . وعن أسامة بن زيد عن النبي ρ قال : (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ)²⁵⁷
وقصة برصيص الراهب خير شاهد على هذا الأمر .²⁵⁸

* والتاريخ حافل بذكر أخبار كيد نساء القصور ، ودورهن في شؤون الحكم ، لا سيما الإماء منهن .
²⁵⁷ أخرجه أحمد (210/5 ، رقم 21878) ، والحميدى (249/1 ، رقم 546) ، وابن أبي شيبة (467/7 ، رقم 37282) ، والبخارى (1959/5 ، رقم 4808) ، ومسلم (2097/4 ، رقم 2740) ، والترمذى (103/5 رقم 2780) وقال : حسن صحيح . والنسائي (400/5 ، رقم 9270) ، وابن ماجه (1325/2) ، رقم 3998) ، وابن حبان (308/13 ، رقم 5969) ، والطبرانى (169/1 ، رقم 415) ، وابن قانع (10/1) .
²⁵⁸ راجع ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص38- 40 . وملخص القصة أن الشيطان لم يجد إلا المرأة حتى يغوي بها عابداً من بني إسرائيل ، فنجح في ذلك بعد مدة طويلة ، ولم يتركه حتى كفر بالله تعالى والعياذ بالله .

الفائدة 298 : بين كيد النساء و كيد الشيطان

استعظم العزيز كيد النساء ، لأنه وإن كان في الرجال ، إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك لين ورفق وبذلك يغلبن الرجال .
ومنه قوله تعالى : " ومن شر النفاثات في العقد "
وقال الشنقيطي : إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لهذه الآية .
وعن بعض العلماء قال : أخاف من النساء أكثر من الشيطان لأن الله تعالى يقول : " إِنَّ كيد الشيطان كان ضعيفا " وقال للنساء : " إِنَّ كيدكن عظيم " .

قال الإمام أحمد المرزوقي الشافعي المعلق على الزمخشري : وفيما قاله هذا العالم نظر ، لأن الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي ، وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنه ، فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ، ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه .

أيضا فإن كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة إليه ، ألا ترى أول الآية : " الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا " .

وأيضا فإن الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده والله أعلم²⁵⁹

وقال الحفناوي : (الكيد) هذا فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة ، لا عظيم على الإطلاق إذ الرجال أعظم منهن في الحيل والمكايد في غير ما يتعلق بالشهوة .

²⁵⁹ الزمخشري ، الكشاف ، ج 02 ، ص 252 التعليق في الحاشية .

يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ
إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نستشف من الآية نفسية العزيز في هذا الموضع ، ونوسع تحليلنا إلى نفسية الطبقة الحاكمة آنذاك والتي يمثلها العزيز ، كما نجلّي معاني الاستغفار والخطأ والغيرة الواردة في الآية ، ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 299 : نفسية العزيز

يبدو من موقف العزيز أنّه كان ليّنا سهلا لدرجة أنّه لم تثر غيرته ، بل اكتفى بأن طالب يوسف عليه السلام بكتمان الأمر ، ومن زوجته بالاستغفار لذنبها ، أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه ، ولم يحدث شيء .
و لا نتوقع ممن يعيشون في الترف ولا دين لهم حاجزا إلا مثل هذه المواقف بل أسوأ منها الديانة ، وما يجري في عصرنا لا يحتاج معه هذا الكلام .

الفائدة 300: صلاح الزوجة متعلق بصلاح الزوج

إن الزوج إذا كان ذا صلاح وتقوى فإن زوجته تتبعه في ذلك على العموم ، أما إذا كان غارقا في المعصية أو متهاونا ومتكاسلا فإن ذلك يؤثر على زوجته لا محالة ، لأنه يفترض من الزوج أن يكون هو القدوة ، فإذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت الرقص

الفائدة 301 : سنن الله الكونية في الدول

إذا لا حظنا هذا الموقف الذي وقفه العزيز من زوجته ، مع افتراض أنه هكسوسي ، فهذا يدعونا إلى افتراض أن النفسية الحاكمة وقتذاك قد داخلها من الترف والفساد ، ما

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أفقدتها خصائصها الأصيلة ، وهذا لا يكون إلا إذا كان الترف والفساد قد استمر أكثر من جيل ، وهذا يدعونا إلى أن نستأنس في أن مجيء يوسف كان - تقريبا - في أواسط حكم الهكسوس لمصر إذ يكون هذا الترف والفساد بدأ ينخر النظام حتى سقط في النهاية بعد حوالي قرنين ونيف من مجيء يوسف وبني إسرائيل إلى مصر .²⁶⁰

الفائدة 302 : الاستغفار

الاستغفار هو طلب المغفرة ، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها . وقد كثر ذكر الاستغفار في القرآن ، فتارة يؤمر به ، وتارة يمدح أهله ، وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره .

وكثيرا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان . والتوبة عبارة الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح .

وحكم الاستغفار كحكم الدعاء ، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه ، لاسيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة .

قال قتادة : إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فأما دوائكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار .²⁶¹

ومعلوم أن الاستغفار الذي طلبه العزيز من زوجه في الآية ليس من الله عز وجل ، لأنهم كانوا مجتمعا وثنيا ، أو ربما كان فيهم بقية من ألفاظ ديانة سماوية غير أنه طالها التحريف والشرك فلم يحفظوا منها إلا الأسماء . ♦

الفائدة 303: الخطأ

في قوله : " من الخاطئين " أي من جملة القوم المتعمدين للذنب، أو من جنسهم يقال: خطئى يخطئ خطأ، إذا أذنب متعمداً. وأخطأ إذا أذنب من غير تعمد.

وذكر الراغب أن الخطأ العدول عن الجهة وهو أضرب:

- الأول: أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله، وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان

²⁶⁰ سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ص 2653

²⁶¹ أحمد فريد ، دقائق الأخبار ، ص 51 - 52

♦ سنعود إلى الدين في مصر في فوائد أخرى باكثر تفصيل

- والثاني أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل، ومن ذلك قوله ρ: «و إذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد»²⁶².

- الثالث: أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطئ في الإرادة مصيب في الفعل، ولا يخفى أن المعنى الذي ذكرناه راجع إلى الضرب الأول من هذه الضروب.

الفائدة 304 : عن الغيرة

عن جابر بن عتيك: أن النبي ρ كان يقول: "من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغضه الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة"²⁶³. قال عياض: الغيرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص. وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. وقيل الغيرة في الأصل الحمية والأنفة، وهو تفسير "يلازم التغير" فيرجع إلى الغضب.

وهذا التعريف يفيد أن الغيرة المحمودة المشروعة من جانب الرجل؛ هي ما كانت بسبب مشاركة الرجال الأجانب له فيما به اختصاصه من زوجه، وعلى ذلك ليست رؤية الأجانب لوجهها وكفيها، أو محادثتها بالمعروف (مما لا تتفك عنه الحياة الاجتماعية) مما به اختصاص الزوج²⁶⁴.

وقال ابن القيم رحمة الله عليه: "الغيرة خلق حميد، وخلة جميلة، وصفة جليلة وهي سمة عباد الله الصالحين وجنده المفلحين، الغيرة سياج منيع لحماية المجتمع من التردّي في مهاوي الرذيلة والفاحشة والتبرج والسفور والاختلاط المحرم، الغيرة قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر، الغيرة مظهر من مظاهر الرجولة الحقة، وهي مؤشر على قوة الإيمان ورسوخه في القلب، نعم.. إن أشرف الناس وأعلامهم قدرا وهممة، أشدهم غيرة على نفسه وخاصة وأهله، ومن حُرِم الغيرة حُرِم طهر الحياة، ومن حُرِم طهر

²⁶² أخرجه أحمد (198/4، رقم 17809)، والبخاري (2676/6، رقم 6919)، ومسلم (1342/3، رقم 1716)، وأبو داود (299/3، رقم 3574)، والترمذي (615/3، رقم 1326) وقال: حسن غريب. والنسائي (223/8، رقم 5381)، وابن ماجه (766/2، رقم 2314)، وابن حبان (445/11، رقم 5060)، والبيهقي (119/10، رقم 20155). وهو في صحيح الجامع 493.

²⁶³ أخرجه أحمد (446/5، رقم 23803)، وأبو داود (50/3، رقم 2659)، والنسائي (78/5، رقم 2558)، وابن حبان (530/1، رقم 295)، والبخاري (456/1، رقم 496)، وابن قانع (140/1)، والطبراني (189/2، رقم 1772)، والبيهقي (156/9، رقم 18259). وأخرجه أيضا: ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (158/4، رقم 2142) وهو في صحيح أبي داود 2659.

²⁶⁴ عبد الحلیم أبو شقة، "تحرير المرأة في عصر الرسالة" (بجث على شبكة الانترنت)

الحياة فهو أحط من البهيمة الأنعام ، ورحم الله ابن القيم يوم قال " إذا رحلت الغيرة من القلب ترحلت المحبة بل ترحل الدين كله."²⁶⁵

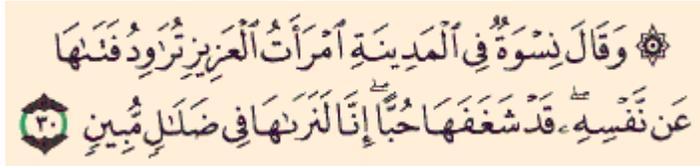
الفائدة 305 : نكت لغوية

❖ في قوله " يوسف أعرض عن هذا " حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب وفيه تقريب له وتلطيف لمحلله .

وهو من الإيجاز ويسمى " التضمين " وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم، ومنه التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو : يوسف أعرض
266 .

❖ الالتفات وهو نقل الكلام من حالة إلى أخرى ، ومن بديعه قوله تعالى " يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك " خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت إلى زليخا . قال المرزوقي في شرح الحماسة : والعرب تجمع في الخطاب والإخبار بين عدة ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعا، وأخصهم بالحال .²⁶⁷

❖ التغليب في قوله : " إنك كنت من الخاطئين " وإنما قال الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث .



أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرف في هذه الآية على مكر النسوة المتنوع ، وكذا على ماهية الفضائح ، كما نخوض في أحوال القلب وشغافه ونتكلم عن الحب ومراتبه ، ونتعرف على دلالة أخرى من دلالات فعل رأى ، لنفسر معنى الضلال المبين هنا ونختم بفائدة لغوية .

ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 78²⁶⁵
266 السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، الجزء 2 ، ص 74
267 ابن قيم الجوزية ، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، ص 145

الفائدة 306 : مكر النسوة ذو وجوه

- إن كلام النسوة متضمن لوجوه من المكر :
- أحدها : قولهن : " امرأة العزيز تراود فتاها " ولم يسموها ، بل ذكروها بالوصف الذي ينادى عليها بتقبيح فعلها بكونها ذات بعل ، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها .
 - الثاني : أن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها
 - الثالث : أن الذي تراوده مملوك لا حر ، وذلك أبلغ في القبح
 - الرابع : أنه فتاها الذي هو في بيتها وتحت كنفها فحكمه حكم أهل البيت بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد
 - الخامس : أنها هي المرادة
 - السادس : أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ حتى وصل حبها إلى شغاف قلبها
 - السابع : أن في ضمن هذا أنه أعف منها وأبر وهو الممتنع عفافا وكرما وحياء ، وهذا غاية الذم لها
 - الثامن : أنهن أتين بفعل المرادة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالا واستقبالا وأن هذا من شأنها ولم يقلن : راودت فتاها .
 - وفرق بين قولك : فلان أضاف ضيفا ، وفلان يقري الضيف ويطعم الطعام ويحمل الكل ، فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته .
 - التاسع : قولهن " إنا لنراها في ضلال مبين " أي إنا لنستبج منها ذلك غاية الاستبجاح ، فنسبنا الاستبجاح إليها ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضا على الهوى ولا يكدن يرين ذلك قبيحا ، كما يساعد الرجال بعضهم بعضا على ذلك ، فحيث استبجن منها ذلك ، كان هذا دليلا على أنه من أقبح الأمور ، وأنه مما لا ينبغي أن نساعدنا عليه ولا يحسن معاونتها عليه .
 - العاشر : أنهن جمعن في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط ، فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها .
 - أما العشق المفرط في قولهن " قد شغفها حبا " أي وصل حبه إلى شغاف قلبها .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وأما الطلب المفرط فقولهن: " تراود فتاها " والمرادة : الطلب مرة بعد مرة ، فنسبوا إلى شدة العشق ، وشدة الحرص على الفاحشة .²⁶⁸

الفائدة 307 : لماذا قال نسوة في المدينة ؟

قوله في المدينة صفة لنسوة، والمقصود من ذكر هذه الصفة أنهن كنّ متفرقات في ديار المدينة ، فنقل الخبر في بيوت المتصلين ببيت العزيز .
والمدينة مظنة للاحتيال والمكر وسوء الظن ، خلافا لسكان البادية الذين يغلب على طبعم الطيبة والحفاظ على الفطرة.

الفائدة 308 : الفضائح مما لا يمكن كتمانها

لقد علمنا سابقا كيف أن العزيز خشي الفضيحة وطلب من يوسف التكتم على الأمر ومن امرأته الاستغفار ، ولكن رغم كل هذا الاحتياط فإن الخبر شاع وذاع في المدينة، وطرق ذلك كثيرة ، وقد روي أن امرأة العزيز باحت بالسر لبعض خلائها فأفشينه كأنها أرادت التشاور معهن، أو أرادت الارتياح بالحديث إليهن .
غير أننا نتصور أن تسرب الخبر كان عن طريق الإيحاء والعبيد وخدم القصر وهو الغالب، والتاريخ حافل بأسرار خطيرة تسربت إلى العدو أو إلى العامة عن طريق حاشية الملوك والرؤساء ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بفضائح تمس بالشرف والعرض، فذلك أدعى للتلقي حتى لو كان الأمر مجرد إشاعة .♦

الفائدة 309 : من هي النسوة ؟

²⁶⁸ ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، جمع محمد أويس الندوي، ص 314 – 315
♦ يذكر محمد حسنين هيكل أنه ضمن حلقة دراسية أقامتها جامعة كولومبيا في نيويورك ، أن الخبر إذا توفرت فيه مجموعة أشياء : "شيء من الدين ، و شيء من الملوكية ، و شيء من الجنس ، و شيء من الغموض و شيء من الجريمة" كان وقعه خطيراً على الناس، فامرأة العزيز زوجة وزير(ملوكية) تراود فتاها(جنس) في غرفتها (غموض) ويكتشف أمرها (جريمة) فهي فضيحة أخلاقية (دين)
محمد حسنين هيكل ، آفاق الثمانينات ، ص 59 .

والأرجح أنهم كنَّ خمس نسوة وهن : امرأة ساقى العزيز وامرأة خبازه وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة حاجبه .
ومن ثم فإنهن يمثلن الطبقة الراقية في المجتمع المصري آنذاك .

الفائدة 310 : شَغَاف القلب

وصفت النسوة حالة امرأة العزيز بقولهن " قد شغفها حبا" أي غلبها حبه . قال أبو عبيدة : شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه ، وقيل هو وسط القلب .
وعلى هذا يكون المعنى دخل حبه إلى شغافها فغلب عليه . قال الجوهري : شغفه الحب أحرق قلبه وقال أبو زيد : أمرضه ،
وقال النحاس : معناه عند أكثر أهل اللّغة قد ذهب بها كل مذهب ، لأن شغاف الجبال أعاليها . وقد شغف بذلك شغفا إذا ولع به .
قال الكلبي : حجب حبه قلبها حتى صارت لا تتعقل شيئا سواه .
وقال السمين : والمعنى خرق حجابيه وأصابه فأحرقه بحرارة الحب .
وعن ابن عباس : شغفها غلبها أو قتلها حب يوسف أو قد علقها .²⁶⁹
والمعنى أنه وصل حبه إلى سويداء قلبها ، وبالجمله فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم .

الفائدة 311 : الحب وأحواله

الحب هو ميل قلبي نحو شخص ورغبة في البقاء معه والسكن إليه ، وقد يكون هذا الميل معتدلا محتملا هادئا يسمح بضبط المشاعر ، وإعمال العقل والسيطرة في النهاية على النفس . وقد يكون هذا الميل جارفا ثائرا تتفلت معه التصرفات ويتوقف معه العقل وتتطلق معه الغرائز وتكون العواقب وخيمة وهنا يسمى عشقا ، كحال امرأة العزيز .²⁷⁰
وَالْمَحَبَّةُ إِزَادَةُ مَا تَرَاهُ أَوْ تَتَّطُّهُ خَيْرًا وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: مَحَبَّةٌ لِلذَّةِ كَمَحَبَّةِ الرَّجُلِ الْمَرْأَةَ وَمِنْهُ: {وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا} وَمَحَبَّةٌ لِلنَّفْعِ كَمَحَبَّةِ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ. وَمِنْهُ:

²⁶⁹ صديق خان ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، الجزء 6 ، ص 321 - 322

²⁷⁰ كريمان حمزة ، رفقا بالقوارير ، ص 111

{وَأُخْرَى تَحْبُونَهَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ} وَمَحَبَّةً لِّلْفَضْلِ كَمَحَبَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِّأَجْلِ الْعِلْمِ . وَرُبَّمَا فَسَّرَتِ الْمَحَبَّةُ بِالْإِزَادَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ سَطْرِهِمْ أُعْجُوبًا} وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ أْبْلَغُ مِنَ الْإِزَادَةِ كَمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا فَكُلُّ مَحَبَّةٍ إِزَادَةٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ إِزَادَةٍ مَحَبَّةً .²⁷¹

قال الجاحظ : العشق اسم لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود .
وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر .

الفائدة 312 : مراتب الحب

وفي كتاب أسرار البلاغة في فصل ترتيب الحب :

- أن أول مراتب الحب الهوى
- ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب .
- ثم الكلف وهو شدة الحب .
- ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار المسمى بالحب .
- ثم الشغف بالمهملة وهو احتراق القلب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج .
- ثم الشغف بالمعجمة وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب .
- ثم الجوى وهو الهوى الباطن .
- ثم التيم هو أن يستعبده الحب .
- ثم التبل وهو أن يسقمه الحب .
- ثم التذلة وهو ذهاب العقل من الحب .
- ثم الهيام وهو أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه

الفائدة 313 : من دلائل فعل "رأى" : الرؤية العلمية

جاء استعمال فعل " رأى " في قوله تعالى : " إنا لنراها " هذه المرة للتعبير عن نوع آخر من الرؤية ، وهي الرؤية العلمية واستعمالها بمعنى العلم حقيقة كاستعمالها للإبصار ، والمعنى أنهم لم يرينها على حال العشق ذاك ، لكن الأخبار الواردة إليهن كانت أبلغ في

الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، ص 105²⁷¹

إفادة كونها فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة ضالة عن الأعراف والتقاليد الموروثة

وإنما لم يقلن: إنها لفي ضلال مبين إشعاراً كما قيل: بأن ذلك الحكم غير صادر منهن مجازفة، بل عن علم ورأي، مع التلويح بأنهن متنزهات عن أمثال ما هي عليه .

الفائدة 314: الضلال المبين في المحبة

وصفت النسوة امرأة العزيز بالضلال المبين ، أي بالاستغراق في المحبة حتى ضلّ عنها ما دون محبوبها .وعلامه دخول المحبة أربعة أشياء :
الاستيحاش ، والإيناس، وذكر الحبيب مع الأنفاس ، وحضوره مع الحواضر والوسواس .
ومنه قوله تعالى : " ووجدك ضالاً فهدى " أي وجدك ضالاً في محبته ، فهداك إلى حضرى مشاهدته ومقام قربه.²⁷²

الفائدة 315: نكتة لغوية

- لم يقل " وقالت نسوة " في ذلك وجهان :
- الأول : أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة ، وتأنيثه غير حقيقي ، فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث
 - الثاني : قال الواحدي تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علامة التأنيث على قياس إسقاط علامة التثنية والجمع

محمد بن عجيبة الحسيني ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد²⁷²

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ
وَحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّارَأَتْهُنَّ أَكْبَرَتْهُنَّ وَقَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرف في هذه الآية على رد فعل امرأة العزيز المتمثل في المكر الفعلي وما أتبعه من نتائج حاسمة ، كما نتعرف على مجالس كبراء قوم مصر ونقارنها بأداب الأكل في ديننا الحنيف، لنعرِّج على عجائب كلمة المتكأ، ونصحح مفهوم دهشة النسوة وننقيه من شوائب الإسرائيليات، كما أن في الآية فرصة أخرى للكلام عن جمال يوسف عليه السلام، وعن سر تشبيهه بالملائكة لنربط بالحديث عن صفات الملائكة ووظائفها وأثر الإيمان بها ، لنختتم بالإشارة إلى مكانة الدين في المجتمعات وبنكت لغوية فريدة في الآية.

الفائدة 316 : حيلة امرأة العزيز (أو بين المكر القولي والفعلي)

لما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة ، قابلته بمكر أكبر منه وأبلغ فهيات لهن متكأ (مجلسا) ثم أرسلت إليهن فجمعتهن وخبأت يوسف عليه السلام عنهن .
وقيل : إنها جملته وألبسته أحسن ما تقدر عليه وأخرجته عليهن فجأة ، فلم يرعهن إلا وأحسن خلق الله وأجمله قد طلع عليهن بعتة ، فراعهن ذلك المنظر البهي وفي أيديهن مدى يقطعن بها ما يأكلن ، فدهشن حتى قطعن أيديهن وهن لا يشعرن . فقابلت امرأة العزيز مكرهن القولي بهذا المكر الفعلي ، وكانت هذه النساء غاية في المكر ²⁷³.

الفائدة 317: معركة امرأة العزيز الفاصلة مع النسوة

- لقد علمت امرأة العزيز أنها ستخوض معركة فاصلة مع النسوة فأعدت العدة :
- تحديد الوقت المناسب : وجهت للنسوة دعوة في موعد يناسبها

²⁷³ ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، ص 315

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- اختيار الميدان : هو المجلس الذي تتكئ فيه النسوة
- إعداد الوسائل : السكاكين التي ستصبح أسلحة تعمل ضدهن
- عنصر المفاجأة : خروج يوسف عليهن وهنّ منشغلات بتقطيع افاكهة

الفائدة 318 : عجائب كلمة المتكأ

في قوله تعالى " متكئا" تصوير لنوع من الطعام الذي إنما يقدم تفكها ، وتبسطا وتجميلا للمجلس، وتوفيرا لأسباب المتعة فيه ، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والاتكاء ، والكلمة بعد هذا من الألفاظ الكثيرة التي أبدع القرآن صياغتها ، فتعلق العرب فيما بعد، ولولا ذلك لما اهتموا إليها ، ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون .

أنظر حينما يصف القرآن دعوة امرأة العزيز للنسوة اللائى تحدثن منتقدات عن مرادتها ليوسف عن نفسه إلى جلسة لطيفة رائعة في بيتها ، لتطلعهن فيها على يوسف وجماله ، فيعذرنها فيما أقدمت عليه ، لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاما ولا شك ، ولقد أوضح القرآن هذا ، ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام ، فهذه الكلمة إنما تصور شهوة الجوع ، وتنتقل بالفكر إلى " المطبخ" بكل ما فيه من ألوان الطعام وروائحه و أسبابه. ²⁷⁴

الفائدة 319 : مجالس الكبراء

يدلنا هذا المجلس على أن مصر كانت على جانب من المدنية والرفاهية ، فقد كانت مجالس الكبراء فيها يأكل أهلها في الصحاف ويستخدمون السكاكين .
كما أن هذا المجلس يحتوي على الأرائك الفخمة والنمارق ، ويدل عليه لفظ المتكأ، لأن من سببه إعداد ما يتكئن عليه من نمارق، وفي هذا المتكأ يكون مجلس الطعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ، ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وقيل في هذا الطعام أنه الأترج ، وقيل غير ذلك من الفاكهة ، والذي يهم أنّها كانت وليمة فخمة تدل على الأبهة ، وختمت بأكل الفاكهة والاتكاء ، زيادة في الترف .

²⁷⁴ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ص 512

الفائدة 320 : من آداب الأكل

وروى غير واحد أن المتكأ هو مجلس الطعام، لأنهم كانوا يتكئون له كعادة المترفين المتكبرين، ولذلك نهى عنه، فقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ρ قال : " لا أكل متكئا " 275

الفائدة 321 : دهشة النسوة كيف كانت ؟

لقد عبّر القرآن عن دهشة النسوة بثلاثة أحوال : " أكبرنه " و " قطعن أيديهن " و " قلن حاش لله ما هذا بشرا " . فهي دهشة ، أتبعها قول ففعل .
وكان الإكبار هو الإعظام والإجلال لأنهن دهشن وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق

وإنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة ، وأثار الخضوع والاحتشام ، وشاهدن منها مهابة النبوة ، وهيئة الملكية وهي عدم الالتفات إلى المطعم والمنكوح ، وعدم الاعتداد بهن ، وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبين من تلك الحالة ، فلا جرم أكبرنه وغظمنه ، ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن .
وتقطيع الأيدي هو جرحها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أو خدشتها والمعنى أنهن ما وجدن ألما في القطع والجرح، وذلك لشغل قلوبهن بيوسف ، والتقطيع يشير إلى الكثرة ، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى واحدة جرحت يدها في مواضع ، ويمكن أن يرجع إلى عددن .

الفائدة 322 : من الإسرائيليات فاحذرها : دهشة النسوة المبالغ فيها

وهنا نشير إلى الروايات المبالغ فيها والتي يخلو للقصاص ترديدتها زيادة في التشويق والتهويل زعموا !

275 : أخرجه الترمذى (273/4 ، رقم 1830) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (140/5) ، رقم 24521 ، والنسائي فى الكبرى (171/4 ، رقم 6742) ، وابن حبان (44/12 ، رقم 5240) ، والطبرانى فى الأوسط (84/7 ، رقم 6924) ، والبيهقى (49/7 ، رقم 13103) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فمن ذلك ، تفسيرهم للإكبار بالحیض تارة ، وبالمني تارة أخرى ، ويحاولون في ذلك تطويع اللغة لصالحهم ، رغم أن أساطين اللغة أنكروا ذلك. فقال أبو عبيدة وغيره عن تفسير الإكبار بالحیض : ليس ذلك من كلام العرب ، وقال الزجاج : يقال أكبرنه ولا يقال حضنه ، فليس الإكبار بمعنى الحیض .

بل لقد ورد عن وهب بن منبه (وكثيرا ما يورد الإسرائيليات) : عشقنه حتى مات منهن عشرة في ذلك المجلس دهشا وحيرة ووجدا على يوسف . وهو ما لا يحتاج معه إلى تعليق أو تعقيب .

أما تقطيع الأيدي، فقد وردت روايات تفيد بأنهن قطعن أناملهن أي أصابعهن كلها وأعجب منها أنها قطعن أيديهن كلها حتى ألقينها* ، وهذا كله مما لا ينبغي الالتفات إليه أو الاعتداد به ، ولكننا نورد ذلك التزاما منّا بالمنهج الذي ارتأيناه وهو تطهير هذه القصة القرآنية الرائعة من كثير من الشوائب التي علفت بها من الإسرائيليات وكلام القصص والروايات الملفقة والكاذبة ، والتي تحيد بها من قصة نبي وتجعلها أقرب إلى روايات ألف ليلة وليلة .

الفائدة 323 : جمال يوسف في الظاهر والباطن

تدلنا الآية على ما كان عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن ، فإن جماله الظاهر أوجب للمرأة وهو في بيتها ما أوجب ، وللنساء اللاتي جمعتن حين أمّنها على ذلك أن قطعن أيديهن وقلن " ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم " ، وذلك لما شاهدن من الجمال العبقري ، ولأنه قد برز في صورة قد لبست من الحسن البديع ما لم يعهد على أحد من البشر ولا أبصر المبصرون ما يقاربه في جميع النسمة البشرية . وقد جاء في حديث الإسراء " فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن " (رواه مسلم) .²⁷⁶

قال السهيلي وغيره من الأئمة : معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام لأن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، فكان في غاية نهايات الحسن البشري ،

* قال ابن عطية : قال القاضي أبو محمد فظاهر هذه أنه بانّت الأيدي وذلك ضعيف من معناه ، وذلك أن قطع العظم لا يكون إلا بشدة ومحال أن يسهو أحد عنها . والقطع على المفصل لا يتهدأ إلا بتلطّف . والذي يشبه أنهم حملن على أيديهن الحمل الذي كن يحملنه قبل المتك فكان ذلك حزا وهذا قول الجماعة (ابن عطية ، المحرر الوجيز ، جزء 3 ص 239)
²⁷⁶ صديق خان ، فتح البيان ، جزء 6 ص 327

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ، ويوسف كان على النصف من حسن آدم ولم يكن بينهما أحسن منهما ، كما أنه لم تكن أنثى بعد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل - عليه السلام- ولهذا لما قام عذر امرأة العزيز في محبتها لهذا المعنى المذكور، وجرى لهن وعليهن من تقطيع أيديهن بجراح السكاكين وما ركبهن من المهابة والدهشة عند رؤيته ومعانيته .²⁷⁷

وأما جماله الباطن فهو العفة العظيمة عن المعصية مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها وشهادة امرأة العزيز والنسوة بعد ذلك ببراءته ، ولهذا قالت امرأة العزيز : " ولقد راودته عن نفسه فاستعصم " وقالت بعد ذلك " الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين " وقالت النسوة " حاش لله ما علمنا عليه من سوء " .²⁷⁸

الفائدة 324 : ما هي الملائكة ؟

الملائكة جمع ملك وهو مشتق من كلمة "الألوكة" التي هي الرسالة .
والملائكة خلق عظيم وعددهم كثير لا يأتي عليه العد ولا يحصيه من دون الله أحد ، خلقهم الله من النور وطبعهم على الخير ، فهم لا يعرفون الشر ولا يأمرون به ولا يأتونه ولا يفعلونه فلذا هم لربهم مطيعون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يسأمون من عبادة الله ولا هم عنها يتكبرون .
والإيمان بهم يعتبر الركن الثاني من أركان الإيمان .
والملائكة يتفاضلون في القرب من الله تعالى وعلو المنزلة كالبشر أو أكبر تقاضا فمنهم المقربون ومنهم حملة العرش وأفضلهم جبريل وميكائيل واسرافيل .²⁷⁹

الفائدة 325 : من وظائف الملائكة

- وظائف الملائكة كثيرة ومتعددة فمنها :
- أولها وأعظمها عبادة الله بالتسبيح له دون كلل أو ملل
 - من وظائفهم حمل الوحي إلى الأنبياء والرسل

²⁷⁷ ابن كثير ، صحيح قصص الأنبياء ، ص 203

²⁷⁸ ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 284

²⁷⁹ محمد قطب ، ركائز الإيمان ، ص 179

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- من وظائفهم مع التسبيح والعبادة الاستغفار للمؤمنين عند الله
- ومنها تسجيل أعمال البشر وحفظها
- ومنها قبض الأرواح حين ينقضي أجلها
- ومنها النفخ في الصور بأمر الله تعالى
- ومنها الترحيب في الجنة بالمؤمنين الذين فازوا برضوان الله
- ومنها القيام بأعمال يأمرهم الله بها : كالصافات والزاجرات والتاليات ،والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات ، والمرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات، والملقيات ذكرا ، والنازعات والناشطات والسابحات والسابقات .
- وقد توكل أعمال خاصة بملائكة معينين ، فجبريل خصه الله بأشرف وظيفة وهي السفارة بينه وبين رسله عليهم السلام ، وصحّ أنه رافق النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج . وميكائيل وظيفته المطر والنبات ، واسرافيل النفخ في الصور .
- وملك الموت قبض الأرواح وأعوان ملك الموت صنفان : ملائكة رحمة وملائكة عذاب.²⁸⁰

الفائدة 326: أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

ومن أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان :

- 1- يزيد من استشعار القلب لعظمة القدرة الإلهية في خلق ملائكة من نور
- 2- يزيد من إيمان الإنسان بالوحي المنزل من عند الله لأن الوحي تحمله الملائكة
- 3- يزيد من رغبة الإنسان في التقرب إلى الله بالعبادة والعمل الصالح تشبها بهم
- 4- يملأ قلب الإنسان أنسا بهذا الكون إذ يعلم أنه معمور بتلك الأرواح النورية وأنها تنزل على المؤمنين بالسكينة والطمأنينة
- 5- الإقبال على عمل الحسنات والبعد عن عمل السيئات حين يستشعر الإنسان وجود الملكين الذين يسجلان أعماله
- 6- الانتباه إلى أن هذه الحياة الدنيا فانية، حين يذكر ملك الموت ومن ثمّ فلا تستحق هذه الحياة أن يشغل بها الإنسان عن الآخرة
- 7- تشوق الإنسان إلى الجنة حين يتذكر الإنسان ترحيب الملائكة بالمؤمنين في الجنة وتعذيبهم للكفار في النار²⁸¹

²⁸⁰ أبو بكر جابر الجزائري ، عقيدة المؤمن ، ص 160- 164

الفائدة 327 : مفاضلة بين الملائكة والبشر

إنه ليلزم من قول النسوة " إن هذا إلا ملك كريم " أن الملائكة صورهم أحسن من صور بني آدم ، فإنهن لم يقلنه لدليل ، بل حكمن على الغيب بمجرد الاعتقاد المرتكز في طباعهن وذلك ممنوع ، فإن الله سبحانه يقول : " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " وظاهر هذا أنه لم يكن شيء مثله من أنواع المخلوقات في حسن تقويمه وكمال صورته (فما قاله صاحب الكشاف في هذا المقام من جملة تعصباته لما رسخ في عقله من أقوال المعتزلة) .²⁸²

وتحقيق القول في ذلك ما ذكره ابن تيمية من أن صالحى البشر أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلى ، وحيّاهم الرحمان وخصّهم بمزيد قربه وتجلّى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عمّا يلبسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر .

قال ابن قيم : وبهذا التفضيل يتبين سر التفضيل ، وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه ، والله أعلم بالصواب .²⁸³

الفائدة 328 : نتائج معركة امرأة العزيز مع النسوة (الانتصار)

كان هذا التخطيط المحكم من امرأة العزيز لمعركتها سببا في انتصارها والذي تجلّى في:

- الانهزام المعنوي : تمثل في الإكبار وهو شدة الذهول والدهشة
- الخسائر المادية : تمثلت في تقطيع الأيدي
- الاستسلام : التصريح بجمال يوسف و إقرار امرأة العزيز على فعلها

محمد قطب ، ركائز الإيمان ، ص 183 281

282 صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6 ص 327

عمر سليمان الأشقر ، عالم الملائكة الأبرار ، ص 89 283

الفائدة 329 : الدين ضرورة لقيام المجتمع

في قول النسوة " إن هذا إلا ملك كريم " دليل آخر على وجود بقايا دين سماوي في المجتمع المصري رغم أنه كان وثنيا ، إذ احتفظوا ببعض الأسماء دون المسميات ، كما مر بنا عند قول العزيز " استغفري لذنبك " .

وهكذا حين يطال التحريف والتبديل دين الله ، فإنه مع مرور الوقت لا يفرق بين الحق والباطل فيه ، وهو ما كان عليه العرب حين بعث إليهم النبي ρ فقد كانت فيهم بقايا الإبراهيمية لكنهم شوهوها وأدخلوا عليها الوثنية ، ولذلك حفظ الله الإسلام بأن يبعث إليه على رأس كل مائة سنة من يجدد أمره .

الفائدة 330: السورة كشف وبيان للكيد

ولما شاع الخبر بين الناس ، ووصل إلى امرأة العزيز أن نسوة في المدينة يتحدثن عنها ويلمنها على مراودتها فتاها ، أرادت أن تكيد لهن وتطلعهن على حُسن يوسف وجماله حتى لا يلمنها ، لكنها لم تجلس يوسف في مكان ما ثم تحضر النسوة ليرينه ، وإنما اختارت أن تخفيه عن نواظرهن ثم تظهره وتبينه لهن ، فأخفت يوسف عليه السلام

(وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) وهذه إبانة بعد إخفاء . و بها بينت امرأة العزيز للنسوة ما كان خافياً عليهن من سبب مراودة يوسف عن نفسه .²⁸⁴

الفائدة 331 : نكت لغوية

❖ في قوله " ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم " فنان متداخلان :
□ الأول : ظاهر وهو التشبيه البليغ، فقد شبهن يوسف بالملك من دون ذكر أداة التشبيه فقد ركب تعالى في الطباع أن لا شيء أحسن من الملك ، وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف إبراهيم من الملائكة ، كما ركب في الطباع أن لا شيء أقيح من الشيطان وكذلك

ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز في البياني في سورة يوسف ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن 284

قوله في صفة جهنم " طلعتها كأنه رؤوس الشياطين " فكذلك قد تقرر أن لاشيء أحسن من الملك ، فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهته بالملك .

□ الثاني : فن لا يبدو للناظر للوهلة الأولى ، وهو فن عرفوه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليخرج كلامه مخرج المدح ، أو ليدل - كما هنا - على شدة الوله في الحب ، وقد يقصد به الذم أو التعجب أو التوبيخ أو التقرير ، ويسمى هذا الفن **تجاهل العارف** . وهو على قسمين : موجب ومنفي .

والآية التي نحن بصددنا هي من القسم المنفي ، فقد تجاوز التشبيه كما قلنا تشبيه العرب كل من راعه حسنه من البشر بالجن إلى تشبيه يوسف حين كان حسنه بادي الروعة متجاوزا في اثتلاقه ووسامته المألوف المعهود من روائع الحسن ، وله مع روعته البادية نور وطلاقة وتهلل وعليه مسحة من سكينه ، وإيماءة بالخير ، واستهواء لما فيه راحة النفس ولذتها ، فكان كذلك تشبيهه بالملك الكريم .

وقد قال السكاكي " لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده كثيرا في كلام الله تعالى " ثم أطلق عليه تسمية أخرى وهي " سوق المعلوم مساق غيره لنكتة " .
ومن ذلك قول المتنبّي :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

فقد أراد تشبيه الوجه بالشمس ، ولكن هذا التشبيه شائع ، يكاد لشيوعه يسف إلى حضيض الابتذال فأراد صيانتَه بأن قدّم له النفي متجاهلا فقال :

لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ، ولكنها لوقاحتها تطلع عليك .²⁸⁵

❖ الفصل والوصل بمواضع العطف والاستئناف

قال بعضهم : حد البلاغة معرفة الفصل والوصل ، وهو من أعظم أركان البلاغة .
" إن هذا إلا ملك كريم " فيحتمل أن يكون تأكيدا لقوله " ما هذا بشرا " ، إذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات إنما هو ملك ، ولأن الناس إذا شهدوا في الإنسان من الخلق الحسن والخلق الجميل ما يعجبون منه قالوا ما هذا بشرا ، لأن غرضهم بأن يقولوا أنه ملك ، فلما كان ذلك مفهوما قبل التصريح به ، كان التصريح به تأكيدا ، ويحتمل أن يكون صفة له ، فإن إخراجَه عن جنس البشرية يتضمن دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملك على

²⁸⁵ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، 514

الخصوص ، فإن القسمة غير مقصودة في النوعين ، فجعله ملكا تعيين لذلك النوع ، وتمييز له عن غيره.²⁸⁶

❖ في قوله تعالى " ما هذا بشرا " قال الخليل وسيبويه "ما" بمنزلة ليس ، نقول ليس زيد قائما ، و" ما هذا بشرا " وما هن أمهاتهم " . وحكى الكسائي أنها لغة نجد وتهامة .
وقولهن " حاش لله " تبرئة ليوسف عما رمته به امرأة العزيز من المراودة ، أي بعد يوسف عن هذا ، والمعنى : أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة .
وقيل المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة لفرط جماله ، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظنا منهن أن صورة الملك أحسن .²⁸⁷

قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لَمُنْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ
وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نقتبس من الآية نمودجا من تبرير المعاصي والجهر السافر بها الذي هو سبب للعقوبة ، ومن ثم نردف بالحديث عن الاستعصام ، ثم نبين أن التهديد والوعيد سبيل الضعفاء ، ونعطف بالكلام عن الدسائس والمؤامرات في القصور ، ونحلل نفسية امرأة العزيز في هذا الموضوع بالحديث عن سر انتقامها وعن استثمارها في الانتصار على النسوة ، لنختم بنكت لغوية .

الفائدة 332 : من تلبس إبليس تبرير المعاصي

بعد أن أطبقت امرأة العزيز حيلتها ومكيدتها على النسوة اللاتي دعتهن إلى مجلسها ، طفقت تبرر مراودتها إياه . فقد أرتهن جماله الفاتن الذي جعلهن يخدشن أيديهن بالسكين دون شعور منهن ، لما أصابهن من ذهول وإعجاب .

²⁸⁶ ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، ص 258
²⁸⁷ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 176

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فكان ذلك الموقف منهن تشجيعا لها على تبرير ما فعلته أمامهن ، فالأمر لم يعد مجرد إشاعة أو همس وكلام جلسات خاصة ، بل أشارت إلى يوسف عليه السلام بقولها "فذلكن" لتمييزه .

وهي في كل ذلك تحاول أن تقنع نفسها بأن ما فعلته لم يكن منه بد ، وذلك أن دأب الشيطان في تزيين المعصية وجعلها هيئة على العبد ، حتى يسهل عليه ارتكابها وهو متيقن أنه في ذلك معذور . وهذا من مداخل الشيطان الكثيرة ، كما مر بنا في طيات هذه السورة .

الفائدة 333 : الجهر بالمعصية من مسببات العقوبة

ورد في حديث رسول الله ﷺ " كل أمتي معافى إلا المجاهرين " أخرجه البخاري (2254/5 ، رقم 5721) ، ومسلم (2291/4 ، رقم 2990) . فالله تعالى قد يتجاوز عن العبد الخطايا ولكن بشرط التوبة والإقرار بالذنب والعزم على عدم العود. ♦
لكن المجاهر بالمعصية قد هتك الستر الذي بينه وبين الله ، لذلك فإن الله لا يستره ويفضحه في الدنيا والآخرة.

فقد عاودت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام بمحضر النسوة هذه المرة ، وهتكت جلباب الحياء ، وإنما فعلت هذا حين لم تخش لوما ولا مقالا ، خلاف أول أمرها إذ كان ذلك بينه وبينها .

وسيفتضح أمرها أمام الملأ حينما ستشهد على نفسها بحضور الملك وحاشيته والنسوة كما سيمر بنا لاحقا ♦♦ ، وهل الجزاء إلا من جنس العمل .

الفائدة 334 : صفة الملكية تقتضي الامتناع عن يوسف فكيف صارت عذرا؟

فإن قيل إذا كان يوسف عليه السلام في نظر النساء في مقام الملائكة ، كيف تصير هذه الحالة عذرا لها في قوة العشق وإفراط المحبة ؟

♦ راجع الفائدة المتعلقة بالتوبة وشروطها
♦♦ في قوله تعالى " الآن ححصص الحق ، أنا راودته عن نفسه "

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الجواب : قد تقرر أن الممنوع متبوع ، فكأنها قالت لهن : مع هذا الخلق العجيب وهذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة ، فحسنه يوجب الحب الشديد وسيرته الملكية توجب اليأس عن الوصول إليه ، فلهذا السبب وقعت في المحبة ، والحسرة والأرق والقلق . والله أعلم.²⁸⁸

الفائدة 335 : الاستعصام ما هو ؟

الاستعصام مبالغة في عصم النفس ، فالسين والتاء للمبالغة ، مثل : استمسك واستجمع الرأي واستجاب .
فالمعنى أنه امتنع امتناع معصوم ، أي جاعلا المرادة خطيئة عصم نفسه منها .
فالاستعصام يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها . ونحوه استمسك واستوسع الفتق ، واستجمع الرأي واستفحل الخطب .
وهذا بيان جلّي على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسّر أولئك الفريق من القصاص ورواة الإسرائيليات همّ والبرهان .²⁸⁹

الفائدة 336 : التهديد والوعيد حجة وسبيل الضعفاء

في قولها " ليسجننّ وليكوناً من الصاغرين" إيماء إلى أنها ستشدد العقوبة على يوسف عليه السلام أكثر مما توعدت به أولاً ، فهناك أنذرته على أخف صورة وأقلها وعذاب بأهون أنواعه وألطفها . كحبس في حجرة الدار أو لطمه على خديه ، تزييل منها الاحمرار ، وهنا أنذرته بسجن ذو نل وصغار ، تأباه الأنفس الكريمة كنفس يوسف عليه السلام ، فأشق الأعمال أهون على كرام الناس من الهوان والصغار .²⁹⁰
ولم تزل مصممة على مرادته تصريحاً بفرط حبها إياه ، وتعالياً بعظمتها ، وأن لا يعصي أمرها ، فأكدت حصول سجنه بنوني التوكيد ، وقد قالت ذلك بمسمع منه إرهاباً له

فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، جزء 09 ص 102²⁸⁸
²⁸⁹النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ص 220
²⁹⁰المراعي ، تفسير المراعي ، ص 141

الفائدة 337 : شدة الحب قد تقضي إلى شدة الانتقام (أو إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده)

هددت امرأة العزيز يوسف عليه السلام بأن تجعله من **مِن الصَّغِيرِينَ** ، فيكون مع السُّرَّاق والسُّفَّاك والأباق ، كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق .
فلا يهناً بالطعام والشراب والنوم هنالك ، كما منعني هنا كل ذلك .ومن لم يرض بمثلي في الحرير على السرير أميراً حصل في الحصر على الحصر حسيراً .

الفائدة 338 : القصور وكر للدسائس والمؤامرات

في هذا التهديد من ثقها بسلطانها على زوجها مع علمه بأمرها واستعظامه لكيدها ما كان من حقه أن يجعل يوسف يخاف من تنفيذ إرادتها ويتيقن لديه عدم غيرته عليها كما هو الحال لدى كثير من العظماء المترفين العاجزين عن إحسان أزواجهن والمحرومين من نعمة الأولاد منهن .

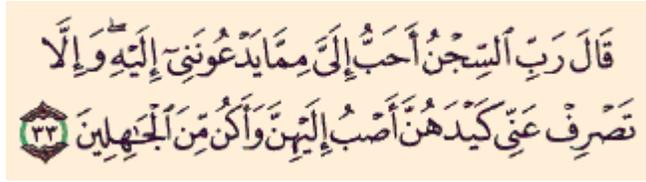
وهكذا فإن مجرد غضب امرأة العزيز وعدم مطاوعة يوسف لها يجعل من السهل عليها سجنه أو تعذيبه ، دون محاكمة عادلة أو تقص للحقائق ، لما لها من التأثير على زوجها ، والتاريخ حافل بأشخاص ظلموا بالسجن أو التعذيب أو حتى القتل لا لشيء إلا لأنهم لم يطيعوا سادات القصور وكبرائه .

الفائدة 339 : الاستثمار في انتصار امرأة العزيز بعد نهاية المعركة

- حاولت امرأة العزيز أن تستثمر في انتصارها على الحاضرات بما يأتي :
- الاستهتار والتهمك بالمنهزم : " فذلكن الذي لمتنني فيه "
 - فرض منطوق القوي والإصرار عليه " ولقد راودته عن نفسه فاستعصم "
 - فرض العقوبات في حال عدم الانصياع " ولئن لم يفعل ما يؤمر لسيجننَّ وليكوناً من الصاغرين "
- فهل سيتمكن حق القوة من الانتصار على قوة الحق ؟

الفائدة 340 : نكت لغوية

- قوله " فذلكن " ولم تقل " هذا" وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن ، واستحقاق أن يحب ويفتنن به ، كقوله تعالى " ذلك الكتاب " فالإشارة بذلك إلى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى.
- قوله " ليسجننّ وليكوناً " قال الخليل بن أحمد : أن التوكيد بنون الثقيلة أشد من التوكيد بالخفيفة ، يدل عليه " ليسجننّ وليكوناً" فإن امرأة العزيز كانت أشد حرصا على سجنه من كينونته صاغرا.
- قوله " من الصاغرين " : إن تركيب " من الصاغرين " أقوى في معنى الوصف بالصغار من أن يقال : وليكوناً صاغرا ، كقوله تعالى : " قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " وقوله : " وكونوا من الصادقين " .²⁹¹



أوجه الاستدلال من الآية :

نصل في الآية إلى المحنة السادسة في قصة يوسف والمتمثلة في مراودة النسوة له ، كما نتعرف على سر اختيار يوسف عليه السلام للسجن في دعائه . وتؤكد الآية على ضرورة الالتجاء لله تعالى في كل الأحوال والتواضع له وقطع العون إلا به ، ونتعرف أيضا على آداب الدعاء وهديه ، ونجيب على جملة من الأسئلة منها لماذا عُبِّرَ بالجمع في الآية وما هي الصبوة، ونختم بالتعرف على آداب الأنبياء في الدعاء وبمقارنة جانب الخلوة بين سيرة النبيين الكريمين يوسف عليه السلام وحبينا محمد p .

²⁹¹ الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 264

الفائدة 341 : المحنة السادسة : مراودة النسوة

إن فتنة الإغراء الجنسي لم تتوقف ، بل ازدادت سعيرا ، ولم تقتصر على امرأة العزيز ومحاولاتها وتهديداتها ومكرها ، بل تعدت إلى غيرها ، وتوسعت دائرتها حتى شملت نساء الأكابر والأمراء وعلية القوم ، فقد أعجب به جميعا ، وفتن برجلته وجماله ، ولم يمنعهن الحياء من التصريح بذلك واعذار امرأة العزيز على مراودته بل أخذن يطاردنه ويتمنين الالتقاء به .²⁹²

الفائدة 342 : اختيار العقوبة أولى من المعصية

إن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية ، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين : إما فعل معصية وإما عقوبة دنيوية ، أن يختار العقوبة الدنيوية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة ، ولهذا من علامات الإيمان أن يكره العبد أن يعود في الكفر ، بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار .²⁹³ و أن المسلم إذا خُير بين المعصية و بين الصبر على الشدة . يصبر على الشدة و يُؤثر أن يطيع الله ولو رموه بسوء (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)

الفائدة 343: لماذا كان السجن أحب إلى يوسف ؟

لقد فاضل يوسف بين السجن والصبوة إلى النساء ففضل لديه السجن على ما فيه من عذاب لأن :

- السجن عذاب بدني والوقوع في الزنا عذاب نفسي، الأول موقوت ، والثاني ندم يلح على نفسه ما بقي فيه نفس
- هو في السجن مظلوم ، أما عند ارتكابه الزنا فيعتبر ظالما، فلا ذنب له ليحسن إلا دفاعه عن الفضيلة ، أما جريمة الزنا فقد خان فيها ربّه الذي أحسن مثواه

²⁹² محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاءات والمحن في الدعوات، ص 146

²⁹³ ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 284

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- السجن قد يكون مجالاً لتذكر الله ودعائه سبحانه أن ينجيه ، أما المضاجعة غير الشريفة فتأمل غير شريف ولهو عن ذكر الله
- هو في السجن سيد نفسه ، وفي الثانية عبد شهواته ونسائه
- سيخرج من السجن كما هو إن لم تقو في نفسه الفضائل ، أما في الثانية فسيخرج تافها يجري وراء ملذاته جاهلاً لا يرقى إلى رفعة²⁹⁴

الفائدة 344 : الإنسان بغير عون الله ضعيف

واستعانة يوسف بالله في قوله : (وَالْأَلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) تعبر عن ضعف الإنسان ، و يوسف يعلمنا هنا أنّ الإنسان بدون توفيق من الله ضعيف ، وأن المقاومة يمكن أن تتهار في أي وقت. فأى واحدٍ يتعرّض لحرام فالمفروض أن يلجأ إلى الله بالدعاء أن يُخَلِّصَه من هذا وأن يصرف عنه الشرّ و الفحشاء .

الفائدة 345 : اللجوء إلى الله في كل الأحوال

إنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية ، ويتبرأ من حوله وقوته لقول يوسف عليه السلام : " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين " .

الفائدة 346 : التواضع لله وتعليق الأسباب به سبحانه

قال أبو السعود : وهذا فزع منه عليه السلام والتجاء إلى أطاف الله ، جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل ، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم مبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة ، كقول المستغيث : أدركني وإلا هلكت ، لا أنه يطلب الإلجاء إلى العصمة والعفة ، وفي نفسه داعية تدعوه إلى هوان .²⁹⁵

أحمد ماهر الباقوري، يوسف في القرآن ، ص 31- 32²⁹⁴
²⁹⁵ صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6 ص 330

الفائدة 347 : النساء أعظم فتنة على الرجال

من قصة يوسف عليه السلام نعرف أن أفضح فتنة يمكن أن تمر بإنسان هي فتنة الجمال ، ومن ثم نلاحظ أن يوسف استقبل الإلقاء في البئر بصبر ، واستقبل العبودية بصبر ، واستقبل التهديد بالسجن بصبر، ولكنه شكاه هذه الشكوى الحارة عندما تعرض لفتنة الجمال قال : " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين " وقال قبل ذلك " رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه " .

فتنة الجمال هي الفتنة التي تعصف برأس الحكيم ، لذلك قال ρ : " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء " * .²⁹⁶

الفائدة 348 : من آداب الدعاء وهديه

لقد أمر الله سبحانه وتعالى الناس أن يدعوه ويضرعوا إليه ، ووعدهم أن يستجيب لهم ويحقق لهم سؤالهم .

فقد روى أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير أن رسول الله ρ قال : " إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ " أدعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم صاغرين " (غافر/60).²⁹⁷

وللدعاء آداب ينبغي مراعاتها ونذكر منها :

1 - تحري الحلال في المأكل والملبس . ففي مسند أحمد وصحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ρ " يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني

* متفق عليه ، أخرجه أحمد (210/5 ، رقم 21878) ، والحميدى (249/1 ، رقم 546) ، وابن أبي شيبة (467/7 ، رقم 37282) ، والبخارى (1959/5 ، رقم 4808) ، ومسلم (2097/4 ، رقم 2740) ، والترمذى (103/5 رقم 2780) وقال : حسن صحيح . والنسائي (400/5 ، رقم 9270) ، وابن ماجه (1325/2) ، رقم 3998) ، وابن حبان (308/13 ، رقم 5969) ، والطبرانى (169/1 ، رقم 415) ، وابن قانع (10/1) .

²⁹⁶ سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ص 2653

²⁹⁷ أخرجه أحمد (271/4 ، رقم 18415) ، وابن أبي شيبة (21/6 ، رقم 29167) ، والبخارى في الأدب المفرد (249/1 ، رقم 714) ، وأبو داود (76/2 ، رقم 1479) ، والترمذى (211/5 ، رقم 2969) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (450/6 ، رقم 11464) ، وابن ماجه (1258/2 ، رقم 3828) ، وابن حبان (172/3 ، رقم 890) ، والحاكم (667/1 ، رقم 1802) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى في شعب الإيمان (37/2 ، رقم 1105) . وأخرجه أيضا : الطبرانى في الصغير (208/2 ، رقم 1041) ، والقضاعي (51/1 ، رقم 29) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

بما تعملون عليهم " (المؤمنون 51) وقال " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم " (البقرة 172) .

2 - استقبال القبلة إن أمكن .

3 - ملاحظة الأوقات الفاضلة والحالات الشريفة : كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، والثالث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، ونزول الغيث ، وبين الأذان والإقامة ، والتقاء الجيوش ، وعند الوجل ورقة القلب .

4 - رفع اليدين والمنكبين

5 - أن يبدأ بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ويصلي على النبي ﷺ

6 - حضور القلب وإظهار الفاقة والضراعة إلى الله جل شأنه وخفض الصوت بين المخافتة والجهر

7 - الدعاء بغير إثم أو قطيعة رحم

8 - عدم استبطاء الإجابة

9 - الدعاء مع الجزم بالإجابة

10 - اختيار جوامع الكلم ، فقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك

11 - تجنب الدعاء على نفسه وأهله وماله

12 - تكرار الدعاء ثلاثاً

13 - إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه ، لحديث أبي بن كعب قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه (رواه الترمذي بإسناد صحيح)²⁹⁸

الفائدة 349 : الأولى أن يسأل العبد العافية

قال بعضهم : لو لم يقل يوسف عليه السلام " ربّ السجن أحب إليّ " لم يبتل به ، فالأولى أن يسأل الله العافية ، ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر .
وقال ابن عطاء : ما أراد عليه السلام بطلب ذلك إلا الخلاص من الزنا ولعله لو ترك الاختيار لعصم من غير امتحان كما عصم في وقت المراودة .

سيد سابق ، فقه السنة ، ص 433 إلى 437 298

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وكان عبد الله بن المبارك يدعو بقوله : " اللهم جنبني النار ثم ضعني حيث شئت". فقال العلماء الأولى أن يدعو أن يدخله الله الجنة ويجنبه النار.²⁹⁹

الفائدة 350 : لماذا عبّر يوسف بالجمع عن المراودة ؟

لقد أسند يوسف عليه السلام الدعوة إلى الفاحشة إلى جميع النسوة ، وفي ذلك قولان : الأول أن النسوة رغبته في مطاوعة امرأة العزيز وخوفنه من مخالفتها ، فكنّ بمرتبته المرادات . والثاني أنهنّ جميعا دعونه إلى أنفسهن أو لأنه كان بحضرتهن . وفي كلا الحالتين فإنهن ساهمن بقسط وافر في التأثير عليه للاستجابة لرغبة امرأة العزيز ، وهو ما زاد في حدّة الابتلاء وشدته ، مما جعل يوسف عليه السلام يلجأ إلى الله تعالى بكل قوته .

الفائدة 351: من أنواع الترغيب والترهيب للفاحشة

- أن زليخة كانت كان في يدها زمام الأمور ، وكانت الأمرة الناهية
 - أنها كانت ذات مال وثروة وكانت على عزم أن تبذل الكل ليوسف بشرط أن يساعدها على مطلوبها
 - أن النسوة اجتمعن عليه وكل واحدة منهن كانت ترغبه وتخوفه بطريق آخر ، ومكر النساء في هذا الباب شديد
 - أنه عليه السلام كان خائفا من شرها وإقدامها على قتله وإهلاكه.
- فاجتمع في حق يوسف جميع جهات الترغيب على موافقتها وجميع جهات التخويف على مخالفتها ، فخاف عليه السلام أن تؤثر هذه الأسباب القوية الكثيرة فيه.³⁰⁰

²⁹⁹ صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6 ، ص 329
فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، جزء 09 ص 105 بتصرف³⁰⁰

الفائدة 352 : ما هي الصبوة ؟

إن الصبوة والصبأ من أسماء المحبة . قال صاحب الصحاح : و الصبا من الشوق . يقال منه : تصابا وصبأ ، ويصبُو صبوة وصبوًا ، أي مال إلى الجهل . وأصل الكلمة من الميل ، يقال : صبا إلى كذا ، أي مال إليه ، وسميت الصبوة بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصبية . لذا قال يوسف عليه السلام : "وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين " . وقد ذكرت سورة يوسف ثلاث مراتب من مراتب المحبة وهي : الشغف والحب والصبوة .

الفائدة 353 : من أخلاق الأنبياء التلطف في الدعاء

إنما ذكر الله تعالى الاستجابة ولم يتقدم صريح الدعاء من يوسف عليه السلام ، لأن قوله : " و إلا تصرف عني كيدهن " فيه معنى طلب الصرف والدعاء بلطف ، وهو من أخلاق يوسف عليه السلام ، الذي استحيا حتى في دعائه ، وذلك دأب الأنبياء من قبله ، ألا ترى أيوب عليه السلام لم يذكر حاجته : " وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " (الأنبياء/83)، وكذا يونس بقوله : " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " (الأنبياء/87) .

الفائدة 354 : الخُلوَة بين سيرة يوسف عليه السلام وسيرة النبي ρ

السجن مقام الأئس والخلوة ، والمناجاة والمشاهدات والمواصلات . وقد قيل أن يوسف عليه السلام أوتي النبوة في السجن في خلوته ، كما أوتيها النبي ρ في خلوة غار حراء .

فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية لطائف تتعلق بالدعاء وسرعة الاستجابة من الله تعالى لدعاء أنبيائه ،
وصرف الكيد عنهم، ولنا حديث عن العقل والعلم ، وعن صفتي السمع والعلم والتخلق بهما
، لنختم بنكتة لغوية .

الفائدة 355 : الاستجابة من الله لطف بعباده

قوله : " فاستجاب له ربه " لما قال يوسف : " وإلا تصرف عني كيدهن " كان ذلك منه
تعرضا للدعاء ، وكأنه قال : اللهم اصرف عني كيدهن . فالاستجابة من الله تعالى بهذا
الاعتبار ، لأنه لم يتقدم دعاء صريح منه عليه السلام ، وفي إسناده الاستجابة إلى الرب
مضافا إليه عليه السلام ، ما لا يخفى من إظهار اللطف .

الفائدة 356 : سرعة إجابة الله تعالى لدعاء الأنبياء والصالحين

لقد عطف الله تعالى جملة " فاستجاب " بفاء التعقيب إشارة إلى أن الله عز وجل عجل
إجابة دعاء يوسف الذي تضمنه قوله " وإلا تصرف عني كيدهن " .
واستجابة مبالغة في أجاب . كما تقدم في قوله " فاستعصم " .
وهكذا سنة الله مع أنبيائه، في إجابة دعواتهم على جناح السرعة لإخلاصهم التام. كما أن في
الآثار قصص عديدة لإجابة دعاء الصالحين .

الفائدة 357 : ما هو صرف الكيد ؟

وهذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوس النسوة من استجابته لهن بعد هذه التجربة،
أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتى لا يحس في نفسه أثرا منه ، أو بهما جميعا.

الفائدة 358 : العلم والعقل يدعوان إلى الخير

إن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر ، وإن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس ، وإن كان معصية ضارا لصاحبه .³⁰¹

الفائدة 359: صفة السمع

السمع صفة زائدة على صفة العلم ، ورد بها الكتاب والسنة والإجماع .
وحقيقتها صفة ينكشف بها المسموعات ، بل جميع الموجودات ، لا يعزب عن سمعه مسموع ، وإن خفي ، ولا يحجب سمعه بُعد ، يسمع من غير أصمخة وآذان وصفاته تعالى محجوبة عن الأفهام ، كذاته المقدسة ، والعجز عن الإدراك إدراك .
ومن عرف أن الله سميع ، راقبه في الحركات والسكنات، واستحيا منه في الكلمات والخطرات .
وإذا علم العبد أن مولاه يسمع ما يقال ، اكتفى بسمعه ، عن انتقامه وانتصاره لنفسه ، فإن نصره الحق سبحانه له أتم .

الفائدة 360: التخلق بالسمع

التخلق بالسمع أن تكون سميعا لما تؤمر ، فتتقرب إلى الله حتى يكون سمعك كما في الحديث القدسي ، وهي علامة الولاية الكبرى .³⁰²

الفائدة 361: صرف الله الكيد عن يوسف من تمام صرف السوء والفحشاء عنه

تأمل (فصرف عنه كيدهن) لم يقل سبحانه (صرفه عن كيدهن) لأنه كما صُرف عنه كيد امرأة العزيز من قبل بفعل علمه وإحسانه ، كذلك صُرف عنه كيد النساء هاهنا لاستعصامه ، وحسن دعائه والتجائه .

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص³⁰¹ 284
محمد بن عجيبة الحسيني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص 136 بتصرف³⁰²

الفائدة 362: اجتياز محنة النسوة

لقد أجاب الله دعوة يوسف فنجاه من مكرهن وثبته على العصمة والعفة ، إنه هو السميع لدعاء الملتجئين إليه ، العليم بأحوالهم وما انطوت عليه نياتهم ، وهكذا اجتاز يوسف محنته الثالثة بلطف الله ورعايته .

الفائدة 363 : نكتة لغوية

لقد أكد الله عز وجل صفتي السمع والعلم بثلاث توكيدات :

- الأول : بجرف التأكيد " إِنَّهُ "
- الثاني : بضمير الغائب " هو "
- الثالث : بأل التعريف في " السميع " و " العليم "

ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتِ لَيْسَجْنَتِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نصل في الآية إلى المحنة السابعة المتمثلة في السجن ، وتشخص لنا الآية في ألفاظ قليلة وجوها من الاستبداد منها الإعراض عن الحق وتضليل الرأي العام ، واستعمال القضاء العرفي والسجن الاحتياطي لتكريس الظلم ، ونختم بتحديد معنى الحين في الآية .

الفائدة 364 : المحنة السابعة : السجن

هذه بداية المحنة السابعة وهي الأخيرة من محن الشدة في حياة يوسف الصديق وهي "محنة السجن" ، وكل ما بعدها فرخاء .
فقد ظهر للعزيز وأهله ومن استشارهم من الأعيان ، بعد الدلائل القاطعة على براءة يوسف ، سجنه إلى مدة من الزمن غير معلومة .

الفائدة 365 : ما هي الآيات ؟

- الآيات دلائل صدق يوسف عليه السلام وكذب امرأة العزيز، وفيها ثلاثة أقوال :
- أحدها: أنها شق القميص، وقضاء ابن عمها عليها، رواه أبو صالح عن ابن عباس.
 - والثاني: أنها قد القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي، وإعظام النساء إياه، رواه مجاهد عن ابن عباس.
 - والثالث: جماله مع عفته، ذكره الماوردي

الفائدة 366 : الإعراض عن الآيات طبيعة بشرية

لقد أعرض القوم عن الآيات الدالة على براءة يوسف عليه السلام بالرغم من كثرتها ، وأبوا إلا أن يسجن مع علمهم أنه لا يستحق السجن ، وهذا دأب الآدمي يرى الآيات ويعرض عنها، قال تعالى : " وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " (يوسف / 105) .

الفائدة 367: من آفات الاستبداد : تضليل الرأي العام

لما كثر الكلام عند سكان المدينة ،وانتشرت الفضيحة بصورة واسعة - خاصة بعد أن تنامي إلى أسماع الناس خبر تقطيع أيدي النسوة - لم يعد الأمر مجرد مراوذة ، بل تجاوزه إلى أمر غريب يكاد يشابه الأخبار في صفحة الحوادث اليوم ، زيادة على التطورات التي تثير فضول عامة الشعب.

فهنا وقع في خاطر العزيز (الوزير) أن الأصلح والأنسب حبس يوسف عليه السلام حتى يقطع ألسنة الناس عن هذا الحديث وحتى يقلل من شأن الفضيحة.

فبدل محاكمة المتهم ، يلقي البريء في السجن لتضليل الرأي العام ، والوقت كفييل بطيٍ القضية في سجلات النسيان ، فهل يتم لهم ذلك ؟

الفائدة 368 : السجن الاحتياطي من وجوه الظلم

في قوله تعالى " ليسجننه حتى حين " هذا الفعل بصيغته التوكيدية يذكّرنا بكلمة المرأة " ليسجنن وليكوناً من الصاغرين " ، وهو يوحى بالرحم بيوسف في غير رحمة ، وفي إهمال لشأنه ، ويزيد ذلك وضوحاً كلمة " حتى حين " .
فلو كان السجن قائماً على منطق يحترم ، أو لعقوبة محددة و معينة ، لقالوا السجن مثلاً ثلاث سنوات ، أو أربعاً . أما كلمة " حين " فهي مبهمة لمدة غير محدودة الزمن طال أو قصر .

الفائدة 369 : القضاء العرفي من وجوه الاستبداد

الآية " من بعد ما رأوا الآيات" تشير من طرف خفي إلى أن القوم استعانوا بالقوة القضائية على الكيد ليوسف وزجّه في السجن ، لأن رؤية الآيات الدالة على براءته، إنما تكون أمام القضاء ، وهو إما رسمي أو عرفي ، ولعل القضاء الأخير ، هو الذي استعملوه، وهو قضاء خير منه الاستبداد ، لأن الاستبداد يجور فاعله على أنّ عمله جور – سافر غير مقنع – ولكن القضاء العرفي الذي يجور ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء³⁰³

الفائدة 370: ما هو الحين ؟

فأما الحين، فهو يقع على قصير الزمان وطويله. وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أقوال.
أحدها: خمس سنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس.
والثاني: سنة، روي عن ابن عباس أيضاً.
والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة.
والرابع: إلى انقطاع القالة، قاله عطاء.
والخامس: أنه زمان غير محدود، ذكره الماوردي، وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة.

عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، ص 303

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ
خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ
الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نستهل حديثنا بالإشارة إلى أثار سجن يوسف عليه السلام ، ثم بالحديث عن تأنيس الله تعالى لنبيه ، ونستعرض طائفة من أخلاق يوسف عليه السلام المتمثلة في الإحسان والدعوة إلى الله تعالى ومعرفته بمواضع الصمت والكلام ، لنقتبس دلالات فعلي رأى وأكل ، ونختتم بنكتة لغوية .

الفائدة 371 : سجن يوسف

قال القضاعي : سجن يوسف ببوصير من عمل الجيزة ، أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان ، وفيه أثر نبيين أحدهما يوسف ، سجن بالمدة التي ذكر أنها مبلغها سبع سنين ، والآخر موسى وقد بني على أثره بمسجد يعرف بمسجد موسى .

الفائدة 372 : تأنيس يوسف عليه السلام

إن في قوله " دخل معه " يدل على أن الفتيتين كانا مع يوسف في الزنزانة يؤنسانه وبالتالي فقد سخرهما الله عز وجل لينسياه وحشة السجن وكذا ليريا من عظيم خلقه وجميل فعله ما يجعلهما ينبهران به .

الفائدة 373 : من شيم الحكماء معرفة مواضع الصمت والكلام

لو تأملنا سورة يوسف عليه السلام ، فسنرى أنه يوسف عليه السلام لم يتكلم إلا لماما لأن الصمت من خلق الصالحين كما قال النبي ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

خيرا أو ليستكت " 304 أما عند موضع الدعوة ، فإننا نرى كلاما طويلا ليوسف عليه السلام ، ولكنه طافح بالتوحيد والعلم والحكمة .

الفائدة 374 : لماذا دخل الفتيان السجن ؟

ولفظ فتى ، قد يدل تاريخيا على العبيد والمماليك، فلعل الفتيين من خدم القصر ممن اتهموا بقتل الملك، وقد علمنا أن أحدهما ساقى الملك.

الفائدة 375: هل كانت رؤيا الفتيان صادقة أم مكذوبة ؟

واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ على ثلاثة أقوال :
أحدها: أنها كانت كذبا، وإنما سألاه تجريبا، قاله ابن مسعود، والسدي.
والثاني: أنها كانت صدقا، قاله مجاهد، وابن إسحاق.
والثالث: أن الذي صلب منهما كان كاذبا، وكان الآخر صادقا، قاله أبو مجلز.

الفائدة 376: من إحسان يوسف عليه السلام : حسن التعامل مع الآخر*

مما نلاحظه في موضوع سجن يوسف عليه السلام أنه كان محسنا في سجنه ، وأن إحسانه كان عاما مع أن من حوله كانوا مشركين ، وأنه كان لا يترك فرصة تمر إلا ويدعو فيها إلى الله . وقد استنتج بعض المفسرين أن يوسف عليه السلام كان في السجن مشتهرا بالجوهر والأمانة وصدق الحديث ، وحسن السمات وكثرة العبادة ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن ، وعبادة مرضاهم والقيام بحقوقهم .

304 أخرجه الطبراني (233/5 ، رقم 5187) . وأخرجه أيضًا : البزار (237/9 ، رقم 3779) . قال الهيثمي (176/8) : رجاله رجال الصحيح .

* عمدا اخترنا لفظ " الآخر " بدل الغير ، ذلك لأنه لفظ صار رائجا هذه الأيام للتعبير عن الغرب عموما ، وتلقى في ذلك المحاضرات وتقام الندوات في سبيل الحوار مع هذا الآخر ، ولنا في يوسف عليه السلام قدوة وعبرة في هذا المجال ، فهو مع إحسانه للمشركين وحسن معاملته إياهم ، إلا أن ذلك لم يمنعه من بيان الحق وضلال معتقداتهم وفسادها في أول فرصة أتاحت له ، فهل يفعل ذلك من يتشدقون بضرورة الحوار وتفهم الآخر ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

قال الضحاك : كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به ، وإذا ضاق وسّع له ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا غاب سأل عنه .

الفائدة 377: تأقلم الداعية إلى الله مع كل وضع

لقد استطاع يوسف عليه السلام أن يستوعب محنة السجن وأن يتفاعل معها ، وبدل أن تكون عائقا في طريقه ومثبطا ، فإنه عرف كيف يحوّل السجن إلى حقل كبير للدعوة إلى الله ، فكان خير المسجونين ، وهو يمثل هنا دور الإنسان العملي المحسن النافع لمن حوله.

الفائدة 378: من دلالات فعل رأى : رؤيا المشاركة

لقد استعمل الفتیان للتعبير عن رؤياهما فعل " رأى" في صيغة أخرى ، متمثلة في المضارع مقرونا بنون الوقاية وياء المتكلم . وقد استعملا هذه الصيغة المركبة، لأن الرؤيا كانت فيها مشاركة وتفاعل ، فالأول حمل الخبز والثاني عصر العنب ، فلم يكونا مجرد شاهدين ، كما كان حال رؤيا يوسف السابقة، ورؤيا الملك اللاحقة . والله أعلم.

الفائدة 379 : الاشتراك في المصير يسهّل الدعوة إلى الله

نرى أن مخالطة الفتين ليوسف عليه السلام في السجن ، ومصيرهما المشترك سهّل ليوسف الدعوة ، وتلك سنة كونية في أن الأنبياء والرسل يكونون من الناس ومعهم حتى يسهل عليهم دعوتهم بسهولة والاتصال ببسر .

الفائدة 380 : المراحل التي مرّ بها يوسف عليه السلام

- مرحلة الصبي المحزون : ببيع اخوته له وبعده عن أهله
- مرحلة الفتى المفتون : بدءا بإغواء امرأة العزيز إلى مراودتها وصوابها له
- مرحلة النبي المسجون : بعد أن ألقى به في السجن ظلما وزورا

الفائدة 381: من دلالات فعل أكل : الأكل بمعنى النهش

الأكل في قوله : " تأكل الطير منه " أي تنهش منه وهو غير أكل الذئب الذي عني به الافتراس والالتهام حتى الآخر ، بينما هنا الأكل جزئي ، لأنه من عادة الطير ، خلافا لذوات الأنبياء ، وستمر بنا معاني أخرى لهذا الفعل. " قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "

الفائدة 382: من دلالات فعل رأى : رؤية المراقبة والتجريب

لقد مكث السجينان مع يوسف عليه السلام زمنا غير يسير كما أسلفنا ، وكان ذلك مدعاة لهما ليراقبا سلوك يوسف اليومي عن كثب ، والذي لم يخرج ولم يحد عن الإحسان والاستقامة والالتزام والأدب العميم، فكانت رؤيتهما له رؤية مراقبة وتجريب. وليست مجرد رؤية عابرة.

الفائدة 383 : نكت لغوية

* «فتيان» جائز أن يكونا حدثين أو شيخين، لأنهم يسمون المملوك فتى. قال ابن الأنباري: إنما قال: «فتيان» لأهما كانا مملوكين، والعرب تسمي المملوك فتى، شابا كان أو شيخا.

* إطلاق اسم الشيء بما يؤول إليه " إنني أراني أعصر خمرا" أي أعصر عنبا ، وهو مجاز مرسل علاقته ما يكون وما يؤول إليه ، فقد سمى العنب خمرا لأنه يؤول إلى الخمر. ويقال : فلان يطبخ الأجر ، أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا .
وقيل : الخمر هو العنب حقيقة في لغة غسان وأزد وعمان . وعلى هذا يكون الكلام حقيقيا لا مجازيا ، والأول أرجح .

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَ ثَمَّ بَأْوِيلِهِ ،
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ
قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنُفُرُونَ ﴿٣٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نبدأ أولاً بتبيان معاني الرزق، ونثني بآداب الفتيا والدعوة ، ثم نعرض جوانب أخرى من شخصية يوسف عليه السلام تتعلق بعلو مرتبته في العلم ونبوّته في السجن وإخباره بالغيب ، و إخباره بعلمه مما لا يتنافى مع تواضعه لله تعالى . كما تطلعننا الآية على أهمية التوحيد وعلى آثار الشرك في مصر القديمة ، وتعرفنا على نظرتهم إلى اليوم الآخر ونختم بأثر الإيمان باليوم الآخر في الإسلام ، وبنكت لغوية .

الفائدة 384 : حقيقة الرزق

حقيقة الرزق ما به النفع ، ويطلق على الطعام كقوله : " وجد عندهما رزقا " أي طعاما، وقوله في سورة الأعراف : " أو ممّا رزقكم الله " ، وقوله : " ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا " .
ويطلق على الإنفاق المتعارف كقوله : " وارزقوهم واكسوهم " . ومن هنا يطلق على العطاء المؤقت ، يقال : كان بنو فلان من مرتزقة الجند كذا كل يوم .³⁰⁵

الفائدة 385 : من آداب الفتيا الابتداء بالأهم فالمهم

مما يستفاد من قوله " لا يأتیکما طعام ... " أنه إذا سئل المفتي وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأل عنه ، أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم و فطنته ، وحسن إرشاده وتعليمه ، فإن يوسف عليه السلام – لما سأله الفتیان عن الرؤيا – قدّم لهما قبل تعبيرهما ، دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له .³⁰⁶

الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 271³⁰⁵
ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 285³⁰⁶

الفائدة 386 : أسلوب الدعوة كيف يكون ؟

إن على الداعي أن يستخدم المدخل اللطيف في خطابه وحديثه مع مخاطبيه لأول مرة ويسير خطوة خطوة يتدرج دون التوغل في الكلام جملة ودفعة واحدة ، وأن يضرب الأمثلة من الواقع الفاسد الذي يعيش فيه الناس ، ويوازن بينه وبين الماضي المشرق ، ليقنع الناس عن الفساد ، ويستشفروا إلى الماضي المضيء .

وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولاً ، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك .³⁰⁷

الفائدة 387 : علو مرتبة يوسف في العلم

إن قول يوسف " لا يأتيكما طعام ترزقانه " هذا ليس جواب سؤالهما ، بل جعل يوسف عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما بيانا لعلو مرتبته في العلم وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين ، فهو كقول عيسى عليه السلام " وأنبيئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم " .

وقوله " ممّا علّمني ربي " إيدان بأنه علّمه علوماً أخرى ، وهي علوم الشريعة والحكمة والاقتصاد والأمانة كما قال " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " .³⁰⁸

الفائدة 388 : من معجزات يوسف عليه السلام الإخبار بالغيب

إن قوله تعالى " لا يأتيكما طعام " هذا من علم الغيب خصّ به يوسف عليه السلام وبيّن أن الله خصّه بهذا العلم لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله .

وفيه وجهان : أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما ، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء ، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا .³⁰⁹

عبد القادر المعلمي ، دروس وعظات في سورة يوسف ، ص 307⁶³

صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6- ، ص 335³⁰⁸

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 180³⁰⁹

الفائدة 389 : يوسف يؤتى النبوة في السجن

في قول يوسف : " ذلكما مما علمني ربي " وفي قوله : " واتبعت ملة آبائي " إشارة إلى نبوة يوسف عليه السلام فالانبياء بالغيب وتأويل الأحاديث واتباع ملة الأنبياء من قبله ، ليس على جهة الكهانة والتنجيم ، وإنما أخبركما به بوحى من الله تعالى وعلم حصل بتعليم الله . من هذا يعلم أن وحي الرسالة جاء يوسف عليه السلام وهو في السجن ، وبذلك يتحقق قوله " ربّ السجن أحب إلي مما يدعونني إليه " . كما أن وحي الإلهام جاءه حين إلقائه في غيابة الجب ، وكأنه سبحانه جعل في كل محنة منحة ، وفي كل ما ظاهره أنّه بلاء نعمة .
310 .

الفائدة 390 : جواز وصف العالم نفسه إذا جهلت منزلته

إن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده ورضه أن يقتبس منه وينتفع به بعد في الدين ، لم يكن من باب التزكية .³¹¹

الفائدة 391 : التواضع لله من شيم الصالحين والعلماء

إن الداعي إلى الله مهما بذل من جهود في مجال الدعوة إلى الله والإحسان إلى الناس ، ومهما بلغ من مكانة عليا في العلم والخير والفضل والصلاح والشهرة ، فإنما يرجع ذلك كله أنه من فضل الله ومن نعمه تعالى ينبغي شكرها ، والتواضع لله والاعتراف لمسديها عليه ، وهو الله سبحانه وتعالى كما قال يوسف : " ذلكما ممّا علمني ربي " .³¹²

الفائدة 392 : التوحيد أصل الدعوة إلى الله تعالى

لقد نهض يوسف عليه السلام بقوله " ذلكما ممّا علمني ربي " يقبّح الكفر ويحسن الإيمان بالله ، وقد قصد بذلك تنسيتهما أمر تعبير ما سألأ عنه ، إذ في ذلك النذارة بقتل

المراغي ، تفسير المراغي ، ص 146 ³¹⁰

الزمخشري ، الكشاف ، 256³¹¹

عبد القادر المعلمي ، دروس وعبر في سورة يوسف ، ص 312³¹²

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أحدهما ، ولو بدأ بتأويل الرؤيا لكان في ذلك تشتيت للانتباه ، وتضييع للمطلوب ، فاتخذ التعبير بابا للدخول منه على بيان العقيدة الصحيحة ، فالانتقال من بيان العقيدة إلى التأويل يكون أبلغ في النفوس وأوقع ، وخاصة وأن مآل أحد الرجلين الصلب، فطمع في إيمان الرجلين ليأخذ المقتول بحظه من الإيمان وتسلم له آخرته .³¹³

الفائدة 393 : حال الشرك زمن يوسف عليه السلام

القوم الذين عناهم يوسف عليه السلام بقوله : "إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله " هم الكنعانيون وغيرهم من سكان أرض الميعاد ، والمصريون الذين هو بينهم ، فقد كانوا يعبدون آلهة منها الشمس ويسمونها (رع) ومنها عجلهم (أبيد) ومنها فراعنتهم وكان التوحيد خاصا بحكمائهم وعلمائهم ، ومعنى تركها أنه ترك دخولها واتباع أهلها من عبدة الأوثان على كثرة أهلها ، وفي ذلك لفت أنظارهما لأن يتركا الملة التي هم عليها .

الفائدة 394: الآخرة عند قدماء المصريين

إن قوله : " وهم بالآخرة هم كافرون" يقصد به أن قدماء المصريين كانوا يكفرون بالآخرة والحساب على الوجه الذي دعا إليه الأنبياء ، إذ أنهم كانوا يصورون حياة الآخرة على صور مبتدعة ، منها أن فراعنتهم يعودون إلى الحياة الآخرة بأجسادهم المحنطة ويرجع إليهم الحكم والسultan كما كانوا في الدنيا ، ومن ثم يضعون معهم في مقابرهم جواهرهم وحليهم ، ويبنون الأهرام لحفظ جثثهم وما معهم ، ولهم معتقدات أخرى في تلك الحياة لا تشاكل ما جاء عنها على ألسنة الرسل عليهم السلام .³¹⁴

الفائدة 395 : الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر مناهج الأنبياء جميعا

وذكر الآخرة هنا في قول يوسف يقرر - كما قلنا من قبل - أن الإيمان بالآخرة كان عنصرا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعا ؛ منذ فجر البشرية الأول ؛ ولم يكن

الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 322³¹³
المراعي ، تفسير المراعي ، ص 147³¹⁴

الأمر كما يزعم علماء الأديان المقارنة أن تصور الآخرة جاء إلى العقيدة - بجملتها - متأخرا . . لقد جاء إلى العقائد الوثنية الجاهلية متأخرا فعلا , ولكنه كان دائما عنصرا أصيلا في الرسائل السماوية الصحيحة . .³¹⁵

الفائدة 396 : من آثار الإيمان باليوم الآخر في سلوك الفرد والجماعة

للإيمان باليوم الآخر أهمية بالغة في حياة الإنسان، وآثار عميقة ، ونستطيع أن نفهم على ضوء هذه الحقيقة كيف أن القرآن ربط في كثير من المواضع بين الإيمان بالله والإيمان باليوم بالآخر ، فيجئنا متتاليين ومترابطين سواء في الإثبات أو النفي . كما في قوله : " لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون " . لأن الإيمان باليوم الآخر يرتبط بالإيمان بالله مباشرة كأنه مكمل له .

ونستطيع أن ندرك أهمية الإيمان باليوم الآخر في سلوك الفرد وسلوك الجماعة إذا عرفنا نفسية الشخص الذي لا يؤمن باليوم الآخر ، وطبيعة تصوره للحياة الدنيا وطريقة شعوره بها .

إن الحياة الدنيا في حسه هي الأولى والأخيرة ، والعمر فرصة واحدة إن لم تنهب فسوف تضيع ، وإذا كان العمر - مهما طال - محدودا بسنوات ، ولذا نذ الحس كثيرة ومتنوعة ، فالبدر البدر .

أما حين يؤمن الإنسان باليوم الآخر ، فكل نعيم في الدنيا لا يقاس إلا نعيم الآخرة ولا يساوي من جهة أخرى غمسة واحدة في العذاب من أجله ، وكل عذاب في الدنيا - في سبيل الله - لا يقاس إلى عذاب الآخرة ولا يوازي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في النعيم .

وعندئذ يقدر الإنسان على موازنة ثقلة الأرض ويقدر على الارتفاع إلى القيم العليا والأخلاق الفاضلة والمثل الرفيعة ، لأنه يوقن بالجزاء الذي سوف يناله على ذلك كله ولذلك كله فإن الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان، وأن له الأثر القوي في تقويم سلوك الفرد ، وما اعوج من أقواله وأفعاله ومعتقداته .³¹⁶

سيد قطب ، في ظلال القرآن، جزء 12 ص 48³¹⁵
محمد قطب ، ركائز الإيمان ، ص 316 392-394

الفائدة 397: نكت لغوية

- قوله " إلا نبأتكما بتأويله " استثناء من أحوال متعددة تناسب الغرض ، وهي حال الإنبياء بتأويل الرؤيا وحال عدمه ، أي لا يأتي الطعام المعتاد إلا في حال أنني قد نبأتكما بتأويل رؤياكما ، أي لا في حال عدمه .
- قوله " ذلكم مما علمني ربي " استئناف بياني ، لأن وعده بتأويل الرؤيا في وقت قريب يثير عجب السائلين عن قوة علمه وعن الطريقة التي حصل بها هذا العلم ، فيجيب بأن ذلك مما علمه الله تخلصا إلى دعوتهما للإيمان بآله واحد .
- قوله " وهم بالآخرة هم كافرون " زيادة ضمير الفصل (هم) أراد به تخصيص قوم منهم بذلك وهم الكنعانيون ، لأنهم كانوا ينكرون البعث مثل كفار العرب .
وأراد بذلك إخراج القبط لأن القبط وإن كانوا مشركين فقد كانوا يثبتون بعث الأرواح والجزاء .

وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ
لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية إشارة إلى التواصل بين الأنبياء فرسالة يوسف عليه السلام امتداد لرسالة جده إبراهيم عليه السلام ، وفيها أثر البيت الصالح في التنشئة الصالحة ، ثم فيها شيء من الرقائق تتعلق بالقلب بين التخليية والتخليية وأثار الفراغ عليه ، وكيف أن نجاته مربوطة بالإتباع .

ونعود للحديث عن أهمية التوحيد والإخلاص فيه ، ونختم بثلاث مفاهيم جد هامة تتعلق بالبشر وهي : فضل الله الدائم عليهم ، ودوام جودهم مع ذلك ، وكيف أن كثرتهم لا تغني شيئا .

الفائدة 398 : رسالة يوسف امتداد للملة الإبراهيمية³¹⁷

لقد سمي يوسف عليه السلام أجداده جميعا آباءً ، لأن الأجداد آباء ، وقدم الجد الأعلى ثم الجد الأقرب ثم الأب ، لكون إبراهيم هو أصل هذه الملة التي كان عليها أولاده ثم تلقاها عنه إسحاق ثم يعقوب .
وأراد بإتباع ملة آباءه إتباعها في أصولها خاصة التوحيد قبل أن يعطى النبوة إذا كان فيما أوحى إليه زيادة على ما أوحى به إلى آباءه من تعبير الرؤيا والاقتصاد .

الفائدة 399 : البيت الصالح له الأثر الطيب في استقامة الفرد

لقد ذكر يوسف عليه السلام آباءه تعليماً بفضلهم ، وإظهاراً لسابقية الصلاح فيهم وأنه متسلسل من آباءه ، وقد عقله من أول نشأته ثم تأيد بما علمه ربّه فحصل له بذلك الشرف العظامي والشرف العصامي .

ولذلك قال النبي ρ : " أكرم الناس يوسف ، نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل

الله " 318

وقال البخاري : عن ابن عمر عن النبي ρ قال : الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ،
ويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .³¹⁹

ومثل هذه السلسلة في النبوة لم تجتمع لأحد غير يوسف عليه السلام .

³¹⁷ من المضحكات التي تحضرني عند الحديث عن امتداد رسالة يوسف للحنيفية السمحة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام ، أنه في إطار الحملات الصليبية الشرسة التي تقوم بها قناة فضائية تنصيرية متخصصة في التهمج على الإسلام والتشكيك في كل ما جاء به ، قولها أن محمداً عليه السلام سرق مبادئ حنيفية إبراهيم ثم وضعها في قالب دين إلى جانب اعتمادها على شعر أمية بن أبي الصلت ! وهو كلام متهافت ، فالأنبياء كلهم دينهم واحد قائم على التوحيد والعمل الصالح ، وإنما اختلفت الشرائع فحسب. ثم يقال ألم يكن بإمكان أي واحد من قريش أو غيره من الوجهاء أن يسرق مبدأ الحنيفية التي كانت معلومة ويضيف إليها شيئاً من كتب النصارى واليهود فيلقق ديناً جديداً؟؟ حتى يأتي رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا علم له بالديانات السابقة ، فيصوغ عقيدة وشريعة سمحة عجز عن مثلها كبار المفكرين والعلماء ، فسبحان الله ما أعظم حقدهم وغيظهم " ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين "

³¹⁸ أخرجه البخاري (3/1224 ، رقم 3175) ، ومسلم (4/1846 ، رقم 2378) .

³¹⁹ أخرجه أحمد (2/96 ، رقم 5712) ، والبخاري (3/1237 ، رقم 3202) . وأخرجه أيضاً : الديلمي (3/310 ، رقم 4931) .

الفائدة 400 : التخلية ثم التحلية

لقد قدّم يوسف عليه السلام ذكر تركه لملة الشرك ثم أردفه بذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية مقدمة على التحلية ، وإنما قاله عليه السلام ترغيباً لصاحبيه في الإيمان ، وتنفيراً لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال .

الفائدة 401 : الفراغ مدعاة إلى الهلاك

إن الفراغ العقدي مهلك ، وإن ترك الملة الفاسدة والاكتماء بهذا الترك لا ينجي الإنسان من الهلاك ، لأن الترك وحده لا يعني في حدّ ذاته الهداية إلى الصراط المستقيم ، وما زاع البصر إلا حين خلت القلوب من العقيدة الصحيحة من الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

الفائدة 402 : نجاة الإنسان معقّلة بإتباع الأنبياء والمرسلين

إن الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا نماذج طيبة لجميع الناس في كل أمر من أمور حياتهم ومماتهم وأوجب الله طاعتهم واتباع أوامرهم ، فقال تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله " (النساء / 64)
ومن شاقق نبيا من الأنبياء وجدد به وبدعوته أو اتبعه في معظم ما أنزل الله إليه وأنكر أمرا واحدا من أمور الدين فهو من الكافرين المخلدين في نار جهنم والعياذ بالله ، قال تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " (النساء / 115) .³²⁰

الفائدة 403 : أهمية التوحيد

- التوحيد دعوة جميع الأنبياء والمرسلين إلى أممهم . قال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " .

³²⁰ محمد سرور بن نايف زين العابدين ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، الجزء 1 ، ص 20

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- التوحيد هو الذي خلق الله العالم لأجله . قال تعالى : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "
- التوحيد يشمل توحيد الرب والإله والحكم والأسماء والصفات وجميع أنواع العبادات
- التوحيد هو الذي يتوقف عليه سعادة الإنسان وشقاؤه في الدارين³²¹

الفائدة 404: إخلاص التوحيد

في قوله : " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء " دليل على وجوب إفراد الله بالألوهية والربوبية ، لأن أصناف الشرك كثيرة ، فمنهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد النار ، ومنهم من يعبد الكواكب ، ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة ، فقوله : " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء " رد على كل هؤلاء الطوائف والفرق ، وإرشاد إلى الدين الحق ، وأنه لا موجد إلا الله ولا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله³²²

الفائدة 405: فضل الله على يوسف وآبائه وعلى الناس

من فضل الله على يوسف وعلى آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن جعلهم أنبياء ، وعلى الناس أن بعثهم إليهم رسلا برسالة التوحيد .
وقيل أن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصّب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها . وقد نصّب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ، ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون إتباعاً لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين .

الفائدة 406 : النكران والجحود من صفات البشر

إن أكثر الناس لا يشكرون الله سبحانه على نعمه التي أنعم بها عليهم ، فيؤمنون به ويوحدونه ويعملون بما شرعه لهم ، ولا يستدلون بما نصّب لهم من الدلائل وإنزال الآيات فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها ، ولا يصرفون قواهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والنفسية والعقلية و النقلية .³²³

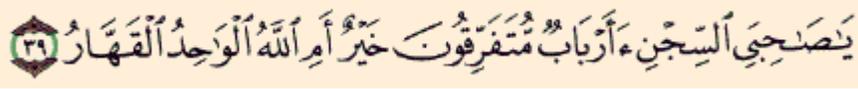
محمد جميل زينو ، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة ، ص 23- 25³²¹
فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، جزء 09 ص 111³²²
صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6 ، ص 337³²³

الفائدة 407 : الكثرة مضمومة في القرآن الكريم

لقد وردت أكثر من خمسين آية في القرآن الكريم كلها تدم الكثرة ، ومنها هذه ، لأن الكثرة لا تدل على الخير أو الحق ، بل أن الكثرة مدعاة للاغترار والانحراف عن الجادة ، وقد تكون أيضا سببا في الإتياع والتقليد الأعمى .

الفائدة 408: نكتة لغوية

جاء الكلام في الصيغة الخبرية لا في صيغة الأمر والنهي ، فقوله عليه السلام : " إنني تركت ملة قوم " بخلاف ما لو قال (اتركوا ملة قومكم) أو (اتبعوا ملة إبراهيم) لأن صيغة الأمر والنهي قبل التأسيس لها إنما تبعثهم على الفرار .



أوجه الاستدلال من الآية :

نستهل الآية بالحديث عن الصحبة لننتقل إلى أسلوب يوسف عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى وذلك باستخدامه الحجج العقلية وإثباته للألوهية وأخذه بمبدأ التدرج ، وتقديمه للنصح قبل الإفتاء . لنعرِّج على الألوهية عند قدماء المصريين ، ونختم بالإشارة إلى صفة الفهر وبنكتة لغوية .

الفائدة 409: عن الصحبة

الصحبة هي طول الملازمة ، ويمكن أن تتسبب إما إلى المكان، فنقول أنه صاحب في الجامعة أو في المسجد ، وإما إلى الظرف فنقول صاحب في السفر أو في الحج . فالأولى تكون أطول مدة ولكنها قد تفقد مع الوقت مسمى الصحبة، لكثرة المتواجدين ولطراً عنصر الملل ، وأما الثانية فتكون أقصر مدة لأنها متعلقة بظرف خاص ، ولكن مفعولها قد يكون أكبر، لشدة قرب المصاحبين ولتشابه ظرفهما ، فيفضي ذلك إلى ائتمان بعضهما

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

البعض والإفضاء بالأسرار أكثر من صحبة المكان ولو طالته، لا سيما إذا كانا في كربة ومحنة كالسجن وغيرها ، والله أعلم .

الفائدة 410 : الأخذ بالحجة في الاستدلال

لقد رتب يوسف عليه السلام الاستدلال بوجه خطابي قريب من أفهام العامة إذ فرض لهما إلهًا واحدًا متفردًا بالإلهية كما هو حال ملته التي أخبرهم بها . وفرض لهما آلهة متفرقين كل إله منهم إنما يتصرف في أشياء معينة من أنواع الموجودات تحت سلطانه لا يعدها إلى ما هو من نطاق سلطان غيره منهم ، وذلك حال ملة القبط .

ثم فرض لهما مفاضلة بين مجموع الحاليين حال الإله المنفرد بالإلهية، والأحوال المتفرقة للآلهة المتعددين ليصل بذلك إلى إقناعهما بأن حال المنفرد بالإلهية أعظم وأغنى، فيرجعان عن اعتقاد تعدد الآلهة .

وليس المراد من هذا الاستدلال وجود الحاليين في الإلهية والمفاضلة بين أصحاب هذين الحاليين لأن المخاطبين لا يؤمنون بوجود الإله الواحد .

الفائدة 411: إثبات الألوهيات من إثبات النبوات

لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة في الآية الأولى وكان إثبات النبوة مبنيا على إثبات الإلهيات فقد شرع في هذه الآية في تقرير الألوهية بالحقائق التالية :

- الحجة الأولى : أن كثرة الآلهة توجب الخلل والفساد وهو قوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " فكون الإله واحدا يقتضي حصول النظام وحسن الترتيب فلما قرر هذا المعنى في سائر الآيات قال ههنا : " متفرقون خير أم الله الواحد القهار " والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار .
 - الحجة الثانية : أن هذه الأرباب مقهورة ، ولا يتوقع منها حصول منفعة ولا مضرة، وإله العالم قهار قادر، يقدر على إيصال الخيرات ودفع الشرور والآفات .
- فقوله " متفرقون " إشارة إلى كونها مختلفة الأسماء والأشكال ، وتفرقتها دليل عجزها .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- الحجة الثالثة : أن كونه تعالى واحداً يوجب عبادته ، لأنه لو كان له ثاني لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور عنا ، فإذا علم أن الرب واحد وجب أنه لا مستحق للعبادة إلا هو ، ولا معبود للمخلوقات إلا هو أيضاً.³²⁴

الفائدة 412: التدرج في الدعوة

إن الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها ، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ، ثم كذلك أبداً حتى يصل إلى الحق ، وإن أخذ الجاهل بجميع المذهب الذي يساق إليه دفعة أباه للحين وعانده ، ولقد ابتلي بأرياب متفرقين ممن يخدم أبناء الدنيا ويؤملهم .³²⁵

الفائدة 413 : نصح الرائي مقدّم على تأويل رؤياه

وقد قال ابن جرير: إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا، لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما، فأحب أن يشغلها بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها. فعاودوه فأعاد عليهم الموعدة، وفي هذا الذي قاله نظر، لأنه قد وعدهما أولاً بتعبيرها، ولكن جعل سؤالها له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال .

الفائدة 414: التثليث مبدأ قديم

كان قدماء المصريين يعظمون هيكل منفيس ويجعلونه متكوناً من ثلاثة أجزاء : من الله ومن الكلمة و من روح القدس . وهذا يذكرنا بالديانة النصرانية المحرّفة ، ذلك أن النصرانية تأثرت - كما يقول المؤرخون - بالوثنية القديمة حتى يستقطبوا الرومان لدينهم ، وهو ما حدث فعلاً .

مستمد من : فخر الدين الرازي ،مفاتيح الغيب ،جزء 09 ص 113 ³²⁴
³²⁵ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 223

الفائدة 415 : الآلهة عند قدماء المصريين

كانت عقيدة قدماء المصريين تقوم على الشمس ممثلة في عقيدة رع وحورس وأنتون وخبري، والقمر ممثلاً في عقيدة توت وخونسو، والأرض ممثلة في عقيدة جيب . وكانت نوت ربة السماء، و شوو تفنوت إلها الرياح والرطوبة .وأوزوريس وإيزيس حكام العالم السفلي . ومعظم هذه الآلهة دارت حولهم الأساطير . وأصبح رع وآمون بعد اندماجهما يمثلان عقيدة آمون - رع كملك الآلهة. وكان هناك آلهة محلية خاصة تُعبد بكل إقليم بمصر . فانظر كيف جعلوا لكل خلق آلهة لاعتقادهم بأن إلها واحدا لا يمكنه أن يحيط بكل ذلك ، فكأنه عجزه في ناحية يكمله آخر في ناحية أخرى ، وهل آلهة توصف بالعجز يصح في الأذهان أن تسمى رباً ؟ فهي مجرد أسماء متوهمة ما أنزل الله بها من سلطان .

الفائدة 416 : من صفات الله تعالى القهر

القاهر هو الذي لا يُغلب . وقال بعض المشايخ : القَهَّار : من القهر ، وهو الاستيلاء على الشيء من جهة أمر ظاهره الملك والسلطان ، وعلى باطنه من جهة علو المكانة ، وقيام الحجة . ومن عرف قهر الله لعباده ، نسي مراد نفسه ، فكان له ، وبه ، لا لأحد سواه ، ولا لشيء دونه .

والتعلق به : أن يلتجأ العبد إليه في قهر أعدائه ، من النفس والهوى والشيطان والدنيا ، وكل من يقطعه عن ربه ، وأن يكون خائفاً من سطوات قهره ، حذراً من بغتات مكره، وجلاً بقلبه .³²⁶

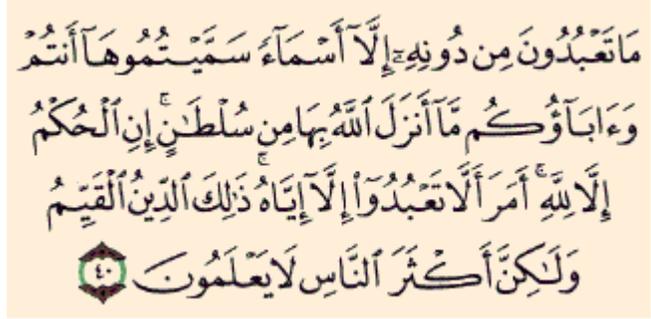
الفائدة 417: التخلق بالقهر

أن تقهر من يجب قهره من الهوى وغيره ، وذلك بعدم الانتصار، والالتجاء إلى الواحد القهار ، أو بالاستسلام في كل جليل أو حقير ، لمن هو على كل شيء قدير .

³²⁶ محمد بن عجيبة الحسني، تفسير الفاتحة الكبير، ص129

الفائدة 418 : نكت لغوية

- الاستفهام في قوله " أأرباب " استفهام تقييري المراد به تقرير إبطال دينهما .
- في قوله " يا صاحبي " وصفه لهما بصاحبي السجن من حيث سكناه ، كما قال أصحاب الجنة وأصحاب النار ، ونحو ذلك ، ويحتمل أن يريد صحبتهما له في السجن كأنه قال يا صاحبي في السجن .



أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية لطائف عقائدية تتعلق بالعبادة وبطلان الشرك وفيها توجيه إلى أن أصل الشرك هو التقليد الأعمى ومنه تقديس الأولياء والصالحين ، ولنا كلام بعدها عن صفة الحكم الإلهية ، وعن الشرك الأكبر ، لنتبع ذلك بتبيان أن التهاون في طلب العلم مدعاة للعقوبة ، ونختم بنكتة لغوية.

الفائدة 419 : ما هي العبادة ؟

العبادة كلمة تتضمن معنيين امتزج أحدهما بالآخر ، فصار شيئاً واحداً . وهما نهاية الخضوع مع نهاية الحب . فالخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل هو معنى العبادة . فأما حب بلا خضوع ، أو خضوع بلا حب ، فلا يحقق معنى العبادة .

والعبادة ليست مقصورة على صورة واحدة ، كما يخيل لكثير من الناس ، بل لها أنواع وصور عديدة منها الدعاء ومنها إقامة الشعائر كالصلاة والصيام والذبح والنذر والحدود وغيرها ومنها الانقياد والإذعان لما شرع الله من أحكام وحد الحدود ونظام شؤون الحياة.³²⁷

الفائدة 420 : بطلان الشرك

لقد عبد هؤلاء المسميات ، ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة ، كالكالات والعزى، وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمى لها في الحقيقة ، فإنهم سمّوها آلهة وعبدوها لاعتقادهم حقيقة الإلهية لها . وليس لها من الإلهية إلا مجرد الأسماء لا حقيقة المسمى ، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها .

وهذا كمن سمى قشور البصل لحما وأكلها ، فيقال : ما أكلت من اللحم إلا اسمه لا مسماه ، وكمن سمّى التراب خبزاً وأكله ، يقال له : ما أكلت إلا اسم الخبز ، بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم ، فإنه لا حقيقة لإلهيتها بوجه . وما الحكمة إلا مجرد الاسم .

الفائدة 421 : التقليد الأعمى من أخطر الأمراض

إن أهم مشكلة تواجه الأنبياء ومن بعدهم الدعوة إلى الله هي الجمود وشدة التعصب لعقيدة الآباء والأجداد ، والإصرار على عدم التغيير والتجديد .

ولقد كان هذا نهج أعداء جميع رسل الله ، وتكأنتهم في صد الناس عن الحق ، وكان الملاء يزعمون أنهم وكلاء شرعيون لعقيدة الآباء والأجداد ، وباسم هذه العقيدة يظلمون الناس ، ويفسدون في الأرض ويهلكون الحرث والنسل .

أما جمهور الناس وعامتهم فلقد ألفوا هذه الحياة ، واعتادوا أن يكونوا كالأنعام بل هم أضل ورحم الله الزمخشري إذ قال :

(ما أفتح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلّدوا آباءهم في عبادة التماثيل ، وعفّروا لها جباههم ، وهم معتقدون أنهم على شيء ، وجادون في نصرته مذهبهم ، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم ، وكفى أهل التقليد سبباً أن عبدة الأصنام منهم) .³²⁸

يوسف القرضاوي ، حقيقة التوحيد ، ص 35- 36³²⁷
³²⁸ محمد زين العابدين ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، الجزء 1 ، ص 106

الفائدة 422: من صفات الله الحكيم

الحَكَمَ بالفتح فهو الحاكم على عباده بما يريد " والله يحكم لا معقب لحكمه" (الرعد/41) ، ومن عرف أنه الحاكم لم يتحاكم لغيره ، فإذا ظهر له شيء من أمره رضي بحكمه . وقال عليه الصلاة والسلام : " اللهم لك أسلمت وبك آمنت وبك خاضعت وإليك حاكمت"³²⁹

الفائدة 423: التخلق بالحكم

التخلق به بالاستسلام لحكمه في كل حال ، من جلال أو جمال ، والسكون إليه في كل شيء ، وترك الشكوى لغيره من كل شيء ، وبأن تكون حاكما بالعدل على نفسك وقلبك وروحك وعلى غيرك . قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم " (النساء / 135) .³³⁰

الفائدة 424 : تقديس الأولياء من الشرك

لقد خفيت حقيقة الشرك على كثير ممن يدعون اتباع القرآن ، فتراهم يتوجهون إلى غير الله من الأولياء والصلحاء إذا مسهم الضر ، ويدعونهم خاشعين متذللين ، ويسمونهم شفعاء ووسائل عند الله ، وما هذا إلا مثل فعل من قبلهم من المشركين ، فليس لهم من صفات الربوبية أدنى حظ ، ولا من صفات الألوهية أقل نصيب .³³¹

الفائدة 425 : من فنون الكلام : مخاطبة الجمع عبر الأفراد

{ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ } إنما جمع في الخطاب لهما لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما . وهو من فنون البلاغة التي يعرفها العرب في مخاطبة الاثنين بالجمع .

³²⁹ أخرجه مسلم (2086/4 ، رقم 2717) . وأخرجه أيضًا : أحمد (302/1 ، رقم 2748) ، وابن حبان (180/3 ، رقم 898) ، والديلمي (444/1 ، رقم 1812) . محمد بن عجيبة الحسني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص 137

³³⁰ محمد بن عجيبة الحسني ، المرجع السابق ، ص 138
³³¹ المراغي ، تفسير المراغي ، ص 150

الفائدة 426: الشرك الأكبر

الشرك أن يجعل المرء لله شريكا فيما هو من خالص حقه سبحانه ، كأن يتخذ مع الله إلها أو آلهة ، يعبدها أو يطيعها أو يستعين بها أو يحبها أو نحو ذلك مما لا يستحقه إلا الله جل شأنه .

وهذا هو الشرك الأكبر، الذي لا يقبل معه عمل صالح ، بل لا يصلح معه عمل ، لأن أول شرط لقبول العمل وصلاحه أن يكون خالصا لله كما قال تعالى : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " . (الكهف 110)
وهذا الذنب الذي لا يقبل المغفرة بحال " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " . والجنة حرام على المشرك ، كما أن النار مأواه ومثواه ، قال تعالى : " إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار " .³³²

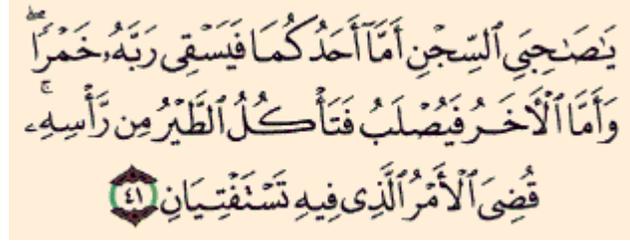
الفائدة 427 : التهاون في طلب العلم سبب للعقوبة

إن أكثر الناس لا يعلمون دين الله القويم وصراطه المستقيم لجهلهم وبعدهم عن الحقائق، وهذا يدل على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقة. فالذين يعرضون عن مجالس العلم ثم يقعون في المعاصي قد عرضوا أنفسهم للفتن ، " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " .

الفائدة 428: نكت لغوية

- الأسماء : بمعنى المسميات ، فما تعبدون من دونه ألوهية ولا تعلق لكم بإله ، إلا بحسب أن سميتم أصنامكم آلهة ، فليست عبادتكم لا لله بالاسم فقط لا بالحقيقة ، أما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء .

يوسف القرضاوي ، حقيقة التوحيد ، ص 58³³²



أوجه الاستدلال من الآية :

تبين لنا الآية وجوب استعمال الأسلوب اللطيف في تعبير الرؤى وكذا أن الرؤيا لأول عابر، ثم تصح لنا بعضا من المفاهيم فنتعلم أن الاجتماع في الحال لا يعني نفس المصير في المستقبل ، وأن العنب ليس ميزانا للكرم ، نتعلم من التاريخ أيضا أن عقوبة الإعدام عند الأمم السابقة كانت تتمثل في الصلب عموما ، ونبحث في قول يوسف قضي الأمر، ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 429: استخدام الأسلوب اللطيف في التعبير

افتتح خطابه بالنداء اهتماما بما يلقيه إليهما من التعبير، وخاطبهما بوصف " صاحبي السجن " أيضا .

ثم لم يعين من الذي سيقتل ومن سينجو- وذلك من أبه ومن جميل خلقه - لأن في تأويل إحدى الرؤيين ما يسوء صاحبها قصداً لتلقيه ما يسوء بعد تأمل قليل كيلا يفجأه من أول الكلام فإنه بعد التأمل يعلم أن الذي يسقي ربه خمرا هو رائئ عصر الخمر وأن الذي تأكل الطير من رأسه هو رائئ أكل الطير من خبز على رأسه .

الفائدة 430 : الاجتماع في الحال لا يعني الاجتماع في المآل

كثير من الناس يجتمعون في الدنيا ولكنهم لن يجتمعوا في الآخرة ، لأن بعضهم يكون من أهل الجنة بالطاعة ، والآخرين يكونون في النار بالمعصية ، وكذلك شأن صاحبي يوسف عليه السلام في السجن ، فرغم أنهما تقاسما نفس الزنزانة وتعرضا لذات العقوبة إلا أن مآلهما كان مختلفا .

الفائدة 431: العنب ليس ميزان الكرم

كان من تأويل الرؤيا أن الذي يسقي الخمر هو الذي سيكرم عند الملك ، لأن العنب كانت ميزانا للكرم و دليلا على الخير .
لكن النبي ρ نهى على أن يسمى العنب (كرما) في قوله : " لا تسموا العنب الكرم"³³³، لأن العرب كثيرا ما كانت تقرن العنب بالكرم والخير، لأن مآلها إلى العصر والخمر لذلك قطع الإسلام هذه العلاقة أصلا ، وفصل معنى العنب عن الخمر .

الفائدة 432: عقوبة الإعدام كانت ممثلة في الصلب

في قوله : " وأما الآخر فيصلب " دلالة على أن المتهم الذي يحكم عليه بعقوبة الإعدام يصلب في مدخل المدينة ويترك أياما على حاله تلك حتى تنهش الطيور من جسده ، وذلك نوع من أنواع الردع ، وهو ما يعبر عن وجود أنواع من العقوبات التي تناسب الجرائم المرتكبة.

الفائدة 433: الرؤيا لأول عابر

بمناسبة قول يوسف عليه السلام : " قضي الأمر الذي فيه تستفتيان " ورد حديث أخرجه الحاكم من حديث أنس قال : قال رسول ρ : " الرؤيا تقع على ما تعبر ، ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها "³³⁴ والمراد أن الرؤيا على قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر ، وأن ذلك هو الذي قسمه الله لصاحبها .
والمراد أيضا أن الرؤيا التي يعبر بها المعبر الأول فكأنها على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت ، كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة.قاله ابن الأثير.³³⁵

³³³ أخرجه البخارى (2286/5 ، رقم 5828) ، ومسلم (1763/4 ، رقم 2247) .
³³⁴ رواه الحاكم (433/4 ، رقم 8177) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني

(الصحيفة 120)

خالد محمد العنبري ، قاموس تفسير الأحلام ، ص 53-54³³⁵

الفائدة 434: لماذا قال " قضي الأمر " ؟

فإن قيل: لم حتم على وقوع التأويل، وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب؟ فعنه جوابان.
- أحدهما: أنه حتم ذلك لوحي أتاح من الله، وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: «قضي الأمر» دل على أنه بوحى.
- والثاني: أنه لم يحتم، بدليل قوله: «وقال للذي ظن أنه ناج منهما». قال أصحاب هذا الجواب: معنى «قضي الأمر»: قطع الجواب الذي التمسناه من جهتي، ولم يعن أن الأمر واقع بكما، وقال أصحاب الجواب الأول: الظن هاهنا بمعنى العلم.

الفائدة 435 : نكت لغوية

- إن قيل ما استقتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد :
المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجننا من أجله وظناً أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستقتياه في الأمر الذي نزل بهما ، أعاقبته نجاة أم هلاك ؟
فقال لهما : قضي الأمر الذي فيه تستقتيان ، أي ما ينجر إليه من عاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر .
- " يا صاحبي السجن " لتجتمع أنفسهما، لسماع الجواب.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نقتطف من الآية فائدة عقائدية تتمثل في أن التوكل لا ينافي الاستعانة بالغير، ولنا كلام بعدها عن النسيان : فنعيّن المعنى بالنسيان في الآية ، ثم نتكلم عن حديث نسيان يوسف ونقابل بين النسيان والذاكرة ، ونبين طبيعة النسيان عند الإنسان ، ونسرد الأدلة الدامغة على عدم نسيان يوسف عليه السلام لربه ، لنتم الحديث بالنسيان عن دور الشيطان في النسيان، لنختم هذه القطوف الطيبة بالحديث عن السجن والحكم زمن الهكسوس.

الفائدة 436 : جواز الاستعانة بالغير في الشدة

إن من وقع في مكروه وشدة لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه ، أو الإخبار بحاله ، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق . فإن هذه من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس ، بعضهم ببعض ، ولهذا قال يوسف ، للذي ظن أنه ناج من الفتيين " اذكرني عند ربك " .³³⁶

الفائدة 437 : من المعني بالنسيان يوسف أم صاحبه في السجن ؟

لقد انقسم المفسرون في قوله تعالى : " فأنساه الشيطان ذكر ربه " إلى فريقين :

- **الأول** : رأى أن المراد بربه هو الله سبحانه وتعالى ، أي أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى في تلك الحال .

وذلك غفلة عرضت له عليه السلام فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات ورتبته أعلى الرتب وهي منصب النبوة والرسالة ، لا جرم صار مؤاخذا بهذا القدر ، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

- **الثاني** : ذهبوا إلى الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين وهو الشرايبي ، ويكون المعنى فأنساه الشيطان ذكر إخباره بما أمره به يوسف عليه السلام مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك .

وقد رجّح هذا بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء ، وأيضا بأن النسيان ليس بذنب ، فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو يوسف عليه السلام لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين .

الفائدة 438 : حديث نسيان يوسف

وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً» معجم الطبراني الكبير (199/11) والحديث ضعيف فيه ابراهيم بن يزيد قال الحافظ في "تهذيب التهذيب" 180/1 (: قال ابن المديني : ضعيف لا أكتب عنه شيئا وقال

الدارقطني : منكر الحديث) ورغم ذلك فقد ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة وذكر له شاهدان أحدهما مرسل من رواية بن عكرمة ،والآخر ضعيف وهو عند الترمذي وقال (وبهذا تثبت الرواية)...قال الشيخ صالح المنجد: (ولا يصح الاستشهاد بالضعيف في هذا الموضوع لاسيما وأن المتن فيه ما يخالف عصمة الأنبياء من ابتغاء الفرج من عند غير الله راجع المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم).والله أعلم³³⁷

الفائدة 439: النسيان والذاكرة

النسيان والغفلة التي لا تثبت في القلب ، والخواطر التي ترد وتذهب من أوصاف البشرية التي لا تنافي الخصوصية ، إذ لا انفكاك للعبد عنها، ولذلك ورد عن النبي ρ قوله :

" رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه "³³⁸

والنسيان يكون ناجما عن حدوث تداخل عندما تقوم معلومات في الذاكرة بتعطيل عملية استرجاع معلومات أخرى يراد تذكرها ، أو يصعب مهمة الشخص في عملية التمييز بين المعلومات المراد تذكرها ، ومعلومات أخرى لا علاقة لها بالأولى . ويسمى التداخل الناجم عن معلومات سابقة بالتداخل اللاحق،بينما يسمى التداخل الناجم عن معلومات لاحقة بالتداخل الرجعي.

وقد يعتري النسيان ذاكرة الأسماء أو ذاكرة الأماكن أو ذاكرة الأرقام أو ذاكرة الأفكار والصور.³³⁹

ولعل الساقى قد اعتراه النسيان للتداخل الرجعي ، الناجم عن انخراطه في حياة اللهو والمجون كما يكون قد نسي السجن (المكان) والأسماء (يوسف) ، وهو ما يدلّ عليه فعل الإذكار فيما بعد .

محمد صالح المنجد، 100 فائدة من سورة يوسف ، تحقيق وتخريج الأحاديث : هاني فاروق، ص 21³³⁷
³³⁸ أخرجه ابن عدى (346/2) ، ترجمة 479 الحسن بن على) ، والبيهقي (357/7) ، رقم (14873) و أبو نعيم في الحلية (352/6) وقال : غريب. رواه الطبراني وهو في صحيح الجامع 3515.
راجع مصطفى عشوي، مدخل إلى علم النفس المعاصر ، ص 201-202³³⁹

الفائدة 440 : طبيعة الإنسان نسيان أوقات الحرمان

إن الإنسان يميل إلى نسيان وقت الكرب والضيق إلا المؤمن، فهو يتذكر ليوافق بين وقتين أو بين حياتين ويعرف نعمة الله فيشكرها .

الفائدة 441 : ستة وجوه لعدم نسيان يوسف لربه

- وجوه عدم نسيان يوسف عليه السلام لربه :
- الوجه الأول : لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو هنا الفتى في قوله تعالى : "اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه " .
 - الوجه الثاني : لأن يوسف عليه السلام لم ينس ربه طوال دعوته وتأويله لرؤيا الفتين في قوله : " ذلكما مما علمني ربي " ، " ملة قوم لا يؤمنون بالله " ، " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء " ، " ذلك من فضل الله " ، " أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار " ، " ما أنزل الله بها من سلطان " ، " إن الحكم إلا لله " فكيف يقال نسي يوسف ربه بعد ذلك ؟
 - الوجه الثالث : الفاء تعيد الترتيب ، فقال تعالى : " اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه " أي أن النسيان وقع من بعد وليس مع كلام يوسف ، فلا يقع عليه ، بل على الفتى .
 - الوجه الرابع : قوله بعد ذلك " وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة " والتذكر لا يكون إلا بعد نسيان ، وبذا فإن الفتى تذكر بعد نسيان ما أوصاه به يوسف
 - الوجه الخامس : لو كان النسيان هنا معصية يعاقب عليها ، لذكر القرآن توبة يوسف كما فعل مع غيره من الأنبياء ، لكن ذلك غير موجود .
 - الوجه السادس : إن اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل ولا يكون سببا في العقوبة ، وإلا فإن يعقوب عليه السلام قد أوصى أبناءه بعدم الدخول من باب واحد (كما سيمر بنا لاحقا) وهو من هذا القبيل ، فلم ينكر الله عليه ذلك ، ولكن اعتبر أن الأسباب وحدها لا تغني شيئا من غير إرادة الله ، فأين الفارق بين هذا وذاك ؟

الفائدة 442 : حديث النفس والشيطان

لقد تمكن الشيطان من ذاكرة الفتى هذا التمكن، حين لم يهتم هذا الفتى الذي نجا إلا بنفسه ، وشببه بهذا قوله تعالى : " استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان هم الخاسرون " (المجادلة 19) غير أن هذا الحكم ليس على إطلاقه ، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقد ذكر موسى في صحبته للخضر أن الشيطان أنساه " وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره " (الكهف 63).³⁴⁰

الفائدة 443 : مجالس اللهو و الخمر

في قوله " فأنساه الشيطان " ولم يقل " نسي "، إنما ركّز على الفاعل " الشيطان " ربما ليدلّ على أنّ الرجل إذا خرج من السجن خرج ليسقي الخمر في مجال اللهو والمجون شواغل كثيرة في حياة رخيصة مثيرها الشيطان .

الفائدة 444: حال السجن زمن الهكسوس

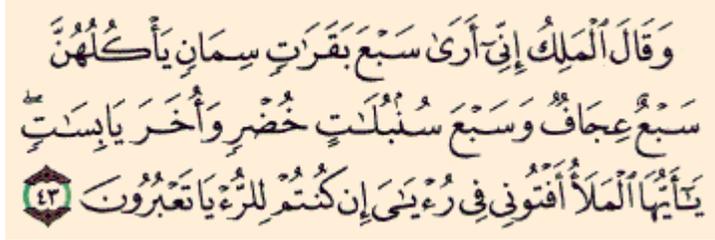
فيما حكاه القرآن عن حال سجنهم ما ينبئ على أن السجن لم يكن مضبوطا بسجل يذكر فيه أسماء المساجين ، وأسباب سجنهم ، والمدة المسجون إليها ، ولا كان من القائمين على السجن ولا ممن فوقهم من يتعهد أسباب السجن ويتقصد أمر المساجين ويرفع إلى الملك في يوم م الأسبوع أو من العام .

وهذا من الإهمال والتهاون بحقوق الناس وقد أبطله الإسلام ، فإن من الشريعة أن ينظر القاضي أول ما ينظر في كل يوم أمر المساجين .³⁴¹

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 41 .³⁴⁰
الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 279³⁴¹

الفائدة 445: حال الحكم زمن الهكسوس

أساء الهكسوس معاملة المصريين، فأحرقوا المدن والقرى، وهدموا المعابد، وذبحوا بعض السكان، وأجبروا المصريين على دفع ضرائب جديدة وشيدوا القلاع والحصون. وبمرور الزمن، تأثر الهكسوس بالحضارة المصرية، فتمسروا وقلدوا الفراعنة في أسمائهم وأزيائهم وتقاليدهم، وتكلموا اللغة المصرية، واعتنقوا ديانة المصريين. لم يطمئن المصريون القداماء للهكسوس، وظلوا يكرهون حكمهم، وينظرون إليهم نظرة احتقار لأنهم سلبوهم استقلال بلادهم وحرية وطنهم. لذا لم يستمر حكمهم طويلاً فلم يبلغ قرنين من الزمان، وهي مدة جد قصيرة مقارنة بالحكم الفرعوني .



أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية حديث عن الملك : فرؤياه كانت بداية لفرج يوسف عليه السلام ، والتعبير بالملك في هذا الموضع يعد إعجازاً تاريخياً ، واستخدام الملك للفظ رأى له دلالاته أيضاً . ونتوقف عند دلالات جملة من الألفاظ وهي : رأى، السنابل ، الأكل ، الملاء، تعبرون . كما نتعرض لعلم الرؤيا زمن يوسف عليه السلام وأهمية الزراعة آنذاك .

الفائدة 446: رؤيا الملك بداية الفرج

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن، معزلاً مكرماً، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتعجب من أمرها

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحزاة وكبار دولته وأمرأه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك .³⁴²
فجعل الله الرؤيا أولاً ليوسف بلاء وشدة، وجعلها آخرأ بشرى ورحمة .

الفائدة 447: التعبير بالملك من الإعجاز التاريخي في القرآن

لقد سمي القرآن الكريم حاكم مصر هنا ملكا ولم يسمه فرعون ، لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط ، وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها (الهكسوس) ، وهم العمالقة وهم من الكنعانيين ، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة ، أي البدو .
وقد ملكوا بمصر من عام 1786 إلى 1560 قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط ، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها الحكم في مصر العليا في مدينة (طيبة) كما تقدم عند قوله تعالى " وقال الذي اشتراه من مصر " . وكان ملكهم في تلك المدة ضعيفا لأن السيادة كانت لملوك مصر السفلى . ويقدر المؤرخون أن ملك مصر السفلى في زمن يوسف عليه السلام كان في مدة العائلة السابعة عشرة .

فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبّر عن ملك مصر في زمن موسى عليه السلام بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي . وقد وقع في التوراة إذ عبّر فيها عن ملك مصر في زمن يوسف عليه السلام فرعون وما هو بفرعون لأن أمته ما كانت تتكلم بالقبطية وإنما كانت لغتهم كنعانية قريبة من الآرامية والعربية ، فيكون زمن يوسف عليه السلام في آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على اختلاف شديد في ذلك .³⁴³

الفائدة 448: من دلالات فعل " رأى " : رؤيا التحذير و الإنذار

في حين عبّر يوسف بفعل " رأيت " في الماضي في الإخبار عن رؤياه ، عبّر الملك عن رؤياه بفعل " أرى" في المضارع، ويدل ذلك على أن قد الرؤيا تكررت أكثر من مرة، كقول إبراهيم عليه السلام : "إني أرى في المنام أني أذبحك " .

ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جزء 4 ص 335³⁴²
الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 281³⁴³

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وذلك لأنه لو رآها مرة واحدة لربما قال هذا مجرد حلم ، ولكن لما تكررت الرؤيا أكثر من مرة وبنفس التفاصيل دلّ على أنها رؤية منامية تحذيرية . وهي تذكرنا برؤيا فرعون التي أنذرتة بزوال ملكه ، فكانت تحذيرا ولكن كان من أثرها أن ربّي موسى في كنفه ، وكان من أثر رؤيا الملك إخراج يوسف من السجن.

الفائدة 449 : لماذا لم يقل الملك إنني أرى في المنام ؟

ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم: أرى أي أفعل كذا وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه وإن لم يذكر النوم. وأخرج الخبر جلّ ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم.

الفائدة 450 : علم الرؤيا زمن يوسف عليه السلام

كان تعبير الرؤيا مما يشتغلون به ، وكان الكهنة منهم يعدونه من علومهم ولهم قواعد في حل رموز ما يراه النائم . وقد وجدت في آثار القبط أوراق من البردي فيها ضوابط وقواعد لتعبير الرؤى ، فإن استفتاء صاحبي السجن عليه السلام في رؤيهما ينبئ بأن ذلك شائع فيهم، وسؤال الملك أهل ملئه تعبير رؤياه ينبئ عن احتواء ذلك الملاء على من يظن بهم علم تعبير الرؤيا ، ولا يخلو ملاء الملك من حضور كهان من شأنهم تعبير الرؤيا

الفائدة 451: السنابل سبع كالبقر

وفي الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله وآخر يابسات وسبعا آخر.

الفائدة 452: من دلائل فعل الأكل : الابتلاع

ورد فعل الأكل هنا بمعنى الابتلاع وليس النهش أو مجرد الافتراس، وهو يدل على هول الرؤيا ، وقال يأكلن ولم يستعمل الماضي ، والعدول إلى المضارع لاستحضار الصورة تعجيباً .

الفائدة 453: أهمية الزراعة والماشية في مصر

يعتبر نهر النيل الذي تدور حوله حضارة قدماء المصريين ينبع من فوق هضاب الحبشة بشرق أفريقيا ومنابع النيل بجنوب السودان متجها من السودان شمالا لمصر ليأتي الفيضان كل عام ليغذي التربة بالطمي. وهذه الظاهرة الفيضانية الطبيعية جعلت اقتصاد مصر في تنام متجدد معتمدا أساسا على الزراعة.

وقد قامت بالمنطقة مجتمعات سكانية من بينها قرية كان يمدها 18 بئر بالمياه تحت سطح بلاطات بناء ميغوليثي كبير عبارة عن تمثال يشبه بقرة نحت من صخرة كبيرة. وكانت تتكون القرية من 18 بيتا. وبها مدافن كثيرة للمواشي حيث عثر علي هياكلها في غرف من الطين . وهذا يدل على أن السكان كانوا يعبدون البقر .

الفائدة 454: من المأ ؟

قوله يا أيها المأ ، كقوله تعالى : {يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ} [الصافات:8]، كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء ، وسموا مأ ، لأنهم يملئون العين في المجالس لكثرتهم وهيبتهم ومكانتهم ، ولذا فمجلس الحاكم يدل على سياسة حكمه ، فإن كان حكيما عاقلا ، قَرَبَ إليه ذوي الألباب والعقول والنباهة والنصح ، وإن كان غير ذلك جعل جلساءه من المتملقين والمنافقين والأفاقين ومن تتبع التاريخ ظفر من ذلك بالكثير ، وعرف كيف كان لمجالس الملوك الدور الخطير في استقرار الملك أو زواله .

الفائدة 455: من دلائل فعل عَبَّرت

يقال عبرت الرؤيا - بالتخفيف - عبارة هو أفصح من عَبَّرت بالتشديد ، وحقيقة عَبَّرتْ الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول : عَبَّرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره . ونحوه : أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها .

الفائدة 456: سورة يوسف أساس في علم الرؤى

قصة يوسف عليه السلام تعتبر ركنا من أركان علم التعبير لأن فيها أربع رؤى وتعبيراتها ولقد قاس المعبرون على ذلك واستنبطوا قواعد واستخرجوا أسسا بنوا عليها علم التعبير . والملاحظ أن علم التعبير عند المسلمين هو أوسع منه عند غيرهم فلقد كتب علماء المسلمين في هذا الموضوع الكتب المطولة ، وأساس ذلك ما ورد في الكتاب والسنة من تأويل الرؤى . 344

الفائدة 457: نكت لغوية

- نفي الشيء بإيجابه في قوله تعالى : " إنك كنتم للرؤيا تعبرون " للتدليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها ، لأنه أتى بكلمة " إن " التي تفيد التشكيك رجاء اعترافهم بالقصور ، مطابقا لشك الملك الذي أخرجه مخرج الاستقهام عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا . 345

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَامِلِينَ

أوجه الاستدلال من الآية :

نشير في هذه الآية إلى المصير المحتوم للكهانة والشعوذة ، وإلى بعض من خصائص الرؤيا من حيث تمييزها عن الحلم، وأنها لأول معبر بشرط العلم ، ونختم بنكتة لغوية .

سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ص 2660³⁴⁴
345 محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ص 517

الفائدة 458: الشعوذة والكهانة مآلها البطلان

إن الشعوذة و الكهانة سرعان ما يظهر بطلانها عند أهل الباطل وسرعان ما يظهر عجز أهلها ، ولهذا كان الرد من حاشية الملك من الكهنة أن يواجهوا به الملك في إظهار كل ما يسرّ الحكام وإخفاء ما يزعجهم ، وصرف الحديث عنه فقالوا إنها " أضغاث أحلام" ، أما حجة الأنبياء والرسل فهي صائبة ، لأنها مؤيدة من الله سبحانه وتعالى .³⁴⁶
وقد قال رسول الله ﷺ : " من أتى عزافا فسأله عن شيء لا يقبل الله منه صلاة أربعين يوما . (رواه مسلم) "

الفائدة 459: الفرق بين الرؤيا والحلم

قال الألويسي : والأحلام جمع حُلْم بضمة وبضمّتين ، المنامات الباطلة على ما نص عليه جمع ، وقال بعضهم : الرؤيا والحلم عبارة عمّا يراه النائم مطلقا ، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على خلافه وفي الحديث : " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان " .³⁴⁷
وقال التوربشتي : الحلم عند العرب يستعمل استعمال الرؤيا ، والتفريق من الاصطلاحات التي سنّها النبي ﷺ للفصل بين الحق والباطل ، كأنه كره أن يسمى ما كان من الله تعالى وما كان من الشيطان باسم واحد ، فجعل الرؤيا عبارة عن القسم الصالح ، لما فيها من الدلالة على مشاهدة الشيء بالبصر والبصيرة ، وجعل الحلم عبارة عن ما كان من الشيطان ، لأن أصل الكلمة لم تستعمل إلا فيما يخيل للحالم في منامه من قضاء الشهوة بما لا حقيقة له .³⁴⁸

³⁴⁶ عبد القادر المعلمي ، دروس وعبر في سورة يوسف ، ص 74
³⁴⁷ أخرجه ابن أبي شيبعة (70/6) ، رقم (29544) ، والبخارى (2169/5) ، رقم (5415) ، ومسلم (1772/4) ، رقم (2261) ، وأبو داود (305/4) ، رقم (5021) ، والترمذى (535/4) ، رقم (2277) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (423/13) ، رقم (6059) . وأخرجه أيضا : النسائي في الكبرى (391/4) ، رقم (7655) .
³⁴⁸ سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ص 2672-2673

الفائدة 460: الرؤيا لأول معبر بشرط العلم الصحيح بها

مرّ معنا أن الرؤيا لأول عابر، ونلاحظ أن حاشية فرعون ومن عرض عليهم رؤياه قالوا عنها أضغاث أحلام، وهم أقل من قال فيها كلمة، ومع ذلك لم تعتبر كلمة، ومن هنا نفهم أن الرؤيا لأول عابر بعلم، أما الجهلة فهؤلاء ليسوا معبرين وإنما هم متقولون، فالعبرة للعابر الأول الذي اتصف بأهلية التعبير.³⁴⁹ ♦

الفائدة 461: نكت لغوية

- قولهم: "أضغاث أحلام" فقد جمعوا لفظ الضغث، وجعلوه خبرا للرؤيا مع أنها واحدة للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان، أو لانطوائه على أشياء متباينة، ولفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل أيضا على المبالغة في الاتصاف كما في قولهم: فلان يركب الخيل ويلبس العمائم، لمن لا يملك إلا فرسا واحدة وعمامة فردة.³⁵⁰
- الاختزال من أنواع الحذف وهو أقسام، لأن المحذوف إما كلمة: اسم أو فعل أو حرف أو أكثر، منه حذف المبتدأ بعد القول نحو: قالوا أضغاث أحلام، تقديره: الرؤيا التي رأيتها أضغاث أحلام.³⁵¹

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية:

يتجلى لنا من الآية صدق يوسف في تأويل الأحاديث، كما تبين لنا أيضا فضل الله في إنجائه للساقى، ثم نشرح ألفاظ الادكار والأمة والإرسال، لنختم بلطيفة في العمارة وبنكتة لغوية.

³⁴⁹ سعيد حوى، المرجع السابق، ص 2674

♦ ذهب القرطبي إلى أن الآية دليل على بطلان قول من يقول إن الرؤيا على أول ما تعبر، لأن القوم قالوا أضغاث أحلام ولم تقع كذلك وقال أن فيها دليلا على فساد أن الرؤيا على رجل طائر فإذا عبرت وقعت، ولعل الصواب ما أثبتناه والله أعلم.

³⁵⁰ محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ص 519

³⁵¹ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 84

الفائدة 462 : صدق يوسف في الحديث وتأويل الحديث

نجاة الساقى دليل على صحة تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الفتيين ، وفي ذلك عبرتان :

- أن يوسف أوتي من تأويل الأحاديث
- أن صحة التأويل دليل على صدق يوسف في الحديث ، لأن الصدق سبب للتوفيق

الفائدة 463 : النجاة من المصائب

إن في نجاة الساقى عبرة بأن من أنجاه الله من مصيبة فعليه أن يتذكر فضل الله تعالى عليه وإحسانه إليه ، لعل ذلك يكون سببا في توبته وإنابته وعودته إليه ، لا أن ينسى أو يتناسى ذلك فتطاله الغفلة فيكون من الهالكين والعياذ بالله .

الفائدة 464 : فعل الانكار

الذِّكْرُ : الحِفْظُ للشيء تَذَكُّرُهُ

وَأَذَكَّرَهُ وَأَذَكَّرَهُ، قَلْبُوا تَاءً افْتَعَلَ فِي هَذَا مَعَ الذَّالِ بِغَيْرِ إِدْغَامٍ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :
تُحِي عَلَى الشَّوْكِ جُرَازاً مَقْضَبَا وَالهُمْ تُذْرِيهِ أَذْكَاراً عَجَبَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى " وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ " أَي ذَكَرَ بَعْدَ نِسْيَانٍ، وَأَصْلُهُ أَذْتَكَّرَ فَأُدْغِمَ.
وَيَوْمَ مُذَكَّرٌ : إِذَا وُصِفَ بِالشَّدَّةِ وَالصَّعُوبَةِ³⁵²

ومن ثم فقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة ليدل على صعوبة تذكر الساقى ليوسف عليه السلام ، نظرا لطول العهد به ، ولفعل الشيطان ، ولمجالس اللهو والخمور ، ولطبيعة النفس التي تميل للنسيان ، فكل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في نسيانه ، لولا أن قدر الله سابق .

وقد قيل: نسي الفتى يوسف لقضاء الله تعالى في بقاءه في السجن مدة. وقيل: ما نسي، ولكنه خاف أن يذكر الملك الذنب الذي بسببه حبس هو والخباز، وهو بعيد.

ابن منظور ، لسان العرب ، ص 63 352

الفائدة 465 : من فنون القراءات : الأمة

قرأ جمهور الناس: «بَعْدَ أُمَّةٍ»، وهي المدة من الدهر، أي تذكر بعد زمن طويل. وقرأ ابن عباس وجماعة: «بَعْدَ أُمَّةٍ»، وهو النسيان، وقرأ مجاهد وشبل: «بَعْدَ أُمَّةٍ». بسكون الميم، وهو مضدٌّ من «أُمَّةٍ»؛ إذا نَسِيَ، وقرأ الأشهب العُقَيْلي «بَعْدَ إِمَّةٍ» أي بعد نعمة؛ أي بعد أن أنعم الله عليه بالنجاة .
وقد تجمع فيقال: تذكر بعد أن أنساه الشيطان مدة طويلة نعمة ربه بأن أنجاه من السجن.

الفائدة 466: لماذا استعمل الساقى لفظ الجمع ؟

قول الساقى : {فَأَرْسَلُونِ} خاطب الملك ولكن بلفظ التعظيم، أو خاطب الملك وأهل مجلسه.

الفائدة 467 : لطيفة في فن العمارة

في قوله: " فأرسلون " يدل على بُعد المسافة ، وأن السجن كانت تبني خارج المدينة، وفي ذلك إشارة إلى أن الحضارة المصرية القديمة كانت تولي اهتماما بالغا بالعمارة وفنونها ، وفي أهرامات الجيزة خير مثال على ذلك . وقد أنتج الفنانون المصريون والمهندسون تراثا رائعا انتشر في الأقصر والفيوم وعين شمس في هذه الفترة كما يقول المؤرخون.

الفائدة 468 : نكتة لغوية

وقال القنبي : الأمة الصنف من الناس والجماعة الكثيرة كقوله تعالى (إلا أمم أمثالكم) [الأنعام : 38] قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع؛ وكل جنس من الحيوان أمة؛ وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها». (رواه أبو داود والترمذي وهو في صحيح الجامع 5321 و5322)
ثم تستعمل الأمة في الأشياء المختلفة:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- يقال للإمام أمة كقوله: (إن إبراهيم كان أمة) [النحل : 120] لأنه سبب للاجتماع
- ويسمى الدين أمة كقوله : (إنا وجدنا آباءنا على أمة) [الزخرف : 22] أي على دين لأن القوم يجتمعون على دين واحد فيقام ذلك اللفظ مقامه
- ويسمى الحين أمة كقوله (وادكر بعد أمة) وكقوله (إلى أمة معدودة) [هود : 8] وإنما سمي الحين أيضا أمة لأن الأمة من الناس ينقضون في حين فيقام الأمة مقام الحين³⁵³

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ
يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَى بَسْتٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تنبئنا الآية هنا بمقام الصديقية والذي سنحاول وصفه وتعريفه ، ونجيب عن السبب الذي جعل الساقى يصف يوسف عليه السلام بصفة الصديقية ، ولنا حديث بعدها عن الإفتاء وشروطه وخطورته عند السلف، ثم نتكلم عن خصائص الرقم سبعة في الحضارات القديمة وفي الإسلام، ثم نحلل نفسية الساقى في هذا الموضوع ، ونتم بنكت لغوية .

الفائدة 469 : الصديقية

الصديق أصله صفة مبالغة مشتقة من الصدق ، وغلب استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى ، لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين .

وأحسن ما قيل في هذا المعنى كلمة الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن قال : "الصديقون هم دُوْنُ الأنبياء " . وهذا ما يشهد به استعمال القرآن في آيات كثيرة مثل قوله:

السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، جزء 2 ص 195³⁵³

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

" فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين " الآية ، وقوله : " وأمه صدّيقة " .
ومنه ما لقّب النبي ρ أبا بكر بالصدّيق في قوله في حديث رجف جبل أحد: "أسكن أحد
فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان " .
من أجل ذلك أجمع أصحاب رسول الله ρ على أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أفضل
الأمة بعد النبي ρ . 354

الفائدة 470: لماذا خاطب الساقى يوسف بالصدّيق

خاطبه بالصدّيق لأوجه :

- لصدقه في تأويل رؤياهما
 - لعلمه بنبوته
 - لموافقة فعله قوله
- والصدّيق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهه،
فصار كل صدّيق صادقاً وليس كل صادق صدّيقاً . 355

الفائدة 471: الإفتاء

أفتاه في الأمر: أبأته له. وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاءً .
والفتيا تبيين المشكل من الأحكام.

وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً. وفي الحديث: الإثم ما حكّ في صدرك وإن أفتاك الناس عنه
وأفتوك أي وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوّازاً. 356

قال النووي : اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل، لأن المفتي وارث
الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وقائم بفرض الكفاية ولكنه معرض للخطأ؛ ولهذا قالوا:
المفتي موقّع عن الله تعالى.

الطاهر بن عاشور ، ص 354

الماوردي ، النكت والعيون ، ج 2 ، ص 264³⁵⁵
ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء ص 375³⁵⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

و شرط المفتي كونه مكلفاً مسلماً، وثقةً مأموناً متزهِهاً عن أسباب الفسق وخوارم المروءة، فقية النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، متيقظاً.³⁵⁷

الفائدة 472 : من شروط الإفتاء

المفتون قسمان: مستقل وغيره، فالمستقل شرطه مع ما ذكرناه:

- 1- أن يكون قيماً بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وما التحق بها على التفضيل، وقد فُصِّلَتْ في كتب الفقه فتيسرت ولله الحمد.
 - 2- وأن يكون عالماً بما يشترط في الأدلة، ووجوه دلالتها، وبكيفية اقتباس الأحكام منها، وهذا يستفاد من أصول الفقه.
 - 3- عارفاً من علوم القرآن، والحديث، والناسخ والمنسوخ، والنحو واللغة والتصريف، واختلاف العلماء واتفاقهم بالقدر الذي يتمكن معه من الوفاء بشروط الأدلة والاقتباس منها.
 - 4- ذا درية وارتياض في استعمال ذلك.
 - 5- عالماً بالفقه ضابطاً لأمهات مسائله وتفاريعه.
- فمن جمع هذه الأوصاف فهو المفتي المطلق المستقل، الذي يتأدى به فرض الكفاية، وهو المجتهد المطلق المستقل ; لأنه يستقل بالأدلة بغير تقليد وتقييد بمذهب أحد.³⁵⁸

الفائدة 473: خطورة الفتيا عند السلف

- وعن عطاء بن السائب التابعي: "أدركتُ أقواماً يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يردد"
- وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان: "إذا أغفل العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله".
- وعن سفيان بن عيينة وسحنون: "أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً".
- وعن الشافعي -وقد سئل عن مسألة فلم يجب-، فقيل له، فقال: "حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب".
- وعن الأثرم: سمعتُ أحمد بن حنبل يكثر أن يقول: (لا أدري)، وذلك فيما عرف الأقاويل فيه.

النووي ، المجموع شرح المهذب ، المقدمة، ص 2³⁵⁷
النووي ، المجموع شرح المهذب، المقدمة ، ص 5- 3⁵⁸

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- وعن الهيثم بن جميل: شهدتُ مالكاُ سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: (لا أدري).
- وعن مالك أيضاً: أنه ربما كان يُسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها، وكان يقول: "من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب". وسئل عن مسألة فقال: (لا أدري)، فقيل: هي مسألة خفيفة سهلة، فغضب وقال: (ليس في العلم شيء خفيف).
- وقال الشافعي: (ما رأيتُ أحداً جمع الله تعالى فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة أسكت منه عن الفتيا).
- وقال أبو حنيفة: (لولا الفَرْقُ من الله تعالى أن يضع العلم ما أفتيتُ، يكون لهم المهناً وعلي الوزر). وأقولهم في هذا كثيرة معروفة.³⁵⁹

الفائدة 474: التعبير من العلوم الشرعية

إن علم التعبير من العلوم الشرعية ، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه ، وأنه تعبير الرؤيا داخل في الفتوى ، لقوله للفتيين " قضي الأمر الذي فيه تستفتيان " وقال الملك " أفتوني في رؤياي " وقال الفتى ليوسف " أفتنا في سبع بقرات " ، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم .³⁶⁰

الفائدة 475: الرقم سبعة في الحضارات القديمة إلى اليوم

لعل أقدم أصل لسحرية هذا الرقم وقداسته يرجع إلى الحضارات العراقية، السومرية، البابلية والمصرية. ففي أسفار التكوين السومرية والبابلية والأشورية خلق الله الكون في سبعة أيام. اليوم السابع هو الذي استراح فيه من عبء صنيعة*. انه يوم عطلة لا عمل فيه. لذلك، يقال أن البابليين كانوا يتوقفون عن العمل في اليوم السابع والرابع عشر والحادي

النووي ، المرجع السابق ، ص 439
ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 360
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ولقد تسربت هذه الخرافة إلى اليهودية والنصرانية فيما بعد، مما يدل على الانتحال والتحريف فيهما*

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر. إنها أيام العطلة نفسها التي ما تزال سارية المفعول في العالم اليوم.

والرقم سبعة يخرقنا بميراث القرون كل يوم من دون أن ندري أننا مشددون إلى أصل بعيد. خذوا هذه السبعات مثلا: أيام الخلق السبعة، أيام الأسبوع السبعة، أيام الميت السبعة، أيام العرس السبعة، اليوم السابع للولادة، السماوات السبع والأرضون السبع، المعلمات السبع، أغراض الشعر «العربي» السبعة، الصلوات المسيحية السبع، عجائب الدنيا السبع، ألوان الطيف السبعة، الفتحات السبع في رأس الإنسان، فقرات العنق السبع، الفنون السبعة، الأميرات السبع، الساموراي السبعة، الأخوات السبع «الثريا عند العرب» الخ..... وعند المتصوفة للرقم سبعة دلالة لا تختلف كثيرا عما أوردنا، فقد وصف الحلاج سبع مراحل يمر فيها الجسد كي يصبح آلة صالحة لاحتضان الروح هي: السلالة، النطفة، العلقة، المضغة، العظم، اللحم، والخلق الآخر.

وكذلك يمر «السالك» في سبع مراحل يسميها المتصوفة المقامات هي: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل والرضا.

الفائدة 476: من خصائص الرقم سبعة في الإسلام

احترار العلماء في سر رقم سبعة :

- فسورة الفاتحة وآياتها سبع

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} الحج 87

- السماوات وعددها سبع سماوات

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} البقرة 29

- الأراضي وعددها سبعة أراضي

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} الطلاق 12

- الأبحر وعددها سبعة أبحر

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {لقمان 27}

- الأبواب سبعة أبواب

{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ {الحجر 44}

- الليالي سبع ليالي

{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ

خَاوِيَةٍ {الحاقة 7}

- جزاء الإنفاق

{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ

وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {البقرة 261}

- في الحج

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ

الْهَدْيُ مَجْلَهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَهَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَسْكٍ

فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {البقرة 196}

- البقرات سبع بقرات

{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَ

يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ {يوسف 43}

- والسنبلات سبع سنبلات

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ

وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ {يوسف 46}

- السنين الدأبا سبع سنين

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ {يوسف 47}

- والسنين الشداد سبع سنين

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ {يوسف 48}

- فتية أهل الكهف سبعة

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ

وَتَأْمِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا

تَسْتَقْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا {الكهف} 22

- قال رسول الله ﷺ : " سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل .
- شاب نشأ في عبادة الله .
- رجل قلبه معلق بالمساجد .
- رجلان تحابا في الله .. اجتمعا عليه وافترقا عليه
- رجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال قال إني أخاف الله .
- رجل تصدق بصدقه فأخفاها .. حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله.
- رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه بالدمع
- القمر يمر بسبعة أطوار أو مراحل .
- السماوات سبعة...والارضين سبعة
- العلم يتوصل إلى 7 أنواع أساسية من النجوم.
- ويتوصل أيضاً إلى 7 مستويات مدارية للإلكترون.. تلك الـ 7 مستويات حول النواة.
- وتوصل العلم لـ 7 ألوان للضوء المرئي..
- والى 7 إشعاعات للضوء الغير مرئي..!
- وكذلك 7 أطوال لموجات تلك الإشعاعات.
- ألوان الطيف الرئيسية سبعة .
- وعدد قارات الأرض ، سبعة ، وعدد المحيطات سبعة .. وعدد أيام الأسبوع سبعة.
- توصل العلم أيضا إلى أن الإنسان يتكون من 7..فهو يتكون من ذرة + جزيئه + جين + كروموسوم + خلية + نسيج + عضو .
- وأخيراً فإن شهادة التوحيد عدد كلماتها سبعة 361*

الفائدة 477: فائدة " لعل " في هذا المقام

{لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} : تأويل الرؤيا. وقيل: لعَلَّهم يعلمون منزلتك في العلم ولأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا ، فلذلك قال { لعَلَّهم يعلمون } يعني تأويلها . ولم يكن ذلك منه شكاً في علم يوسف . لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه ، ولكن تخوف أحد

عدنان علي الرنتيسي ، شبكة فلسطين للحوار . (الأنترننت) 361
* وأظن أن لابن قيم الجوزية رسالة منفردة في خصائص هذا الرقم .

أمرين: إما أن تكون الرؤيا كاذبةً ، وإما ألا يصدقوا تأويلها لكرهتهم له فيتأخر الأمر إلى وقت العيان .³⁶²

الفائدة 478: نفسية الساقى

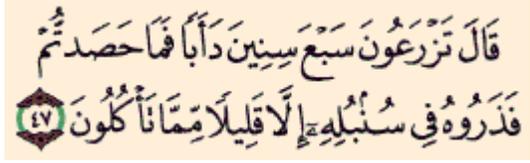
يتبين لنا من هذه الآية القصيرة نفسية الساقى، وكيف أنه لم يقدم اعتذارا ليوسف عليه السلام ولم يبزر لماذا غاب عنه طيلة هذه السنين ، بل سأله مباشرة عن تأويل رؤيا الملك ، مما يدلنا على أنه كان على عجلة من أمره حتى يعود إلى الملك بالخبر اليقين ، وهو في ذلك يطمع أن ينال حظوة ومنزلة عنده ، كما أنه أخفى صاحب الرؤيا خشية أن يشترط يوسف عليه السلام حريته مقابل تعبيره للرؤيا إن هو علم أن الملك هو الرائي، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى رغبة منه في الشهرة والذكر . كما أن الساقى استحث

يوسف عليه السلام على سرعة التعبير ، حتى يرجع إلى الملأ الذين ينتظرونه بفارغ الصبر .

وفي كل هذا فإن همّ الساقى الوحيد هو أن يثبت للملك إخلاصه وصدقه وتفانيه في خدمته لينال عرضا من الدنيا قليل .

الفائدة 479: نكت لغوية

- قوله " أفنتا " لما عاين علو مرتبة يوسف في العلم عبّر عن ذلك بالإفتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولا " نبئنا بتأويله " .
- وفي قوله " أفنتا " مع أنه المستفتى وحده ، إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمر العامة، وأنه في ذلك سفير .
- ذكر ابن الأنباري في تكرير «لعل» قولين . أحدهما: أن «لعل» الأولى متعلقة بالإفتاء . والثانية مبنية على الرجوع، وكلتاها بمعنى «كي»
- والثاني: أن الأولى بمعنى «عسى» والثانية بمعنى «كي» فأعيدت لاختلاف المعنيين .



أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية إشارات أخرى إلى أخلاق يوسف السامية ، ومنها زكاء نفسه وكرمه ، ونفسه المطمئنة، وتعبيره الحسن للرؤى ؛ إلى جانب إخلاصه في العلم والعمل . ثم نومئ إلى مبادئ اقتصادية وردت في الآية وهي : الاستتفار العام والحد من الاستهلاك والتأقلم الزراعي مع طبيعة المنتج ، ثم أن في الآية دلالة على الكليات الخمس ، وفيها نكت لغوية نختم بها .

الفائدة 480: يوسف كريم الخلق زكي النفس

أنظر كيف أن يوسف عليه السلام لم يعنّف صاحبه أو يعاتبه على نسيانه طول هذه السنين بل كان بإمكانه أن لا يجيبه عن سؤاله عقابا له على عدم إحسانه ، كما كان بوسعه أن يبتهلها فرصة حتى يقايض تفسيره للمنام مقابل إطلاق سراحه، إذا ما ألح على الساقى أن يعرف سرّ عجلته .

لكنه الكريم بن الكريم بن الكريم ، وهو ما يحكم سلوكه طوال سيرته .

الفائدة 481: النفس المطمئنة ليوسف عليه السلام

عندما نتأمل كلام يوسف عليه السلام فإننا نرى من خلاله علما لدنيا واطمئنانا نفسيا وبقينا بالله تعالى ، فكأنما يأمر الساقى بالجلوس والتمهل وحسن الاستماع والإنصات إلى ما سيقوله فبدأ في تعبير الرؤيا خطوة خطوة ، فيأتي ذلك مليئا بالفوائد والعبر .

الفائدة 482: تعبير يوسف يدّل على أنه نبي يوحى إليه

عبر يسوف عليه السلام الرؤيا بجميع ما دلّت عليه :

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- فالبقرات : لسنين الزراعة ، لأن البقرة تتخذ للإثمار
- والسمن : رمز للخصب
- والعجف : رمز للقحط
- والسنبلات : رمز للأقوات
- والاخضرار : رمز لطعام ينتفع به
- والسبع : رمز للانتفاع سبع سنين ، فكل سنبله رمز لطعام سنة
- واليابسات : رمز لما يدخر ، وكونها سبعا رمز لادخارها في سبع سنين
- والأكل : رمز أن سني الجذب أتت على ما أثمرته سنو الخصب³⁶³

الفائدة 483: حالة استنفار عام

إن قوله " دأبا " يعني عملا متواصلا من غير كلل أو ملل ، فيزرعون سبع سنين متواصلة من غير انقطاع ، يتركون فيها الدعة والراحة والاسترخاء .
كما قال تعالى : " وهو الذي جعل الشمس والقمر دائبين " أي مستمرين .
وبالتالي كانت هذه حالة استنفار عام تسخر فيها جميع الوسائل لمضاعفة الإنتاج .

الفائدة 484 : الحد من الاستهلاك

دعاهم يوسف عليه السلام لأكل الجزء اليسير الذي يسمح لهم بالعيش أو ما يسمى ب " حد الكفاف " وهذا قصد الادخار .

الفائدة 485 : الإخلاص في العلم والتعلم

إنه ينبغي على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه ، وسيلة لمعاوضة أحد في مال ، أو جاه ، أو نفع ، وأن لا يمتنع من التعليم ، أو لا ينصح فيه ، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم ، فإن يوسف عليه السلام قد قال ، ووصى أحد الفتيتين أن يذكره عند ربه ، فلم يذكره ونسي ، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف ، أرسلوا ذلك

³⁶³ مستفاد من الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 286

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الفتى ، وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا ، فلم يعنفه يوسف ، ولا وبّخه لتركه ذكره ، بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه .³⁶⁴

الفائدة 486 : لطيفة في فن الزراعة

في قوله " فما حصدتم فذروه في سنبله " هذا رأي أرشدهم يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبقي بها السنين المخصبة إلى السنين المجذبة وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت .³⁶⁵

الفائدة 487 : لماذا لم يقل يوسف عليه السلام " إن شاء الله " ؟

فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: «تزرعون» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة.
أحدها: أنه كان بوحى من الله عز وجل.
والثاني: أنه بنى على علم ما علمه الله من التأويل الحق، فلم يشك.
والثالث: أنه أضمر «إن شاء الله» كما أضمر إخوته في قولهم: { وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا } [يوسف: 65] فاضمروا الاستثناء في نياتهم، لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري.
والرابع: أنه كالأمر لهم، فكأنه قال: ازرعوا.³⁶⁶

الفائدة 488 : الكليات الخمس

هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال ، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة ، وكل ما يفوت شيئا منها فهو مفسدة ، ودفعه مصلحة ، ولا خلاف أن مقاصد الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية ، ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى

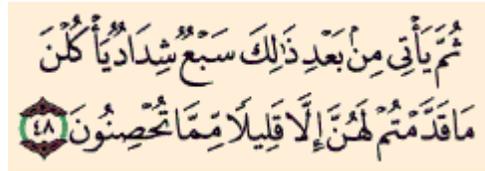
ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 285³⁶⁴
³⁶⁵ ابن جزى الغرناطي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ص 430
ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط³⁶⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

السعادة الأخروية ، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده ، من غير وجوب عليه ولا استحقاق ، هذا مذهب كافة المحققين من أهل السنة .³⁶⁷

الفائدة 489: نكتة لغوية

- قوله : " تزرعون " خبر في معنى الأمر كقوله : " تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون " وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد الأمور به ، فيجعل كأنه يوجد، فيخبر عنه. والدليل على كونه في معنى الأمر قوله : " فذروه في سنبله "



أوجه الاستدلال من الآية :

تدلنا الآية على جواز الرؤيا للكافر ، ثم أنّ فيها لطيفة اقتصادية تتعلق بالادخار وأنواعه وفيها نكت لغوية مهمة .

الفائدة 490: جواز الرؤيا للكافر

هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تُخَرِّج على حسب ما رأى ، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن ، فكيف إذا كانت آية لنبي ، ومعجزة لرسول ، وتصديقا لمصطفى للتبليغ ، وحجة للواسطة بين الله جل جلاله وبين عباده .

الفائدة 491: في الادخار

و" تحصنون " معناه تحرزون وتخزنون قاله ابن عباس ، وهو مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملاجأ، ومنه تحصن النساء لأنه بمعنى التحرز .

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ص 183³⁶⁷

والمقصود به هنا هو الادخار، وهو ما يفيض من الدخل (الغلات) بعدما ينفق على الاستهلاك (المقتات) ، فالادخار هو امتناع عن الإنفاق على الاستهلاك .
وأهمية المدّخرات في الخطة تبدو واضحة في أن الاستثمارات * التي تقرر في الخطة لا بد لها من تمويل ، وتمويلها يأتي من المدخرات المحلية (التحصين).³⁶⁸

الفائدة 492: في أنواع الادخار

يمكن النظر إلى الادخار من زاويتين : شخصية المدخر ، وطبيعة الادخار .
(1) من حيث شخصية المدّخر :

قد يكون فرديا وهو الذي يقوم به الأفراد عندما تفيض دخولهم على ما ينفقونه على الاستهلاك، أما الادخار العام، فهو عبارة عن فائض الدخل الحكومي (تزرعون ..دأبا) عن الإنفاق الحكومي على الاستهلاك (إلا قليلا ممّا تأكلون).

(2) من حيث طبيعة الادخار :

قد يكون الادخار اختياريا ، وهو الذي يقوم به الأفراد بمحض مشيئتهم واختيارهم وذلك بالامتناع عن إنفاق جزء من دخولهم على أغراض الاستهلاك دون ضغط أو إلزام .
أما الادخار الإجباري فهو يتخذ صورة تدخل الدولة لاستقطاع جزء من دخول الأفراد (إلا قليلا مما تحصنون) بطريقة إلزامية بموجب تشريعات أو قرارات صادرة من السلطات العامة (فذروه في سنبله).³⁶⁹

الفائدة 493: نكت لغوية

{يَأْكُلْنَ} مجاز ، والمعنى يأكل أهلهم. كما قال تعالى " والنهار مبصرا " ونحوه قول القائل:
نهارك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلك نومٌ والردى لك لازمٌ
والنهار لا يسهو، والليل لا ينام؛ وإنما يسهى في النهار، ويُنَام في الليل.
وهذا كثير في كلام العرب .

* سنعود إلى هذا المفهوم في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى .
د. حسين عمر، التنمية والتخطيط الاقتصادي ، ص 176-177³⁶⁸
د. حسين عمر، المرجع السابق، ص 177-178³⁶⁹

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية دلالة على أدب من آداب الفتوى ، ثم أن فيها إشارات إلى رحمة الله بعباده ومنها أن بعد العسر يأتي اليسر، وأن الغيث من رحمته وأنه لا بد من الخير بعد الشر. ونختم بمقابلة بين السيرة النبوية والسيرة اليوسفية فيما يتعلق بالسنين ، وبعدها بنكتة لغوية.

الفائدة 494 : الزيادة في الإجابة من آداب الفتوى

إنه ينبغي للمسئول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله ، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه ، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته ، وحسن إرشاده، فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك ، بل دلهم - مع ذلك - على ما يصنعون في تلك السنن المخصبات من كثرة الزرع وكثرة جبايته³⁷⁰ . وقد ورد مثله عن النبي ﷺ عندما سئل عن ماء البحر فقال : " هو الطهور ماءه ، الحل ميثته"³⁷¹.

الفائدة 495 : لن يغلب عسر يسرين

لقد أخبر يوسف الناس بأنهم سيواجهون مرحلة يسر وبعدها عسر وسيفرج عنهم بيسر آخر، فلن يغلب عسر يسرين كما جاء في حديث النبي ﷺ³⁷².

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 285³⁷⁰
³⁷¹ أخرجه ابن أبي شيببة (122/1 ، رقم 1392) ، وابن ماجه (1081/2 ، رقم 3246) . وأخرجه أيضاً : الديلمي (34/2 ، رقم 2215) . أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (478/3) ، والحاكم (238/1 ، رقم 493) ، والبيهقى فى معرفة السنن (226/1 ، رقم 475) . وأخرجه أيضاً : فى السنن الكبرى (3/1 ، رقم 2) . ورواه الأربعة وأحمد وابن خزيمة وهو فى صحيح الجامع 2877
³⁷² أخرجه الحاكم (575/2 ، رقم 3950) .

وفي نزول الغيث دروس: أولها: أن إجابة الدعاء معجزة وكرامة، وأن هناك صلة بين هذا المخلوق الضعيف والله القوي الباقي تبارك وتعالى، وهو درس من دروس التوحيد، عاشه عليه الصلاة والسلام حقيقة أمام أكثر من ألف من أصحابه ونقلتها لنا كتب العلم، فمن كان في شك فليشك ، ومن كان في ريبة فليرتب
والله يقول في حديث قدسي يرويه أبو يعلى : (وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع؛ لخشفت بكم الأرض خسفاً ولمنعتكم القطر من السماء) ولكن عناية الله ورحمته وحلمه عن كل مجرم وعاص أنه نظر سبحانه إلى هذه العجماوات والحيوانات، وإلى الأطفال والشيوخ الركع السجود، وإلى الدعاة، والصالحين، فيغيث الله البلاد والعباد .

القضية الثانية : أن فيه آية؛ لأن الله يغيث القلوب متى أرادت القلوب غوث الله، أرض قاحلة وقلوب قاسية، فإذا طلبت القلوب مولاها باللين لينها الله، يقول سبحانه وتعالى ﴿: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:16] ثم قال ﴿:اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17].

القضية الثالثة: في نزول الغيث عبرة، وهي أن الله يحيي الموتى ويردهم إليه، قال تعالى ﴿: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:62] والله ذكر هذه القضية في كثير من آيات القرآن، كلما ذكر نزول الغيث وإحياء النبات وترعرع الأزهار والنبات والأشجار، أخبرنا أنه يعيد الموتى إليه كما أعاد هذا الشجر بعد أن مات، قال تعالى ﴿:وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق:10-11] كذلك الخروج من المقابر، كذلك تخرجون أيها البشر إذا متم؛ تخرجون كما تخرج النباتات³⁷³ .

عائض القرني ، قضايا من آية وهو الذي ينزل الغيث (الشبكة الإسلامية) باختصار شديد ³⁷³

الفائدة 497: الإعصار

قال ابن عباس : أخبرهم يوسف بشيء لم يسألوه عنه، كان الله قد علمه إياه ، وفيه يعصرون السمسم دهنا ، والعنب خمرا ، والزيتون زيتا ، فيتخذون الأشربة والأدهان. والمراد كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار .³⁷⁴

الفائدة 498: هل لابد من عام خير بعد أعوام الشر ؟

فإن قيل : معلوم أن السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف بالانتهاء فلم قيل أن ذلك من جهة الوحي ؟ فالجواب أن ذلك معلوم علما مطلقا وليس مفصلا ، فقله : " فيه يغاث الناس وفيه يعصرون" تفصيل لحال العام بأن العام الثامن يجيء مباركاً كثير الخير غزير النعم ، وذلك لا يعلم إلا من جهة الوحي.

الفائدة 499: السنين بين قصة يوسف عليه السلام وسيرة النبي ﷺ

إلى هذه السنين أشار النبي ﷺ في دعائه على قريش : " اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف" فعن ابن مسعود قال : إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم على السماء فلا يرون إلا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت فاستسقى ﷺ لهم فسقوا.³⁷⁵

الفائدة 500 : نكتة لغوية

- استعمل كلمة عام وليس سنة ، لأن العام أدل على الخير ، أما السنة قد تستعمل للشدة والمحنة ، ولذلك يقال (عام سعيد) وليس سنة .
- إن قيل: لم أشار إلى السنين وهي مؤنثة ب «ذلك» فعنه جوابان نكرهما ابن القاسم:

³⁷⁴ صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6 ، ص 347
³⁷⁵ الحديث مخزج في الصحيحين ورواه أحمد والنسائي والترمذي ، راجع ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 4 ص 149

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أحدهما: أن السبع مؤنثه، ولا علامة للتأنيث في لفظها، فأشبهت المذكر، كقوله: {السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ} [المزمل: 18] فذكر منقطرا لما لم يكن في السماء علم التأنيث، قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها
فذكر «أبقل» لما وصفنا.

والثاني: أن «ذلك» إشارة إلى الجذب، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. قال قتادة: زاده الله علم عام لم يسألوه عنه.³⁷⁶

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَسْأَلُهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ

أوجه الاستدلال من الآية :

الآية مرجع في خصوصية القصاص القرآني فيما يتعلق بحذف المشاهد وذكر الأهم، وفيها جملة أخرى من أخلاق يوسف عليه السلام تتعلق بنبله في التعبير وطلبه للبراءة اتقاء للتهمة ، وتضحيتة بحريته في سبيل إعلاء كلمة الحق إلى جانب عزة نفسه وصون كرامته، إضافة إلى عظيم حلمه ووفائه ، وثقته المطلقة بالله خالقه، وأثر التربية الإيمانية عليه ، مما يجعله قنوة لكل مؤمن ، بيد أننا نشير إلى أن كل هذه الخصال قد تمثلها نبينا ρ في سيرته العطرة ، ونختتم بدلائل قوله تعالى أن ربي بكيدهن عليم .

الفائدة 501: محذوفات الآية

في تضاعيف هذه الآية محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها ، والمعنى هنا: فرجع الرسول إلى الملأ والملك فقص عليهم مقالة يوسف ، فعظم يوسف في نفس الملك " وقال ائتونني به " .

فلما وصل الرسول إليه وقال : " إن الملك قد أمر بأن تخرج " قال له " ارجع إلى ربي " أي الملك وقل له " ما بال النسوة " ومقصد يوسف عليه السلام إنما كان وقل له يستقصي عن ذنبي وينظر في أمري هل سجت بحق أو بظلم ؟

ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط³⁷⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وهذا كما ذكرناه آنفاً من الإعجاز القرآني وكيف أنه يختصر الأحداث في الكلمات القليلة، كما يعرض القصة حية كأنما يشاهدها الإنسان أمامه في هذه اللحظة في مشاهد مكثفة .

الفائدة 502: لماذا استدعى الملك يوسف ؟

- استدعى الملك يوسف عليه السلام بقوله: " اتئوني به " للأمر التالية :
- لَمَّا رَأَى مِنْ نُبُلٍ تُعَبِّيرُ يَوْسُفَ وَحُسْنَ رَأْيِهِ ، فَقَدَ فَسَّرَ الرُّؤْيَا الَّتِي عَجَزَ عَنْهَا مَلَأَهُ
 - لَتَضْمَنَ الغَيْبَ فِي أَمْرِ العَامِ الثَّامِنِ ، بِإِخْبَارِهِ عَنِ الخَيْرِ الكَثِيرِ
 - وَلَمَّا وُصِفَ بِهِ مِنَ الصِّدْقِ مِنْ قَبْلِ السَّاقِي

الفائدة 503: طلب البراءة ورد التهمة

في الآية دليل على أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه ، وطلب البراءة لها ، بل يحمد على ذلك ، وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن .³⁷⁷

و قد ورد في الأثر: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم³⁷⁸ . ولأجل هذا كان الزمخشري، وكان مقطوع الرجل قد أثبت على القضاة أن رجله لم تقطع في خيانة ولا فساد، وكان يظهر ذلك المكتوب فيكل بلد دخله خوفاً من تهمة السوء.³⁷⁹

الفائدة 504: الروبوية

إن استخدام يوسف عليه السلام لكلمة " ربي " هو بمدلولها الكامل بالقياس إليه ، وبالقياس إلى رسول الملك إليه ، فالملك رب الرسول لأنه حاكمه الذين يدين لسلطانه والله رب يوسف لأنه حاكمه الذي يدين لسلطانه .

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 285³⁷⁷
³⁷⁸ قال العجلوني في كشف الخفاء (333/2) : (من سلك مسلك التهم اتهم) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عمر من قوله بلفظ (من أقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من أساء الظن به) وقد ذكر السخاوي آثاراً من معناه في تصنيف له في الظن ، منها ما في الكشاف في أواخر تفسير الأحزاب بلفظ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم) .
³⁷⁹ أبو حيان ، البحر المحيط ، جزء 7 ص 52

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وفي ذلك أيضا ذم لربوبية العبيد للعبيد ، وتنبيه للعبيد إلى أن الربوبية الحقيقية التي تبعث العزة والقوة في نفوسهم هي ربوبية الله سبحانه وتعالى .³⁸⁰

كما قال الصحابي الجليل ربيعي بن عامر لرستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية الشهيرة : " جننا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد"

الفائدة 505: التضحية في سبيل إعلاء كلمة الحق

يعلّمنا موقف يوسف عليه السلام كيف يستهين الإنسان المؤمن بالشدائد في سبيل طهارة النفس وبراءة العرض، ويرينا أن عذاب الجسم وإن عظم فهو دون عذاب الروح، فإن عذاب الجسم إلى الزوال ، أما عذاب الروح وألم الضمير ووخزه فهو عذاب إلى الأبد وقد ضرب لنا التاريخ الإسلامي أروع الأمثلة و في أزمنة مختلفة عن مؤمنين استهانوا بعذاب أجسامهم في الجهاد والحروب في سبيل راحة قلوبهم ، وقيامهم بواجبهم نحو دينهم وربهم ، وقد ترى في الرجل ما لا يحصى من الضربات والطعنات ، وهو راض مطمئن ، لأنه في سبيل راحة قلبه واطمئنان نفسه ومرضاة ربه .³⁸¹

الفائدة 506: بين الرخصة والعزيمة (أو بين الحزم والصبر)

ورد عن النبي ρ أنه قال : " لو لبثت في السجن لبث يوسف لأجبت الداعي"³⁸² . والمعنى لو كنت أنا لبادرت بالخروج ، ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك ، وذلك أن هذه القصص والنوازل إنما هي معرضة ليقنتي الناس بها إلى يوم القيامة ، فأراد ρ حمل الناس على الأحزم من الأمور ، وذلك أن التارك لمثل هذه الفرصة ربما نتج له بسبب التأخير خلاف مقصوده وإن كان يوسف قد آمن ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لا يأمن ذلك ، فالحالة التي ذهب النبي ρ بنفسه إليها حالة حزم ومدح ليقنتى به ، وما فعله يوسف عليه السلام حالة صبر وتجلد .³⁸³

³⁸⁰ عبد الرحمان المعلمي ، دروس وعبر في سورة يوسف ، ص 76-77

³⁸¹ عبد الرحمان العلمي ، المرجع السابق ، ص 79

³⁸² أخرجه أحمد (326/2 ، رقم 8311) ، والبخاري (1650/4 ، رقم 4263) ، ومسلم (1839/4) ، رقم (151) ، والنسائي (305/6 ، رقم 11050) . وأخرجه أيضا : ابن ماجه (1335/2 ، رقم 4026) ، وابن حبان (88/14 ، رقم 6208) ، وأبو عوانة (78/1 ، رقم 230) .

³⁸³ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 328

الفائدة 507: عزة نفس يوسف عليه السلام وصون كرامته

لم يرض يوسف عليه السلام أن تكون التهمة بالباطل عاقلة به ، فطلب إظهار براءته وعفته عن أن يزن بريية أو تحوم حول اسمه شائبة السوء ، فخشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه فيراه الناس بتلك العين يقولون : (هذا الذي راود امرأة العزيز).³⁸⁴

الفائدة 508 : أثر التربية الإيمانية

إن أثر التربية الربانية شديد الوضوح في الفارق بين الموقفين:الموقف الذي يقول يوسف فيه للفتى:اذكرني عند ربك ، والموقف الذي يقول له فيه:ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، والفارق بين الموقفين بعيد . .
(قال:ارجع إلى ربك فاسأله:ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن . إن ربي بكيدهن عليم)
لقد رد يوسف أمر الملك باستدعائه حتى يستوثق الملك من أمره ، وحتى يتحقق من شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن. بهذا القيد ، تدكيرا بالواقعة وملابساتها وكيد بعضهن لبعض فيها وكيدهن له بعدها .وحتى يكون هذا التحقق في غيبته لتظهر الحقيقة خالص ، دون أن يتدخل هو في مناقشتها . كل أولئك لأنه واثق من نفسه ، واثق من براءته ، مطمئن إلى أن الحق لا يخفى طويلا ، ولا يخذل طويلا³⁸⁵

الفائدة 509 : لماذا طلب يوسف السؤال عن النسوة دون امرأة العزيز ؟

إن في سؤال يوسف عليه السلام عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز ثلاثة أوجه :

- أحدها : أن في سؤاله عنها ظنةً ربما صار بها متهماً .
- والثاني : صيانة لها لأنها زوج الملك فلم ييسق بذكرها .
- الثالث : أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها .³⁸⁶

المراعي ، تفسير المراعي ، الجزء 12 ، ص 159³⁸⁴ و صديق خان ، فتح البيان، الجزء 6 ، ص 348
سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 57³⁸⁵
³⁸⁶ الماوردي،النكت والعيون ، جزء 2 ، ص 265 بتصرف يسير

الفائدة 510: عظيم حلم يوسف عليه السلام

قال ابن العربي : وانظر إلى عظيم حلم يوسف عليه السلام ووفور أدبه كيف قال : " ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن " فعفَّ عن اتهام النسوة بالسوء والتصريح بالطعن عليهن حتى يتحقق الملك بنفسه حينما يسألهن عن السبب في تقطيع الأيدي ويعلم ذلك منهن حين الإجابة .³⁸⁷

الفائدة 511: كل خصلة ذكرت في القرآن كان للنبي ﷺ فيها السبق

وهذه كانت أخلاق نبينا محمد ﷺ لا يقابل أحدا بمكروه وإنما يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا من غير تعيين ، وبالجملة فكل خصلة حميدة مذكورة في القرآن اتصف بها الأنبياء والأصفياء فقد اتصف بها نبينا محمد ﷺ إذ كان خلقه القرآن كما روته عائشة في الصحيح وكما ذكر سبحانه " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (الأنعام / 90)

الفائدة 512: وفاء يوسف عليه السلام

إن يوسف عليه السلام لم يذكر سيده مع النسوة في تلك الفتنة الشعواء وفاء لزوجها ورحمة بها ، وإنما اتهمها أولاً دفاعاً عن نفسه حين وقف موقف التهمة لدى سيدها ، وبعد أن طعنت فيه .

الفائدة 513 : النبي قدوة في عفته وكرامته

لو كان يوسف عليه السلام مذنباً لأسرع بالخروج - خاصة بعد أن لبث في السجن سنوات عديدة - إلا أن رفضه للخروج حتى يعاد فتح القضية وتبرأ ساحته دليل على أنه كان واثقاً من براءته ويريد أن يكون ذلك على الملأ ، لأنه نبي مرسل ، و لا يجدر بالنبي أن تشوب كرامته أو عفته أدنى شبهة .

³⁸⁷ عبد الرحمان الثعالبي ، المرجع السابق ، نفس الصفحة

الفائدة 514: دلائل قوله : " إن ربي بكيدهن عليم "

في قوله : " إن ربي بكيدهن عليم " دلائل تتمثل في :

- تعظيم لكيد النسوة
- الاستشهاد عليه بعلم الله تعالى
- وبراءته مما قذف به
- الوعيد لهاتيك النسوة على كيدهن

الفائدة 515 : ثقة يوسف المطلقة بالله

في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام " إن ربي بكيدهن عليم " بيان بأن الله تعالى محيط بكيدهن مهما دبّرن وخططن من المؤامرات ، وهو تعالى قادر على رد كيديهن في نحورهن ، وهو الذي يصرف السوء عن الذين آمنوا " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " (فاطر/43) .

الفائدة 516: وعيد لأصحاب الكيد

وقوله: {إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} [يوسف:50]، فيه وعيدٌ لكل صاحب مكيدة وتآمر بأن الله محيط بكيده ، ومآله إلى مقت الله وغضبه إلا أن يتغمده الله برحمته.

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تخبرنا الآية بطائفة من القواعد المتعلقة بالقضاء، وهي إعادة الاعتبار للمتهم زورا وإعادة النظر في القضية لتوفر أدلة جديدة ، وتشكيل لجنة مستقلة عند الضرورة، ومبدأ

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الحيدة في الإلقاء بالشهادة، وألفاظ التبرئة من التهمة . كما تنبئنا الآية عن التوبة الصادقة لامرأة العزيز وردھا الجميل ليوسف عليه السلام في اعترافها بذنبها أمام الملاء، وكيف أنها أكبرت يوسف عليه السلام وأجلته ، ونختم ببيان السورة لدفع التهم ، وينكتة لغوية .

الفائدة 517: القضاء يعيد الاعتبار ليوسف

بإثارة يوسف عليه السلام القضية أمام الملك نفسه إنما يصعدھا للنظر أمام أعلى المستويات القضائية في الدولة وهو مستوى لا تقبل أحكامه النقض ولا يفعل ذلك إلا من كان واثقا من براءته الكاملة .

الفائدة 518: إعادة النظر في القضية لوجود أدلة جديدة

لقد أعاد الملك فتح قضية يوسف عليه السلام ، رغم مرور سنوات طويلة عليها ، وذلك لظهور مستجدات تعمل في صالح المتهم ، وذلك من مبادئ القضاء ، لا سيما أنه في المرة السابقة كان القضاء عرفيا والسجن احتياطيا مع غياب أدلة الإدانة .

الفائدة 519 : تشكيل لجنة تحقيق مستقلة

نتصور أيضا أن الملك كلف من أعاد التحقيق في القضية ، فمحص فيها ، وسأل وأعاد ترتيب فصولها ، واستدعى كافة الشهود، وهذا بعيدا عن أي ضغوط أو اعتبارات ذاتية ، فلما تكون هناك استقلالية وحياد تظهر النتائج أقرب إلى الواقع والحقيقة .

الفائدة 520 : الحيدة

لقد أجابت النسوة بمكر مرة أخرى، فإن الملك سألهن لماذا راودن يوسف عن نفسه فراوغن في الإجابة ووصفن يوسف عليه السلام بأنه بريء من السوء بينما كان يفترض منهن أن ينفيں التهمة عن أنفسهن وليس عن يوسف فليس عن هذا سأل الملك ، وهو ما يسمى " بالحيدة " .

الفائدة 521: ألفاظ التبرئة من التهمة في الفقه

في قولهن " حاش لله ما علمنا عليه من سوء " ليس بإبراء تام وإنما كان الإبراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في إحدى الجهتين ولو قلن : ما علمن عليه إلا خيراً لكان أدخل في التبرئة .
وقد بَوَّب البخاري على هذه الألفاظ على أنها تزكية وأدخل قول أسامة بن زيد في حديث الإفك " أهلك ولا نعلم إلا خيراً ."
قال القاضي أبو محمد وأما مالك رحمه الله فلا يقنع بهذا في تزكية الشاهد لأنه ليس بإثبات العدالة.³⁸⁸

الفائدة 522: ظهور الحق

- قوله " حصص الحق " لقد ظهر الحق من وقائع القصة بما يلي :
- فرار يوسف من امرأة العزيز
 - إيثاره عيشة السجن على عيشة القصور
 - شهادة النسوة اللاتي شهدن له

الفائدة 523 : توبة امرأة العزيز الصادقة

{ أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين } وهذا القول منها وإن لم تسأل عنه إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف ونزاهته لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه ، فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتى لا يخامر نفساً ظن ولا يخالجه شك .³⁸⁹

³⁸⁸ ابن عطية ، المحرر الوجيز ، جزء 3 ، ص 253
الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ، ص 265³⁸⁹

الفائدة 524: رد الجميل

لما راعى يوسف عليه السلام جانب امرأة العزيز حيث قال: لَمَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ { فذكرهن ولم يذكر تلك المرأة البتة فعرفت المرأة أنه إنما ترك ذكرها رعاية لحقها وتعظيماً لجانبها وإخفاء للأمر عليها، فأرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فاعترفت بأن الذنب كله كان من جانبها وأن يوسف عليه السلام كان مبرراً عن الكل .

وقد جاء في بعض الكتب أن امرأة جاءت بزوجه إلى القاضي وادعت عليه المهر، فأمر القاضي بأن يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من إقامة الشهادة، فقال الزوج: لا حاجة إلى ذلك، فإني مقر بصدقها في دعواها، فقالت المرأة لما أكرمتني إلى هذا الحد فاشهدوا أنني أبرأت ذمتك من كل حق لي عليك.³⁹⁰

الفائدة 525: للأتقياء في نفوس الفسقة إجلال وإكبار

إن في كلام امرأة العزيز شهادة ليوسف بالصدق والعفة ، وأن الله قد وضع في نفوس الفسقة إجلال الأتقياء وإكبارهم ، وإن لم يضع في قلوبهم محبتهم ، فامرأة العزيز على حرمانها من طلبها ، وتعفف يوسف عن تمكنها من شهوتها ، وذلك من شأنه أن يوغر الصدور ويملأها حقداً وحنقا ، وهو ما دعاها إلى أن تلصق به من التهم ما هو بريء منها ، شهدت له في النهاية بالصدق والعفة ، واعترفت له بالكرامة ، وهي تحله محل الاحترام والإجلال .³⁹¹

الفائدة 526: السورة كشف وبيان لدفع التهم

إن دخول يوسف السجن (تغييب وإخفاء) ثم خروجه منه (إظهار وإبانة) . لكن يوسف عليه السلام لم يكن ليرضى أن يخرج من السجن وما زال في قضية امرأة العزيز

فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ، جزء 10، ص 125³⁹⁰
³⁹¹ عبد الرحمن العلمي ، دروس وعبر في سورة يوسف ، ص 82

والنسوة اللواتي قطعن أيديهن لبس أو غموض، فطلب أن يعاد النظر في الأمر حتى يُعلن ما كان خافياً، ويظهر ما كان مستوراً. فلما سئلت النسوة عن الأمر) (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) وأما امرأة العزيز فقد قالت(الآنَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا زَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ). وحصص تعني _ لغوياً _ ظهر وانكشف بعد خفاء. والحصصة : بيان الحق بعد كتمانها (لسان العرب م/7 ص16. ³⁹²

الفائدة 527: نكت لغوية

أصل حصص: حَصَّ ولكن قيل: حصص، كما قيل: فُكِّبُوا في «كُبو»، وقيل: «كفكف» في «كف»، و«ذُرِّر» في «ذَرَّ». وأصل الحصص: استئصال الشيء، يقال منه: حَصَّ شعره: إذا استأصله جزأً. وإنما أريد في هذا الموضع: حصص الحق: ذهب الباطل والكذب، فانقطع، وتبين الحق فظهر. ³⁹³

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تخبرنا الآية بأن التحقيق النزيه في القضايا يؤدي إلى الحقيقة في غالب الأحيان ، كما تطلعنا على النفسية الجديدة لامرأة العزيز واعترافها الصادق بالذنب، ونختم بنكتة بلاغية.

الفائدة 528: التحقيق يفضي إلى الحقيقة

على الجملة فالتحقيق أسفر عن أن يوسف كان مثل الكمال الإنساني في عفته ونزاهته ، لم يمسه سوء من فتنة أولئك النسوة . ³⁹⁴

³⁹² ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

ابن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، جزء 12 ، ص ³⁹³139

³⁹⁴ المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 12 ، ص 159

الفائدة 529: الاعتراف بالذنب بداية للتوبة

في قولها " ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب " شعور المرأة بخيانة زوجها وهو يهدد كيانه النفسي وبيتها فهاهي ترجع إلى الحق ، لقد كان زوجها غائبا عنها ، ووقع منها ما وقع، وهما معا امرأة العزيز ويوسف وليس معهما إنسي آخر ، وقد خمدت شهوة الجنس فيها بعد دخول يوسف السجن ، ولكنها لا تزال تحس أن شيئا يعذبها في قلبها فلتخرجه بالاعتراف ، مؤمنة بأن الله لا يبارك ولا يوفق الخائنين في مكائدهم .
و أقرت في خاتمة المطاف بذنبها في مجلس الملك إثارا للحق وإثباتا لبراءة يوسف عليه السلام.

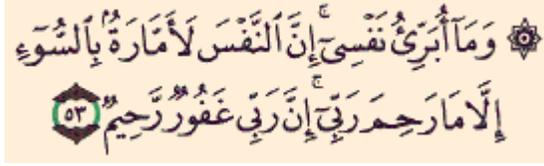
الفائدة 530: النفسية الجديدة لامرأة العزيز

ما أعجب أمر امرأة العزيز ، أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها ، ثم اعتذرت عن نفسها، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته ، وأنه إذا لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر .
ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي على دين الشرك ، فإن القوم كانوا يقرون بالرّب سبحانه وتعالى وبحقه ، وإن أشركوا معه غيره . ولا تنس قول سيدها لها في أول الحال: " واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين " .³⁹⁵

الفائدة 531: نكتة بلاغية

رجّح البلاغيون أن يكون كلام " ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين" من قول زليخا ، لأنه أقرب إلى المقام وأليق بمقام الغزل ، حيث يفدي المحب من يحب بنفسه ، ألا ترى عندما استحكمت المحنة وبلغت النهاية فدته بنفسها فقالت : "الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين " وتقربت إلى قلبه بقولها : " ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب " .
ويثبت ذلك أيضا بقولها للنسوة اللواتي سمعت بمكرهن : " فذلكن الذي لمتني فيه " غير مكترثة لما فضحها به .

³⁹⁵ كما سنؤكده في فائدة أخرى لاحقا



أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرض في هذه الآية إلى طبائع النفس البشرية ، وما يتعلق بالنفس الأمانة بالسوء وأنه لا يوثق بها ، ثم نبين أن الكلام في الآية لامرأة العزيز على الأرجح ، ونعرج على فضائل التحلي بالرحمة وكذا على صفتين من صفات الله تعالى وهما المغفرة والرحمة وفضل التخلق بهما ، كما نتعرض إلى شيء من أثر التوحيد وحسن الخلق في أهل مصر زمن يوسف عليه السلام ، لنختم بفضيلة الاعتراف في الدنيا والآخرة ، ولنا حديث عن العنصر الإنساني في السورة الكريمة .

الفائدة 532: النفس الأمانة بالسوء

إن النفس الأمانة بالسوء هي المذمومة وهي التي تأمر بكل سوء ، وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله كما قال تعالى حاكيا عن امرأة العزيز " وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم " .

فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله .
والنفس الأمانة جعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويأمرها بالشر ويزينه لها ويطيل في الأمل ويربها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الأمانى الكاذبة والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها وإرادتها ، فمنه يدخل عليها كل مكروه .

والمقصود أن الملك قرين النفس المطمئنة، والشيطان قرين الأمانة ، وقد روى أبوالأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " إن للشيطان لمة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

بابن آدم وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) *396 .

ونذكر بعض علماء الصوفية أن النفس تترقى بواسطة المجاهدة والرياضة من مرتبة كونها أمانة إلى مرتبة أخرى من كونها لؤامة وراضية ومرضية ومطمئنة وغير ذلك وجعلوا لها في كل مرتبة ذكراً مخصوصاً وأطنبوا في ذلك فيرجع إليه .

الفائدة 533: الكلام لامرأة العزيز عاى الأرجح

- الصواب أن " وما أبرئ نفسي " من قول امرأة العزيز من وجوه :
- أحدها : أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها : " الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي " .
- الثاني : أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه ، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها " الآن حصص الحق " والسياق صحيح صريح في ذلك . فإنه لما أرسل إليه الملك يدعوه قال للرسول : " ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؟ " فأرسل إليهن الملك وأحضرهن وسألهن ، وفيهن امرأة العزيز ، فشهدن ببراءته ونزاهته في غيبته .

الفائدة 534 : النفس لا يوثق بها

في قول امرأة العزيز نداء إلى الذين يضعون أنفسهم في مواطن الشبهات والفتن ثم يتبجحون بقولهم : (إنني أتق في نفسي) ومن وثق في نفسه بهذا المعنى فهو أحمق ، لأن الله وصف الشيطان بقوله " إنما يأمركم بالسوء " ، وأما النفس فهي " أمانة بالسوء " زيادة في

* أخرجه الترمذى (219/5 ، رقم 2988) وقال : حسن غريب . والنسائي فى الكبرى (305/6 ، رقم 11051) ، وابن أبى الدنيا فى فى مكاييد الشيطان (ص 61 ، رقم 41) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (120/4 ، رقم 4506) ، وابن حبان (278/3 ، رقم 997) . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (417/8 ، رقم 4999) ، والطبرى فى التفسير (88/3) ، وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (322/1) وقال ابن كثير : رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره .

³⁹⁶ راجع : ابن قيم الجوزية ، الروح ، ص 204 إلى 205

المبالغة والتحذير من خطورة هذه النفس لأنها جبلت على الدعة والكسل ومحبة الشهوات،
ولأن القليل من رزقه الله النفس اللوامة .

الفائدة 535 : الاعتذار

قول امرأة العزيز : " وما أبرئ نفسي " أي عن مرادته ومقصودها :

- أولا : تصديق يوسف عليه السلام في قوله: {هي راودتني عن نفسي}
- الثاني: أنها لما قالت: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} (يوسف: 52) قالت وما أبرئ نفسي عن الخيانة مطلقا فإني قد خنته حين قد أحلت الذنب عليه وقالت: {ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم} (يوسف: 25) وأودعته السجن كأنها أرادت الاعتذار مما كان.³⁹⁷

الفائدة 536: من فضائل التحلي بالرحمة

- منها أن يرزق العبد السماحة في كل شيء : ومنه قوله عليه السلام : " رحم الله عبدا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى "
- منها أن يرزق العبد النفس اللوامة أو النفس المطمئنة : ومنه قوله تعالى على لسان امرأة العزيز " إلا من رحم ربي "
- منها النجاة من العذاب : قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : " قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " "
- منها النجاة من الاختلاف : قال تعالى : " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا ما رحم ربك "
- الوقاية من السيئات : قال تعالى على لسان الملائكة : " وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته "
- النجاة من عذاب يوم القيامة : قال تعالى : " من يصرف عنه يومئذ رحمه وذلك الفوز المبين " .

فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ، جزء 10، ص 127³⁹⁷

الفائدة 537: من صفات الله المغفرة

الغفور مبالغة في الغفران ك"الغفار" ، إلا أن اسمه " الغفار " يقتضي العموم في الأزمان والأفراد ، واسمه " الغفور " يقتضي المبالغة في كثرة ما يغفر ، أي في كثرة غفرانه . قيل المغفرة مأخوذ من الغفر وهو نبت إذا وضع في الجرح بريء من حينه ، فالمغفرة تبرئ جراح الذنوب ، كما يبرئ هذا النبات جراح الأبدان . وقيل من " المَغْفَر " وهو الجنة التي تجعل على الرأس عند الحرب ، لأن المغفرة ستر الذنوب . ومن علم أنه الغفور الذي لا يتعاطمه ذنب ، أكثر من الاستغفار . والاستغفار : طلب المغفرة ، ثم إن كان مع الانكسار ، فهو صحيح ، وإن كان مع التوبة ، فهو كامل ، وإن كان عريًا عنهما فهو باطل .³⁹⁸

الفائدة 538 : التخلق بالمغفرة

التخلق به بالمغفرة للجناة ، والعتو عنهم ، وهو مفتاح باب المغفرة من الله تعالى ، قال تعالى : " وليعفو وليصفو ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " (النور / 22) .³⁹⁹

الفائدة 539: من صفات الله الرحمة

الرحيم هو فعيل من الرحمة ، قيل وهو أبلغ من الرحمان ، لأن الرحمان المنعم بنعمة الإيجاد (الخلق) ، والرحيم المنعم بنعمة الإمداد (بالنعمة) ، وهو بعد الإيجاد فله متعلقان : في الأثر : الإمداد الحسي للبشرية ، والمعنوي للروحانية ووجهان في المعنى : رحيمية الدفع والجلب إذ بهما تتأتى نعمة الإمداد ، ولما كانت صورة الإمداد يظهر آثارها من الخلق ، جاز إطلاق هذا الاسم عليهم مجازا : فيقال فلان رحيم ، ولا يقال فلان رحمان ، لأن معناه من نعمة الإيجاد لا يتأتى من العباد ، بخلاف الإمداد فتظهر صورتها عليهم .

³⁹⁸ محمد بن عجيبة الحسني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص 143

³⁹⁹ محمد بن عجيبة الحسني ، المرجع السابق ، ص 144

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

واختص بالمؤمنين في قوله تعالى " وكان بالمؤمنين رحيما " (الأحزاب / 43) لأن الإمداد الحقيقي الذي هو إمداد الروحانية خاص بهم ، وأما إمداد البشرية فهو للبهائم وغيرهم . فلا مزية فيه للإنسان ، بل إمداده للكافر زيادة في عقوبته " أنما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما " (آل عمران 178) فهو محنة في حقه ، وإمداد المؤمن زيادة في ثوابه ، فهو رحمة في حقه ، ويستويان في الإيجاد إذ لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإن كان هو مظهرهما ⁴⁰⁰.

الفائدة 540: التخلق بالرحمة

التخلق بالرحمة يكون بإغاثة المساكين وإغاثة الملهوفين ، والرفق بعباد الله أجمعين طائعهم وعاصيهم ، ودانيهم وقاصيهم ، وكون ذلك شكرا لما أسداه الله من نعمه ، وما أوصله من كرمه ، وتعرض لنفحات كرمه .

قال الشاعر :

وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وراع في كل مخلوق حق من خلقه⁴⁰¹

ارحم بني جميع الخلق كلهم
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم

الفائدة 541: في أهل مصر يومئذ بقية من خلق

تقتضي الآية أن بعض قوم امرأة العزيز يؤمنون بالله ويحرمون الحرام ، وذلك لا ينافي أنهم كانوا مشركين ، فإن المشركين من العرب كانوا يؤمنون بالله أيضا . قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله " (الزمر / 38) وكانوا يعرفون البر والذنب .

⁴⁰⁰ محمد بن عجيبة الحسني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص119

⁴⁰¹ محمد بن عجيبة الحسني ، المرجع السابق ، ص120

الفائدة 542 : استمرار أثر التوحيد بعد موت يوسف عليه السلام

إذا اتضح أن ديانة التوحيد - على هذا المستوى - كانت قد عرفت قبل تولي يوسف مقاليد الحكم في مصر ; فلا بد أن تكون قد انتشرت بعد ذلك واستقرت على نطاق واسع في أثناء توليه الحكم , ثم من بعد ذلك في عهد أسر الرعاة . فلما استرد الفراعنة زمام الأمور في الأسرة الثامنة عشرة أخذوا يقاومون ديانة التوحيد ممثلة في ذرية يعقوب التي تكاثرت في مصر , لإعادة الوثنية التي تقوم عليها الفرعونية ! . . .

وهذا يكشف لنا سببا أصيلا من أسباب اضطهاد الفراعنة بعد ذلك لبني إسرائيل - أي يعقوب - إلى جانب السبب السياسي , وهو أنهم جاءوا واستوطنوا وحكموا واستقروا في عهد ملوك الرعاة الوافدين . فلما طرد المصريون ملوك الرعاة طاردوا حلفاءهم من بني إسرائيل أيضا . وإن كان اختلاف العقيدتين ينبغي أن يكون هو التفسير الأقوى لذلك الاضطهاد الفظيع . ذلك أن انتشار عقيدة التوحيد الصحيحة يحطم القاعدة التي يقوم عليها ملك الفراعين !

ولقد وردت إشارة إلى هذا الذي نقره في حكاية القرآن الكريم لقول مؤمن آل فرعون في سورة غافر ; في دفاعه الإسلامي المجيد عن موسى عليه السلام , في وجه فرعون وملئه عندما هم فرعون بقتل موسى , ليقتل معه الخطر الذي يتهدد ملكه كله من عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى: " ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التتاد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم , ومن يضل الله فما له من هاد . . . ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به , حتى إذا هلك قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولا , كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب " .⁴⁰²

ولعل التوحيد الناقص المشوه الذي عرف به "أخناتون" لم يكن إلا أثرا من الآثار المضطربة التي بقيت من التوحيد الذي نشره يوسف عليه السلام في مصر كما أسلفنا ; وبخاصة إذا صح ما يقال في التاريخ من أن أم أخناتون كانت آسيوية ولم تكن فرعونية !

الفائدة 543: الاعتراف في الدنيا يجنب الفضيحة يوم القيامة

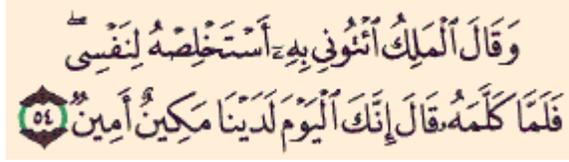
في اعتراف امرأة العزيز بحضرة الملك عبرة بفضيلة الاعتراف بالحق، وتبرئة البريء مما ألصق به ، ومن خشية عقاب الله للخائنين .

سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 15 ⁴⁰²

ولأن كل غادر يأتي يوم القيامة بلواء يحمله ويكتب فيه الذنب الذي ارتكبه ، فيقال : أنا سارق أنا زاني ، أنا خائن ، والعياذ بالله.
فقد قال الرسول ρ : " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء"⁴⁰³

الفائدة 544 : العنصر الإنساني في سورة يوسف عليه السلام

وما أبريء نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم.
إنها امرأة أحببت ، امرأة تكبر الرجل الذي تعلقت به في جاهليتها وإسلامها ، فهي لا تملك إلا أن تظل معلقة بكلمة منه ، أو خاطرة ارتياح تحس أنها صدرت عنه !
وهكذا يتجلى العنصر الإنساني في القصة ، التي لم تسق لمجرد الفن ، إنما سيقت للعبارة والعظة . وسيقت لتعالج قضية العقيدة والدعوة . ويرسم التعبير الفني فيها خفقات المشاعر وانتفاضات الوجدان رسما رشيقا رفيقا شفيقا . في واقعة كاملة تتناسق فيها جميع المؤثرات وجميع الواقعات في مثل هذه النفوس ، في ظل بيئتها ومؤثرات هذه البيئة كذلك.⁴⁰⁴



أوجه الاستدلال من الآية :

تحمل الآية إشارة إلى فضل العلم الذي سما بيوسف عليه السلام ، وإلى قواعد التولية في المناصب لا سيما المهمة منها ، ونجيب من خلالها عن جملة من الأسئلة وهي ما سر إعجاب الملك بيوسف عليه السلام ، وما هي لغة الحوار بينهما وما هي الأمانة و التمكين ، ونختم بالكلام عن بطانة الخير وبطانة السوء .

⁴⁰³ أخرجه البخارى (2285/5 ، رقم 5823) ، ومسلم (1359/3 ، رقم 1735) . وأخرجه أيضًا : أحمد (29/2 ، رقم 4839) وابن الجارود (ص 264 ، رقم 1053) وأبو عوانة (205/4 ، رقم 6504) وعبد بن حميد (ص 244 ، رقم 754)

⁴⁰⁴ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 59

الفائدة 545: سرعة الاستدعاء

{فَلَمَّا كَلَّمَهُ} في الكلام إيجاز: أي فأتوا به فلما جاءه الرسول وقدم عليه، وحذف ذلك للإيجاز بسرعة الإتيان فكأنه لم يكن بينه وبين الأمر بإحضاره عليه السلام والخطاب معه زمان أصلاً، ولم يكن حاضراً مع النسوة في المجلس كما زعمه البعض وجعل المراد من هذا الأمر قربه إلي.

الفائدة 546: فضل العلم والتعلم

في الآية إشارة إلى فضيلة العلم و التعلم ، علم الأحكام والشرع ، وعلم تعبير الرؤيا ، وعلم التدبير والتربية ، وأنه أفضل من الصورة الظاهرة ، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف – بسبب جماله – حصلت له تلك المحنة ، والسجن ، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض ، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته .⁴⁰⁵

الفائدة 547: ليس من سمع كمن رأى

في قوله " فلما كلمه " إيماء إلى أنه ليس من سمع كمن رأى ، فقد تسمع بالرجل يعجبك ، ولكن عندما تراه يتغير رأيك فيه ، لأن ما سمعت قد يكون مبالغاً فيه أو مفترى، وقد يحدث العكس فيزداد إعجابك به وبخصاله الحميدة عندما تراه ، وقد قيل في المثل : " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه " .

الفائدة 548: لماذا أعجب الملك بيوسف عليه السلام؟

لقد أعجب الملك بيوسف عليه السلام لعدة وجوه:

ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 285⁴⁰⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- أحدها: أنه عظم اعتقاده في علمه، وذلك لأنه لما عجز القوم عن الجواب وقدر هو على الجواب الموافق الذي يشهد العقل بصحته مال الطبع إليه
- وثانيها: أنه عظم اعتقاده في صبره وثباته، وذلك لأنه بعد أن بقي في السجن بضع سنين لما أذن له في الخروج ما أسرع إلى الخروج بل صبر وتوقف وطلب أولاً ما يدل على براءة حاله عن جميع التهم
- وثالثها: أنه عظم اعتقاده في حسن أدبه، وذلك لأنه اقتصر على قوله: لَمَا بِال النسوة اللاتي قطعن أيديهن { (يوسف: 50) وإن كان غرضه ذكر امرأة العزيز فستر ذكرها، وتعرض لأمر سائر النسوة مع أنه وصل إليه من جهتها أنواع عظيمة من البلاء وهذا من الأدب العجيب.
- ورابعها: براءة حاله عن جميع أنواع التهم فإن الخصم أقر له بالطهارة والنزاهة والبراءة عن الجرم.
- وخامسها: أن الساقى وصف له جده في الطاعات واجتهاده في الإحسان إلى الذين كانوا في السجن.
- وسادسها: أنه بقي في السجن بضع سنين، وهذه الأمور كل واحد منها يوجب حسن الاعتقاد في الإنسان، فكيف مجموعها، فلهذا السبب حسن اعتقاد الملك فيه وإذا أراد الله شيئاً جمع أسبابه وقواها.⁴⁰⁶

الفائدة 549: قواعد في تولية المناصب

- يستدل من الآية أن تولية المناصب لا سيما الخطيرة منها تحكمها جملة من القواعد :
1. المقابلة : فالحوار بين المتخاطبين يظهر معارف الإنسان وأخلاقه وآدابه وجميع شمائله ، فيقدره من يعرف أقدار الرجال ويزنهم بفضائلهم ومزايهم
 2. التقييم الموضوعي : لقد كَلَّمَ يوسف عليه السلام الملك كلام حكيم أديب ، فقد جاء في الآثار أنه أعاد عليه تعبير الرؤيا ، ثم إنه كان يتقن عدة لغات ، وله إلمام بشؤون الاقتصاد والمالية ، فلما رأى الملك حسن منطقته وبلاغته قوله وأصالته رأيه رآه أهلاً لتقته وتقريبه منه، ولم ينظر إلى رفقته وسجنه من قبل .

فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، جزء 10، ص 127⁴⁰⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

3. معيار الكفاءة و النزاهة : إن المكانة تقتضي العلم والقدرة ، إذ بالعلم يتمكن من معرفة الخير والقصد إليه ، وبالقدرة يستطيع فعل ما يبدو له من الخير ، والأمانة تستدعي الحكمة والعدالة ، فبالحكمة يؤثر الأفعال ويترك الأهواء الباطلة ، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها .

الفائدة 550: ما هي لغة الحوار

الظاهر أن الملك كَلَم يوسف عليه السلام مشافهة بدون ترجمان، لأن يوسف كان قد عرف اللغة المصرية من العزيز وامرأته بمحادثته إياهما ومع حاشية الوزير من حين قدم مصر ، ومن محادثته صاحبيه في السجن .

وقد تكون اللغة التي كان يتكلم بها يوسف لغة جده إبراهيم وأولاده وحفدته وكانوا من العرب القحطانيين ثم تفرعت من هذه العربية الإسماعيلية فالمصرية والعبرانية والسريانية، وكان ملوك مصر وكبراء حكامها في ذلك العهد من أولئك العرب وهم الذين يسمون بالرعاة (الهكسوس) ويقول المؤرخون أن ملك مصر في ذلك العهد كان يسمى الوليد بن الرّيان .

407

الفائدة 551: بين بطانة الخير وبطانة السوء

إن استدعاء الملك ليوسف عليه السلام ليستخلصه لنفسه ويجعله بمكان المستشار والنجي والصديق، وهي البطانة التي يحتاجها كل ملك وحاكم، وليس أولئك الذين يتهافتون على نظرة رضا وكلمة ثناء من الحكام وعلى حظوة الإتياع ، فيا ليت رجالا من هؤلاء يقرؤون هذا القرآن ، ويقرؤون قصة يوسف عليه السلام ، ليعرفوا أن الكرامة والإبلاء والاعتزاز تدرّ من الريح - حتى المادي - أضعاف ما يدره التمرغ والتزيف والانحناء.⁴⁰⁸

المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 13 ، ص 6⁴⁰⁷
سيد قطب، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 63⁴⁰⁸

الفائدة 552: لماذا قال الملك مكين أمين ؟

قال الملك : " مكين " وأما مكانته فالثبوت عفته ونزاهته وطلب يوسف للعمل إنما هي حسبة منه عليه السلام في رغبته في أن يقع العدل ، " أمين " أما الأمانة فلظهور براءته.⁴⁰⁹

قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

الآية على قصرها تحمل دلالات عجيبة ، فهي تحدثنا عن يوسف الممكن بعد يوسف المبتلى، ثم تتبنا بجواز تركية النفس في مواضع ، وعدم تنافي ذلك مع التواضع ، كما نستشف منها جواز سؤال الولاية بشروط ، غير أن هذا لا يتعارض مع تقييد العمل مع الظالم كما بيّنته السنة ، والتحذيرات النبوية من الحرص على الإمامة. ثم أنها تجعلنا نتساءل عن سر طلب يوسف عليه السلام للخزينة والمراد بها ، وكذا لم لم يقل إن شاء الله في هذا الموضوع ، زيادة على حديثنا عن صفتي الحفظ والعلم وعن الخصال العشرين التي جعلت يوسف عليه السلام أهلاً لطاب الخزائن ، لنختم بتوضيح قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب.

الفائدة 553: يوسف الممكن في الأرض

نجد شخصية يوسف - عليه السلام - وقد استقامت مع نشأتها والأحداث التي مرت بها ، والابتلاءات التي اجتازتها ، في ظل التربية الربانية للعبد الصالح ، الذي يعد ليتمكن له في الأرض ، وليقوم بالدعوة إلى دين الله وهو ممكن له في الأرض ، وهو قابض على مقاليد الأمور في مركز التموين في الشرق الأوسط !
وأول ملامح هذه المرحلة هذا الاعتزاز بالله ، والاطمئنان إليه ، والثقة به ، والتجرد له ، والتعري من كل قيم الأرض ، والتحرر من كل أوهاقها ، واستصغار شأن القوى المتحكمة فيها ، وهوان تلك القيم وهذه القوى في النفس الموصولة الأسباب بالله - سبحانه وتعالى !

⁴⁰⁹ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 330

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

تبدو هذه الظاهرة الواضحة في موقف يوسف ، ورسول الملك يجيء إليه في سجنه يبلغه رغبة الملك في أن يراه . . فلا يخف يوسف - عليه السلام - لطلب الملك ؛ ولا يتلهف على مغادرة سجنه الظالم المظلم إلى رحاب الملك الذي يرغب في لقائه ؛ ولا تستخفه الفرحة بالخروج من هذا الضيق .

ولا تتجلى هذه الظاهرة - وما وراءها من التغيرات العميقة في الموازين والقيم والمشاعر في نفس يوسف الصديق ، إلا حين نعود القهقري بضع سنين ، لنجد يوسف يوصي ساقى الملك - وهو يظن أنه ناج - أن ينكره عند ربه . . إن الإيمان هو الإيمان ، ولكن هذه هي الطمأنينة . الطمأنينة التي تتسكب في القلب وهو يلبس قدر الله في جريانه . . وهو يرى كيف يتحقق هذا القدر أمام عينيه فعلا . . الطمأنينة التي كان يطلبها جده إبراهيم عليه السلام ، وهو يقول لربه: (رب أرني كيف تحيي الموتى) فيسأله ربه - وربّه يعلم:- (أولم تؤمن ؟) فيقول - وربّه يعلم حقيقة ما يشعر وما يقول): - بلى ! ولكن ليطمئن قلبي).

إنها هي هي الطمأنينة التي تسكبها التربية الربانية في قلوب الصفوة المختارة ، بالابتلاء والمعاناة ، والرؤية والمشاهدة ، والمعرفة والتذوق . . ثم الثقة والسكينة . .

وهذه هي الظاهرة الواضحة في كل مواقف يوسف من بعد ، حتى يكون الموقف الأخير في نجائه مع ربه ، منخلعا من كل شيء تهفو له النفوس في هذه الأرض: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث . فاطر السماوات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفي مسلما وألحطني بالصالحين).⁴¹⁰

الفائدة 554: جواز تزكية العبد لنفسه في مواضع

تدل الآية على أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل إذا كان في ذلك مصلحة ، ولم يقصد به العبد الرياء ، وسلم من الكذب لقول يوسف : " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " .

قال الماوردي : وليس هذا على الإطلاق ، في عموم الصفات ، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله ، أو تعلق بظاهر من كسب ، وممنوع فيما سواه، لما فيه من تزكية ومرآة ،

⁴¹⁰ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 60 - 61

ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضلته ، فإن يوسف دعت الضرورة إليه لما سبق من حاله ، ولما يرجو من الظفر بأهله .⁴¹¹

زيادة على أن يوسف لم يكن يعيش في مجتمع مسلم تتطبق عليه قاعدة عدم تزكية النفس عند الناس و طلب الإمامة على أساس هذه التزكية . كما أنه كان يرى أن الظروف تمكن له من أن يكون حاكما مطاعا لا خادما في وضع جاهلي . وكان الأمر كما توقع فتمكن بسيطرته من الدعوة لدينه ونشره في مصر في أيام حكمه . وقد توارى العزيز وتوارى الملك تماما .

الفائدة 555 : هل مدح يوسف لنفسه ينافي التواضع ؟

إن قيل: كيف مدح يوسف نفسه عليه السلام بقوله : إني حفيظ عليم " ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع ؟

فالجواب: أنه لما خلا مدحه لنفسه من بغي وتكبر ، وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحيه وجور يبطله، كان ذلك جميلا جائزا، وقد قال نبينا ﷺ: " أنا أكرم ولد آدم على ربه " وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار ". وقال ابن مسعود: " لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته " (رواه البخاري ومسلم)

فهذه الأشياء، خرجت مخرج الشكر لله، وتعريف المستفيد ما عند المفيد، ذكر هذا محمد بن القاسم. قال القاضي أبو يعلى: في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحذور في قوله: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ { [النجم: 32]⁴¹²

الفائدة 556 : جواز أن يسأل الإنسان الولاية بشروط

دلَّت الآية على جواز طلب الولاية ، فإن قيل أن هذا يعارض الحديث الذي رواه عبد الرحمان بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : " يا عبد الرحمان لا تسأل الإمامة فإنك إن

الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 267⁴¹¹
ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط⁴¹²

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أعطيتها عن مسألة وكُلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها " 413. فالجواب من وجوه :

1 - أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أن لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره .

وهكذا الحكم اليوم ، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ، ويخبر بصفاته التي يستحقها بها من العلم والكفاية وغير ذلك - كما قال يوسف - فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى أن لا يطلب لحديث ابن سمره .

وأيضاً فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه وأغراضه ، ومن كان هذا شأنه يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام : " وكل بها " ومن أباهما لعلمه بآفاتها ولخوفه من التقصير في حقوقها فرّ منها ، ثم إن ابتلي بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله : " أعين عليها "

2 - أنه لم يقل إني حسيب كريم ولا قال جميل مليح ، إنما قال : حفيظ عليم ، فسألها بالحفظ والعلم ، لا بالنسب والجمال .

3 - إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه ، وصار ذلك مستثنى من قوله : " فلا تزكوا أنفسكم " .

4 - أنه رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه ، لأنه لم يكن هنالك غيره ، وهو الأظهر .

الفائدة 557: تقييدات العمل عند الظالم

يجب علينا تبيان أن العمل من جهة الظالم على ثلاثة أقسام :

413 أخرجه ابن أبي شيبة (6/419 رقم 32543) ، وأحمد (5/63 ، رقم 20647) ، والبخاري (6/2443) ، رقم (6248) ومسلم (3/1273) ، رقم 1652) ، وأبو داود (3/130) ، رقم 2929) ، والترمذي (4/106) ، رقم (1529) وقال : حسن صحيح . والنسائي (7/10) ، رقم 3784) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- أحدها : ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات فيجوز توليته من جهة الظالمين لأن النص على مستحقه قد أغنى عن الاجتهاد فيه ، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التنفيذ .
- والقسم الثاني : ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الإجتهد في مصرفه كأموال النفيء فلا يجوز توليته من جهة الظالم لأنه يتصرف بغير حق ويجتهد فيما لا يستحق .
- والقسم الثالث : ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام فعقد التقليد فيه محلول ، فإن كان النظر تنفيذاً لحكم بين متراضيين أو توسطاً بين مجبورين جاز ، وإن كان إلزام إجبار لم يجز .⁴¹⁴

الفائدة 558: امتيازات المنصب

لم يسأل يوسف عليه السلام لنفسه مالا ولا عرضاً من متاع الدنيا ، ولكن سأل أن يوليه الملك خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة في جمعها وإبلاغها لمحالها .
وقد ورد في الآثار أن يوسف كان يصوم يوماً ويفطر صوماً حتى لا يشغله منصبه عن الإحساس بالفقر والجائع .⁴¹⁵

الفائدة 559: تحذيرات من الحرص على الإمارة لمن لا يستحقها

عن أبي هريرة عن النبي ρ قال: "إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامةً يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة."⁴¹⁶
قوله: (فنعم المرضعة وبئست الفاطمة) قال الداودي: نعم المرضعة أي في الدنيا، وبئست الفاطمة أي بعد الموت، لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي يطمع قبل أن يستغني فيكون في ذلك هلاكه. وقال غيره: نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال

الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 267⁴¹⁴
⁴¹⁵ شبه ابن عطية بمقام يوسف عليه السلام هذا مقام أبي بكر رضي الله عنه في دخوله في الخلافة ، وهو تشبيهه رشيق ، إذ كلاهما صديق ، كما يقول الطاهر بن عاشور .
⁴¹⁶ أخرجه أحمد (448/2 ، رقم 9790) ، وابن أبي شيبة (419/6 ، رقم 32542) ، والبخارى (2613/6) ، رقم 6729) ، والنسائي (162/7 ، رقم 4211) .

وفناد الكلمة وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة.
وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: " دخلت على النبي ρ أنا ورجلان من قومي فقال: أحد الرجلين أمرنا يا رسول الله وقال الآخر: مثله، فقال: إنا والله لا نولي هذا العمل من سألته ولا من حرص عليه ".⁴¹⁷

وعند الطبراني من حديث زيد بن ثابت رفعه ((نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها تكون عليه حسرة يوم القيامة))⁴¹⁸ وهذا يقيد ما أطلق في الذي قبله، ويقيده أيضاً ما أخرج مسلم عن أبي ذر قال ((قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها))⁴¹⁹ قال النووي: هذا أصل عظيم في اجتناب

الولاية ولا سيما لمن كان فيه ضعف. وهو في حق من دخل فيها بغير أهليه ولم يعدل فإنه يندم على ما فرط منه إذا جوزي بالخزي يوم القيامة، وأما من كان أهلاً وعدل فيها فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم، ولذلك امتنع الأكابر منها والله أعلم.

قال المهلب: الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك ووجه الندم أنه قد يقتل أو يعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها لأنه يطالب بالتبعات التي ارتكبها وقد فاتته ما حرص عليه بمفارقته، قال: ويستثنى من ذلك من تعين عليه كأن يموت الوالي ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، إذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياح الأحوال. قلت: وهذا لا يخالف ما فرض في الحديث الذي قبله من الحصول بالطلب أو بغير طلب أو في التعبير بالحرص إشارة إلى أن من قام بالأمر عند خشية الضياح يكون كمن أعطي بغير سؤال لفقد الحرص

⁴¹⁷ أخرجه مسلم (3/1456، رقم 1733)، وابن أبي شيبة (6/419، رقم 32541). وأخرجه أيضاً: البخاري (6/2614، رقم 6730)، وابن الجارود (ص 92، رقم 337)، وأبو عوانة (4/378، رقم 7016)، وابن حبان (10/333، رقم 4481).

⁴¹⁸ أخرجه الطبراني (5/127، رقم 4831). قال الهيثمي (5/200): فيه حفص بن عمر بن الصباح الرقي وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

⁴¹⁹ أخرجه الطيالسي (ص 66، رقم 485) وابن أبي شيبة (6/419، رقم 32540)، ومسلم (3/1457، رقم 1825) وابن سعد (4/231)، والحاكم (4/103، رقم 7020).

غالباً عن هذا شأنه، وقد يغتفر الحرص في حق من تعين عليه لكونه يصير واجباً عليه. (فتح الباري 13/156-158) بتصرف⁴²⁰

الفائدة 560: جواز عمل الرجل الصالح لدى الفاجر بشروط

لما فهم يوسف عليه السلام من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له (اجعني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) وإنما طلب الولاية رغبة منه في إقامة الحق والإحسان، ويستدل على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال.⁴²¹

وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتمكين مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا.

الفائدة 561: كيف قبل يوسف عليه السلام العمل لدى ملك كافر؟

- إن قلت : كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر ويكون تبعاً له وتحت أمره وطاعته؟
- قلنا: روى مجاهد أنه كان قد أسلم .وهو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به.
 - وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه. ولا يعترض عليه في كل ما يفعل .

الفائدة 562 : المراد بالخزائن

وفي المراد بالخزائن قولان :

. أحدهما: خزائن الأموال، قاله الضحاك، والزجاج وهو الأرجح

محمد صالح المنجد، 100 فائدة من سورة يوسف، تحقيق وتخريج الأحاديث: هاني فاروق، ص 22⁴²⁰
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 215⁴²¹

. والثاني: خزائن الطعام فحسب، قاله ابن السائب.

الفائدة 563: لماذا طلب يوسف المالية ؟

لقد طلب يوسف عليه السلام إدارة الأمور المالية لأن سياسة الملك وتتمية العمران وإقامة العدل فيه تتوقف عليها.⁴²²

الفائدة 564: لماذا لم يقل يوسف عليه السلام إن شاء الله ؟

فإن قيل: كيف قال يوسف: «إني حفيظ عليم» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه ثلاثة أجوبة : أحدها: أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخر تملكه، على ما روي عن النبي ﷺ. وهو وجه ضعيف والحديث ضعيف والثاني: أنه أضمر الاستثناء، كما أضمره في قولهم: {وَنُمِيزُ أَهْلَهَا} . والثالث: أنه أراد أن حفطي وعلمي يزيدان على حفظ غيري وعلمه، فلم يحتج هذا إلى الاستثناء، لعدم الشك فيه، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

الفائدة 565: معاني الحفظ والعلم

وفي قوله: { إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } ثلاثة أقوال : أحدها: حفيظ لما وليتني، عليم بالمجاعة متى تكون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حفيظ لما استودعتني، عليم بهذه السنين، قاله الحسن. والثالث: حفيظ للحساب، عليم بالألسن، قاله السدي، وذلك أن الناس كانوا يردون على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة.⁴²³

والصواب أن الحفظ والعلم صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط اللازمتان لتحمل المسؤولية

⁴²² المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 13 ، ص 6
⁴²³ الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 267

الفائدة 566: الحفظ والعلم صفتان لازمتان في كل مسؤول

إن الأزمة القادمة على مصر وسنين الرخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور بالدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها . وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروعها الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب وفي سني الجذب على السواء . ومن ثم ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر عليها ، وأن وراءها خيرا كبيرا لشعب مصر وللشعوب المجاورة: (إني حفيظ عليم).⁴²⁴

الفائدة 567: خصال يوسف التي جعلته يطلب خزائن مصر

لم يقل يوسف عليه السلام " اجعلني على خزائن الأرض " حتى اجتمعت فيه عشرون خصلة مرضية :

- إحداها : الدين القوي " إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله "
- الثانية : المنشأ الطيب " آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب "
- الثالثة : أدب النفس " إنه من عبادنا المخلصين "
- الرابعة : الخلق الحسن " إنا نراك من المحسنين "
- الخامسة : العلم " عليم "
- السادسة : الحفظ " حفيظ "
- السابعة : النصيحة " فذروه في سنبله "
- الثامنة : فصل الخطاب " فلما كلمه "
- التاسعة : الصيانة " رب السجن أحب إلي "
- العاشرة : الوقار " إنه ربي أحسن مثواي "
- الحادية عشرة : الصدق " أيها الصديق "
- الثانية عشرة : الأمانة " أمين "
- الثالثة عشرة : رؤية المنة " إلا ما رحم ربي "

⁴²⁴ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 63
* فيمن نسب القول إلى يوسف عليه السلام ، و نرى أن السياق يقتضي أنه من كلام امرأة العزيز والله أعلم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- الرابعة عشرة:المكانة " إنك اليوم لدينا مكين "
- الخامسة عشرة : التواضع " وما أبرئ نفسي " **
- السادسة عشرة :الصبر في المحنة " من يتق ويصبر "
- السابعة عشرة :الشجاعة " ارجع إلى ربك "
- الثامنة عشرة :سمو الهمة " اجعلني على خزائن الأرض "
- التاسعة عشرة :العدل " أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده "
- العشرون :وهي تمام الخصال وسجية الأفضال عناية رب العالمين " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض "425

الفائدة 568 : الرجل المناسب في المكان والوقت المناسبين

لم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض . إنما كان حصيفا في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض

بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة ; وليكون مسؤولا عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوزه طوال سبع سنوات , لا زرع فيها ولا ضرع . فليس هذا غنما يطلبه يوسف لنفسه . فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة . إنما هي تبعة يهرب منها الرجال , لأنها قد تكلفهم رؤوسهم , والجوع كافر , وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون.

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ
نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تعلمنا الآية بأن التمكين لا يكون إلا بعد الابتلاء ، وأن رحمة الله تشمل جميع خلقه وأنها نعمة إلهية ، ثم تتبؤنا عن وجوب التواجد المستمر للمسئول ، كما تعرفنا على معنى جديد

** نفس الكلام يقال عن هذه الآية

425 سراج الدين الأوسي، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام ، ص 192- 193

للإحسان ، وأن من السنن الكونية كون الجزاء من جنس العمل وأن الله على كل شيء حسيب .

الفائدة 569: التمكين بعد الابتلاءات سنة الله في الدعوات

إن الله يُمكن للصالحين إذا حَسَنَت نواياهم . قال تعالى (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَاجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) . لما سُئِلَ الشافعي أيهما أفضل أبيتلى أم يُمكن ؟ أي السؤال أيهما أفضل للمسلم أبيتلى ويصبر علي الابتلاء وعلى الأذى والاضطهاد ويُؤَجَّر عليه ؟ أو الأفضل أن يُمكن حتى يستفيد من التمكين في نشر الدين ونشر الدعوة ؟ أيهما الأفضل ؟ قال الشافعي عبارة عظيمة: (لا يُمكن حتى يبتلى) .

ليس هناك تمكين يأتي هكذا من الهواء والنبي ρ ما مُكن في المدينة حتى أبتلي في مكة وكذلك الصحابة ويوسف مثال متى مُكن ؟ بعدما أبتلي بالحب وبالسجن

وبالذل والعبودية.... أولاً رماه اخوته في الحب فصبر على كيدهم وظلم أولي القربى أشد فظاظة على النفس

ظلمه أقرب الناس له اخوته وكاد يموت ويهلك ثم أخذوه وبيع عبدا وعانى ذل العبودية واشتغل خادم ودخل السجن ثم لما صبر علي كل هذه جاء التمكين فما جاء التمكين ليوسف هكذا مباشرة قال الشافعي (لا يُمكن حتى يبتلى) سنة الله في الدعوات وهكذا حصل لأنبياء الله والأولياء يعني موسى تغلب علي فرعون بعد ماذا؟

ابتلاءات كثيرة (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف:129)

كلها ابتلاءات وهذا ما حصل بعد ذلك

(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) (الأعراف:137) لكن بعد الابتلاء .

والنبي ρ كم أُوذي بالحصار والجوع والتعذيب وقتل أصحابه وكان يُضرب الصحابي حتى لا يستطيع أن يستوي قاعدا من الضرب ويُقال له هذا الجُعل إلهك فيقول نعم من التعذيب وهكذا حتى مكنهم الله في الأرض.⁴²⁶

الفائدة 570 : المسؤولية تقتضي التواجد المستمر

نستشف من قوله تعالى " مكننا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء " أنه لم يكن ملازماً لمكان واحد جالسا على عرشه في انتظار الأخبار والمستجدات ، على عادة المسؤولين بل إنه كان يتقل بنفسه ويستطلع ويراقب ويقوم ويتابع .
ولذا فقد اتخذ عدة منازل بأماكن مختلفة من مصر ، لا للتنوع في الإقامة والتمتع بأجواء المدن (إقامة صيفية وأخرى ربيعية وثالثة شتوية ...) وإنما ليكون قريبا من المزارعين وحتى يعرف انشغالاتهم ويحل المشاكل في زمنها الحقيقي ، لا بناء على تقارير التملق على طريقة " كل شيء على ما يرام يا سيدتي الملكة " .
كما أن التواجد الدائم للمسؤول في عين المكان ، وزياراته المتكررة لمواقع العمل أدعى لتحفيز العاملين على بذل مزيد من الجهد خصوصا والأزمة على الأبواب .

الفائدة 571: رحمة الله الدنيوية تشمل جميع خلقه

قال ابن جزى في قوله: { نُصِيب بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ } : الرحمة هنا المراد بها الدنيا، وكذلك الأجر في قوله: { وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } ؛ بدليل قوله بعد ذلك: { وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ } فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر، وطائع وعاص، وأن المحسنين لا بد من أجرهم في الدنيا. فالأول في المشيئة، والثاني واقع لا محالة⁴²⁷

⁴²⁶ محمد صالح المنجد، 100 فائدة من سورة يوسف ، تحقيق وتخريج الأحاديث : هاني فاروق، ص 23
ابن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، الجزء 9 ص 91⁴²⁷

الفائدة 572: الرحمة نعمة إلهية

في قوله : " نصيب برحمتنا " مناسبة لما أصاب يوسف عليه السلام من الرحمة في أحواله في الدنيا، وما كان من مواقف الإحسان التي كان ما أعطيه من النعم وشرف المنزلة جزاء لها في الدنيا ، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولأجر الآخرة خير من ذلك له ولكل من آمن واتقى .

الفائدة 573 : الإحسان بمعنى الصبر

قال ابن عباس ووهب: المراد بقوله تعالى " المحسنين " هنا يعني الصابرين؛ لصبره في الجبّ، وفي الرقّ، وفي السّجن، وصبره عن محارم الله عما دعت إليه المرأة.

الفائدة 574: الجزاء من جنس العمل

قال الماورديّ: واختلف فيما أوتيّه يوسف من هذه الحال على قولين: أحدهما: أنه ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه. الثاني: أنه أنعم الله عليه بذلك تفضلاً منه عليه، وثوابه باق على حاله في الآخرة.

الفائدة 575: الله على كل شيء حسيب

في الآية إيماء إلى أنه ما أضاع الله صبر يوسف على أذى اخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز بل كان جزاؤه ما مكّن له في الأرض ولدى ملك مصر .

الفائدة 576 : تسليّة لأهل البلاء بشرط مصاحبة الإحسان والتقوى

في الآية تسليّة لأهل البلاء، إذا صحبهم الإحسان والتقوى، وبشارة لهم بالعرز بعد الذلّ، وبالغنى بعد الفقر، وبالنصر والتمكين في الأرض بعد الاستضعاف والهوان، كل

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ذلك يؤخذ من قوله: { وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين }.⁴²⁸

وَلَا جُرْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تخبرنا الآية بعظم ثواب الآخرة وبمكانة يوسف عليه السلام ، وفيها إخبار بمدح التآني وتسلية لأهل البلاء وأن العاقبة للمتقين ، وعليه نتعرف على التقوى وخصال المتقين .ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 577: ثواب الآخرة أفضل من الدنيا

إن الله واسع الجود والكرم ، وجود على عبده بخير الدنيا والآخرة ، وأن خير الآخرة له سببان : الإيمان والتقوى . وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها ، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه ، ويشوقها لثواب الله ، ولا يدعها تحزن إذا رأت زينة أهل الدنيا ولذاتها ، وهي غير قادرة عليها ، بل يسليها بثواب الله الأخرى ، وفضله العظيم لقوله تعالى : "ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون " .

الفائدة 578 : مكانة يوسف عليه السلام عند الله

في الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام قد جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، لأنه سخر له خزائن مصر ويجزيه يوم القيامة خيرا من ذلك كله لتقواه. وكذلك مكانة الأنبياء فقد قال تعالى عن سليمان عليه السلام بعد أن طلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده : " هذا عطائنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإنما له عندنا لزلقى وحسن مأب " (ص 39-

(40)

ابن عجيبة الحسيني ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، الجزء 9 ص 92⁴²⁸

الفائدة 579: مدح التآني في الأمور كلها

تدل الآية على مدح التآني في الأمور، لأنه يدل على كمال العقل والرزانة، وطمأنينة القلب.

وذا العجلة؛ لأنها من خفة العقل والطيش، وعدم الصبر والاحتمال. يؤخذ ذلك من تآني يوسف عليه السلام في السجن بعد طول مدته. وفي الحديث " التآني من الله، والعجلة من الشيطان" ⁴²⁹

الفائدة 580: عاقبة الإحسان

لما تقدم في هذه الآية فإن الإحسان من العبد والسعي على طريق الحق لا يضيع عند الله ، ولا بد من حسن عاقبته في الدنيا عقب ذلك بأن حال الآخرة أحمَد وأحرى أن تجعل غرضاً ومقصداً وهذا هو الذي ينتزع من الآية بحسب المقيدن بالإيمان والتقوى من الناس وفيها مع ذلك إشارة إلى أن حاله من الآخرة خير من حاله العظيمة في الدنيا.

الفائدة 581 : الخير المطلق لا يكون إلا في الآخرة

يستتبط من الآية أن يوسف عليه السلام وإن كان قد وصل إلى المنازل العالية والدرجات الرفيعة في الدنيا ، إلا أن الثواب الذي أعده الله له في الآخرة خير وأفضل وأكمل و إن الخير المطلق هو الذي يكون :-نفعاً -خالصاً -دائماً -مقروناً بالتعظيم، وكل هذه القيود الأربعة حاصلة في خيرات الآخرة ومفقودة في خيرات الدنيا.

⁴²⁹ أخرجه البيهقي (104/10 ، رقم 20057) . وأخرجه أيضاً : الحارث كما في بغية الباحث (828/2 ، رقم 868) ، وأبو يعلى (247/7 ، رقم 4256) ، قال الهيثمي (19/8) : رجاله رجال الصحيح . والديلمي (78/2 ، رقم 2440) . وللحديث أطراف أخرى منها : ((الأناة من الله)) .

الفائدة 582 : ثواب حسنات المؤمن وحسنات الفاجر

قال سفيان بن عيينة : المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية : " ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون".

الفائدة 583: خصال المتقين

- اعلم أن الله تعالى أعطى المتقين ثلاثة عشرة خصلة من خصال أهل السعادة :
- أولها : القبول " إنما يتقبل الله من المتقين " (المائدة 27)
 - الثانية : العاقبة " والعاقبة للمتقين " (الأعراف 128)
 - الثالثة : النجاة " ثم ننجي الذين اتقوا " (مريم 72)
 - الرابعة : الجنة " تلك الجنة التي نورثها من كان تقيا " (مريم 63)
 - الخامسة : جوار الله تعالى في الجنة " إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر " (القمر 55-56)
 - السادسة : نصره الله لهم " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل 128)
 - السابعة : محبة الله لهم " إن الله يحب المتقين " (آل عمران 76)
 - الثامنة : الكرامة " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات 13)
 - التاسعة : اليسر " ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا " (الطلاق 4)
 - العاشرة والحادية عشرة : التكفير وعظم الأجر " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا " (الطلاق 36)
 - الثانية عشرة والثالثة عشرة : المخرج والرزق " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب " (الطلاق 2)⁴³⁰

⁴³⁰ سراج الدين الأوسي ، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام، ص 201-202

الفائدة 584 : نكتة لغوية

التعبير في جانب الإيمان بصيغة الماضي " آمنوا " وفي جانب التقوى بصيغة المضارع " يتقون " ، لأن الإيمان عقد القلب الجازم فهو حاصل دفعة واحدة ، وأما التقوى فهي متجددة بتجدد أسباب الأمر والنهي واختلاف الأعمال والأزمان .⁴³¹

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تشير الآية من طرف خفي إلى أن المجاعة كانت عامة وإلى أن آثارها كانت وخيمة كما نستنتج منها ضمنا أن يوسف عليه السلام كان مثالا للعدل وللنزاهة والتعفف ، كما أنه طبّق سياسة الباب المفتوح وعمل بقاعدة " المسؤولية تكليف وليست تشريفا " ، زيادة على أنه أنشأ منطقة حرة بحسن تدبيره وإدارته ، وتعرض أخيرا إلى مسألة عدم تعرف إخوة يوسف على أخيهم وأن في ذلك تحقيقا للوعد الإلهي لنختم بدحض رواية من الإسرائيليات وبنكتة لغوية.

الفائدة 585 : المجاعة كانت عامة

لقد حصل ما فسّره يوسف لرؤيا الملك ، وحلّت الأزمة بالبلاد العربية ، فجاء إخوة يوسف ممتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر ، وقد كان حل بآل يعقوب عليه السلام ما حل بأهلها . فقال يعقوب: يا بني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكا صالحا، فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم، فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه.

الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 2196⁴³¹

الفائدة 586: من آثار المجاعة

عندما تحدث المجاعة فإن من نتائجها الوخيمة :

1. تبدأ أعداد المتسولين بالازدياد
 2. يحتكر التجار البضائع وينتشر الجشع بين الناس
 3. تنتشر البطالة بين الشباب والعمال
- ولكن يوسف عليه السلام كان قد اتخذ كل التدابير اللازمة التي من شأنها تجنب كل هذه الانحرافات التي تهدد استقرار الحكم قبل أي شيء .

الفائدة 587: لماذا جاء إخوة يوسف كلهم و دون بنيامين ؟

إنما جاء إخوة يوسف عدا بنيامين لصغره ، وإنما رحلوا للميرة كلهم لعل ذلك لأن التزويد من الطعام كان بتقدير يراعي فيه عدد الممتارين ، وأيضاً ليكونوا جماعة لا يطمع فيهم قطاع الطريق ، وكان الذين جاؤوا عشرة.

الفائدة 588 : اشتهار يوسف عليه السلام بالعدل والصلاح

لما فوض الملك إلى يوسف أمر مصر ، تلمظ يوسف للناس ، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام ، فأمنوا به وأحبوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوب ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته.

الفائدة 589 : تعفف يوسف ورأفته بالرعية

بعد أن حلت السنين الشداد على مصر كان يوسف عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان يأكل خبز الشعير ولا يشبع منه ، فقيل له : أنت على خزائن الأرض ولا تأكل إلا خبز الشعير ولا تشبع منه ؟ فقال : إني أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وهذا يذكرنا بموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة في السنة الثامنة عشرة للهجرة ، لما حلّ القحط والجوع بالناس فإنه كان يخاطب بطنه قائلاً : " والله أيتها البطن لتموتن على الخبز والزيت حتى يحيا الناس " ولا عجب فهذا الشبل من ذاك الأسد .

الفائدة 590 : سياسة الباب المفتوح

تلفتنا كلمة " فدخلوا عليه " إلى أن يوسف عليه السلام اتبع في عمله سياسة " الباب المفتوح " الكل يقابله لا يمنع أحدا من مقابلته للعمل ، فقد دخلوا عليه لا لزيارة شخصية بدليل أنهم لم يكونوا يعرفون أنه يوسف ، وإنما للتجارة ، فعرفهم .

الفائدة 591 : المسؤولية تكليف وليست تشريفا

إن دخول إخوة يوسف عليه وهو العزيز يومئذ ، يدل على أنه كان يراقب أمر بيع الطعام بحضوره ويأذن به في مجلسه خشية إضاعة الأوقات لأن بها حياة الأمة ، وفيه حرصه الشديد على متابعة الأمور بنفسه لعظم المسؤولية وثقل الأمانة الملقاة على عاتقه ، لاسيما وقت الشدة .

الفائدة 592 : اتخاذ الأسباب والوقاية من الكوارث

إن جباية الأرزاق إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم لا بأس بها ، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات ، للاستعداد

للسنين المجدبة ، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله ، بل يتوكل العبد على الله ، و يعمل الأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه .

الفائدة 593: حسن التدبير والإدارة

لقد أعدّ يوسف العدة واتخذ التدابير اللازمة لمواجهة المجاعة ، فبنى الأهرامات العظيمة وخرّن فيها الحبوب ، حتى كثرت عندهم الغلات جدا ، فلما عمّ القحط مصر والأقطار القريبة منها ولا سيما أقربها إليها وهي فلسطين من بلاد الشام واشتهر لدى أهلها ما فعله يوسف في مصر من حسن التدبير ، صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها لعلمهم بوفورها فيها .⁴³²

الفائدة 594: منطقة حرة

لقد أنشأ يوسف عليه السلام ما يشبه " المنطقة الحرة " بحيث خلق نظاما يقتضي بأن كل وافد إلى مصر ملزم بإحضار سلعة من بلده من : ذهب وفضة ونقود وملابس وغيرها قصد مبادلتها مقابل الغلة ، وحتى أنه كان لا يكيل أحدا إلا مقدار الحاجة لا يزيد كل قادم على كيل بغير وحمله .

الفائدة 595: لماذا لم يعرف إخوة يوسف أخاهم ؟

لم يتعرف إخوة يوسف على أخيهما لأمرين اثنين مادي ومعنوي :

- الأمر المادي : فقد خلفوه صبيا بدويا ، وهو الآن قد ناهز الأربعين أو أتمها ، فلا شك أن ذلك مدعاة لعدم التعرف عليه ، فإن قيل كيف تعرف هو عليهم ؟ فالجواب أن ذاكرة الصبي تفوق ذاكرة الرجل بكثير ، فقد ترسخت صورتهم في ذهنه رغم مرور كل تلك السنين ، لذا قيل ، العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

- الأمر المعنوي : أنهم كانوا في شغل كبير عن التدقيق في النظر إليه بما بهرهم مما رأوا من أبهة الملك والسلطان ، وما كانوا فيه هم من الذل والخذلان ، (فبصر الضعيف عن دق الأمور كفيف) .

⁴³² المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 13 ، ص 10

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- وقال بعضهم : لما جفوه صار جفاؤهم حجاباً بينهم وبين معرفتهم إياه وكذلك المعاصي تكون حجاباً على وجه معرفة الله تعالى.

الفائدة 596: عدم التعرف على يوسف تحقيق للوعد الإلهي

لم يعرف إخوة يوسف عليه السلام أخاهم لوعده الله سبحانه ليوسف عليه السلام تحقيقاً لما أخبره أنه سينبئهم بأمرهم وهم لا يشعرون عندما ألقوه في الجب منذ سنين عديدة خلت، فكان ذلك معجزة له عليه السلام، وكان تكلمة لسلسلة التمكين والاجتباء بعد السجن والابتلاء .

الفائدة 597: من الإسرائيليات : استرقاق يوسف لأهل مصر ثم عتقهم

جاء في بعض الروايات أن لما استوزر الملك يوسف عليه السلام ، أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات، حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما، وتوجه إليه الناس فباعها أولاً بالدرهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعتار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً ثم عرض الأمر على الملك فقال: "الرأي رأيك" فأعتقهم ورد عليهم أموالهم. وهو من جملة الإسرائيليات الظاهرة .

الفائدة 598: نكتة لغوية

لماذا لم تقل الآية : " ولم يعرفوه" في مقابل " فعرفهم " فتكون المادة المستعملة هي (ع ر ف)؟

إن إخوة يوسف لم يعرفوه ملامح وشكلاً فحسب، وإنما أنكروا وجوده أصلاً كما تنكر على المرء سلوكاً أو فعلاً أتاه أو كما يقول الله " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون " وقد قدم سبحانه الجار والمجرور (له) في قوله تعالى (وهم له منكرون) لإظهار أي شعور يحملونه نحوه ، التجاهل وعدم الرغبة في وجوده ، فقد سبق منذ سنين عدة أن

كادوا له وألقوه في غيابة الجب ، فمن المظنون إذن أن يكون قد مات أو انتهى به السبيل إلى بلد بعيد مع إحدى القوافل أو يكون من غمار الناس.⁴³³

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتُّنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ
أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعلم من الآية معنى الجهاز، وكذا نتعلم منها أخلاق سامية تتعلق بالوفاء بالكيل وعدم التطفيف وحسن الضيافة وحسن القيام على التموين وقواعد الحكم الراشد. كما نجيب على أسئلة تتمحور حول طلب يوسف عليه السلام بمجيء أخيه ، و معنى الإنزال وما هو الامتتان المذموم . ونختم بالرد على رواية إسرائيلية وبنكتة لغوية .

الفائدة 599: الجهاز

قوله " ولما جهزهم " : الجهاز هو ما يتسبب في نقلة من مكان إلى مكان ، مثل يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره و ما يعد من الأمتعة للنقطة كعدد السفر ، وما يحمل من بلدة إلى أخرى بغرض التجارة ، وما تزف به المرأة إلى زوجها، وما يعد لتجهيز الميت . والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم .⁴³⁴

الفائدة 600: لماذا طلب يوسف بمجيء الأخ ؟

قوله : " قال اتنوني بأخ لكم من أبيكم " اعلم أنه لا بُدَّ من كلام سابق يكون سبباً لطلب يوسف صلوات الله وسلامه عليه من إخوته إحضار أخيه ، وذكروا فيه وجوهاً : أحسنها أن عادة يوسف عليه الصلاة والسلام مع الكل أن يعطي كل احد حمل بعير ، وكان إخوته عشرة؛ فأعطاهم عشرة أحمال؛ فقالوا : إن لنا أباً شيخاً كبيراً ، وأخاً آخر بقي

أحمد ماهر البقري، يوسف في القرآن ، ص 52- 53⁴³³
434 الألوسي ، روح المعاني ، جزء 22 ص 4

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

معه ، وذكروا أنّ أباهم لأجل كبر سنّه ، وشدّة حزنه لم يحضُر ، وأنّ أخاهم بقي في خدمة أبيه ، فلما ذكروا ذلك قال يوسف : هذا يدلُّ على أنّ حبَّ أبيكم له أزيد من حُبّه لكم ، وهذا شيءٌ عريبٌ! لأنكم مع جمالكم ، وعقلكم ، وأدبكم ، إذا كانت محبةً أبيكم لذلك الأخ أكثر من محبته لكم ، دل هذا على أنّ ذلك أعجوبةٌ في العقلِ ، الفضلِ ، والأدبِ ، فانتثوني به حتى أراه . فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتيوه به ليعلم صدقهم .⁴³⁵

الفائدة 601: خصال القائم على التموين

إن قول يوسف عليه السلام (انتثوني بأخٍ لكم من أبيكم) ينم عن نكاه بالغ ، فإنه لما جهزهم بجهازهم وأعطاهم من الميره وما يحتاجه المسافر استدرجهم ليقصوا عليه قصته يعني من أين أنتم؟ ومن أنتم؟ ومن أهلكم؟ ومن أبوكم؟ كم عدد الأولاد؟ كم عدد أفراد الأسرة؟

هذا شيء وارد أن يسأل وزير التموين أو الشخص المكلف بتوزيع الحصى أو الميره في السنوات العجاف أن يسأل عن عدد أفراد الأسرة لكي يعطيهم على حسب عدد الأسرة . فلما قالوا باقي واحد في البيت فقال حتى أصدقكم هاتوا هذا الذي تقولون أنه باقي في المرة القادمة حتى تكونوا صادقين في الادعاء وإلا لا أعطيكم شيئا أبدا فأوجد عندهم الحافز بأن يأتيوا بأخيهم لأنه اشتاق إليه ويريد أن يراه.⁴³⁶

الفائدة 602: التطفيف في مقابلة الوفاء بالكيل

" ألا ترون أنني أوفي الكيل " الوفاء بالكيل عكسه التطفيف، وقال الزجاج : إنما قيل مطفف ، لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف ، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه .

قال تعالى : " ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان " (الرحمان 9-8) . وقد سمى تعالى سورة من القرآن بالمطففين .

⁴³⁵ ابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب ، جزء 4 ص 170
محمد صالح المنجد ، 100 فائدة من سورة يوسف ، تحقيق وتخريج الأحاديث : هاني فاروق ، ص 25⁴³⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وقد أرسل الله تعالى نبيا وهو شعيب عليه السلام إلى قومه مدين لمحاربة هذه الآفة ألا وهي سوء المعاملة في البيع والشراء ، فإذا اكتالوا من الناس يأخذون حقهم وزيادة وإذا كالوهم ينقصون .⁴³⁷

وفي هذا إشارة للتجار بوجود الوفاء بالميزان الذي طالما يعتدون فيه .

الفائدة 603: معنى الوفاء بالكيل في الآية

قوله : " أوفي الكيل " يحتمل وجهين:

- أحدهما: أنه رخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل.
- والثاني: أنه كال لهم بمكيال واف.

الفائدة 604: ما هو الإنزال

في قوله : " خير المنزلين " النزل هو مكان تُعد فيه كل أسباب راحة الغريب . وفيه وجهان:

- أحدهما: أنه خير المضيفين، لأنه أحسن ضيافتهم؛ قاله مجاهد.
- الثاني: أي خير من نزلتم عليه من المأمونين؛ وهو على التأويل الأول مأخوذ من التُّزْل وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل وهو الدار.

الفائدة 605: مشروعية الضيافة

من الآية " وأنا خير المنزلين " نستنبط مشروعية الضيافة ، وأنها من سنن المرسلين ، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته " ألا ترون أنني أوف الكيل وأنا خير المنزلين " ، وقد كانت هذه سنة جده إبراهيم عليه السلام ، وقد أشار إليها الله عز وجل في قوله : " وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين " (الذاريات / 24) .

⁴³⁷ محمد سرور بن نايف زين العابدين ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله : شعيب عليه السلام ، ص 28 و ص72

الفائدة 606: هل في قول يوسف وأنا خير المنزلين امتتان على إخوته ؟

لم يقل يوسف عليه السلام: "أنا خير المنزلين" بطريق الامتتان بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به، والاقتصار في الكيل على ذكر الإيفاء لأن معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة واجب العدل، وأما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما يشاء قاله شيخ الإسلام.⁴³⁸

الفائدة 607: من قواعد الإدارة الناجحة (الحكم الراشد)

- يرسي يوسف عليه السلام في هذه الآية قواعد الإدارة الناجحة وهي:
- عدم تعطيل الأعمال : فقد كان يشرف بنفسه على حسن سير التموين
 - الوفاء بالحقوق : فكان لا ينقص المكيال بل يتفضل على المحتاجين
 - حسن المعاملة : زيادة على الإحسان وحسن الحديث

الفائدة 608 : من الإسرائيليات : اتهام يوسف لإخوته بأنهم جواسيس

رأينا أن قول يوسف { وَأَنَا خَيْرُ الْمَنْزِلِينَ } عنى به خَيْرُ الْمُضْيِفِينَ؛ لأنه أحسن إنزالهم ، وأحسن ضيافتهم .
وهذا الكلام يُضَعَّفُ ما نُقِلَ عن بعض المفسرين - كما فنَّده ابنُ الخطيب رحمه الله - بأنه أَتَمَّهُمْ، ونسبُهُم إلى أَنَّهُمْ جَوَاسِيسَ ، ولم يشافههم بذلك الكلام .
فلا يليقُ به أن يقول لهم : { أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمَنْزِلِينَ } ، وأيضاً بعيدٌ من يوسف مع كونه صديقاً أن يقول لهم : أَأَنْتُمْ جَوَاسِيسُ وَعَيْونَ ، مع أنه يعرف براءتهم عن هذه التُّهْمَةِ؛ لأنَّ البُهْتَانَ لا يليق بحال الصديق .⁴³⁹

الألوسي ، روح المعاني ، جزء 22، ص 11⁴³⁸
439 ابن عادل ، اللباب من علوم الكتاب ، جزء 9 ص 304

الفائدة 609: نكتة لغوية

- في قوله " وأنا خير المنزلين " إيثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على أن ذلك عادة مستمرة له .
- وقوله: {بِأَخٍ لَّكُم} [يوسف:59] نَكَرَهُ، ليريهام أنه لا يعرفه، وفَرَّقَ بين غلامٍ لك، وبين غلامِكَ، ففي الأول أنت جاهلٌ به، وفي الثاني أنت عالمٌ، لأن التعريف به يفيدُ نَوْعَ عهدٍ في الغلامِ بَيْنَكَ وبين المخاطَب .⁴⁴⁰

فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية إخبار عن جوانب أخرى من شخصية يوسف عليه السلام تتمثل في علمه بقدم إخوته وبامتثاله لأمر الله في عدم الكشف عن شخصيته وباستخدامه لأسلوب الترغيب والترهيب.

الفائدة 610: كان إخوة يوسف ينوون العودة بحكم المجاعة

في الآية دليل على أن إخوة يوسف كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوماً له عليه السلام، خاصة مع شدة المجاعة التي ضربت الناس ، وعددهم الكبير الذي يتطلب المزيد من الطعام ، فرحلة واحدة لا تكفي ، وحمل بغير هو شيء قليل بالنسبة لهم ولمن يعولونهم من الأهل والعيال .

⁴⁴⁰ الألوسي ، روح المعاني ، جزء 22 ص 15

الفائدة 611: هل يعتبر إدخال الحزن على قلب يعقوب عقوقاً من يوسف ؟

- إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له: عن هذا أربعة أجوبة:
- أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاءً ليعقوب، ليعظم له الثواب؛ فاتبع أمره فيه.
 - الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبّه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام.
 - الثالث: لتتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.
 - الرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته؛ لميل كان منه إليه .⁴⁴¹
- والأول أظهر ، والله أعلم.

الفائدة 612 : استخدام أسلوب التهيب يخدم القضية أحياناً

يلوّح يوسف بالمخاصمة إذا لم يأتوا بأخيهم من أبيهم ، وهو يعلم أنهم لابد راجعون بعدما رأوا منه ، ولحاجتهم الشديدة للطعام .
والمراد لا كيل لكم في المرة الأخرى فضلاً عن إيفائه ، {وَلَا تَقْرَبُونِ} أي لا تقربوني بدخول بلادي فضلاً عن الإحسان في الإنزال والضيافة، وهو بذلك يضيق عليهم حتى يضمن أنهم عند عودتهم سيبدلون قصارى جهدهم لإقناع أبيهم ليرسل معهم أخاهم ، وقد استعمل إذاً أسلوب الترغيب والتهيب .

قَالُوا سُرُّودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية إنباء عن معاني الوعد وخطورته وكذا المرادة والاحتتيال، ثم تختتم بنكتة لغوية.

⁴⁴¹ الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 270

الفائدة 613 : خطورة الوعد

ينبغي للرجل أن يكون محتاطا في وعوده ، ولا سيما إذا كان الموعود به ليس في قبضة الواعد، بل هو شركة بينه وبين غيره، وكثير من الناس يتورط في وعوده ، ولا يستطيع الوفاء بها ، ويعرض نفسه للكذب ، فإخلاف الوعد يعدّ خصلة من خصال النفاق

الفائدة 614 : في المراودة الجائزة

قول إخوة يوسف " سنراود عنه " أي سنخادع أباه ونستميله برفق ونجتهد في ذلك، واستعمال الحرف (عن) يفيد معنى المجاوزة، أي أنهم سيطلبونه ويتحايلون على طلبه حتى يحطوا به، وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله .

الفائدة 615 : بنيامين عوض ليعقوب عن يوسف

في استعمالهم كلمة (أباه) وليس (أبانا) ما يدل على تمسك يعقوب عليه السلام بابنه بنيامين وحبه إياه كأنه وحده ابنه.

الفائدة 616: الاحتيال المحمود في علم القلوب

في قوله تعالى: { سنراود عنه أباه } لطيفة في الرقائق فيقال : كما يحاول أبناء يعقوب الاحتيال على أبيهم ، كذلك ينبغي للعبد أن يحتال على قلبه حتى يرده إلى ربه؛ وذلك " بقطع العلائق، والفرار من الشواغل والعوائق، حتى تشرق عليه أنوار الحقائق " .

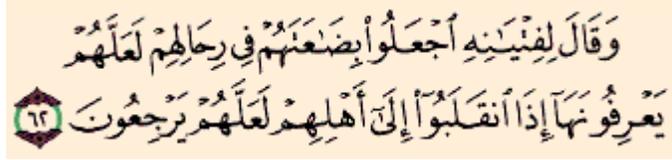
الفائدة 617: نكتة لغوية

وفي قوله: { وَإِنَّا لَفَعَلُونَ } ثلاثة أقوال :

- أحدها: أن المعنى: وإنا لجأؤوك به. وضامنون لك المجيء به، هذا مذهب الكلبي
- والثاني: أنه توكيد، قاله الزجاج، فعلى هذا، يكون الفعل الذي ضمنوه عائدا إلى المرادة، فيصح معنى التوكيد.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- والثالث: وإنما لمديمون المطالبة به لأبينا، ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه، وهذا غير المرادة، ذكره ابن الأنباري.⁴⁴²



أوجه الاستدلال من الآية :

تحمل الآية لطيفة اقتصادية تتعلق بالاستثمار، وأخرى خلقية تتعلق برد يوسف عليه السلام لبضاعة إخوته، وثالثة تربوية تخص رد أعمال العباد، ورابعة عقائدية تشمل إكرام الله تعالى لعباده الصالحين .

الفائدة 618: ما هو الاستثمار

في الآية معنى لطيف يتعلق بالاستثمار وهو استخدام المَدَّخَرَات في تكوين الطاقات الإنتاجية الجديدة والمحافظة على الطاقات الإنتاجية القائمة أو تجديدها .⁴⁴³ وعليه فإن يوسف عليه السلام لما علم أن في توزيع المَدَّخَرَات طيلة سبع سنين ولصالح كافة سكان المنطقة تبديدا للثروة وعدم الحفاظ عليها ، لجأ إلى "الاستثمار النقدي" ، (الذهب ، الفضة ، النقد ، و الأوراق التي كان يأتي بها الطالبون من بلادهم ليشتروا بها الطعام) وهو يمثل المقابل النقدي للاستثمار العيني . وهذا ما يسمى في الاقتصاد " فترة الإنشاء " أي إعادة تكوين الطاقات الإنتاجية (المحاصيل الزراعية هنا) ، والتي تتولد عنها القيمة المضافة (المداخل النقدية والبضائع).

ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط⁴⁴²

⁴⁴³ د.حسين عمر ، التنمية والتخطيط الاقتصادي ، ص 158

الفائدة 619: لماذا أمر يوسف برد بضاعة إخوته؟

- اختلف المفسرون في السبب الذي جعل يوسف عليه السلام يأمر برد بضاعة إخوته، وفي مقصوده بذلك على خمسة أقوال :
- أحدها: أنه تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق (الفضة) ما يرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في رحالهم (قاله أبو صالح عن ابن عباس. ورواه الكلبي)
 - والثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يستحلوا إمساکها حتى يردوها، لأنه علم أن ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة نفيًا للغلط (قاله الضحاك) .
 - والثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه، فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تکرما وتفضلا (ذكره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي)
 - والرابع: ليعلموا أن طلبه لعودهم لم يكن طمعا في أموالهم.⁴⁴⁴
 - والخامس: أنه أراهم كرمه وبره ليكون أدعى إلى عودهم.

الفائدة 620: رد البضاعة فيه دلالة على رد الأعمال

قال بعض العلماء : نبّه الله تعالى برد بضاعتهم إليهم على أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يتأبون إليه من الطاعات ويعاقبون عليه من المعاصي.

ومن ذلك قوله ρ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي : " يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " (رواه مسلم 6524)

الفائدة 621: من إكرام الله ليوسف كثرة العاملين

{ لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم} الرجال تقيد العدد الكثير فوجب أن يكون الذين يباشرون ذلك العمل كثيرين. وهو ما يشير إلى منزلة يوسف عليه السلام في مصر ورغم ذلك لم تكن هذه المكانة مدعاة للتكبر .

الماوردي، النكت والعيون ، جزء 2 ص 270⁴⁴⁴

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٢﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نستلهم من الآية فائدة تتعلق بدلائل استعمال الفعل الماضي للدلالة على المستقبل ، و
أخرى بتنفيذ الوعد المتمثل في شقين : مراودة الأب وحفظ الأخ .

الفائدة 622 : لماذا استعمل إخوة يوسف صيغة الماضي في قولهم " منع " ؟

منع الكيل فيه قولان :

أحدهما : حكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل : دخلت والله النار بما
فعلت .

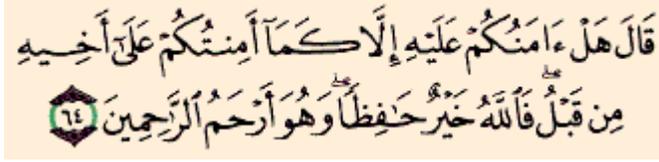
والثاني : أن المعنى : يا أبانا يمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب «منع» عن «يمنع»
كقوله : { يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ } [الهمزة 3] أي : يخلده، وقوله : { وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ }
[الأعراف 50] ، { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ } [المائدة 116] أي : وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري .

الفائدة 623 : بداية المرادة

يدل ابتداءهم بعبارة (منع منا الكيل) على خوفهم أن يمنع في المستقبل ، ورغبتهم
في إثارة الاهتمام عند أبيهم فيسمح بإرسال أخيهم معهم ، وفي ذلك تنفيذ لوعدهم ليوسف
عليه السلام بمرودة أبيهم بمجرد وصولهم ، حتى أنهم بادروه بالكلام قبل أن يستريحوا من
وعثاء السفر ، بل وقبل فتح متاعهم .

الفائدة 624 : وعد إخوة يوسف بحفظ أخيهم

قولهم {وَأِنَّا لَهُ لَحَقِطُونَ} من أن يصيبه مكروه، وهذا سد لباب الاعتذار وقد بالغوا في ذلك كما لا يخفى، وهو ما يذكرنا بوعدهم القديم بحفظ أخيهم يوسف الصغير .



أوجه الاستدلال من الآية :

تصح لنا الآية مفهوما عقائديا يتمثل في الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب ، وآخر يتعلق برحمة الله الواسعة . كما تطلعتنا على نكتتين تربويتين تتمثلان في جواز إساءة الظن في مواضع وأن المؤمن لا يلدغ مرتين .

الفائدة 625 : جواز سوء الظن لوجود القرائن

قوله : " هل أمنكم عليه " إن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم ، فإن يعقوب عليه السلام قال لأولاده بعدما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة ، ثم قال لهم بعد ما أتوه ، وزعموا أن الذئب أكله " بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا " قال لهم في الأخ الآخر : " هل أمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل " ثم لما احتبس يوسف عنده ، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم : " بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا " فهم في الأخيرة وإن لم يكونوا مفرضين ، فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم ، أن قال ما قال من غير إثم عليه ولا حرج .

الفائدة 626: لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين

تشير الآية إلى أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين⁴⁴⁵ فقال يعقوب عليه السلام (قال هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه من قبل) فالمؤمن كيس فطن لذلك يعتبر بما أصابه في الماضي ويمتنع عليه إن يحصل له مثلما حصل له من قبل بفطنته وذكاءه ولا يكون مغفلاً .

الفائدة 627: الجمع بين التوكل و الأخذ بالأسباب

في قول يعقوب عليه السلام: " فالله خير حافظا " وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام إلى الإذن والإرسال لما رأى فيه من المصلحة، وفيه أيضاً من التوكل على الله تعالى ما لا يخفى، ولذا روى أن الله تعالى قال: (وعزتي وجلالي لأردهما عليك إذ توكلت عليّ).

الفائدة 628: رحمة الله الواسعة

معنى ذيل الآية " وهو أرحم الراحمين " أي : وهو أرحم الراحمين بي، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي، وأرجو من الله أن يرده علي ويجمع شملتي به، إنه أرحم الراحمين.

الفائدة 629: تغير حال إخوة يوسف إلى الصلاح بالترجيح

لم يصرح يعقوب عليه السلام بمنعهم من إرسال أخيه معهم؛ لما رأى في ذلك من المصلحة، لكنّه أعلمهم بقلّة طمأنينته إليهم، ولكنّ ظاهر أمرهم أنهم قد أنابوا إلى الله سبحانه، وانتقلت حالهم، فلم يخف على بنيامين، كخوفه على يوسف، والله تعالى أعلم .

[عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ⁴⁴⁵ مَرَّتَيْنِ] البخاري (6133)

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا
يَتَأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِيضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا
وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدُكَ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرف في هذه الآية على معنى كلمة متاع ، ثم نقتبس منها أهمية أخلاق صلة الرحم وإكرام الناس والوفاء بالعهود ، ونتعرض بعدها للوعود الجديدة لإخوة يوسف عليه السلام ونختم بإشارة اقتصادية للحد الأدنى للكفاف، وبنكتة لغوية.

الفائدة 630: المتاع

" ولما فتحوا متاعهم " المتاع كل ما ينتفع به على وجهه، وهو في الآية الطعام، وقيل: الوعاء . وكلاهما متاع وهما متلازمان فإن الطعام كان في الوعاء، والمعنى على أنهم لما فتحوا أوعية طعامهم.

الفائدة 631 : أحوال " ما " في الآية

- يحتمل أن تكون «ما» استفهاماً؛ قاله قتادة: و{نَبْغِي} : من البَغْيَةِ، أي: ماذا نَطْلُبُ بَعْدَ هذه التَّكْرِيمَةِ ؟ هذا مَالْنَا رُدَّ إِلَيْنَا مع مِيرَتِنَا .
- قال الرَّجَّاجُ: ويحتمل أن تكون «ما» نافية، أي: ما بقي لنا ما نَطْلُبُ، و{نَبْغِي} من البَغْيِ، أي: ما تَعَدَّيْنَا فَكَذَّبْنَا على هذا المَلِكِ، ولا في وَصْفِ إِجْمَالِهِ وإِكْرَامِهِ، هذه البِضَاعَةُ رُدَّتْ إِلَيْنَا،
- وقرأ أبو حَيَوَةَ: «ما تَبْغِي»؛ على مخاطبة يعقوبَ، وهي بمعنى ما تُرِيدُ وما تطلب.

الفائدة 632 : صلة الرحم

في قوله " هذه بضاعتنا ردت إلينا " يكشف أن يوسف قصد أن يستميلهم ويصلهم ويظهر أن ما فعله يوسف من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه ، والظاهر من القصة أنما أراد الاستتلاف وصلة الرحم .⁴⁴⁶

الفائدة 633 : وعود إخوة يوسف الجديدة

{هَذِهِ بَضْعَاتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا} كأنهم قالوا: كيف لا وهذه بضاعتنا ردها إلينا تفضلاً من حيث لا ندري بعدما منّ علينا بما يتقل الكواهل من المنن العظام وهل من مزيد على هذا فنطلبه، ومرادهم به أن ذلك كاف في وجوب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب المزيد .
قالوا: هذه بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا من المكروه ونزداد بسببه غير ما نكتاله لأنفسنا كيل بغير فأى شيء نبغي وراء هذه المباغي

الفائدة 634 : الوفاء بالعهود

في قولهم : " ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بغير " ما يدل على الوفاء ليوسف فيما بذلوه من مراودة في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيباً واستنزالاً واستعطافاً وتسهيلاً .

الفائدة 635 : الحد الأدنى للكفاف " حمل بغير "

في قولهم " ونزداد كيل بغير " دليل على أن خطة يوسف عليه السلام في توزيع الميرة أن لكل فرد حمل بغير .وهو الحد الأدنى للكفاف بلغة الاقتصاد .

⁴⁴⁶ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 333

الفائدة 636 : معنى الكيل اليسير

{ ذلك كَيْلٌ يسير } فيه وجهان :

- أحدهما : أن الذي جئناك به كيل يسير لا ينفعنا .
- والثاني : أن ما نريده يسير على من يكيل لنا ، قاله الحسن . فيكون على الوجه الأول استعطافاً ، وعلى الثاني تسهيلاً .

الفائدة 637: إكرام الناس وسيلة لاستمالتهم إلى الخير

من الآية نستفيد أن الإكرام-إكرام الناس- وسيلة إلى جذبهم .
قال الشاعر (أحسن إلي الناس تستعبد قلوبهم) بالإحسان ولا غيره .
إذا الإحسان يستميل قلوب الناس ولذلك قالوا (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) بمعنى أن هذا الرجل أكرمنا جدا أكرمنا لما قدمنا عليه وهذه بضاعتنا ردت إلينا فأرسل معنا أخانا .

الفائدة 638 : نكتة لغوية

إن إيثار صيغة البناء للمفعول " وجدوا بضاعتهم رُدت إليهم " قيل: للإيذان بكمال الإحسان ، الناشئ عن كمال الإخفاء ، المفهوم من كمال غفلتهم عنه ، بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله .

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا
أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّاءَ اتَّوَهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تطلعنا الآية على جملة من أحوال المعاملات في شريعة يوسف عليه السلام ويتعلق الأمر بالحمالة والعهود والتوثيق عليها وضمانات العقود وذكر الله فيها ، كما تركز على مسائل عقدية تتمثل في التوكل واتخاذ الأسباب وذكر الله في كل حين ، لنختم بالإجابة على سبب قبول يعقوب بإرسال ابنه بنيامين .

الفائدة 639 : جواز الحمالة

هذه الآية أصل في جواز الحَمَالَة بالعين والثبقة بالنفس؛ وقد اختلف العلماء في ذلك؛ فقال مالك وجميع أصحابه وأكثر العلماء: هي جائزة إذا كان المتحمل به مالاً. وقد ضعف الشافعي الحَمَالَة بالوجه في المال؛ وله قول كقول مالك.⁴⁴⁷

الفائدة 640: الحلف على العهد

أراد يعقوب عليه السلام أن يحلفوا له بالله تعالى وإنما جعل الحلف به سبحانه موثقاً منه لأنه مما تؤكد العهود به وتشدد وقد أذن الله تعالى بذلك .
وفي مجمع البيان نقلاً عن ابن عباس أن يعقوب عليه السلام طلب منهم أن يحلفوا بمحمد ρ خاتم النبيين وسيد المرسلين، والظاهر عدم صحة الخبر. وذكر العمادي أنه عليه السلام قال لهم: قولوا بالله رب محمد ρ لنايتيك به .
و الأولى الاكتفاء بما ورد في الآية ، ولا يزداد على الحلف الثابت فيها بغيره من غير دليل يعتد به .

الفائدة 641: التوثيق

قوله " حتى تأتون موثقا " التوثيق يعني أن يجعلوا الله شاهدا عليهم فيما وعدوا به بأن يحلفوا بالله فتصير شهادة عليهم كتوثق صادر من الله تعالى بهذا الاعتبار . وذلك أن يقولوا : " لك ميثاق الله أو عهد الله " أو نحو ذلك ، وبهذا يضاف الميثاق والعهد إلى اسم الجلالة كأن الحالف استودع الله ما به التوثق للمحلف له . ويشهد لهذا حديث الرجل من بني إسرائيل الذي جعل الله وكيلا وشاهدا على صدق نيته .

الفائدة 642: ما هي الإحاطة ؟

قوله تعالى: { إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ } فيه قولان :
أحدهما: أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد.
والثاني: أن يحال بينكم وبينه فلا تقدرن على الإتيان به، قاله الزجاج.

الفائدة 643: اتخاذ الأسباب من تمام التوكل

لقد توثق يعقوب عليه السلام في هذه القصة وأشهد الله تعالى ووصى بنيه وأخبر بعد بتوكله ، فهذا توكل مع سبب ، وهو توكل جميع المؤمنين إلا من شذ في رفض السعي بالكلية فتلك غاية التوكل ، وعليها الأنبياء عليهم السلام .
قال الشيخ عبد الله بن أبي جمرة : وقد اشتمل القرآن على أحكام عديدة فمنها التعلق بالله تعالى وترك الأسباب ، ومنها عمل الأسباب في الظاهر وخلو الباطن من التعلق بها ، وهو أجلها وأزكاها ، لأن ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد وذلك لا يكون إلا للأفذاذ الذين منّ الله عليهم بالتوفيق .⁴⁴⁸

⁴⁴⁸ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 334

الفائدة 644: العذر للمغلوب على أمره في تنفيذ العهود

ترشدنا الآية إلى أن الإنسان إذا غلبَ على أمره فهو معذور وهذا من فقه يعقوب حينما قال إلا أن يُحَاطَ بكم . فهو صح أن يطلب منهم أن يردوا أخاهم لكن فيما يقدرون عليه لكن إذا غلبوا ولم يستطيعوا أبداً فهم معذورون (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة:286)

الفائدة 645 : ذكر الله تعالى في كل حين

في قول يعقوب : "الله على ما نقول وكيل" يلفتنا أنه عليه السلام دائم الذكر لله تعالى، وهو شأن يوسف عليه السلام كما رأينا، وهو من آثار التربية الإيمانية وبيت النبوة .

الفائدة 646: ذكر الله في العهود مدعاة للبركة

إن إعلان التوكل على الله بعد إبرام العقود مما يُزيدها بركه وخيرا وتذكيرا للطرفين بما تعاقدا عليه فماذا قال يعقوب (قال الله على ما نقول وكيل) توكلنا على الله وماذا قال موسى للرجل الصالح حينما قال لموسى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (القصص:27) قال موسى (قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (القصص:28)

فهاتان كلمتان من نبيين بعد إبرام العقود، إذا الإنسان إذا أراد إن يُبرم عقداً مهما في العقود فإنه يبين التوكل على الله ليكون هذا واضح بين الطرفين وهذه عبارة أنبياء ينبغي أن يُقتضى بهم فيها إذا أبرمت عقداً أو اتفاق فقل " والله على ما نقول وكيل " . فكل منهم يعظ نفسه بالله إن الله رقيب مطلع يشاهد ويشهد على هذا العقد وعلى الاتفاق وعلى هذا الميثاق⁴⁴⁹.

محمد صالح المنجد، 100 فائدة من سورة يوسف ، تحقيق وتخريج الأحاديث : هاني فاروق، ص 28⁴⁴⁹

الفائدة 647: ضمانات العهد قديما (الرهن)

لعل سبب إطلاق فعل الإعطاء أن الحالف كان في العصور القديمة يعطي المحلوف له شيئا تذكرة لليمين مثل سوطه أو خاتمه ، أو أنهم كانوا يضعون عند صاحب الحق ضمانا يكون رهينة عنده .

الفائدة 648: لماذا قبل يعقوب بإرسال بنيامين ؟

فإن قيل: لم بعثه معهم وقد شاهد ما شاهد ؟
قلنا: لوجوه:

- أدها: أنهم كبروا ومالوا إلى الخير والصلاح كما مر بنا أنفا
- وثانيها: أنه كان يشاهد أنه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام
- وثالثها: أن ضرورة القحط أوجته إلى ذلك
- ورابعها: لعله تعالى أوحى إليه وضمن حفظه وإيصاله إليه.⁴⁵⁰

وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ
إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تشير الآية إلى وجوب الرحمة بين الآباء والأبناء ، كما لنا معها وقفة تتعلق ببحوث في الإصابة بالعين والأدلة عليها وعما يفعله العائن والمعين والأسباب المنجية منها والرقى الشرعية والعادات الجاهلية لصدّها. كما نتوقف مرة أخرى عند أنواع التوكل ووجوبه والتوازن بينه وبين اتخاذ الأسباب لأهمية الموضوع .

⁴⁵⁰ الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 9 ص 309

الفائدة 649: المراد بالأبواب

- " لا تدخلوا من باب واحد " وفي المراد بهذا الباب الوارد في الآية قولان :
- أحدهما: أنه أراد بابا من أبواب مصر ، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور .
 - والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس.

الفائدة 650: رحمة الآباء بالأبناء ولو كانوا عاقين

عندما نتأمل نصيحة يعقوب عليه السلام لأولاده وقوله لهم : " يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة " وقد صنعوا بأخيهم ما صنعوا نعلم مقدار شفقة الآباء على الأبناء، وأن إساءة الأبناء للآباء لا تنزع الشفقة منهم ، ولا سيما إذا كان مصدرها حسد البعض للبعض.

فينبغي للآباء أن تكون من سعة الصدر وتغليب الرحمة على الغلظة كما كان يعقوب مع بنيه ينصح لهم بأن لا يدخلوا من باب واحد.

الفائدة 651: الأدلة على إثبات العين

لقد وردت الأحاديث الصحيحة بأن العين حق وأصيب بها جماعة في عصر النبوة منهم رسول الله ﷺ ، وقد أنكر بعض المعتزلة أن للعين تأثيرا إنكارا بليغا .

وبالجملة فقول هؤلاء مدفوع بالأدلة المتكاثرة وإجماع من يعتد به من هذه الأمة سلفا وخلفا ، وبما هو مشاهد في الوجود ، ومن جملة الأدلة :

- ما ورد أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: "أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة" ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق صلوات الله عليهم .⁴⁵¹

⁴⁵¹رواه البخاري (3306) و أحمد (2438) والترمذي (2077) ، وأبو داود (4827) وابن حبان (988) وأخرجه الطبراني (72/10) ، رقم (9984) ، وابن عساکر (224/13) وأخرجه أيضا : البزار (304/4) ، رقم (1483) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- والثاني: ما روى أبو سعيد قال: دخلت على رسول الله ρ في أول النهار فرأيته شديد الوجد ثم عدت إليه آخر النهار فرأيته معافى فقال: "إن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني فقال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك" قال فأفقت⁴⁵²
- والثالث: روي أن بني جعفر ابن أبي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت أسماء: يا رسول الله إن العين إليهم سريعة أفأستلقي لهم من العين فقال لها نعم.⁴⁵³
- والرابع: دخل رسول الله ρ بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا: يا رسول الله أصابته العين فقال أفلا تسترقون له من العين.⁴⁵⁴
- والخامس: قوله عليه السلام: "العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين القدر"⁴⁵⁵
- والسادس: قالت عائشة رضي الله عنها: كن يأمر العائن أن يتوضأ ثم يغسل منه المعين الذي أصيب بالعين.⁴⁵⁶
- وقد قال رسول الله ρ : «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر».⁴⁵⁷

الفائدة 652: العين وحققتها

قال الحافظ: "إنه يمتد من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن فتؤثر فيه وتسري فيه كتأثير اللسع والسم والنار".

إنه يحصل له عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله والخوف الشديد يوجب انحصار الروح في داخل القلب فحينئذ يسخن القلب والروح جدا، ويحصل في الروح الباصرة كيفية

⁴⁵² أخرجه ابن أبي شيبة (47/5 ، رقم 23576) ، وأحمد (58/3 ، رقم 11574) ، ومسلم (1718/4 ، رقم 2186) ، والترمذي (303/3 ، رقم 972) وقال حسن صحيح . وابن ماجه (1164/2 ، رقم 3523) .

⁴⁵³ رواه الترمذي (2075) وقال حسن صحيح

⁴⁵⁴ أخرجه الطبراني (268/23 ، رقم 568) . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (365/12 ، رقم 6935) عن أم سلمة قالت دخل علينا رسول الله ρ وعندي صبي يشتكي فقال : ما له . فقلنا : اتهمنا له العين فقال ... فذكره .

⁴⁵⁵ أخرجه مسلم (1719/4 ، رقم 2188) ، والحكيم (44/3) . وابن حبان (473/13 ، رقم 6107) . وأخرجه أيضاً : الترمذي (397/4 ، رقم 2062) وقال : حسن صحيح غريب . والنسائي في الكبرى (381/4 ، رقم 7620) ، وأبو نعيم في الحلية (17/4) ، والديلمي (77/3 ، رقم 4216) .

رواه أبو داود (3880) راجع هذه الأحاديث في : فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، جزء 10 ص 138⁴⁵⁶

⁴⁵⁷ أخرجه ابن عدى (407/6 ترجمة 1890 معاوية بن هشام القصار) ، وأبو نعيم في الحلية (90/7) ، والخطيب (244/9) ، والفضاعي (140/2 ، رقم 1059) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

قوية مسخنة و يحصل عند ذلك الاستحسان حسد شديد و حزن عظيم بسبب حصول تلك النعمة لعدوه.

والحزن أيضا يوجب انحصار الروح في داخل القلب ويحصل فيه سخونة شديدة، فثبت أن عند الاستحسان القوي تسخن الروح جدا فيسخن شعاع العين* بخلاف ما إذا لم يستحسن فإنه لا تحصل هذه السخونة فظهر الفرق بين الصورتين، ولهذا السبب أمر الرسول ρ العائن بالوضوء ومن أصابته العين بالاعتسال.

الفائدة 653: ماذا يفعل من أعجب بمن رأى ؟

واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يُبْرِك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة؛ ألا ترى قوله عليه السلام لعامر: «ألا بَرَكْتَ» فدَلَّ على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا بَرَكَّ العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يُبْرِك. والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه.

الفائدة 654: ماذا يفعل العائن ؟

العائن إذا أصاب بعينه ولم يُبْرِك فإنه يؤمر بالاعتسال، ويُجبر على ذلك إن أباه؛ لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يخاف على المَعِين الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه وكان الجاني عليه. وقد أمر ρ في حديث أبي أمامة العائن بالاعتسال للمَعِين، وأمر مرة بالاسترقاء؛ قال علماءنا: إنما يسترقى من العين إذا لم يعرف العائن؛ وأما إذا عرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء على حديث أبي أمامة.

* يقول الشيخ متولي الشعراوي رحمة الله عليه أنه لا يستبعد أن يثبت العلم مستقبلا أن العائن ينطلق من عينه نوع من الإشعاعات المضرة فتصل إلى المصاب بها ، ويدل عليها تعاضد الروايات بوجود حرارة وسخونة يحس بها العائن ، ويستدل الشيخ أيضا بوجود أنواع كثيرة من الإشعاعات غير المرئية المنبئة في الكون والتي لم يكشف عن ماهيتها بعد ، والله أعلم .

الفائدة 655: حكم صاحب العين

لقد اختلف العلماء فيمن عرف بالإصابة بالعين ، فقال قوم يمنع من الاتصال بالناس دفعا لضرره بحبس أو غيره من لزوم بيته ، وقيل ينفي، وأبعد من قال أنه يقتل إلا إذا كان يتعمد ذلك ، ويتوقف إصابته على اختياره وقصده ، ولم ينزجر عن ذلك فإنه إذا قتل كان له حكم القاتل .⁴⁵⁸

وحديث مالك يرد هذه الأقوال؛ فإنه عليه السلام لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائناً، وأنه لا يقدح فيه ولا يفسق به؛ ومن قال: يحبس ويؤمر بلزوم بيته. فذلك احتياط ودفع ضرر، والله أعلم

الفائدة 656: الرقى الشرعية يدفع بها البلاء

نشير أيضا إلى أن الرقى مما يُستدفع به البلاء، وأن العين تؤثر في الإنسان وتضرعه، أي تضعفه وتحلّه؛ وذلك بقضاء الله تعالى وقدره. ويقال: إن العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.⁴⁵⁹

الفائدة 657: اتخاذ الأسباب لتجنب العين

إن استعمال الأسباب الدافعة للعين وغيرها من المكاره ، أو الرافعة لها بعد نزولها غير ممنوع ، بل جائز ، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر ، فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر لأمر يعقوب ، حيث قال لابنيه : " يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة " .

الفائدة 658: من العادات الجاهلية لصد العين

من العادات الجاهلية لصد العين كثير ، نذكر منها :

⁴⁵⁸ صديق خان ، فتح البيان ، الجزء 6 ص 350
القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جزء 9 ، ص 225⁴⁵⁹

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- الوشم : وهو في الأصل جعل ليبعد العين ، فتشوه البشرة حتى لا تبدو في بهاء وجمال ، فأثبت النبي عليه السلام العين ولكن لا تذهب بالشركيات والخرافات ، بل بالرقى الشرعية، كما ورد في الحديث : " العين حق وأنهاكم عن الوشم " ⁴⁶⁰
- تعليق التمام : كالخامسة ، فهو من الشرك ومن تعليق الأسباب بغير الله
- تعليق صفائح الحصان : وهي عادة إنجليزية
- تعليق الشوك والنباتات الشوكية : وهي عادة إسبانية ومكسيكية⁴⁶¹

الفائدة 659: لا يغني حذر من قدر

في قوله " وما أغني عنكم من الله من شيء " دلالة على أنه لا يغني حذر من قدر وهو لا يريد إلغاء الحذر بتاتا، فإنه تعالى أمر به وقال : " خذوا حذرکم " بل يريد أن هذا التدبير إنما هو تشبث بالأسباب العادية التي لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى ، وأن ذلك ليس بدافع للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه .⁴⁶²

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : " لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ، وما لم ينزل ، وإن الدعاء ليلقى البلاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة " ⁴⁶³ ..

الفائدة 660: أنواع التوكل

التوكل على الله نوعان :

. أحدهما توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية

. والثاني : التوكل عليه في حصول ما يجبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه .

⁴⁶⁰ رواه البخاري (5608) وأحمد (8198) وابن حبان (5406)

عبد الحلیم تومیات، قصة يوسف عليه السلام ، قرص سمعي⁴⁶¹

⁴⁶² المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 13 ، ص 17

⁴⁶³ أخرجه ابن عدی (212/3) ، ترجمة زكريا بن يحيى بن منظور بن ثعلبة) ، وقال : هو ضعيف إلا أنه يكتب حديثه . والخطيب (453/8) ، والحاكم (669/1 رقم 1813) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (66/3) ، رقم (2498) ، قال الهيثمي (146/10) : فيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح المصري وضعفه الجمهور وبقيّة رجاله ثقات . والقضاعي (48/2) ، رقم (859) . قال الألباني (حسن)

انظر حديث رقم : 7739 في صحيح الجامع

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني (الديني) حق توكله كفاه النوع الأول (الدنيوي) تمام الكفاية ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه . فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم .⁴⁶⁴

الفائدة 661 : التوكل واجب في كل زمان ومكان

قوله " وما أغني عنكم من الله " من شيء لبيين لهم أن وصيته بأخذ الأسباب مع التنبيه على الاعتماد على الله هو معنى التوكل الذي يضل في فهمه كثير من الناس اقتصاراً وإنكاراً . ولذلك أتى بجملة " وعليه فليتوكل المتوكلون " أمراً لهم ولغيرهم ، على معنى أنه واجب الحاضرين والغائبين ، وأن مقامه لا يختص بالصدّيقين، بل هو واجب كل مؤمن كامل الإيمان لا يخلط إيمانه بأخطاء الجاهليات.⁴⁶⁵

الفائدة 662 : التوازن بين اتخاذ الأسباب وعدم اعتبار الأسباب وحدها

فقول يعقوب عليه الصلاة والسلام { لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ } إشارة إلى رعاية الأسباب المعتمدة في هذا العالم ، وقوله { وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } إشارة إلى عدم الالتفات إلى الأسباب وإلى الالتفات إلى التوحيد المحض ، والبراءة عن كل شيء سوى الله تعالى .

فإن قيل : كيف السبيل إلى الجمع بين هذه القولين؟

فالجواب : أن هذا السؤال غير مختص به ، فإنه لا نزاع في أنه لا بد من إقامة الطاعات والاختراز من السيئات ، مع أننا نعتقد أن السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه ، فكذها هنا .

ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 86⁴⁶⁴
الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 2201⁴⁶⁵

وأيضاً : نأكلُ ، ونشربُ ، ونحترزُ عن السموم ، وعن الدُخولِ في النَّارِ ، مع أنَّ الموت والحياة لا يحصلان إلا بتقدير الله سبحانه وتعالى ، فكذا ههنا ، فظهر أنَّ السؤال ليس مختصاً بهذا المقام ، بل هو بحثٌ عن سرِّ مسألة الخيرِ ، والشرِّ .
والحقُّ أن العبد يجبُ عليه أن يسعى بأقصى الجهد ، والقدرة ، وبعد السَّعي البليغ ، يعلم أنَّ كل ما يدخل في الوجود لا بدُّ وأن يكن بمشيئة الله عزَّ وجلَّ وسابق حكمه ، وحكمته .
ثم إنَّه تعالى أكَّد هذا المعنى على لسان يعقوب عليه السلام فقال : { إنَّ الحكمَ إلَّا لله } ، وهذا من أدلِّ الدلائل على صحَّة القول بالقضاء ، والقدر ؛ لأنَّ الحكم عبارة عن الإلزام والمنع ومنه سميت حكمة الدَّابة بهذا الاسم ؛ لأنَّها تمنع الدَّابة من الحركاتِ الفاسدة والحكم إنَّما يسمى حكماً ؛ لأنه يرجح أحد طرفي الممكنِ على الآخر ، بحيثُ يصيرُ الطَّرْفُ « الآخر » ممتنع الحصولِ ، فبيَّن تعالى أنَّ الحكم ليس إلَّا لله ، وذلك يدلُّ على أنَّ جميع الممكنات ترجع إلى قضائه ، وقدرته ، ومشيئته ، وحكمه إمَّا بواسطةٍ ، أو بغير واسطةٍ ، ولذلك فوَّض يعقوب أمره إلى الله تعالى .⁴⁶⁶

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُو
عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تخبرنا الآية بمكانة يعقوب عليه السلام عند الله تعالى ، وتلطف الله سبحانه به ، كما ندرك معنى حاجة يعقوب عليه السلام ، وكذا أن العلم يدعو إلى العمل . ولنا كلام عن القدر وأثر الإيمان به على الوجه الصحيح، والنهي عن الخوض فيه ، ونختم بنكتة لغوية

الفائدة 663 : الأسباب متعلقة بالله عز وجل

إن المراد أن يعقوب عليه السلام خشي على أبنائه شر العين فأصابهم شر آخر لم يخط بباله فلم يقد دفع ما خافه شيئاً، وحينئذ فإن دخولهم من حيث أمرهم أبوهم كان مفيداً لهم من حيث أنه دفع العين عنهم إلا أنه لما أصابهم ما أصابهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك مع أحيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم لم يعد ذلك فائدة فكأن دخولهم لم يفدهم شيئاً.

الفائدة 664: ما هي حاجة يعقوب

" إلا حاجة " الحاجة الأمر المرغوب فيه ، والحاجة التي في نفس يعقوب عليه السلام ، هي حرصه على تنبيههم للأخطار التي تعرض لأمثالهم في مثل هذه الرحلة إذا دخلوا من باب واحد ، وتعليمهم الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله .
والحاجة أيضا هي أن يكون يعقوب طيب النفس بدخول أبنائه من أبواب متفرقة خوف العين ونظير هذا الفعل أن النبي ﷺ سد كوة في قبر بجر قال : " إن هذا لا يغني شيئا ولكنه تطيب لنفس الحي " .⁴⁶⁷

الفائدة 665 : تلطف بيعقوب

" في نفس يعقوب " وفي التصريح باسم يعقوب عليه السلام إشعار بالتعطف والشفقة والترحم لأنه عليه السلام قد اشتهر بالحزن والرقّة.

الفائدة 666: مكانة يعقوب عند الله تعالى

لقد مدح الله تعالى يعقوب عليه السلام لأنه عمل بالأسباب واجتهد في توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم ردّ الأمر كله لله تعالى واستسلم إليه وهو حقيقة التوحيد، فأثنى الله تعالى عليه من أجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين .

⁴⁶⁷ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ص 335

الفائدة 667 : العلم مدعاة إلى العمل

" وإنه لذو علم لما علمناه " لقد أتى الله عز وجل على نبيه يعقوب عليه السلام بأته لقن ما علمه الله من هذا المعنى وأن أكثر الناس ليس كذلك . وقال قتادة : معناه لعامل بما علمناه . وقال سفيان : من يعمل لا يكون عالماً .

الفائدة 668 : كلام في القدر

أراد يعقوب عليه السلام بهذا تعليمهم الاعتماد على توفيق الله ولطفه مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة تأدبا مع واضح الأسباب ومقدر الألطاف في رعاية الحاليين ، لأننا لا نستطيع أن نطلع على مراد الله في الأعمال فعلينا أن نتعرفها بعلاماتها ولا يكون ذلك إلا بالسعي لها .

وهذا سر مسألة القدر كما أشار إليه قول النبي ρ : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له"⁴⁶⁸ وفي الأثر : إذا أراد الله أمراً يسره أسبابه .

وواضح من سياق القول أنه يعني هنا حكم الله القدري القهري الذي لا مفر منه ولا فكاك . وقضائه الإلهي الذي يجري به قدره فلا يملك الناس فيه لأنفسهم شيئاً. وهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره .⁴⁶⁹

الفائدة 669 : أثر الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح

الإيمان بالقدر في حياة المؤمن أقوى حافز للعمل الصالح والإقدام على عظام الأمور بثبات وعزم وثقة . ولقد كانت الصورة الصحيحة للإيمان بالقدر في حياة الأجيال الأولى من المسلمين هي التي صنعت تلك العجائب التي سجلها تاريخهم ، والتي تثبتت الدعوة في الأرض ونشرتها على نطاق واسع في فترة وجيزة من الزمن لا مثيل لها في قصرها في التاريخ .

⁴⁶⁸ أخرجه أحمد (129/1 ، رقم 1067) ، والبخارى (1891/4 ، رقم 4665) ، ومسلم (2039/4) ، رقم 2647) ، وأبو داود (222/4 ، رقم 4694) والترمذى (441/5 ، رقم 3344) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضاً : عبد بن حميد (ص 57 ، رقم 84) ، وأبو يعلى (437/1 ، رقم 582) .
⁴⁶⁹ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 79

كذلك كان الإيمان بالقدر على هذه الصورة هو حافزهم للإنسياح في الأرض ، سواء لنشر الدعوة ، أو طلب الرزق ، أو اكتشاف المجهول من الأرض .فكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين نشاط ملحوظ وآثار مشهودة .

ولكن عقيدة القدر أصابها في نفوس المسلمين . على مر الزمن . كثير من الإنحراف فقد وجدت طوائف ضالة قالت : إن الإنسان مجبر على ما يفعل ، ومن ثم فليس بمسؤول ! والسلف الصالح لم يفهم قط من عقيدة القدر هذا الفهم الخاطئ الذي يلغي مسؤولية الإنسان عن عمله .

فلا تعارض في حس المؤمن الصحيح الإيمان ، بين الإيمان بقدر الله وتحمل الإنسان مسؤولية عمله وتعرضه للحساب عليه . 470

الفائدة 670 : النهي عن الخوض في مسائل القدر

وقد ورد النهي عن طلب علم القدر وفي بعض الآثار أن عزيزا عليه السلام كان كثير السؤال عنه الى أن قال الحق سبحانه له : ياعزيز لئن سألت عنه لأمحون اسمك من ديوان النبوة ويقرب من ذلك السؤال عن علل الأشياء في مكنوناتها فان أفعال الحق لا ينبغي أن تعلق فان ما ثم علة موجبة لتكوين شيء إلا عين وجود الذات وقبول عين الممكن لظهور الوجود والأزل لايقبل السؤال عن العلل والسؤال عن ذلك لايصدر إلا عن جاهل بالله تعالى فافهم ذلك والله سبحانه يتولى هداك 471

الفائدة 671 : نكتة لغوية

- إطلاق اسم الحاجة إلى المحتاج إليه " ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها " .
معناه ما كان دخولهم يرفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئا ، ولكن طلب حاجة في نفس يعقوب قضاها ، متعلقها لأن الحاجة الحقيقية التي هي الافتقاد لا تقتضي وإنما يقضى متعلقها الذي هو المحتاج إليه . 472

470 محمد قطب ، ركائز الإيمان ، ص 420 وما بعدها بتصرف .

471 الألوسي ، روح المعاني ج 22 ص 75

ابن قيم الجوزية ، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، ص 35⁴⁷²

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تعالج الآية مسائل تتعلق بالأخوة ، فتخبرنا عن المعاملة السيئة للأخ غير الشقيق، وعن وجوب رافة الأخ بأخيه في الأصل ، وعن صفاء قلب يوسف عليه السلام لأنه يمثل القدوة في الأخوة ، لنختم بقاعدتين في التزكية وهما التفاؤل والتدرج في السرور ، ثم بنكتة لغوية.

الفائدة 672 : رافة الأخ الحقيقي بأخيه

في قوله تعالى : " آوى " من الإيواء ، وهو يعبر عن مدى رحمة يوسف عليه السلام وعطفه ورأفته بأخيه ، فقد ضمه إليه شفقة وحنانا بحكم عاطفة الأخوة .

الفائدة 673 : سوء معاملة إخوة يوسف لبنيامين

في قوله تعالى : " آوى إليه أخاه " دليل على أن بنيامين كان يلاقي الويلات من الإخوة لعلات ، لأن كلمة الإيواء تستعمل في النصر والحماية والرعاية ، فقد قال لوط عليه السلام : " لو أن لي بكم قوة أو آوى إلي ركن شديد " (هود /80) ، وقال ابن نوح : " قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء " (هود /43) ، وقال الله تعالى عن عيسى عليه السلام وأمه مريم : " وأوينهاهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " (المؤمنون /50) وقال عن الله تعالى : " ألم يجدك يتيما فأوى " (الضحى /6) .

ويؤيده قول يوسف بعد ذلك : " فلا تبتئس بما كانوا يعملون " . كأنه تقرس ما عاناه أخوه بنيامين من إخوته فسلاه .

الفائدة 674 : التفاؤل سبيل النجاح

" فلا تبتئس " الابتئاس افتعال من اليأس وهو الهم والحزن، أي لا تحزن.
والنهي عن الابتئاس مقتض الكف، أي أزل عنك الحزن واعتض عنه بالسرور ، وأفاد " يعملون " بصيغة المضارع أنه أعمال متكررة من الأذى، وفي هذا تهيئةً لنفس أخيه لتلقي حادث الصواع باطمئنان حتى لا يخشى أن يكون بمحل الريبة من يوسف عليه السلام .

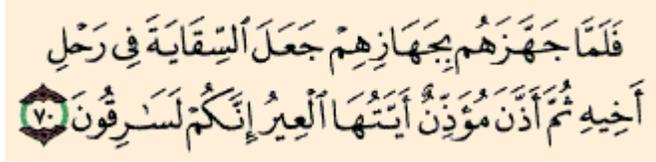
الفائدة 675 : صفاء قلب يوسف رغم أحزانه

- وقوله: {بما كانوا يعملون} فيه وجوه:
- الأول: المراد بما كانوا يعملون من إقامتهم على حسدنا والحرص على انصراف وجه أبينا عنا
 - الثاني: أن يوسف عليه السلام ما بقي في قلبه شيء من العداوة وصار صافيا مع إخوته، فأراد أن يجعل قلب أخيه صافيا معه أيضا، فقال: {فلا تبتئس بما كانوا يعملون} أي لا تلتفت إلى ما صنعوه فيما تقدم، ولا تلتفت إلى أعمالهم المنكرة التي أقدموا عليها.
 - الثالث: أنهم إنما فعلوا بيوسف ما فعلوه، لأنهم حسدوه على إقبال الأب عليه وتخصيصه بمزيد الإكرام، فخاف بنيامين أن يحسدوه بسبب أن الملك خصه بمزيد الإكرام، فأمنه منه وقال: لا تلتفت إلى ذلك فإن الله قد جمع بيني وبينك.⁴⁷³

الفائدة 676: التدرج حتى في إدخال السرور

كأن يوسف عليه السلام إنما فعل ذلك مع أخيه ليعرفه الحال بالتدرج حتى يتحمل أثقال السرور، إذ المفاجأة في مثل ذلك ربما تكون سبب الهلاك، ومن هنا كان كشف الجمال للسالكين على سبيل التدرج ، كما تقول المتصوفة .

في قوله "إني أنا أخوك" ولم يقل "أنا أخوك" وحسب لكي يؤكد لأخيه بعد غيبة طويلة فيطمئن قلبا.



أوجه الاستدلال من الآية :

الآية مناسبة للإجابة عن جملة من الأسئلة تتعلق بأسرة يوسف عليه السلام وكيف رضي أخوه بنيامين عن القعود على أبيه وكيف نسب الإخوة السرقة إلى أخيهم ، ولماذا رضي يوسف عليه السلام باتهام إخوته بالسرقة ، ونتعرض لشرح مصطلحات السقاية والبهتان والحيل الشرعية ، كما تعطينا الآية قواعد هامة تتعلق بالابتلاء وبآداب الشرب في أنية الذهب والفضة ونختم ببيان أن السورة بيان وكشف للحيل ، وبنكتة لغوية .

الفائدة 678: الاصطفاء يقتضي الابتلاء

وفي الآية . على ما قيل . إشارة لطيفة إلى أن من اصطفاه الله تعالى في الأزل لمحبهته ومشاهدته وضع في رحله صاع ملامة الثقلين .

ألا ترى إلى ما فعل تعالى بآدم عليه السلام صفيه كيف اصطفاه ثم عرض عليه الأمانة التي لم يحملها السموات والأرض والجبال وأشفقن منها فحملها ثم نادى عليه بلسان الأزل {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} (طه: 121) وذلك لغاية حبه له حتى صرفه عن الكون وما فيه ومن فيه إليه ولولا أن كشف جماله له لم يتحمل بلاء الملامة، وهذا كما فعل يوسف عليه السلام بأخيه آواه إليه وكشف جماله له وخاطبه بما خاطبه ثم جعل السقاية في رحله ثم نادى عليه بالسرقة ليبقيه معه .

الفائدة 679: في السقاية

السقاية، وهي إناء من فضة في قول الأكثرين، وقيل: من ذهب، قال ابن زيد، كان يشرب فيه، ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد، وقال شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: صواع الملك، قال: كان من فضة يشربون فيه، وكان مثل المكوك، وكان للعباس مثله في الجاهلية.⁴⁷⁴

الفائدة 680 : حكم الشرب في آنية الذهب والفضة في شريعتنا

قد مرّ بنا أن " صواع الملك " يعني الإناء وهي المشربة من فضة، وكان الشرب في إناء الفضة مباحا في الشريعة الأولى وأما في شريعتنا فالشراب في إناء الفضة حرام. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة "⁴⁷⁵

الفائدة 681: هل كان ذلك النداء بأمر يوسف أو ما كان بأمره؟

" ثم أذن مؤذن أيتها العير " العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوها:
الأول: أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال له: إني أريد أن أحبسك ههنا، ولا سبيل إليه إلا بهذه الحيلة فإن رضيت بها فالأمر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك، وعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنباً.
والثاني: أن المراد إنكم لسارقون يوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام والمعاريض لا تكون إلا كذلك.
والثالث: أن ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام، وعلى هذا التقدير يخرج عن أن يكون كذباً.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جزء 4، ص 343⁴⁷⁴
⁴⁷⁵ أخرجه الطيالسي (ص 57، رقم 429)، وأحمد (398/5، رقم 23422)، والبخاري (2133/5)، رقم (5310)، ومسلم (1638/3)، رقم (2067)، وأبو داود (337/3)، رقم (3723)، والترمذي (299/4)، رقم (1878) وقال: حسن صحيح. والنسائي (198/8)، رقم (5301)، وابن ماجه (1130/2)، رقم (3414).

الرابع: ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجدها وما كان هناك أحد إلا هم غلب على ظنونهم أنهم هم الذين أخذوها.⁴⁷⁶

الفائدة 682: الكيد الجائر

في قوله: " إنكم لسارقون " هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لأن قوله: {إنكم لسارقون} تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف. وقوله: {إن كنتم كاذبين ليوسف: 74} فرض لانتفاء براءتهم. وفرض التكذيب لا يكون تكديباً على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح بالتسريق. لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: {وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ليوسف: 17} وهذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية .

الفائدة 683: كيف نسب يوسف السرقة لإخوته ؟

كيف نسب يوسف السرقة إلى إخوته في قوله: " إنكم لسارقون " وهم براء ؟ فالجواب: . أن القوم كانوا قد سرقوه من أبيه فألقوه في الجب، ثم باعوه؛ فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل، فصدق إطلاق ذلك عليهم. . جواب آخر وهو أنه أراد أيتها العير حالكم حال السراق؛ والمعنى: إن شيئاً لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا علمه. . جواب آخر وهو أن ذلك كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه، وفصله عنهم إليه، وهذا بناء على أن بنيامين لم يعلم بدسّ الصاع في رحله، ولا أخبره بنفسه. وقد قيل: إن معنى الكلام الاستفهام؛ أي أو إنكم لسارقون؟ كقوله: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ} (الشعراء: 22) أي أو تلك نعمة تمنها علي؟ والغرض ألا يعزى إلى يوسف عليه السلام الكذب.⁴⁷⁷

الرازي ، مفاتيح الغيب، ص 143⁴⁷⁶
القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص 230 . 231 . 477

الفائدة 684 : كيف رضي بنيامين بالقعود عن أبيه ؟

إن قيل كيف رضي بنيامين بالقعود طوعاً وفيه عقوق الأب بزيادة الحزن، ووافقه على ذلك يوسف؟
فالجواب: أن الحزن كان قد غلب على يعقوب بحيث لا يؤثر فيه فقد بنيامين كل التأثير، أو لا تراه لما فقدته قال: {يَا أَسْفَا عَلَيَّ يُوْسُفُ} ولم يعرّج على بنيامين؛ ولعل يوسف إنما وافقه على القعود بوحى؛ فلا اعتراض.

الفائدة 685: الحيل الشرعية

من الآية نعلم جواز استعمال المكائد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأنّ العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع التحايل على إسقاط واجب أو فعل محرم .
كقوله تعالى لأيوب عليه السلام: {وخذ بيدك ضعفاً} ص: 44 ليتخلص من جلد زوجته ولا يحنث في قسمه ، وكقول إبراهيم عليه السلام عن زوجته : هي أختي لتسلم من يد الملك الكافر . وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاصد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقتها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلباً وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا. ⁴⁷⁸

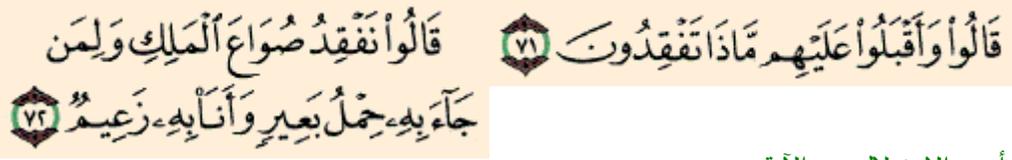
الفائدة 686: السورة كشف وبيان للحيل

في هذه الآية موقف آخر تبدو فيه قضية الإخفاء والإبانة واضحة جليّة ، وذلك حين أراد يوسف أن يستبقي أخاه (بنيامين) لديه في مصر ، حتى يذهب إخوته ويحضروا أباهم معهم ، فعمد سيدنا يوسف إلى الصواع (وهو ما يُكّال به) فجعله في رحل أخيه ثم نادى (منادٍ في العير) {إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} (ولما فتشت الرّجال استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين، فأبقاه معه بهذه الحجة . وهذه الحيلة فيما نرى تعتمد الإخفاء والستر ثم الإظهار والكشف ⁴⁷⁹ .

الزمخشري، الكشاف، ص 260⁴⁷⁸
⁴⁷⁹ ياسر محمود الأقرع، الإعجاز البياني في سورة يوسف، شبكة الأنترنت

الفائدة 687 : نكتة لغوية

- في قوله تعالى : " أيتها العير إنكم لسارقون " مجاز مرسل علاقته المجاورة ، والمراد أصحاب العير كما ورد في الحديث : " يا خيل الله اركبي " .
- وفي العير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان ، وكان السائل ابن خالويه والمسؤول المتنبّي . قال ابن خالويه : والبعير أيضا الحمار ، وهو صرف نادر ألقبته على المتنبّي بين يدي سيف الدولة ، وكانت فيه عنجهية فاضطرب ، فقلت : المراد بالبعير في قوله تعالى : " ولمن جاء به حمل بعير " الحمار ، وذلك أن يعقوب واخوة يوسف عليه السلام كانوا بأرض كنعان ، وليس هناك إبل ، وإنما كانوا يمتارون على الحمير ، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره .⁴⁸⁰



أوجه الاستدلال من الآية :

الآية مصدر لمسائل فقهية في مجال المعاملات تتعلق بضمان المجهول والجعالة والكفالة ، كما تطلعا على حقائق تاريخية فيما يخص الصواع والكفالة في زمن يوسف عليه السلام ، كما تعلمنا آداب حسن الحديث وترك الخصام والجدل .

الفائدة 688 : من حسن أدب الحديث

من قول إخوة يوسف : " ماذا تفقدون " على ما قيل لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلاً عن أن يكونوا هم السارقين له، وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم ماذا؟، وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء إلى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التأكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم: " قالوا نفقد صواع الملك " .

⁴⁸⁰ محمد الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، 514

الفائدة 689: ترك الخصام والجدل

{قَالُوا نَنْقُذُ صَوْعَ الْمَلِكِ} ولم يقولوا سرقتموه أو سرق، وقيل: كان الظاهر أن يبادروا بالإنكار ونفى أن يكونوا سارقين ولكنهم قالوا ذلك طلباً لإكمال الدعوى إذ يجوز أن يكون فيها ما تبطل به فلا تحتاج إلى خصام، وعدلوا عن ماذا سرق منكم؟

الفائدة 690 : الفرق بين الفقد والعدم

قوله " نفقد " الفقد هو عدم الشيء بعد وجوده فهو أخص من العدم فإنه يقال له ولما لم يوجد أصلاً، وقيل: هو عدم الشيء بأن يضل عنك لا بفعلك، وحاصل المعنى ما ضاع منكم؟ وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة.

الفائدة 691 : الصواع هو المكيال الرسمي للدولة

قوله " صواع الملك " المتبادر إلى الذهن أن إضافة الصواع إلى الملك تعني أنه كان المكيال الرسمي المعتمد الكيل به من الملك ، فيكون الصواع لغة في الصاع . وقيل: كان من ذهب، وقيل: كانت مرصعا بالجواهر وهذا بعيد . والأولى أن يقال: كان ذلك الإناء شيئاً له قيمة ومكيالاً، أما إلى هذا الحد الذي ذكره فلا.

الفائدة 692: بين الحِمل والحَمَل

قوله " حمل بغير " والحِمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل، فقد ذكر الراغب الأصفهاني : أن الحَمَل بالفتح يقال في الأثقال المحمولة في الباطن كالولد في البطن والماء في السحاب والثمرة في الشجرة . أما الحِمل بالكسر فللأثقال المحمولة في الظاهر، كحِمل البعير ، ورياضة حِمل الأثقال .

الفائدة 693 : جواز الكفالة

نأخذ من الآيات جواز الكفالة على الرجل؛ لأن المؤذن الضامن هو غير يوسف عليه السلام، قال العلماء : إذا قال الرجل تحمّلت أو تكفّلت أو ضمنت أو وأنا حميل لك أو زعيم أو كفيل أو ضامن أو قبيل، أو هو لك عندي أو عليّ أو إليّ أو قبلي فذلك كله حمالة لازمة.

الفائدة 694 : الكفالة في شرع يوسف

إن الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم، وقد حكم بها رسول الله p في قوله: «الزعيم غارم»⁴⁸¹ وليست كفالة بشيء مجهول لأن حمل بغير من الطعام كان معلوماً عندهم فصحت الكفالة به إلا أن هذه كفالة مال لرد السرقة وهي كفالة لما لم يجب لأنه لا يحل للسارق أن يأخذ شيئاً على رد السرقة.

ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم، وتعقب بأنه لا دليل على أن الراد هو من علم أنه الذي سرق ليحتاج إلى التزام القول بصحة ذلك في دينهم والله أعلم.⁴⁸²

الفائدة 695: ضمان المجهول

إن قيل: كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول، وضمن المجهول لا يصح؟ قيل له: حمل البعير كان معيناً معلوماً عندهم كالوئشق؛ فصح ضمانه، غير أنه (كان) بدل مالٍ للسارق، ولا يحل للسارق ذلك، فلعله كان يصحّ في شرعهم أو كان هذا جعالة، وبذل مال لمن (كان) يفتش ويطلب.

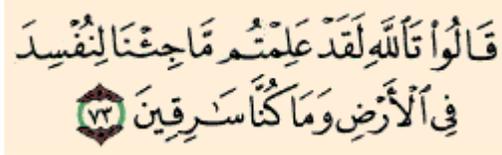
⁴⁸¹ أخرجه أحمد (267/5، رقم 22348) وعبد الرزاق (181/8، رقم 14796) وأبو داود (296/3، رقم 3565)، والترمذي (565/3، رقم 1265)، والطبراني (135/8، رقم 7615)، والبيهقي (88/6، رقم 11254)، والدارقطني (40/3). وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة (316/4، رقم 20562)، والنسائي في الكبرى (410/3، رقم 5781)، وابن الجارود (ص 255، رقم 1023)، والقضاعي (64/1، رقم 50).
⁴⁸² الألويسي، روح المعاني، جزء 21، ص 35

الفائدة 696 : الجعالة

قال بعض العلماء: في هذه الآية دليل على جواز الجُعَل (الجعالة) وقد أجاز للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره؛ فإذا قال الرجل: من فعل كذا فله كذا صح. وشأن الجُعَل أن يكون أحد الطرفين معلوماً والآخر مجهولاً للضرورة إليه؛ بخلاف الإجارة؛ فإنه يتقدّر فيها العوض والمعوض من الجهتين؛ وهو من العقود الجائزة التي يجوز لأحدهما فسخه؛ إلا أن المَجْعول له يجوز أن يفسخه قبل الشروع وبعده، إذا رضي بإسقاط حقه، وليس للجاعل أن يفسخه إذا شرع المَجْعول له في العمل. ولا يشترط في عقد الجُعَل حضور المتعاقدين، كسائر العقود؛ لقوله: {وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ جِمْلُ بَعِيرٍ} وبهذا كله قال الشافعي.

الفائدة 697: من بلاغة القرآن

في هذه الآية جاء ذكر عقدين بكلمتين من القرآن، فهذا من بلاغة القرآن في كلمات بسيطة جدا مشروعية عقد الجعالة والكفالة .



أوجه الاستدلال من الآية :

لنا حديث في هذه الآية عن القسم وحلف إخوة يوسف عليه السلام وما يتعلق به ، ثم نتكلم عن السرقة والفساد في الأرض.

الفائدة 698: خاصية القسم ب " تا الله "

{قَالُوا تَاللّٰهِ} قال الزجاج: إنها لا يقسم بها إلا في الله خاصة. ففي القسم بها معنى التعجب كأنهم تعجبوا من رميهم بما ذكر مع ما شاهدوه من حالهم، فقد روى أنهم كانوا يكفون أفواه إبليس لئلا تتال من زروع الناس وطعامهم شيئاً واشتهر أمرهم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

في مصر بالعفة والصلاح والمثابرة على فنون الطاعات، ولذا قالوا: {لَقَدْ عَلِمْتُمْ} علماً جازماً مطلقاً للواقع {مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ}

الفائدة 699 : كيف حلف إخوة يوسف على قوم لا يعرفونهم ؟

فإن قيل: كيف حلفوا على علم قوم لا يعرفونهم؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

- أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردوا الدراهم ولا يستلوهها، فالمعنى: لقد علمتم أنا رددنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.
- والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر غطوا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئاً، وكان غيرهم لا يفعل ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس.
- والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحداً⁴⁸³

الفائدة 700 : السرقة والفساد

السرقة من أعظم أنواع الإفساد وقولهم " ما جئنا لنفسد في الأرض " أي إفساد كان. وهذا إظهاراً لكمال قبحة عندهم لاستحالة صدوره عنهم فكأنهم قالوا: إن صدر عنا إفساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقييح حاله وإظهار كمال نزاهتهم عنه.

ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط⁴⁸³

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعلم من الآية حكم السرقة قبل الإسلام ، ونزاهة الصالحين عنها ، ونتكلم عن ثقة إخوة يوسف عليه السلام بأنفسهم هذه المرة ، ونجيب عن سر تكرار الجزاء في الآية وعن معنى الجزاء فيها أيضا .

الفائدة 701 : نزاهة الصالحين عن السرقة

قوله : " وجد في رحله " اختار إخوة يوسف كلمة " الوجدان " في الرحل دون السرقة مع أنها المراد، بدليل أن الاسترقاق سنة عندهم ومن شريعة أبيهم عليه السلام إنما هو بالنسبة إلى السارق دون من وجد عنده مال غيره كيفما كان، وفي هذا إشارة إلى كمال نزاهتهم حتى كأن أنفسهم لا تطاوعهم وألسنتهم لا تساعدهم على التلفظ به مثبتاً لأحدهم بأي وجه كان وكانهم تأكيداً لتلك الإشارة عدلوا عن وجد عنده إلى من وجد في رحله .⁴⁸⁴

الفائدة 702 : قوله فهو جزاؤه

وقولهم {فهو جزاؤه} تقرير للحكم أي: فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير، كقولك: (حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه) أي: فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه. ويجوز أن يكون {جزاؤه} لمبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمرة. والأصل: (جزاؤه من وجد في رحله فهو هو) فوضع الجزاء موضع (هو) كما تقول لصاحبك: (من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو) يرجع الضمير الأول إلى من والثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيماً للمظهر مقام المضمرة.⁴⁸⁵

الألوسي ، روح المعاني ، جزء 22 ص 25⁴⁸⁴
485 الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ص 263

الفائدة 703: ثقة إخوة يوسف بأنفسهم

قوله تعالى : {نَجْزِي الظَّالِمِينَ} الظاهر أن هذا من تنمة كلام إخوة يوسف عليه السلام فهو تأكيد للحكم المذكور على تأكيد وبيان لقبح السرقة ، وقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون .

الفائدة 704 : حكم السرقة

لقد كان حكم السرقة في أول الإسلام أن يستعبد السارق لدى من سرقه ، ثم نسخ بقطع الأيدي .⁴⁸⁶

الفائدة 705: نكتة لغوية

قوله : {فَهُوَ جَزَاؤُهُ} أي فأخذه جزاؤه وهو تقدير للحكم السابق بإعادته كما في قولك: حق الضيف أن يكرم فهو حقه وليس مجرد تأكيد، فالغرض من الأول إفادة الحكم ومن الثاني إفادة حقيقته والاحتفاظ بشأنه كأنه قيل: فهذا ما تلخص وتحقق للناظر في المسألة لا مرية فيه. ومنه يعلم أن الجملة المؤكدة قد تعطف لنكتة وإن لم يذكره أهل المعاني.

⁴⁸⁶ ابن جزي الغرناطي ، التسهيل لعلوم التنزيل ،

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعلم من الآية جملة من الرقائق تتعلق بعاقبة البر ، ودرجات العلم وكذا بالتحايل في الأحكام وكيد الله بالظالمين ، وبعلم المخلوق بالنسبة لعلم الخالق . ونتعرف أيضا على مفهوم الدين تاريخيا وعلى ظاهرة الاسترقاق ، وفيما يتعلق بالعقيدة فنتكلم عن الألفاظ التي توهم نسبة المكر لله وعن وجوب التحاكم لشريعة الله تعالى وعن قلة علم الإنسان مهما علا . وفي التزكية نتعرض لدرجات العلم وصنوف رفع درجات الناس ، ونعالج بعض اللطائف اللغوية المتعلقة بالهاء والتذكير والتأنيث وغيرها .

الفائدة 706: لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنته؟

- ذكروا في تأنيث ضمير الصواع في قوله : " قبل وعاء أخيه ثم استخرجها " أقوالا :
- قالوا رجع ضمير المؤنث إلى السقاية وضمير المذكر إلى الصواع
 - أو يقال: الصواع يؤنث ويذكر، فكان كل واحد منهما جائزا
 - أو يقال: لعل يوسف كان يسميه سقاية وعبده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم صواعا.

الفائدة 707 : الهاء في استخرجها

قوله تعالى { ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا } . وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال :
أحدها: أنها ترجع إلى السرقة، قاله الفراء .
والثاني: إلى السقاية، قاله الزجاج .

والثالث: إلى الصواع على لغة من أنثه، ذكره ابن الأنباري⁴⁸⁷

الفائدة 708 : الكشف والبيان في التفتيش

قال تعالى : {استخرجها من وعاء أخيه} لم يقل (استخرجها منه) على عودة الضمير إلى الوعاء ، أو (استخرجها من وعائه) على عودة الضمير إلى أخيه ، قصداً إلى زيادة كشف وبيان، والوعاء الظرف الذي يحفظ فيه الشيء وكأن المراد به هنا ما يشمل الرجل وغيره لأنه الأنسب بمقام التفتيش ولذا لم يعبر بالرجال على ما قيل، وعليه يكون عليه السلام قد فتن كل ما يمكن أن يحفظ الصواع فيه مما كان معهم من رجل وغيره.

الفائدة 709: شدة التفتيش

في التعبير بالفعل " استخرجها" بدلا من (أخرجها) ما يشعر بالبحث عن السقاية في الوعاء كله ، إذ معنى استقل طلب فعل الشيء مثل استضاف أي طلب ضيافة ، ولو عبر القرآن بالفعل أخرجها لأفادت معنى الإخراج دون بحث لأنه يعلم أين السقاية في الوعاء⁴⁸⁸

الفائدة 710: الألفاظ التي توهم المكر والكيد لا تنسب إلى الله مجردة

قوله " كدنا " : فالكيد مجاز لغوي في ذلك ، وإلا فحقيقته وهي أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه وتريده على ما قالوا محال عليه تعالى، وقيل: إن ذلك محمول على التمثيل، وقيل: إن في الكيد إسنادين بالفحوى إلى يوسف عليه السلام وبالتصريح إليه سبحانه والأول حقيقي والثاني مجازي. فلفظ الكيد مشعر بالحيلة والخديعة، وذلك في حق الله تعالى محال إلا أننا نذكر قانونا معتبرا في هذا الباب، وهو أن أمثال هذه الألفاظ تحمل على " نهايات الأغراض لا على بدايات الأغراض" ، وذلك مثل قوله تعالى: {إن الله لا يستحي} (البقرة: 26) ، فالكيد السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ولا سبيل له إلى دفعه، فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى.⁴⁸⁹

487 ابن الجوزي ، المرجع السابق

488 أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 64

489 الرازي ، مفاتيح الغيب ، الجزء 10 ص 45

الفائدة 711: كيد الله

قوله تعالى { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ } فيه أربعة أقوال :
أحدها: كذلك صنعنا له، قاله الضحاك عن ابن عباس.
والثاني: احتلنا له، والكيد: الحيلة، قاله ابن قتيبة.
والثالث: أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم.
والرابع: دبرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه، وهو الأرجح
قال ابن الأنباري: لما دبر الله ليوسف ما دبر من ارتقاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما
ظن إخوته، شبه بالكيد من المخلوقين، لأنهم يسترون ما يكيدون به عنم يكيدونه.⁴⁹⁰

الفائدة 712: التحايل في الأحكام

أجمع العلماء على أن للرجل قبل حلول الحول التصرف في ماله بالبيع والهبة إذا لم
ينو الفرار من الصدقة؛ وأجمعوا على أنه إذا حال الحول وأطل الساعي أنه لا يحل له
التحايل ولا النقصان، ولا أن يفرق بين مجتمع، ولا أن يجمع بين متفرق
كل حيلة يتحيل بها أحد في إسقاط الزكاة فإن إثم ذلك عليه؛ لأن النبي ρ لما منع من
جمع الغنم وتقريبها خشية الصدقة فهم منه هذا المعنى.
وفهم من قوله: «أفلح إن صدق» أن من رام أن ينقض شيئاً من فرائض الله بحيلة
يحتالها أنه لا يفلح، ولا يقوم بذلك عذره عند الله؛ وما أجازته الفقهاء من تصرف صاحب
المال في ماله قرب حلول الحول إنما هو ما لم يرد بذلك الهرب من الزكاة؛ ومن نوى ذلك
فالإثم عنه غير ساقط، والله حسيبه؛ وهو كمن فر من صيام رمضان قبل رؤية الهلال بيوم،
واستعمل سفيراً لا يحتاج إليه، رغبة عن فرض الله الذي كتبه الله على المؤمنين؛ فالوعيد
متوجه عليه؛ ألا ترى عقوبة من منع الزكاة يوم القيامة بأي وجه متعمداً كيف تطؤه الإبل،
ويمثل له ماله شجاعاً أقرع وهذا يدل على أن الفرار من الزكاة لا يحل، وهو مطالب بذلك
في الآخرة.⁴⁹¹

⁴⁹⁰ ابن الجوزي، زاد المسير، قرص مضغوط
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء 9، ص 235⁴⁹¹

الفائدة 713 : البر لا يبلى والذنب لا ينسى

قوله : " ليأخذ أخاه " إن الحكمة الإلهية اقتضت تربية إخوة يوسف وعقابهم بما فرطوا في يوسف واستحقاقهم إتمام النعمة عليهم يتوقف على أخذه بطريق خير فيه ولا تقتضيه شريعة الملك ، وبه يدوقون ألم فراق بنيامين ومرارته ، فيما لا لوم فيه على أحد غير أنفسهم ولن يكون هذا الحكم منهم إلا بوقوع شبهة السرقة على بنيامين من حيث لا يؤذيه ذلك ولا يؤلمه ، وقد أعلمه أخوة يوسف به وبغاياته ، وفي هذا إيماء إلى جواز التوصل إلى الأغراض الصحيحة بما ظاهره الحيلة والمكيدة إذا لم يخالف شرعا ثابتا ⁴⁹²

الفائدة 714 : ما هو مفهوم الدين ؟

قوله : " في دين الملك " إن هذا النص يحدد مدلول كلمة " دين " في هذا الموضع تحديدا دقيقا ، إنه يعني نظام الملك وشرعه ، فإن نظام الملك وشرعه ما كان يجعل عقوبة السارق هو أخذه في جزاء سرقة ، إنما هذا نظام يعقوب وشريعة دينه ، وقد ارتضى أخوة يوسف تحكيم نظامهم وتشريعهم ، فطبّقها يوسف عليهم عندما وجد صواع الملك في رحل أخيه ، وعبر القرآن الكريم عن النظام والشريعة بأنها " الدين " .

هذا المدلول القرآني الواضح هو الذي يغيب عن كثير من الناس ، إنهم يقصرون مدلول " الدين " على الاعتقاد والشعائر ، ويعدون كل من يعتقد في وحدانية الله وصدق رسوله ويؤمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ويؤدي الشعائر المكتوبة داخل في " دين الله " مهما تكن دينونته بالطاعة والخضوع وإقراره بالحاكمية لغير الله من الأرباب المتفرقة في الأرض ، بينما النص القرآني هنا يحدد مدلول " دين الملك " بأنه نظام الملك وشريعته ، وكذلك " دين الله " فهو نظامه وشريعته . ⁴⁹³

⁴⁹² المراعي ، تفسير المراعي ، الجزء 13 ، ص 21
♦ كثيرا ما أسيء استعمال هذه المفاهيم التي تكلم عنها سيد قطب كجاهلية القرن العشرين والحاكمية وغيرها ، مما تبنته فيما بعد جماعات التكفير ، لذا ينبغي وضعها في السياق العام الذي وردت فيه ، مع فهم دقيق للفكر القطبي ، قبل إصدار أحكام جزافية ، فوجب التنبيه.
⁴⁹³ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جزء 12 ص 85

الفائدة 715 : استرقاق السارق ظاهرة تاريخية قديمة

قوله " في دين الملك " أي حكمه وهو استرقاق السارق. وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية لقوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لولا حيلة وضع الصواع في متاع أخيه. ولعل ذلك كان حكما شائعا في كثير من الأمم، ألا ترى إلى قولهم (من وجد في رحله فهو جزاؤه) كما تقدم، أي أن ملك مصر كان عادلا فلا يؤخذ أحد في بلاده بغير حق. ومثله ما كان في شرع الرومان من استرقاق المدنين، فتعين أن المراد بالدين الشريعة لا مطلق السلطان.

الفائدة 716: رفع درجات يوسف وأخيه وأبيه

وجملة (نرفع درجات من نشاء) تذييل لقصة يوسف عليه السلام :
. أخذ يوسف عليه السلام أخاه لأن فيها رفع درجة يوسف عليه السلام في الحال بالتدبير الحكيم من وقت مناجاته أخاه ، إلى وقت استخراج السقاية من رحله.
. ورفع درجة أخيه في الحال بإحاقه ليوسف عليه السلام في العيش الرفيه والكمال بتلقي الحكمة من فيه.
. ورفع درجات إخوته وأبيه في الاستقبال بسبب رفع درجة يوسف عليه السلام وحنوه عليهم. فالدرجات مستعارة لقوة الشرف من استعارة المحسوس للمعقول.

الفائدة 717: من أصناف رفع الدرجات للناس

- و رفع الدرجات أصناف عديدة منها رفع :
- بصنوف العطاء
 - وأنواع الكرامات
 - وأبواب العلوم
 - وقهر الهوى
 - والتوفيق للهدى ، كما رفعنا يوسف.

الفائدة 718 : مهما بلغ شأو العلم فهو ناقص

{ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } أي: فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره.
وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال :
أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من إخوته، وفوقه من هو أعلم منه.
والثاني: أنه نبه على تعظيم العلم، وبين أنه أكثر من أن يحاط به.
والثالث: أنه تعليم للعالم للتواضع لئلا يعجب.⁴⁹⁴
وفي قصة موسى عليه السلام مع الخضر خير دليل ، بخاصة أن سببها أن رجلا من بني إسرائيل سأل موسى عليه السلام إن كان أعلم أهل الأرض ، فتعجل الإجابة بالإيجاب، فعلمه الله أن علمه مهما كمل يبقى ناقصا . فعلينا أن نقول كما قالت الملائكة مخاطبة الله عز وجل : "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " .

الفائدة 719: علم الخالق لا يشبه علم المخلوقين

قال البيضاوي في قوله " وفوق كل ذي علم عليم " : واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته؛ إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه . أي: لدخوله تعالى في عموم الآية . والجواب: أن المراد كل ذي علم من الخلق؛ لأن الكلام فيهم، ولأن العليم هو الله تعالى . ومعناه: الذي له العلم البالغ، ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا: فوق كل العلماء عليم .
وأجيب بأن المراد بكل ذي علم المخلوقات ذوو العلم لأن الكلام في الخلق ولأن العليم صيغة مبالغة معناه أعلم من كل ذي علم، فيتعين أن يكون المراد به الله تعالى فما يقابله يلزم كونه من الخلائق لئلا يدخل فيما يقابله، وكون المراد من العليم ذلك هو إحدى روايتين عن الحبر ابن عباس، فقد أخرج عبد الرزاق . وجماعة عن سعيد بن جبیر قال: كنا عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فحدث بحديث فقال رجل عنده: { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } فقال ابن عباس: بئسما قلت لله العليم وهو فوق كل عالم، وإلى ذلك ذهب الضحاك.⁴⁹⁵

⁴⁹⁴ ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط (بتصرف)
⁴⁹⁵ الألوسي ، روح المعاني ، ص 73

الفائدة 720: المراد بالعلم في الآية

قال ابن عطاء الله : اعلم أن العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة فإنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية ، وتكتنفه المخافة .⁴⁹⁶

الفائدة 721: درجات العلم

" وفوق كل ذي علم عليم " البشر في العلم درجات ، فكل عالم فلا بد له من أعلم منه ، فإما من البشر وإما الله عز وجل، و هو تأويل الحسن و قتادة وابن عباس .

الفائدة 722: التحاكم إلى شريعة الله

وجوب التحاكم إلي شريعة الله وعدم جواز التحاكم إلي القوانين الجاهلية وإنما إلى شرع الله عز وجل وكتابه وسنه رسوله ﷺ (ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) ولكن بشرع الله .

الفائدة 723: نكت لغوية

- الكيد : السعي في الحيلة والخديعة . ونهايته إيقاع الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ، ولا سبيل له إلى دفعه ، فالكيد بالنسبة لله تعالى محمول على هذا المعنى . وقال ابن الأعرابي : الكيد التدبير بالباطل وبالحق ، فعلى هذا يكون المعنى : كذلك دبرنا ليوسف .
- إثثار صيغة الاستقبال في قوله " نرفع درجات من نشاء " للإشعار بأن ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة
- " وفوق كل ذي علم عليم " وفي صيغة المبالغة مع التكرير والالتفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز شأنه وجلالة مقدار علمه المحيط جل جلاله ما لا يخفى

⁴⁹⁶ عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان ،ص 336

- الحرف "ثم" يفيد الترتيب والترaxي كما لو كانت عملية تفتيش عن شيء لا يعرف أين هو فتستغرق وقتا وتتطلب إتقاناً .

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا
يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تعالج الآية مسائل قلبية دقيقة تتعلق بالغيرة ، وباجتتاب القطيعة وعدم جواز التعبير وبعدم الانتصار للنفس وفضيلة كظم الغيظ . كما نتعرض من خلالها لرواية السرقة المنسوبة ليوسف عليه السلام ، كما نشير إلى لطيفة نفسية وهي الكلام الداخلي ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 724: نار الغيرة والحقد لا زالت متّقدة رغم الصلاح

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ نَفْثَةٌ حَقْدٌ صَادِرَةٌ مِنَ الْإِخْوَةِ، لم يتعجبوا من نتيجة التفتيش ، فيحاولون الدفاع، أو يسألون كيف فعلت ذلك فأكدوا بأنفسهم التهمة ، " قالوا إن يسرق " وزادوا " فقد سرق أخ له من قبل " أي أنه تبع له في خلقه ، ولماذا تأتي سيرة (أخ له من قبل) إلا أن يكون بلغ برمهم وضيقهم به حدا يجعلهم يذكرونه بالسوء وهم لا يعرفون مكانه بعد أن بُعد العهد به ، إنه الحقد الدفين يبرز أنيابه بين الحين والحين .⁴⁹⁷

الفائدة 725: في السرقة المنسوبة إلى يوسف

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها خمسة أقاويل :

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 64⁴⁹⁷

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

. أهداها : أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب ، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه بذلك ، قاله سعيد بن جبير وقتادة .

الثاني : كان مع إخوته على طعام فنظر إلى عرق فخبأه ، فعيّروه بذلك ، قاله عطية العوفي

. الثالث : أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين ، حكاه ابن عيسى .

. الرابع : أن عمته وكانت أكبر ولد إسحاق وإليها صارت منطقة إسحاق لأنها كانت في

الكبير من ولده ، وكانت تكفل يوسف ، فلما أراد يعقوب أخذه منها جعلت المنطقة ، واتهمته

فأخذتها منه ، فصارت في حكمهم أحق به ، فكان ذلك منها لشدة ميلها وحبها له ، قاله

مجاهد

. الخامس : أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه ، قاله الحسن ⁴⁹⁸

الفائدة 726: لا تتبع أخيك بالوقية بعد القطيعة

في الآية دليل على أن إخوة يوسف كذبوا عليه وبهتوه وكانت قلوبهم مملوءة بالغضب عليه بعد تلك الوقائع، وبعد انقضاء تلك المدة الطويلة، وهذه الواقعة تدل على أن قلب الحاسد لا يطهر عن الغل البتة، إلا أن يشاء الله ، لذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم أن الحسد هو داء الأمم ، وقد توارثته بنو إسرائيل فيما بعد ، وحسدوا المسلمين أن كان النبي منهم .

الفائدة 727: التعيير بالأم وأن العرق دساس

في قولهم : " إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل " هو اعتذار بتعريض بجانب أم إخوتهم ، وهي زوجة أبيهم وهي راحيل ابنة لابان خال يعقوب عليه السلام .
ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أهم وأنه إن سرق فقد جذبته عرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلاً في الأخلاق .

⁴⁹⁸ الماوردي ، النكت والعيون ، الجزء 2 ، ص 242

الفائدة 728: كظم الغيظ

" فأسرّها يوسف في نفسه " لقد كظم يوسف عليه السلام غيظه فلم يبد لإخوته أي مظهر من مظاهر الضيق بأية وسيلة تعبير ، من قول أو عبوس وجه أو إشارة يد، مما يدل على ثباته النفسي وقدرته على توجيه الأمور وجهة محكمة ، رغم أنه لم يسمع الشيء الهين
499 .

الفائدة 729: الكلام النفسي الداخلي

" قال أنتم "القول هو (أَلْفَاظ ينطق بها متكلم ليخبر مستمعا عن مدلولها) ، ولكن قد يراد بالقول غير اللفظ كالإشارة باليد في قولهم : (فقال بيده هكذا) أي أشار بيده. أو يكون المراد كلام النفس كقوله تعالى: " ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله " فكان قولهم ذلك في النفس .

فالكلام الداخلي يستعاض به عن النطق عند التفكير أو التذكر وما شابههما كالأية هنا :
قال أنتم شر مكانا " . وهذا مفهوم متداول في علم النفس وفيه مباحث .

الفائدة 730: لماذا كان إخوة يوسف شر مكانا ؟

" أنتم شر مكانا " وصف يوسف عليهم السلام إخوته بالشر لأنهم هم السارقون فعلا :

- فقد أبعده وهو صغير من أبيه، وهي سرقة حسية
- وحاولوا الاستئثار بمحبة أبيهم دونه، وهي سرقة معنوية
- ثم أنهم لم يسرقوا أو يتهموا بباطل ، بل قاموا بنوعي السرقة فعلا (الحسية والمعنوية)
- زيادة على أن في إبعادهم ليوسف سرقة للشخص وهي أشد من سرقة متاع أو غرض

و صدق الحكيم إذ قال : (رمتني بدائها وانسلت)

الفائدة 731 : شيمة الأنبياء والصالحين عدم الانتصار للنفس

النفس الأمانة من شأنها الانتصار، ودفع النقائص عنها والعار. والنفس المطمئنة من شأنها الاكتفاء بعلم الله، والرضا بما يجري به القضاء من عند الله، فإذا اختلجها شيء من الانتصار أسرته، ولم تخرجه إلى حالة الإظهار.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله : آداب الفقير المتجرد أربعة أشياء: الحرمة للأكابر، والرحمة للأصاغر، والانتصاف من نفسه، وعدم الانتصار لها. فالفقير إلى ربه إذا انتصر لنفسه فقد نقض العهد مع ربه، فيجب عليه التوبة.

الفائدة 732: لفظ "بما تصفون" يدل على الكذب في القرآن

في قوله " بما تصفون " أي بما تقولون ، لكن غلب استعماله في الكذب ، كقوله تعالى : " ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب " وقوله " سبحانه وتعالى عما يصفون " أي عما يكذبون ، فذل بما لا يدع مجالاً للشك أن إخوة يوسف كاذبون فيما نسبوه إلى يوسف الكريم.

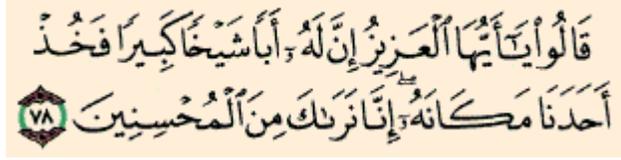
الفائدة 733: نكتة لغوية

وقوله: { فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ } يعني الكلمة التي بعدها، وهي قوله: { أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ } قال يوسف عليه السلام هذا في نفسه ولم يبيده لهم، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر، وهو كثير في كلام العرب ، كقول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزي سنمار

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة في منثورها وأخبارها وأشعارها. قال العوفي عن ابن عباس { فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ } ، قال: أسر في نفسه { أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ } . 500



أوجه الاستدلال من الآية :

الآية متنوعة الفوائد ، ففي الفقه نتكلم عن الشفاعة في الحدود والحماله ، وفي القصص عن مصير العزيز ، وفي الأخلاق عن إكرام الشيخ الكبير وعن الإحسان ، وفي الخطابة عن العدول من أمر لآخر، وفي علم الدلالة عن فعل الرؤية .

الفائدة 734: مصير العزيز

" يا أيها العزيز " خاطب إخوة يوسف عليه السلام أخاهم باسم العزيز إذ كان عزيز مصر السابق في تلك اللحظة إما معزولا أو ميتا .

الفائدة 735: إكرام الشيخ الكبير من أخلاق الإسلام

قول إخوة يوسف عليه السلام " إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا " أي كبير القدر، ولم يريدوا كبر السن؛ لأن ذلك معروف من حال الشيخ. وقد ورد في ديننا إكرام ذي الشبيبة المسلم واحترامه وإكباره ، كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة .

الفائدة 736: الحماله

500 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج 2 ص 504

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

قول إخوة يوسف عليه السلام (فَخُذْ أَسَدْنَا مَكَانَهُ) [يوسف:78] يحتمل أن يكون ذلك منهم مجازاً، ويحتمل أن يكون حقيقةً على طريقِ الحَمَالَةِ؛ حتى يَصِلَ يَأمِينُ إلى أبيه، ويعرف يعقوبُ جليَّةَ الأمر، فَمَنَعَ يوسفُ من ذلك، وقال: {مَعَاذَ اللَّهِ} لأنها هنا غير مكتملة الشروط .

الفائدة 737: العدول من أمر إلى أمر آخر في الشفاعة

أحب إخوة يوسف عليه السلام موافقة أخيهم والعدول إلى طريقة الشفاعة في قولهم: " فخذ أحدنا مكانه " فإنهم وإن كانوا قد اعترفوا أن حكم الله تعالى في السارق أن يستعبد، إلا أن العفو وأخذ الفداء كان أيضاً جائزاً.

الفائدة 738: من دلالات فعل رأى : رؤية العهد

{إِنَّا نَرَاكَ} الرؤية هنا بمعنى أننا عهدناك وعرفناك محسناً إلينا فيما سبق فكن في هذه المرة محسناً فهي رؤية العادة والعهد بالشخص . واستعملوا صيغة المضارع الدالة على أن الإحسان متأصل فيه ، ولا يزال عليه دائماً .

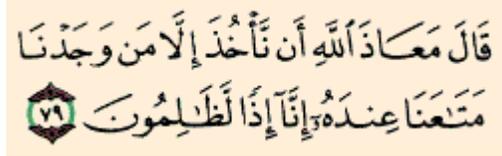
الفائدة 739 : في أنواع الإحسان

" من المحسنين " طالبوه بمزيد من الإحسان فما الإنعام إلا بالإتمام ، أو أرادوا أن من عادتك الإحسان مطلقاً فاجر على عادتك ولا تغيرها معنا ، فنحن أحق الناس بذلك، فالإحسان على الأول خاص وعلى الثاني عام.

- فكان إحسانه الأول بإتمام الكيل وحسن الاستقبال وبالضيافة ، وهو إحسان الكرم
- ثم أتبعه برد البضاعة وهو إحسان التفضل .
- والآن يطالبون بنوع آخر من الإحسان ، وهو التجاوز والامتنان .

الفائدة 740: الشفاعة في الحدود بين شريعة يوسف عليه السلام وشريعتنا

ندرك من استعطاف إخوة يوسف عليه السلام ليوسف من أجل أخيهم وهم لا يعرفون أنه هو، أن الشفاعة إلى الحاكم في محلها جائزة، إلا أنها في الإسلام خصت بما دون الحدود ، أما الحدود إذا وصلت إلى السلطان فلا يجوز لأحد أن يشفع فيها .⁵⁰¹
كما ورد في الحديث : " تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب " ⁵⁰²



أوجه الاستدلال من الآية :

تكشف لنا الآية عن جواز استعمال المعارض بشروط وهذا لاجتباب الكذب كما فعله النبي يوسف عليه السلام ، كما يبين لنا هذا الرسول الكريم من خلال هذه الآية صفات المسؤول الواعي وتأبيده بالوحي وكذا سبب عدم كشف شخصيته أول مرة . ونختم حديثنا بفائدة لغوية .

الفائدة 741: جواز استعمال المعارض

من الآية نعلم إنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره بأمر لا يحب أن يطلع عليه ، أن يستعمل المعارض القولية والفعلية ، المانعة من الكذب ، كما فعل يوسف عليه السلام ،

⁵⁰¹ سعيد حوى ، الأساس في تفسير القرآن
⁵⁰² أخرجه عبد الرزاق (229/10) ، رقم (18937) ، وأبو داود (133/4) ، رقم (4376) ، والنسائي في الكبرى (330/4) ، رقم (7373) ، والحاكم (424/4) ، رقم (8156) وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقي (331/8) ، رقم (17389) ، وأخرجه أيضاً : الدارقطني (113/3) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

حيث ألقى الصواع في رحل أخيه ، ثم استخرجها منه ، موهما أنه سارق ، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لآخوته ، وقال بعد ذلك : " معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده " ولم يقل : " من سرق متاعنا " وكذلك لم يقل : " إننا وجدنا متاعنا عنده " بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره ، وليس في ذلك محذور ، وإنما فيه إيهام أنه سارق ، ليحصل المقصود الحاضر ، وأن يبقى عنده أخوه ، وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعدما تبينت الحال .

الفائدة 742: لا بديل للحبيب في شرع المحبة

قال أبو عثمان : (الإشارة أنا لا نتخذ من عبادنا ولياً إلا من انتمناه على ودائعنا فحفظها ولم يخن فيها) ، ولطيفة الواقعة أنه يوسف عليه السلام لم يرض أن يأخذ بدل حبيبه إذ ليس للحبيب بديل في شرع المحبة.⁵⁰³

الفائدة 743 : كلام المسؤول الواعي

إن إيثار يوسف عليه السلام استعمال صيغة الجمع في كلامه (إننا ، وجدنا ، أن نأخذ) هو من باب :

- السلوك إلى سنن الملوك في التحدث بصيغة الجمع
- وللاشعار بأن الأخذ والإعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بأراء أهل الحل والعقد.⁵⁰⁴

الفائدة 744: التحرز عن الكذب من يوسف في مقابل كذب إخوته

إن إيثار يوسف عليه السلام صيغة {مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ} (يوسف: 79) على من سرق متاعنا ، لأنه أوفق لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام، وهذا يقابل كذب إخوته في نسبة السرقة إلى يوسف عليه السلام وهو منها براء .

الفائدة 745 : لكلام يوسف معنى ظاهر وآخر باطن

⁵⁰³ الألو سي ، روح المعاني جزء 22 ص 46
⁵⁰⁴ الألو سي ، روح المعاني جزء 22 ص 49

قال بعض الصوفية أن لجواب يوسف عليه السلام معنى باطن : هو أن الله عز وجل إنما أمرني بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علمها سبحانه في ذلك فلو أخذت غيره كنت ظالماً لنفسي وعاملاً بخلاف الوحي.⁵⁰⁵

الفائدة 746 : لماذا لم يكشف يوسف عن شخصيته هذه المرة ؟

- لم يكشف يوسف عليه السلام إخوته بحاله ولم يأمرهم بجلب أبيهم يومئذ لأمر :
 - إما لأنه خشي إن هو تركهم إلى اختيارهم أن يكيدوا لبنيامين فيزعموا أنهم يرجعون جميعاً إلى أبيهم فإذا انفردوا ببنيامين أهلكوه في الطريق
 - وإما لأنه قد كان بين القبط وبين الكنعانيين في تلك المدة عداوات فخاف إن هو جلب عشيرته إلى مصر أن تتطرق إليه وإليهم ظنون السوء من ملك مصر فتريث إلى أن يجد فرصة لذلك. وكان الملك قد أحسن إليه فلم يكن من الوفاء له أن يفعل ما يكرهه أو يسيء ظنه، فترقب وفاة الملك أو السعي في إرضائه بذلك.
 - أو أراد أن يستعلم من أخيه في مدة الانفراد به أحوال أبيه وأهلهم لينظر كيف يأتي بهم أو ببعضهم، وسنذكره عند قوله (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف)، وهو الأسلم والله تعالى أعلم .

الفائدة 747 : لطيفة لغوية

في قوله " إذا " يدل على وجود جملة محذوفة ، أي : (إن أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده نكون في هذه الحالة من الظالمين) ، كقوله تعالى : " وأنتم حينئذ تنظرون " أي : (أنتم حين تبلغ الروح الحقوق حينئذ تنظرون) ، وهو من باب الحذف والإيجاز .

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نجيب على جملة من الأسئلة من بينها لماذا عيّن القائل في الآية وما المقصود بالكبير ، ولماذا امتنع الأخ عن العودة ، كما نشير إلى مفاهيم اليأس والاعتزال ، لننتقل إلى عظم العهود والمواثيق ، ونقتطف دلالة على تغير طبيعة إخوة يوسف عليه السلام إلى الصلاح ، لنختم بنكته لغوية تتعلق بالإيجاز القرآني المعجز .

الفائدة 748: قمة اليأس وقطع الأمل

إن السين والتاء في قوله " استيأسوا " زائدتان للمبالغة أي يئسوا يأساً كاملاً لأن المطلوب المرغوب مبالغ في تحصيله . ولعل حصول هذه المرتبة من اليأس لهم لما شاهدوه من عوذ يوسف عليه السلام بالله تعالى مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة، وأنه مما يجب أن يحترز عنه ويعاذ بالله تعالى منه، ومن تسميته ذلك ظلماً بقوله: {إِنَّا إِذَا لَطْمُونَ} .

الفائدة 749: لماذا عيّن القائل ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

لقد عَيَّن المتكلم من إخوة يوسف لأول مرة في السورة بقوله تعالى : " قال كبيرهم " وذلك للأُمور التالية :

- لأن الأولى أن يتكلم الكبير في القوم لأن هذا من التوقير ، كما كان هدي السلف الصالح
- لأن المفترض أن الكبير هو أعلم القوم وأكثرهم خبرة و حكمة

الفائدة 750: من الكبير ؟

قوله تعالى: { قَالَ كَبِيرُهُمْ } فيه قولان :

. أحدهما: أنه كبيرهم في العقل، ثم فيه قولان:

* أحدهما: أنه يهوذا، ولم يكن أكبرهم سنا، وإنما كان أكبرهم سنا روبيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل.

* والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد.

. والثاني: أنه كبيرهم في السن وهو روبيل، قاله قتادة، والسدي.

الفائدة 751: عظم العهود والمواثيق

من الآية " موثقاً من الله " نرى استعظام شأن العهد واستشعار المسؤولية والعمل لتحقيق ما أخذ على الإنسان من الموثق الغليظ .
فإنما أخذ إخوة يوسف عليه السلام أخاهم بنيامين من أبيهم بعد المواثيق المؤكدة ، وبعد أن كانوا متهمين في حق يوسف .

الفائدة 752 : لماذا امتنع الأخ عن العودة ؟

" فلن أبرح الأرض " إن أخ يوسف غيا عدم رجوعه بغائيتين :

- خاصة : وهي إذن أبيه

- وعامة : وهي حكم الله تعالى له

وكانه بعد أن غيّا بالأولى رجوع وفوض الأمر إلى من له الحكم حقيقةً وهو الله جل شأنه، وأراد حكمه سبحانه بما يكون عذراً له ولو الموت.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

والظاهر أن أحب الغائتين إليه الأولى، فلذا قدم {لِي} في قوله " لي أبي " وأخره في الثانية " يحكم الله لي " .

الفائدة 753: دلالة على تغير حال إخوة يوسف إلى الأحسن

(قَالَ كَبِيرُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) وقال: " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي " بأن أخذ أخي أو تنتهي هذه المشكلة .
وفعلا وقف أخو يوسف هذا الموقف الشديد في هذه الكربة ، وهذا يختلف تماما عن حالهم لما تحابلوا وأخذوه وألقوه في غيابات الجب . فتغير حال إخوة يوسف وتابوا إلي الله بعد ذلك .

و في الحقيقة أنهم بدؤوا القصة مجرمين أخذوا أخاهم ووضعوه بالبئر لكن بعد ذلك تابوا إلى الله ، ولعل تغيرهم حصل على مراحل ، هذه كانت إحداها .⁵⁰⁶

الفائدة 754: لماذا عظم خطب افتقاد بنيامين عند إخوته ؟

لو عاد إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم بدون بنيامين، لعظم حياؤهم ، فإن ظاهر الأمر يومهم أنهم خانوه في هذا الابن (بنيامين) كما أنهم خانوه في الابن الأول (يوسف)، ولكن يومهم أيضا أنهم ما أقاموا لتلك المواقف المؤكدة وزنا .

الفائدة 755: ماذا لو لم يعد إخوة يوسف جميعاً إلى أبيهم ؟

- لو لم يعد إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم لحصلت محن كثيرة:
- أحدها: أنه لو لم يعودوا إلى أبيهم وكان شيخا كبيرا فبقاؤه وحده من غير أحد من أولاده محنة عظيمة.
 - وثانيها: أن أهل بيتهم كانوا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة.
 - وثالثها: أن يعقوب عليه السلام ربما كان يظن أن أولاده هلكوا بالكليية و في ذلك غم شديد

الفائدة 756 : نكتة لغوية

محمد صالح المنجد، 100 فائدة من سورة يوسف، تحقيق: هاني فاروق، ص 33⁵⁰⁶

الإيجاز واحتواء اللفظ القليل على المعاني الكثيرة منه قوله تعالى : " فلما استتأسوا منه خلصوا نجيا " .

" استتأسوا " يعني يتأسوا ، وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في " استعصم " . ومعنى "خلصوا " اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم . " نجياً " وكان تتأججهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيه ، كقوم تعايبوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا إلى التشاور . والنجي على معنيين :

- يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير ، بمعنى : المعاشر والمسامر ، ومنه قوله تعالى : {وقربناه نجيا }مريم: 52
- وبمعنى المصدر الذي هو التناجي ، كما قيل النجوى بمعناه . ومنه قيل : قوم نجى كما قيل {وإذ هم نجوى }الإسراء: 47 تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف .

أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا بَنَاتٌ ابْنَاتُ ابْنِكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية مناسبة للحديث عن مسائل مختلفة تتعلق بموضوع الشهادة ، وكذا فيها دليل على وجوب التزام الموضوعية في سرد الأحداث .

الفائدة 757: كيف حكم إخوة يوسف على أخيهم بأنه سرق من غير بينة ؟

في قولهم : " إن ابنك سرق " والجواب عنه من وجوه :
الوجه الأول: أنهم شاهدوا أن الصواع كان موضوعا في موضع ما كان يدخله أحد إلا هم ، فلما شاهدوا أنهم أخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم أنه هو الذي أخذ الصواع ، وأما لو قال لهم بنيامين : " وضع الصواع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم " فالفرق ظاهر ، لأن هناك لما رجعوا بالبضاعة إليهم اعترفوا بأنهم هم الذين وضعوها في رحالهم ، وأما هذا الصواع فإن أحدا لم يعترف بأنه هو الذي وضع الصواع في رحله فظهر الفرق

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فلهذا السبب غلب على ظنونهم أنه سرق، فشهدوا بناء على هذا الظن، غير قاطعين بهذا الأمر بقولهم: {وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين}.
. والوجه الثاني: في الجواب أن تقدير الكلام {إن ابنك سرق} في قول الملك وأصحابه ومثله كثير في القرآن.
قال تعالى: {إنك لانت الحليم الرشيد} (هود: 87) أي عند نفسك، وقال تعالى: {ذق إنك أنت العزيز الكريم} (الدخان: 49) أي عند نفسك وأما عندنا فلا فكذا ههنا.
. الوجه الثالث: في الجواب أن ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة ومثل هذا الشيء يسمى سرقة فإن إطلاق اسم أحد الشبيهين على الشبيه الآخر جائز في القرآن قال تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها} (الشورى: 40).
. الوجه الرابع: أن القوم ما كانوا أنبياء في ذلك الوقت فلا يبعد أن يقال: إنهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجازفة لا سيما وقد شاهدوا شيئاً يوهم ذلك.

الفائدة 758: جواز الشهادة بأي وجه

" وما شهدنا " تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها؛ فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، فلا تسمع إلا ممن علم، ولا تقبل إلا منهم، وهذا هو الأصل في الشهادات؛ ولهذا قال المالكية: شهادة الأعمى جائزة، وشهادة المستمع جائزة، وشهادة الأخرس إذا فهمت إشارته جائزة؛ وكذلك الشهادة على الخط إذا تيقن أنه خطه أو خط فلان صحيحة فكل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به وإن لم يشهده المشهود عليه؛ قال الله تعالى: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (الزخرف: 86) وقال رسول الله ﷺ: «ألاً أخبركم بخير الشهداء خيرُ الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها».⁵⁰⁷

الفائدة 759: شهادة المرور

⁵⁰⁷ أخرجه مالك (720/2 ، رقم 1401) ، وعبد الرزاق (364/8 ، رقم 15557) ، وأحمد (193/5 ، رقم 21729) ، ومسلم (344/3 ، رقم 1719) ، وأبو داود (304/3 ، رقم 3596) ، والترمذي (544/4 ، رقم 2295) ، وابن حبان (470/11 ، رقم 5079) . وأخرجه أيضاً : النسائي في الكبرى (494/3 ، رقم 6029) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

اختلف قول مالك في شهادة المرور؛ وهو أن يقول: " مررت بفلان فسمعتة يقول كذا" فإن استوعب القول شهيد في أحد قوليه، وفي القول الآخر لا يشهد حتى يُشهاده. والصحيح أداء الشهادة عند الاستيعاب؛ وبه قال جماعة العلماء، وهو الحق؛ لأنه قد حصل المطلوب، وتعين عليه أداء العلم؛ فكان خير الشهداء إذا أعلم المشهود له، وشر الشهداء إذا كتمها .

الفائدة 760: لا تجوز الشهادة إلا مع العلم

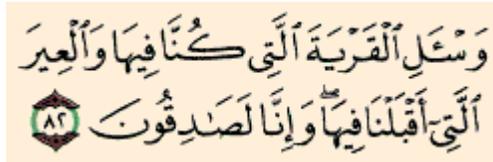
" وما شهدنا إلا بما علمنا " نستخرج من الآية أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه ، وتحققه بمشاهدة ، أو خبر من يثق به ، وتطمئن إليه النفس لقولهم : " وما شهدنا إلا بما علمنا " .

الفائدة 761 : نكتة في الشهادة

إذا ادعى رجل شهادة لا يحتملها عمره ردّت؛ لأنه ادعى باطلاً فأكذبه العيان ظاهراً.

الفائدة 762: وجوب التزام الموضوعية في نقل الأحداث

" وما كنا للغيب حافظين " رغم حسدهم لأخيهم بنيامين ، فإن إخوة يوسف عليه السلام أوردوا احتمال أن يكون الصواع قد دسّ في رحله من غير علمه ، لذا قالوا وما كنا نعلم الغيب ، هل ذلك حق في نفس الأمر أم لا؟ وهو دلالة على تجردهم من الحسد في نقل الأحداث هذه المرة بخلاف المرة الأولى، وفي هذا تحذير لمن ينقلون الأحداث إلى الناس وخاصة من عالم الصحافة بوجوب التزام الحياد والموضوعية والابتعاد عم المزيدة والإثارة لأنهم مسؤولون عن شهادتهم.



أوجه الاستدلال من الآية :

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

في الآية دليل على صدق إخوة يوسف عليه السلام هذه المرة ، كما أن فيها من الفقه جواز التطوع بالشهادة ووجوب تقديم الأدلة على صدق الشهادة عند التكذيب ، لتختم بنكتة لغوية تتعلق بالمجاز المرسل .

الفائدة 763: دلائل صدق إخوة يوسف

يشهد لصدق إخوة يوسف هذه المرة أمور ثلاثة :

- أهل مصر الذين كانوا فيهم
 - أصحاب القافلة الذين قدموا معهم
 - غياب أخيهما الأكبر
- ورغم ذلك فقد كذبهم يعقوب عليه السلام

الفائدة 764: جواز التطوع بالشهادة ولو لم تطلب لتحقيق الحق

في هذه الآية من الفقه أن كل من كان على حق، وعلم أنه قد يُظنّ به أنه على خلاف ما هو عليه أو يتوهم أن يرفع التهمة وكلّ ريبة عن نفسه، ويصرّح بالحق الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحد مُتكلّم؛ وقد فعل هذا نبيّنا محمد ρ بقوله للرجلين اللذين مرّاً وهو قد خرج مع صفيّة يُقلّبها من المسجد: «على رسلكما إنما هي صفيّة بنت حَيٍّ» فقالا: سبحان الله وكبرّ عليهما؛ فقال النبي ρ : «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدّم وإنّي خَشِيتُ أن يُقذّف في قلوبكما شيئاً».* 508

الفائدة 765: تقديم الأدلة على صدق الشهادة من تمامها

* أخرجه أحمد (337/6 ، رقم 26905) ، والبخارى (1195/3 ، رقم 3107) ، ومسلم (1712/4 ، رقم 2175) ، وأبو داود (333/2 ، رقم 2470) ، وابن ماجه (566/1 ، رقم 1779) . وأخرجه أيضاً : إسحاق بن راهويه (258/1 ، رقم 8) ، وعبد بن حميد (ص 449 ، رقم 1556) ، وأبو يعلى (38/13 ، رقم 7121) ، والطبراني (71/24 ، رقم 189) .

508 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج 9 ، ص 245

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

يستدل بالآية على أن الإنسان يؤيد كلامه بالشواهد إذا احتل التكذيب ، أي إذا كان كلامك محتتمل أن يكذبه الشخص الآخر برهن له بالشواهد فقد قال إخوة يوسف عليه السلام: "واسأل القرية التي كنا فيها والعيبر التي كنا فيها وإنما لصادقون" . لأنه مادام الشك في كلامهم فليؤخذ الخبر من مصادر أخرى ، أي : (خذ من مصادر أخرى لكي تتأكد من كلامنا) .

الفائدة 766 : الوثوق في النفس من تمام الصدق

في قولهم (وإنما لصادقون) توكيد للصدق في قولهم هذا عن أخيهم، ونتأمل الفرق بين هذا الأسلوب وبين ما قالوه في تغطية مؤامرتهم ليوسف عليه السلام إذ قالوا محدثين أباهم " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " .

الفائدة 767 : نكتة لغوية

في قوله تعالى : " وسئل القرية " مجاز مرسل ويسمى المجاز اللغوي ، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً ، ومن أنواعه : **إطلاق المحل على اسم الحال** .⁵⁰⁹ إذ المراد بالقرية في الآية أهلها ، والعلاقة المحلية ، وهناك نظائر كثيرة لهذا المجاز في القرآن ، وأراد بالقرية مصر ، أي : أرسل إلى أهلها فاسألهم عن تفاصيل هذه القصة وكذلك قوله " والعيبر التي أقبلها فيها " أي أصحاب العير .



أوجه الاستدلال من الآية :

تكشف لنا الآية عن أخلاق سامية ليعقوب عليه السلام وهي عفة لسانه وصبره الجميل على المصائب، ورجاؤه الكبير في الله تعالى وحسن ظنه به ، وكل هذا من صفات الصفة

⁵⁰⁹ السيوطي ، الإنفاق في علوم القرآن

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

من خلق الله تعالى ، غير أن هذا لا ينفي الخطأ عن النبي في أمور الدنيا كما تبينه الآية أيضا .

الفائدة 768: عفة لسان يعقوب عليه السلام

نلمس عفة لسان يعقوب وعدم إرادته امتهان أبنائه باللفظ إذ قال (أمرا) ولم يقل مثلا رذيلة أو عيبا ، غير أنه واضح تعبيره عن رأيه فيهم أن الشر يجري فيهم مجرى الدم في العروق وهذا ما يوحى به الفعل (سولت) و(لكم) أي إتباعا لهوى وإشباعا لنوازع الشر في النفس لا لمصلحة أخيهم أو أية مصلحة عامة .⁵¹⁰

الفائدة 769: اتهام من هو مظنة لذلك لا حرج فيه

إن إخوة يوسف عليه السلام أهل لاتهام يعقوب عليه السلام ، لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهو أخذ الملك له في السرقة ولم يكن ذلك لا من دينه ولا من دين غيره من الناس فظن أنهم الذين أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة التي ذكروها تعمداً ليتخلف دونهم . واتهام من هو بحيث يتطرق إليه التهمة لا جرح فيه لا سيما فيما يرجع إلى الوالد مع الولد.

الفائدة 770: تتابع المصائب لا يقابل إلا بالصبر الجميل

" فصبر جميل " الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله حتى وإن تتابع الأمر عليه أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل، والرضا والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم، ويقتدي (بنبي الله) يعقوب وسائر النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين .

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 69⁵¹⁰

الفائدة 771: اشتداد البلاء يدل على قرب الفرج

كأن يعقوب عليه السلام لما رأى اشتداد البلاء قوي رجأؤه بالفرج فقال " فصبر جميل " كما قال الشاعر :

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليك بالبلج

الفائدة 772: لماذا تكلم يعقوب بالجمع ؟

قوله " عسى الله أن يأتيني بهم جميعا " ولم يقل بهما لأنهم أصبحوا ثلاثة : يوسف ، وبنيامين ، ومن بقي في مصر من أجل أخيه وهو القائل: «قَلْنُ أَبْرَحَ الْأَرْضِ». فترجى يعقوب عليه السلام من الله تعالى أن يرد عليه أولاده الثلاثة . لأنه كان عنده أن يوسف عليه السلام لم يموت، وإنما غاب عنه خبره .

الفائدة 773: الرجاء لا ينبغي أن ينقطع

إنما ترجى يعقوب عليه السلام للرؤية التي رآها يوسف عليه السلام فكان ينتظرها ويحسن ظنه بالله تعالى فإنه قد جرت سنته تعالى أن الشدة إذا تهاوت يجعل وراءها فرجاً عظيماً، وانضم إلى ذلك ما أخبر به عن ملك مصر أنه يدعو له أن لا يموت حتى يرى ولده.⁵¹¹

الفائدة 774 : حسن الظن بالله

من الآية نستشف حسن الظن بالله عز وجل⁵¹² وهذا من مقتضيات التوحيد وعكسه من قادح التوحيد ، فيعقوب عليه السلام بعيد عن ولده أكثر من ثلاثين سنة تقريبا ومع ذلك قال " عسى الله أن يأتيني بهم جميعا" ، فهو يعرف أن ابنه بنيامين حي لكن أسير في

الألوسي ، روح المعاني ، ج 22 ص 95⁵¹¹
⁵¹² عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِدْبٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً [البخاري (7405)].

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

مصر عند الملك .ويوسف عليه السلام ليس عنده يقين بموته أو حياته ولا يدري مكانه ،
لكن لازال ظنه بالله قويا (عسى الله أن يأتيهم بهم جميعاً) .

الفائدة 775: صفة الصفوة

" إنه هو العليم الحكيم " يحق لنا أن نتساءل عندما نرى هذه القمة الإيمانية عن هذا
الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ ؟

إنه الرجاء في الله ، والاتصال الوثيق به والشعور بوجوده ورحمته . ذلك الشعور الذي
يتجلى في قلوب الصفوة المختارة ، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي
تلمسه الأيدي وتراه الأبصار .

الفائدة 776: يجوز على النبي الخطأ في أمور الدنيا

يجوز على النبي الخطأ في الظن في أمور العادات كما أخطأ يعقوب التقدير هنا
فقد روى مسلم في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قال في تأبير النخل : " إنما ظننت
ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله تعالى شيئا فخذوا به فإنني لن أكذب على
الله تعالى "513

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

513 أخرجه الطيالسي (ص 31 ، رقم 230) ، ومسلم (4/1835 ، رقم 2361) . وأخرجه أيضاً : أحمد (1/162 ، رقم 1395) ، وأبو يعلى (2/12 ، رقم 639) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

نتكلم في هذه الآية عن الدعاء وعن مكانة يوسف عند أبيه ، وكذا عن الحزن وأحواله وكيف بلغ الحزن بيعقوب عليه السلام هذا المبلغ ، وعن إصابة العين بالبياض طبيا ، ثم وكيف أن البكاء لا ينافي الصبر ، كما أن الحزن القديم قد يتجدد ، لنختم بالحديث عن أجر يعقوب عليه السلام على صبره ، وكذا بنكتة لغوية عن التجنيس المماثل.

الفائدة 777: التعريض بالدعاء

قول يعقوب عليه السلام : (يا أسفى على يوسف) تعريض بدعاء الله أن يزيل أسفه برد يوسف عليه السلام إليه لأنه كان يعلم أن يوسف لم يهلك ولكنه بأرض غربة مجهولة، وعلم ذلك بوحى أو بفراسة صادقة وهي المسماة بالإلهام عند الصوفية.

الفائدة 778: مكانة يوسف عند أبيه لم تتبدل

(يا أسفى على يوسف) إنما تأسف يعقوب على يوسف عليهما السلام دون أخويه مع أن الرزء الجديد أشد على النفس وأظهر أثرا لما يلي :

1. ليرينا أن رزء يوسف لم يزل جديدا مع تقادم عهده فكان غضا عنده
2. أنه أكبر رزء رآه
3. أن الرزء في يوسف كان أصل الرزايا الأخرى، فكان أيضا على الكل
4. أنه كان عالما بحياة أخويه دون حياة يوسف
5. لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته ، ولأن مصيبته كانت السابقة .⁵¹⁴

الفائدة 779: إصابة العين بالبياض طبيا

لقد أصابت عينا يعقوب عليه السلام غشاوة بيضاء غطت على البصر مع بقاء العصب الذي يدرك المبصرات سليما معافى .

قال الدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا : البياض المصحوب بضياح البصر غالبا معناه (الجلوكوما) والمعروف عند الاختصاصيين في أمراض العيون أن أهم سبب لها هو

⁵¹⁴ ابن جزي الغرناطي ، التسهيل لعلوم التنزيل

التغيرات في الأوعية الشعرية نتيجة لأسباب كثيرة ، من أهمها الانفعالات العصبية – كما يحدث في زيادة ضغط الدم – لاسيما الحزن كما قاله الدكتور ملر .⁵¹⁵

الفائدة 780: الحكمة في ذهاب بصر يعقوب

قيل أن الحكمة في ذهاب بصر يعقوب عليه السلام وبقاء بصر آدم وداود عليهما السلام مع أنهما بكيا دهماً طويلاً ، أن بكاء يعقوب كان بكاء حزن معجون بألم الفراق حيث فقد تجلى جمال الحق من مرآة وجه يوسف ولا كذلك بكاء آدم وداود فإنه كان بكاء الندم والتوبة وأين ذلك المقام من مقام العشق.

وقال أبو سعيد القرشي: إنما لم يذهب بصرهما لأن بكاءهما كان من خوف الله تعالى فحفظاً وبكاء يعقوب كان لفقد لذة فعوتب، وقيل: يمكن أن يكون ذهاب بصره عليه السلام من غيرة الله تعالى عليه حين بكى لغيره وإن كان واسطة بينه وبينه.⁵¹⁶

الفائدة 781: البكاء لا ينافي الصبر

إن البكاء لا ينافي الصبر بدليل الآية (وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِيتِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ) لكن ما هو الفرق بين البكاء والنياحة؟ وهل يجوز لمن مات له ميت أن يبكي عليه؟

نعم يجوز والدعوة التي نزلت من النبي ﷺ كانت رحمه وشفقة⁵¹⁷ على الولد التي تفيض روحه في حجر النبي ﷺ. والنياحة ليست بكاء إنما هي صراخ ، زعيق اعتراض على

⁵¹⁵ المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 13 ، ص 28

⁵¹⁶ الألويسي ، روح المعاني جزء 22 ص 74

⁵¹⁷ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَىٰ أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةٍ قَتِينٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ فَأَنْطَلَقَ بِأَتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَأَنْتَهَيْتُنِي إِلَىٰ أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِبْرِهِ قَدْ امْتَلَأَ النَّبِيُّ دُخَانًا فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا أَبَا سَيْفٍ أُمِّسِكَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمْسَكَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ فَقَالَ أَنَسُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكْبِدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَبِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَىٰ رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ . (مسلم(2315) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

القضاء والقدر . أما البكاء يمكن أن يكون رحمه شفقة ، وغلبة نفس ، أما النياحة فهي تسخّط على القضاء والقدر وفيها شق الجيوب ، فيمكن أن تشق المرأة الفستان أو الجيوب ويمكن أن تحلق شعرها ، ويمكن أن تلطم خديها أو تلطم وجهها هذه نياحة (ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود)⁵¹⁸ . والنائحة عقوبتها شديدة يوم القيامة لها سربال من قطران ودرع من جرب⁵¹⁹ أي ثوب من نحاس مذاب ودرع من جرب ، إلا أن تتوب إلى الله لأن النياحة من الكبائر .

الفائدة 782: الحزن وأحواله

قوله " من الحزن " الحزن عرض طبيعي للنفس ولا يذم شرعا إلا إذا بلغ صاحبه أن يقول أو يفعل ما لا يرضي الله تعالى . ومن ثم عند موت ولده إبراهيم جعلت عينا النبي ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمان بن عوف وأنت يا رسول الله ، فقال : " يا ابن عوف إنها لرحمة " ثم أتبعها أخرى فقال : " إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " ⁵²⁰.

الفائدة 783: كيف بلغ الحزن بنبي كل هذا المبلغ ؟

- فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب عليه السلام فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة:
- منها أن يعقوب عليه السلام لما علم أن يوسف عليه السلام حيّ خاف على دينه ، فاشتدّ حزنه لذلك .
 - وقيل: إنما حزن لأنه سلّمه إليهم صغيراً، فندم على ذلك .

⁵¹⁸ أخرجه أحمد (456/1 ، رقم 4361) ، والبخاري (435/1 ، رقم 1232) ، ومسلم (99/1 ، رقم 103) ، والنسائي (20/4 ، رقم 1862) ، وابن ماجه (504/1 ، رقم 1584) .

⁵¹⁹ ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [أرْبِعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهَا الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ وَقَالَ النَّابِغَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سَرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانَ وَدَرَعٌ مِنْ جَرَبٍ]

أخرجه أحمد (344/5 ، رقم 22963) ، ومسلم (644/2 ، رقم 934) . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (148/3 ، رقم 1577) ، والطبراني (285/3 ، رقم 3425) ، وابن حبان (412/7 ، رقم 3143) .

⁵²⁰ أخرجه مسلم (1807/4 ، رقم 2315) ، وعبد بن حميد (ص 385 ، رقم 1287) ، وأبو داود (193/3 ، رقم 3126) ، وابن سعد (140/1) . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (42/6 ، رقم 3288) ، وابن حبان (162/7 ، رقم 2902) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- والجواب الثالث وهو أُبَيَّنُّهَا هو أن الحزن ليس بمحذور ، وإنما المحذور الوَلُولَة وشقَّ الثياب، والكلام بما لا ينبغي. وقال النبي P: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخَطُ الرَّبَّ».

الفائدة 784: الحزن القديم قد يتجدد

إن الأسف هو شدة الحزن والحسرة ، وقد جدَّدَ ليعقوب عليه السلام حزن الابنين الحزن الدفين الأول ، دلَّ هذا على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده وطرياً .
وإنما عظم حزنه على مفارقة يوسف عند هذه الواقعة لوجوه:

- الوجه الأول: أن الحزن الجديد يقوي الحزن القديم الكامن والقدح إذا وقع على القدح كان أوجع وقال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة :

وقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيتَه لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له إن الأسى يبعث الأسى فدعني فهذا كله قبر مالك

وذلك لأنه إذا رأى قبراً فتجدد حزنه على أخيه مالك فلاموه عليه، فأجاب بأن الأسى يبعث الأسى.

وقال آخر:

فلم تتسني أو في المصيبات بعده ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع

- والوجه الثاني: أن بنيامين ويوسف كانا من أم واحدة وكانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل، فكان يعقوب عليه السلام يتسلى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام، فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الألم والوجد.

- الوجه الثالث: أن المصيبة في يوسف كانت أصل مصائبه التي عليها ترتب سائر المصائب والرزايا، وكان الأسف عليه أسفاً على الكل.

-الرابع: أن هذه المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية مجرى الأمور التي يمكن معرفتها والبحث عنها.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وأما واقعة يوسف فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه، وأما السبب الحقيقي فما كان معلوما له، وأيضا أنه عليه السلام كان يعلم أن هؤلاء في الحياة وأما يوسف فما كان يعلم أنه حي أو ميت، فلهذه الأسباب عظم وجده على مفارقتة وقويت مصيبتة على الجهل بحاله.

الفائدة 785: ربما كان التصبر خاصية للأمة المحمدية

قيل أن التصبر عند المصائب لم يكن من سنة الشريعة الإسرائيلية بل كان من سننهم إظهار الحزن والجزع عند المصائب. وقد حكى التوراة بكاء بني إسرائيل على موسى عليه السلام أربعين يوما، وإنما التصبر في المصيبة كمال بلغت إليه الشريعة الإسلامية.

الفائدة 786: صبر وأجر يعقوب عليه السلام

روي أن يوسف عليه السلام سأل جبريل : هل لك علم بيعقوب؟ قال نعم قال: وكيف حزنه؟

قال: حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد ثم يموت.
قال: فهل له فيه أجر؟ قال: نعم أجر مائة شهيد. وما ساء ظنه بالله ساعة قط .

الفائدة 787: ما معنى الكظيم ؟

- قوله { فهو كظيم } فيه أربعة أوجه :
- أحدها : أنه الكمد ، قاله الضحاك .
 - الثاني : أنه الذي لا يتكلم ، قاله ابن زيد .
 - الثالث : أنه المقهور ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر :
- فإن أكُ كاظماً لمصابٍ شاسٍ فأني اليوم منطلق لساني

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- الرابع : أنه المخفي لحزنه ، قاله مجاهد وقتادة ، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه ، قال الشاعر :

فحضضت قومي واحتسبت قتالهم والقوم من خوف المنايا كظم
والأرجح بقوله: {فَهُوَ كَظِيمٌ} أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبيته؛ ومنه
كَظُمَ الغيظ وهو إخفاؤه؛ فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه؛ قال الله تعالى: {إِذْ نَادَى وَهُوَ
مَكْظُومٌ} (القلم: 48) أي مملوء كريباً.

الفائدة 788: نكتة لغوية

التجنيس المماثل وهو أن يكون من اسمين أو فعلين في قوله تعالى: "يا أسفى على يوسف" 521

{يا أسفى} {أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه
{ثاقلتهم إلى الأرض أرضيتهم} {التوبة: 38} {وهم ينهون عنه وينأون عنه} {الأنعام: 26} {يحسبون أنهم يحسنون} {الكهف: 104} {من سبأ نبأ} {النمل: 2}

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُوۡا تَذْكُرُ يُوۡسُفَ حَتّٰى تَكُوۡنَ
حُرّاً اَوْ تَكُوۡنَ مِنَ الْهٰلِكِيۡنَ ﴿٨٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية دليل على عدم نسيان يعقوب عليه السلام لابنه يوسف رغم مرور السنين، كما أن فيها عبرة بمغبة سوء معاملة الوالدين ، ثم نعرج على الحلف ومساائل متعلقة به ، لنصل إلى الكلام عن الحرص وصفته ، ونختم بالنظم البلاغي المعجز للقرآن الكريم ، وتقودنا النكت اللغوية للحديث عن الحذف المركب .

521 ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، ص 337

الفائدة 789 : عدم نسيان يعقوب لابنه رغم مرور السنين

إن يعقوب لا يمكن أن ينسى ابنه يوسف، فحمل أبنائه إياه على نسيانه ضرب من المحال، وقد كان يوسف أمله المرتجى خاصة بعد رؤياه وهو صغير " ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ".

الفائدة 790: سوء معاملة الوالدين من سوء الخلق

إن أبناء يعقوب عليه السلام بدلا من طمأننته ومؤساته يبشرونه بأن سيكون حرضا هالكا أنهم لا يطبقون ذكر يوسف وأخيه حتى ولو كان ذلك في غيبتهما لأن هذا يذكرهم بالحب الذي أسبغه أبوهما فرد عليهم يعقوب بشكواه إلى الله تعالى ، فكانت عبارتهم شديدة على يعقوب عليه السلام.⁵²²

الفائدة 791: جواز الحلف بغلبة الظن

استُئِلَ بالآية على جواز الحلف بغلبة الظن، وقيل: علم إخوة يوسف عليه السلام ذلك منه ولكنهم نزلوه منزلة المنكر فلذا أكدوه بالقسم أي نقسم بالله تعالى لا تزال ذاكر يوسف متفجعا عليه.

الفائدة 792: الحرض ما هو ؟

في لفظ الحرض عدة معاني منها :

. الحرض الذي قد أذابه الحزن أو الحب، وهي في موضع محرض. قال الشاعر :

إني امرؤ لِحّ بي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

أي: أذابني. وقال الزجاج: الحرض: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون مدنفا مريضا.

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 71⁵²²

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- . والثاني: أنه الذاهب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحق: الفاسد العقل. قال الزجاج: وقد يكون الحرض: الفاسد في أخلاقه.
- . والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارص وحرض، فحارص، يثني ويجمع ويؤنث، وحرض لا يجمع ولا يثني، لأنه مصدر، قاله الفراء.
- . والرابع: أنه الهرم، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

الفائدة 793: من نظم القرآن المعجز في البلاغة

في قوله تعالى: " تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا " فمن أصيل في البلاغة ، وهو ما يسمى (انتلاف اللفظ مع المعنى) وهو نسمة الحياة في الفن ، وعموده الذي يقوم عليه ، ويتلخص بأن تكون ألفاظ المعنى المراد متلائمة مع بعضها البعض ، ليس فيها لفظة نابية ، أو قلقة عن أخواتها ، بحيث يمكن استبدالها .
والألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منها مواضع يحسن استعمالها فيه ، فالجزل يستعمل في مواقف الشدة وقوارع التهديد والتخويف ، والرقيق يستعمل في وصف تباريح الأشواق ، ولوعة الفراق .
والآية التي نحن بصددنا من أروع الأمثلة على ذلك ، فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها وهي التاء تالله ، لأن الواو والباء أكثر دوراناً على الألسنة منها ، أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال الناقصة التي ترفع الأسماء وتتصبب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها وهي تفتأ ، وحذف منها حرف النفي زيادة في الإغراب ولأن المقام لا يلتبث بالإثبات .

وكذلك لفظ حرضا أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك ، فاقترضى حسن النظم وحسن الوضع فيه أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة والاستعمال توخياً لحسن الجوار ، ورغبة في انتلاف المعاني بالألفاظ ، ولتعادل الألفاظ في الوضع ، وتناسب في النظم.

الفائدة 794: نكتة لغوية

- الحذف في قوله تالله تفتؤ ، التقدير : لا تفتؤ ، لأنه لو كان الجواب مثبتا دخلت اللام والنون كقوله تعالى : "وتالله لأكيدن أصنامكم " (الأنبياء 57) ويسمى الحذف المركب .

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نسقي من الآية أن المحن تقتضي الصبر والتقوى ، ونتعلم معنى البث ونشير إلى أن الشكوى إلى الله عبادة وهي من تمام المحبة ، ونتساءل عن ماهية علم يعقوب عليه السلام ، ثم نبيّن أشرف أعضاء الإنسان ، ونختم بدرجة يقين يعقوب عليه السلام .

الفائدة 795: المحنة تقتضي الصبر والتقوى

هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام ، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة ، ويحزنه ذلك أشد الحزن ، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة ، لا تقصر عن ثلاثين سنة ، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة " وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم " ثم ازداد الأمر به شدة ، حين صار الفرق بينه وبين ابنه الثاني ، شقيق يوسف ، هذا هو صابر لأمر الله ، محتسب الأجر من الله ، قد وعد من نفسه الصبر الجميل ، ولا شك أنه وقى بما وعد به ، ولا ينافي ذلك قوله " إنما أشكو بثي وحزني إلى الله " فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين .

الفائدة 796: الشكوى إلى الله عبادة

فجملته (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) مفيدة قصر شكواه على التعلق باسم الله، أي يشكو إلى الله لا إلى نفسه ليجدد الحزن، فصارت الشكوى بهذا القصد ضراعة وهي عبادة لأن الدعاء عبادة. وصار ابيضاض عينيه الناشئ عن التذكر الناشئ عن الشكوى أثرا جسديا ناشئا عن عبادة مثل تقطر أقدام النبي ﷺ من قيام الليل.

الفائدة 797: الشكوى إلى الله من تمام المحبة

في قوله " إنما أشكو " أي لا أشكو إلى غيره فإني أعلم غيرته سبحانه وتعالى على أحبابه وأنتم لا تعلمون ذلك ، وأيضا من انقطع إليه تعالى كفاه ومن أناخ ببابه أعطاه . وقد أنشد ذو النون :

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ليلتمسوك حالا بعد حال
فان رحالنا حطت رضاء بحكمك عن حلول وارتحال
ففسنا كيف شئت ولا تكلنا إلى تدبيرنا يا ذا المعالي

وقد يقال : إنه عليه السلام إنما رفع قصة شكواه إلى عالم سره ونجواه استرواحا مما يجده بتلك المناجاة كما قيل :

إذا ما تمنى الناس روحا وراحة تمنيت أن أشكو إليه فيسمع

الفائدة 798: ما هو البث ؟

البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره .
ولقد حكى تعالى عن يعقوب عليه السلام أنه قال : " إنما أشكو بثي وحزني إلى الله " يعني أن هذا الذي أذكره لا أذكره معكم ، وإنما أذكره في حضرة الله تعالى ، والإنسان إذا بث

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

شكواه إلى الله تعالى كان في زمرة المحققين كما قال صلى الله عليه وسلم : " أعود برضاك من سخطك وأعود بعفوك من غضبك وأعود بك منك "523 والله هو الموفق .
والبث أيضاً التفريق ، قال الله تعالى : " وبث فيها من كل دابة " (البقرة 164) ، فالحزن إذا ستره الإنسان كان هما وإذا ذكره لغيره كان بثا ، وقالوا : البث أشد الحزن .

الفائدة 799 : كيف صبر يوسف على أبيه ؟

فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً؟

فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة :

- أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر.
- والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم.
- والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور. والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء. وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيماً، ولا يقدر على دفع سببه.

الفائدة 800 : علم يعقوب ما هو ؟

قوله تعالى: { وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } فيه أربعة أقوال :

- أحدها: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له، رواه العوفي عن ابن عباس.
- والثاني: أعلم من سلامة يوسف ما لا تعلمون. قال ابن السائب: وذلك أن ملك الموت أتاه، فقال له يعقوب: هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. كما مر بنا.
- والثالث: أعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون، قاله عطاء.
- والرابع: أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز، طمع أن يكون هو يوسف، قاله السدي، قال: ولذلك قال لهم: { اذْهَبُوا فَنَحْسَبُوا }

⁵²³ أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في أطراف ابن طاهر (440/5 ، رقم 5986) . وأخرجه أيضاً : أبو داود (232/1 ، رقم 879) ، والترمذي (524/5 ، رقم 3493) وقال : حسن . والنسائي (222/2 ، رقم 1130) . والحديث عند مسلم وغيره بطرف : ((اللهم إني أعود برضاك من سخطك)) .

الفائدة 801: اشتراك الأنبياء في العلم اللدني

لقد أعقب يعقوب عليه السلام كلامه بقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) لينبئهم إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العالية ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلموه أو يلوموه، أي أنا أعلم من عند الله علمنيه لا تعلمونه وهو علم النبوة. وقد جاء نظير هذه الجملة في قصة نوح عليه السلام : " وأعلم من الله ما لا تعلمون " (الأعراف 62) وحكى مثلها عن شعيب عليه السلام : " قَالَ رَبِّيَ َ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ " (الشعراء 188) . فهي من كلام النبوة الأولى.

الفائدة 802: الحزن فطرة في الإنسان

إن الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولكن عليه أن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: {القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنما عليك يا إبراهيم لمحزونون⁵²⁴ } و يجوز للنبي أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأن الإنسان مجبول على ألا يملك نفسه عند الحزن ولذلك حمد صبره .

وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له قي ذلك فقال: ما رأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب⁵²⁵

الفائدة 803: أشرف أعضاء الإنسان

اعلم أن أشرف أعضاء الإنسان هذه الثلاثة: اللسان والعين والقلب.

⁵²⁴ تقدم تخريجه الفائدة 778 : الحزن وأحواله
⁵²⁵ الزمخشري ، الكشاف ، ج 2 ص 162

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فبينَ تعالى أنها كانت غريقة في الغم : فاللسان كان مشغولاً بقوله: {يا أسفى} ، والعين بالبكاء والبياض ، والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شد ولا يمكن خروج الماء منه وهذه مبالغة في وصف ذلك الغم.

الفائدة 804: درجة اليقين بالله في الإيمان

وفي هذه الكلمات : " وأعلم من الله ما لا تعلمون " يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول ; كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر ، ولألائها الباهر .

إن هذا الواقع الظاهر الميئس من يوسف ، وهذا المدى الطويل الذي يقطع الرجاء من حياته فضلاً على عودته إلى أبيه ، واستنكار بنيه لهذا التطلع بعد هذا الأمد الطويل في وجه هذا الواقع الثقيل . . إن هذا كله لا يؤثر شيئاً في شعور الرجل الصالح بربه . فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحبوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور !

وهذه قيمة الإيمان بالله ، ومعرفته سبحانه هذا اللون من المعرفة . معرفة التجلي والشهود وملابسة قدرته وقدره ، وملابسة رحمته ورعايته ، وإدراك شأن الألوهية مع العبيد الصالحين

إن هذه الكلمات: (وأعلم من الله ما لا تعلمون) تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوها . وتعرض مذاقا يعرفه من ذاق مثله ، فيدرك ماذا تعني هذه الكلمات في نفس العبد الصالح يعقوب⁵²⁶.

الفائدة 805: نكتة لغوية

- البث في الأصل إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب واستعمل في الغم الذي لا يطيق صاحبه عليه كأنه ثقل عليه فلا يطيق حمله وحده فيفرقه على من يعينه فهو مصدر بمعنى المفعول وفيه استعارة تصريحية

يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوْسُفَ وَاَخِيْهِ وَلَا تَأْتَسُوْا
مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ ﴿٨٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرض في هذه الآية إلى الفرق بين التحسس والتجسس ، كما نتناول نفسية يعقوب عليه السلام ، وتيقنه لحياة ابنه يوسف عليه السلام ، ورجوعه إلى الله في كل وقت . ثم نتعرض إلى روحانيات تتعلق بالروح واليأس والقنوط ، ونتعلم كيف أن أمر المؤمن كله خير ونجيب عن عدم ذكر الأخ الثالث ولما لم يصل خبر يوسف إلى يعقوب عليه السلام ، ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 806: التحسس و التجسس

" فتحسسوا " التحسس هو طلب الشيء بالحواس السمع والبصر ويكون في الخير ، أما التجسس فيكون في الشر .

والفرق بين التحسس والتجسس :

. أن التجسس فيه الاطلاع على العورات والاستماع إلي حديث من لا يريدك أن تستمع إلي حديثه

. أما التحسس فهو تفقد الأخبار وجمع المعلومات بدون أن تسمع لحديث قوم لا يريدون أن

تستمع لحديثهم ولا النظر من ثقب الباب أو اطلاع على عورات القوم

فالاطلاع على عورات القوم والاستماع إلي الحديث خفية حرام ، أما أن تسأل وتقول هل رأيت فلان ذهب من هنا ؟ هل مر بك فلان ؟ تجد مجلس عام تسمع الكلام ربما فيه معلومة تفيدك في البحث عن المفقود .

إذاً التجسس في الشر والتحسس في الخير، التجسس وسائله محرمة والتحسس وسائله

مباحة ، فقد تسأل حلاقاً أو أحداً في الطريق فتجمع معلومات للوصول إلي شيء مباح .

الفائدة 807: نفسية يعقوب عليه السلام

يلفتنا الفعل " تحسسوا " ودلالته إلى نفسية الأب ، فقد علمنا أنه ذهب سواد عينيه وبعد مضي مدة طويلة على فقد يوسف من العسير العثور على يوسف فكأنهم في البحث عنه يشبهون من يفقد البصر يفتش عن الشيء في متاهة مظلمة .
واستعمال (من) يدل على تشوقه لأي خبر عن يوسف يفضي إلى حضوره وكذا الأمر مع أخيه.

الفائدة 808: تيقن يعقوب لحياة ابنه في هذا الوقت

تدل الآية على أن يعقوب عليه السلام تيقن حياة يوسف عليه السلام ، وذكروا لسبب هذا التوقع أموراً:
. أحدها: أن ملك الموت أتاه فقال له: يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال لا يا نبي الله ثم أشار إلى جانب مصر وقال: أطلبه ههنا .
. وثانيها: أنه علم أن رؤيا يوسف صادقة، لأن أمارات الرشد والكمال كانت ظاهرة في حق يوسف ورؤيا مثله عليه السلام لا تخطيء .
. وثالثها: لعله تعالى أوحى إليه أنه سيوصله إليه، ولكنه تعالى ما عين الوقت فلماذا بقي في القلق .
. ورابعها: قال السدي: لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في أقواله وأفعاله طمع أن يكون هو يوسف وقال: (يبعد أن يظهر في الكفار مثله)
. وخامسها: علم قطعا أن بنيامين لا يسرق وسمع أن الملك ما آذاه وما ضربه فغلب على ظنه أن ذلك الملك هو يوسف.

الفائدة 809: الرجوع إلى الله في كل وقت

في الآية دقيقة أخرى وهي أن الإنسان إذا كان في موضع التحير والتردد لا بد وأن يرجع إلى الله تعالى، فيعقوب عليه السلام كان يكثر الرجوع إلى الله تعالى وينقطع قلبه عن

الالتفات عن كل ما سوى الله تعالى، فهذا السبب صارت هذا الواقعة بالنسبة إليه، جارية مجرى الإلقاء في النار للخليل عليه السلام⁵²⁷.

الفائدة 810 : لماذا لم يذكر الأخ الثالث ؟

لم يذكر الأخ الثالث لأنه بقي هناك باختياره ، ولأن حزنه على يوسف وبنيامين كان أشد لإفراط محبته لهما .

الفائدة 811: ما هو الروح ؟

قوله تعالى: { وَلَا تَأْتِنُوهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ } فيه ثلاثة أقوال :
. أحدها: من رحمة الله، قاله ابن عباس، والضحاك .
. والثاني: من فرح الله، قاله ابن زيد .
. والثالث: من توسعة الله، حكاه ابن القاسم .

الفائدة 812 : القنوط كبيرة تقارب الكفر

{إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} إن اليأس لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله : غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم. واعتقاد كل من هذه الثلاث يوجب الكفر فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحدها وكل منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً.
وذكر ابن نجيم في بعض رسائله الخلاف بين من قال إن اليأس كفر، ومن قال إنه كبيرة فقال: (قد ذكر الفقهاء من الكبائر الأمن من مكر الله تعالى واليأس من رحمته، وفي العقائد : واليأس من رحمة الله تعالى كفر فيحتاج إلى التوفيق) .
والجواب : أن المراد باليأس عند علماء التوحيد إنكار سعة الرحمة للذنوب، ومن الأمن الاعتقاد أن لا مكر. ومراد الفقهاء من اليأس اليأس لاستعظام ذنوبه واستبعاد العفو عنها، ومن الأمن الأمن لغلبة الرجاء عليه بحيث دخل في حد الأمن.

ثم قال: والأوفق بالسنة طريق الفقهاء لحديث الدارقطني عن ابن عباس مرفوعاً حيث عدّها من الكبائر وعطفها على الإشراف بالله تعالى اهـ

الفائدة 813: كيف لم يصل خبر يوسف إلى يعقوب؟

يبقى السؤال بأن يعقوب عليه السلام كان من أكابر الأنبياء نفساً وأبياً وجداً وكان مشهوراً في أكناف الأرض ومن كان كذلك ثم وقعت له واقعة هائلة في أعز أولاده عليه لم تبق تلك الواقعة خفية بل لا بد وأن تبلغ في الشهرة إلى حيث يعرفها كل أحد لا سيما وقد انقضت المدة الطويلة فيها وهو في ذلك الحزن الذي تضرب فيه الأمثال ويوسف عليه السلام ليس بمكان بعيد عن مكانه ولا متوطناً زوايا الخفاء ولا حامل الذكر بل كان مرجع العام والخاص وداعياً إلى الله تعالى في السر والعلن وأوقات السرور والمحن فكيف غم أمره ولم يصل إلى أبيه خبره؟

وأجيب عن ذلك بأنه ليس إلا من باب خرق العادة، والله تعالى أعلم .

الفائدة 814: المؤمن أمره كله خير

{لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} لعدم علمه بالله تعالى وصفاته فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال أو تأكيداً لما يعلمونه من ذلك، قال ابن عباس: " إن المؤمن من الله تعالى على خير يرجوه في البلاء ويحمده في الرخاء ."

الفائدة 815: نكتة لغوية

- ❖ استعارة الروح للرحمة ، وإيضاحه أن الروح مصدر بمعنى الرحمة ، وأصله : استراحة القلب من غمّه ، والمعنى : لا تقنطوا من راحة تأتاكم من الله . الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه وتركيب الرء والواو الحاء يفيد الحركة والاهتزاز ، فكلمة يهتز انسان له ويلتذ بوجوده فهو روح.
- ❖ فإن قيل: كيف: «قال من يوسف» والغالب أن يقال: تحسنت عن كذا؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري :

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- أحدهما: أن المعنى: عن يوسف، ولكن نابت عنها «من» كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون عنه.
- والثاني: أن «من» أوثرت للتبعيض، والمعنى: تحسسوا خبرا من أخبار يوسف.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ
عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ بِجَزَى الْمُتَصَدِّقِينَ

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرف في الآية على طائفة من صفات إخوة يوسف عليه السلام ، منها اعترافهم بضيق ذات اليد واستكانتهم بعد الاستكبار ، وتلطفهم في الطلب . ونتعرف إلى ماهية الصدقة وكيف كانت في شريعة يوسف عليه السلام ، كما نتعلم مفاهيم المزجاة والمعارض، ونشير أيضا إلى رقائق التذلل والدعاء بلفظ التصدق وعلو اليد لنختم بنكتة فقهية في الكيل والبيع.

الفائدة 816: إخوة يوسف في مصر للمرة الثالثة

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} هذه المرة الثالثة من عودهم إلى مصر؛ وفي الكلام حذف، أي فخرجوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف قالوا: «مَسَّنَا» أي أصابنا «وَأَهْلَنَا الضُّرُّ» أي الجوع والحاجة .

الفائدة 817: لماذا عدل إخوة يوسف إلى الميرة بدل البحث عن أخيهم ؟

فإن قيل: إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوا أمر يوسف وأخيه فلماذا عدلوا إلى الشكوى وطلبوا إيفاء الكيل؟
قلنا: لأن المتحسسين يتوسلون إلى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا: نجره في ذكر هذه الأمور

فإن رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود وإلا سكتنا.

الفائدة 818 : جواز الإخبار بالحال

تدلنا الآية على جواز إخبار الإنسان بما يجد ، وما هو فيه من مرض ، أو فقر ونحوهما على غير وجه التسخط ، لأن إخوة يوسف قالوا : " يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر " ولم ينكر عليهم يوسف .

وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر ، أي الجوع؛ بل واجب عليه إذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلى من يرجو منه النفع؛ كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه؛ ولا يكون ذلك قدحاً في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط؛ والصبر والتجلد في التوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل؛ وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى؛ وذلك قول يعقوب: «إِنَّمَا أَشْكُو بَنِّي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أي من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائنته على عبادته؛ فأما الشكوى على غير مُشْكٍ فهو السّفه، إلا أن يكون على وجه البتِّ والتسلي.⁵²⁸

الفائدة 819 : تلطف إخوة يوسف واستكانتهم

قوله عز وجل : { فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر } وهذا من اللطف ترفيق وأبلغ استعطاف . وفي قصدهم بذلك قولان : أحدهما : بأن يرد أخاهم عليهم ، قاله ابن جرير . والثاني : توفية كيلهم والمحابة لهم ، قاله علي بن عيسى⁵²⁹

الفائدة 820 : كلمة المزجاة

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 9 ، ص 252⁵²⁸
الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 282⁵²⁹

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

" وجئنا ببضاعة مزجاة " قيل أن بضاعتهم كانت عروضاً فلذلك قالوا هذا ، وفي المزجاة ثلاثة تأويلات :
أحدها : أنها الرديئة ، قاله ابن عباس .

والثاني : الكاسدة ، قاله الضحاك .

الثالث : القليلة ، قاله مجاهد . قال ابن إسحاق : وهي التي لا تبلغ قدر الحاجة ومنه قول الراعي :

ومرسل برسول غير متهم ... وحاجة غير مزجاة من الحاج
وقال الكلبي : هي كلمة من لغة العجم ، وقال الهيثمي : من لغة القبط . والمزجاة أيضا التي ترد وتدفع كقوله تعالى : " ألم ترى أن الله يزوجي سحابة " (النور 43) أي يدفعه .

الفائدة 821: اليد العليا خير من اليد السفلى

الظاهر أن إخوة يوسف عليه السلام إنما قدموا هذا الكلام " يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر " ليكون ذريعة إلى إسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا: {مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} أي أتمه لنا ولا تنقصه لقلّة بضاعتنا أو رداءتها ، وهذا فيه غاية التذلل، والأجدر في شرعنا التعفف لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : " اليد العليا خير من اليد السفلى " .⁵³⁰

الفائدة 822: الصدقة

قوله تعالى: { وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا } فيه ثلاثة أقوال :

⁵³⁰ أخرجه أحمد (434/3 ، رقم 15616) ، والبخارى (518/2 ، رقم 1361) . وأخرجه أيضاً : الطبرانى (192/3 ، رقم 3092) و مسلم (717/2 ، رقم 1033) ، وابن حبان (148/8 ، رقم 3361) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- أحدها: تصدق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدق، وليس به.
- والثاني: برد أخينا بنيامين وهو الأنسب بحالهم بالنسبة إلى أمر أبيهم وكأنهم أرادوا تفضل علينا بذلك لأن رد الأخ ليس بصدقة حقيقة
- والثالث: وتصدق علينا بالزيادة على حقنا .

الفائدة 823: هل الصدقة ممتنعة في حق النبي ρ وحده أم تشمل جميع الأنبياء ؟

- انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين :
- الفريق الأول قالوا أن الصدقة كانت حلالاً للأنبياء قبل محمد ρ بمقتضى قولهم " وتصدق علينا " قاله سفيان بن عيينة، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الماوردي، وأبو يعلى بن الفراء .
 - الفريق الثاني قالوا أن الصدقة هنا بمعنى التفضل ، ومنه تصدق الله تعالى على فلان بكذا، وأن حرمة أخذ الصدقة ليست خاصة بنبينا ρ كما ذهب إليه سفيان بن عيينة بل هي عامة له عليه الصلاة والسلام ولمن قبله من الأنبياء عليهم السلام وآلهم كما ذهب إليه البعض .

الفائدة 824: استعمال المعارض من إخوة يوسف عليه السلام

في قول إخوة يوسف عليه السلام {إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} يعني في الآخرة؛ يقال: هذا من مَعَارِضِ الكلام؛ لأنه لم يكن عندهم أنه على دينهم، فلذلك لم يقولوا: إن الله يجزيك بصدقتك، فقالوا لفظاً يوهمه أنهم أرادوه، وهم يصح لهم إخراجهم بالتأويل؛ قاله النقاش وفي الحديث: «إن في المَعَارِضِ لمندوحةً عن الكذب».⁵³¹

الفائدة 825: هل يقال في الدعاء اللهم تصدق علي ؟

⁵³¹ أخرجه ابن عدى (96/3) ترجمة 634 داود بن الزبرقان أبو عمر) ، والبيهقي (10/199 ، رقم 20632) ، ورواه موقوفاً ، وقال : هذا هو الصحيح موقوف . وأخرجه أيضاً : القضاعي (2/119 ، رقم 1011) .

ذهب البعض إلى أنه يكره للرجل أن يقول في دعائه: " اللهم تصدّق عليّ " ؛ لأن الصدقة إنما تكون ممن يبتغي الثواب، والله تعالى متفضل بالثواب بجميع النعم لا ربّ غيره؛ وسمع الحسن رجلاً يقول: (اللهم تصدّق عليّ)؛ فقال الحسن: " يا هذا إن الله لا يتصدّق إنما يتصدّق من يبتغي الثواب؛ أما سمعت قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} قل: اللهم أعطني وتفضّل عليّ " . و قد رُذِّقَ قولهم بقوله ρ «صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته»⁵³²

الفائدة 826 : أجرة الكيال على البائع

استدلّ مالك وغيره من العلماء على أن أجرة الكيال على البائع؛ قال ابن القاسم وابن نافع قال مالك: قالوا ليوسف «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» فكان يوسف هو الذي يكيل، وكذلك الوزان والعدّاد وغيرهم، لأن الرجل إذا باع عدّة معلومة من طعامه، وأوجب العقد عليه، وجب عليه أن يبرزها ويميّز حق المشتري من حقه .

الفائدة 827 : آداب التذلل

في الآية من الرقائق تعليم آداب الدعاء والرجوع إلى الأكابر ومخاطبة السادات ، فمن لم يرجع إلى باب سيده بالذلة والافتقار وتذليل النفس وتصغير ما يبدو منها ، ويرى أن ما من سيده إليه على طريق الصدقة والفضل لا على طريق الاستحقاق كان مبعدا مطرودا .

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعلم هنا مدلولات الأخوة الحقيقية و الجهل في الآية ، كما تدلنا الآية على معان سامية تتمثل في عدم التشفي والنصح اللطيف ووجوب نصره الأهل في مواطن الذل ، كما تخبرنا

⁵³² رواه مسلم (1523) وأحمد (175) والترمذي (3131) والدارمي (1512) وابن خزيمة (944)

الآية عن أحوال إخوة يوسف عليه السلام وكيف أنهم مالوا إلى الصلاح بعد أن ظلموا يوسف وأخاه بنيامين في السابق، ونختم ببيان كشف السورة عن الشخصية وبنكتة لغوية .

الفائدة 828: الأخ الحقيقي

في قوله : " وأخيه " لعل خير ما قيل في آداب الأخوة متقلبه صاحب (قوت القلوب) :
ليكن صاحبك من إذا خدمته صانك وإن قعدت به مؤونة مانك ، وإن مددت يدك بخبر
مدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن رأى منك سيئة سدّها ، وإن سألته أعطاك وإن سكت
ابتدأك ، وإن نزلت بك نازلة واساك ، وإن قلت صدق قولك ، وإن تنازعتما أترك⁵³³ وقال
الشاعر :

إن أخاك الحقّ من كان معك ومن يضر نفسه لينفكك
من إذا ريب الزمان صدعك شنت فيك شمله ليجمعك

الفائدة 829: النصح وعدم التعنيف مدعاة لتوبة المذنب

" قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه " ، أتاهم من جهة الدين ، وصاغ الجملة
بصيغة الاستفهام ، ليخفف عليهم وقع القول ، أي هل علمتم قبح ذلك العمل الذي عملتموه
مع يوسف وأخيه ، وقبل أن يتم الجملة ختمها بكلمة اعتذار عنهم وهي قوله : " إذ أنتم
جاهلون " لا تعلمون قبحه ، فلذلك قدمتم عليه ، أي : هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه ؟
لأن الاستفهام يجزى إلى التوبة ، فكان كلامه شفقة عليهم ، ونصحا لهم في الدين . لا معاتبة
وتتريبا إثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث
المصدر ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وعقولهم
ما أزرناها وأرجحها⁵³⁴

الفائدة 830: ما الذي فعله إخوة يوسف ببنيامين ؟

⁵³³ محمد الغزالي ، جدد حياتك ص 227-228
الزمخشري ، الكشاف ، جزء 2 ص ⁵³⁴

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فإن قيل: فالذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سعوا في حبسه ولا أرادوه؟ فالجواب من وجوه:

. أحدها: أنهم فرقوا بينه وبين يوسف، فنغصوا عيشه بذلك.

. والثاني: أنهم آذوه بعد فقد يوسف.

. والثالث: أنهم سبوه لما قذف بسرقة الصاع.

الفائدة 831: عدم التشفي وعدم الشماتة من أخلاق الأنبياء

الظاهر من الآية أن قول يوسف عليه السلام لم يكن تشفياً بل حث على الإقلاع ونصح لهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم ما رأى مع خفي معاتبة على وجود الجهل وأنه حقيق الانتفاء في مثلهم، فله تعالى هذا الخلق الكريم كيف ترك حظه من التشفي إلى حق الله تعالى على وجه يتضمن حق الأخوتين أيضاً والتلطف في اسماعه مع التنبيه على أن هذا الضر أولى بالكشف .

الفائدة 832: معنى الجهل في الآية

وفي قوله: { إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } أربعة أقوال:

أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس.

والثاني: مذنبون، قاله مقاتل.

والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى.

والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري.⁵³⁵

الفائدة 833: نصرة الأهل في مواطن الذل

إن الإنسان إذا رأى قريبه في ذل فإنه لا يزيد همه ونزله بل يرق لحاله ويوقف المأساة، فيوسف ما كان يريد أن يتشفى، لو كان يريد أن يتشفى كان تركهم يسألون زيادة ويتذللون ويردهم مره ثانيه وثالثه ويعذبهم، لكن لما رأى الحال وصل بهم إلي هذا رق بهم وأوقف

⁵³⁵ الماوردي، النكت والعيون، ص 272

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- الاستفهام : { قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ } استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ .
- هل بمعنى قد : قوله عز وجل : { قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ } معنى قوله { هل علمتم ما فعلتم } أي قد علمتم ، كقوله تعالى { هل أتى على الإنسان حين من الدهر } { الإنسان 1 } أي قد أتى .

قَالُوا أَيْنَ نَتَّبِعُكَ يَا يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي
قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْرِفْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نكشف في هذه الآية اللثام عن جملة من التساؤلات منها لماذا لم يعرف يوسف بنفسه أولاً ، وكيف تعجب اخوته عند التعرف عليه ، وكيف تم لهم هذا التعرف ، ثم نتعلم مصير الصبر والتقوى وكذا مصير المظلوم ، كما تشير الآية أيضا إلى آداب ربيعة تتمثل في عدم الاغترار بالمنصب والتحديث بنعمة الله تعالى ، واتباع كل هذا بالتكلم عن أفانين الخطاب في القرآن الكريم ودلالاته ونختم بنكتة لغوية .

الفائدة 838: لماذا لم يعرف يوسف بنفسه أول الأمر ؟

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الإغاثة الكبرى :
لو عرفهم بنفسه في أول مرة لم يقع الاجتماع بهم وبأبيه ذلك الموقع العظيم ، ولم يحل ذلك المحل ، وهذه عادة الله في الغايات العظيمة الحميدة ، إذا أراد أن يوصل عبده إليها هياً له أسبابا من المحن والبلايا والمشاق ، فيكون وصوله إلى تلك الغايات بعدها كوصول أهل الجنة إليها بعد الموت وأهوال البرزخ والبعث والنشور والموقف والحساب والصراف ومقاساة تلك الأهوال والشدائد ، وكما أدخل رسول الله ﷺ إلى مكة ذلك المدخل العظيم بعد

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أن أخرج الكفار ذلك المخرج ، ونصره ذلك النصر العزيز بعد أن قاسى مع أعداء الله ما قاساه ، وكذلك ما فعل برسله كنوح وإبراهيم وموسى وهود وصالح وشعيب عليهم السلام فهو سبحانه يوصل إلى الغايات الحميدة بالأسباب التي تكرهها النفوس وتشق عليها كما قال : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " وربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سبباً ما مثله سبب .

وبالجملة فالغايات الحميدة في خبايا الأسباب المكروهة الشاقة ، كما أن الغايات المكروهة في خبايا الأسباب المشتهاة المستلذة، وهذا من حين خلق الله سبحانه الجنة وحققها بالمكاره ، والنار وحققها بالشهوات .⁵³⁷

الفائدة 839: تعجب إخوة يوسف من عدم التعرف عليه

الاستفهام في قول إخوة يوسف " أإنك لأنت يوسف " يدل على الاستعظام ، أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من زمن وهم لا يعرفونه . وهو استفهام استغراب ودهشة جمعوا له من أدوات التوكيد (إن) واللام وقد كان يكفي أن يقال مثلاً : " أنت يوسف " لولا التعبير عن نفوسهم بدقة ولولا خلو أذهانهم أن يبلغ يوسف هذا المنصب فضلاً عن أن يكون حياً .

الفائدة 840: كيف تعرّف إخوة يوسف على أخيهم ؟

اختلف المفسرون، هل عرفوه، أم شبهوه؟ على قولين :

أحدهما: أنهم شبهوه بيوسف، قاله ابن عباس في رواية

والثاني: أنهم عرفوه، قاله ابن إسحاق . وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال :

- أحدها: أنه تبسم، فشبها ثنانياه بثنايا يوسف، قاله الضحاك عن ابن عباس.
- والثاني: أنه كانت له علامة كالشامة في قرنه، وكان ليعقوب مثلها، وإسحاق مثلها، ولسارة مثلها، فلما وضع التاج عن رأسه، عرفوه، رواه عطاء عن ابن عباس.

⁵³⁷ المراغي ، تفسير المراغي، الجزء 13 ، ص 34

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- والثالث: أنه كشف الحجاب، فعرفوه، قاله ابن إسحاق.⁵³⁸

الفائدة 841: مصير المظلوم النصر من الله ولو بعد حين

قوله تعالى: { قَالَ أَنَا يُوسُفُ } قال ابن الأثيري: إنما أظهر الاسم، ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، فكأنه قال: أنا المظلوم المستحل منه، المراد قتله، فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: { وَهَذَا أَخِي } وهم يعرفونه، وإنما قصد: وهذا المظلوم كظلمي.

الفائدة 842: ما هي المنة ؟

قوله تعالى: { قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا } فيه ثلاثة أقوال :

- أحدها: بخير الدنيا والآخرة.
- والثاني: بالجمع بعد الفرقة.
- والثالث: بالسلامة ثم بالكرامة.

الفائدة 843: عدم الاغترار بالمنصب

تدلنا الآية على أن الإنسان لا يقول هذا المنصب بتكائي ، وصلت إليه وهذه المكانة بقدراتي الجبارة .

أنظر إلى يوسف عليه السلام (قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) اعتراف الله بالمنة فالإنسان مهما وصل لا يغتر بما وصل إليه من مرتبه أو مرحلة ويردها إلي الله (قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) اعتراف الله بالمنة .

الفائدة 844: جزاء الصبر والتقوى

" إنه من يتق ويصبر " السياق يدل على أن المحسن من اجتمع له التقوى والصبر . وقالوا في تفسيرها : من يتق مولاه ويصبر على بلواه ، لا يضيع أجره في دنياه وعقباه .

ابن الجوزي ، زاد المسير ، قرص مضغوط⁵³⁸

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

و كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها أحسن العواقب لقوله: " قد منّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " .

الفائدة 845: دلالات التقوى والصبر

اختار أبو حيان عدم التخصيص في التقوى والصبر، وقال مجاهد. المراد من يتق في ترك المعصية ويصبر في السجن، والنخعي من يتق الزنا ويصبر على العزوبة، وقيل: من يتق المعاصي ويصبر على أذى الناس، وقال الزمخشري: المراد من يخف الله تعالى ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات.

الفائدة 846: لماذا ذكر الصبر بعد التقوى رغم أنه منها ؟

وذكر الصبر بعد التقوى من ذكر الخاص بعد العام، ويجوز أن يكون ذلك لإرادة الثبات على التقوى كأنه قيل: من يتق ويثبت على التقوى .

الفائدة 847 : من أفانين الخطابة والوعظ

وجملة (إنه من يتق ويصبر) تعليل لجملة (منّ الله علينا). فيوسف عليه السلام اتقى الله وصبر وبينامين صبر ولم يعص الله فكان تقيا. أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إثارة أبيهم إياهما عليهم. وهذا من أفانين الخطابة أن يغتم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته.

الفائدة 848: وصف يوسف نفسه بالتقوى دليل آخر على براءته

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

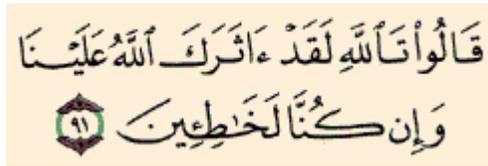
"فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" والمعنى: إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين. اعلم أن يوسف عليه السلام وصف نفسه في هذا المقام الشريف بكونه متقيا ولو أنه قدم على ما قاله البعض في حق زليخا لكان هذا القول كذبا منه وذكر الكذب في مثل هذا المقام الذي يؤمن فيه الكافر ويتوب فيه العاصي لا يليق بالعقلاء.

الفائدة 849: التحدث بنعمة الله

ثم إن هذا في مقام التحدث بالنعمة وإظهار الموعظة سائغ للأنبياء لأنه من التبليغ كقول النبي ﷺ: "إني لأنتقاكم لله وأعلمكم به" ⁵³⁹

الفائدة 850: نكتة لغوية

إن استخدام الفعل (إنه من يتق) وهو مجزوم، والعلامة حذف حرف العلة (الياء) ولأنه فعل الشرط، وأثبت قبل - بخلافه عنه - ياءه هكذا (يتقي) معاملا له معاملة الصحيح دلالة على وصف التقوى بالصحة الكاملة والممكنة الزائدة والملازمة لها في كل حال، وفي قولهم ليوسف: "وإن كنا لخاطئين" وإتيانهم بالنون الخفيفة في "إن" فخففوها تأكيدا بالإيجاز للدلالة على الاهتمام بالإبلاغ في الاعتذار في أسرع وقت.



أوجه الاستدلال من الآية:

الآية دليل على تفضيل الله ليوسف عليه السلام على إخوته، وكذا فيها دليل آخر على عدم نبوة إخوته، وفيها تشبيه لطيف على الفرق بين الخاطيء والمخطيء.

⁵³⁹ أخرجه مسلم (779/2، رقم 1108). وأخرجه أيضا: البيهقي (234/4، رقم 7894).

الفائدة 851: بماذا فضل الله يوسف على إخوته ؟

قوله تعالى: { لَقَدْ آثَرْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا } أي: اختارك وفضلك.

وبماذا عنوا أنه فضله فيه؟ أربعة أقوال :

أحدها: بالملك، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: بالصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: بالحلم والصفح عنا، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه.

والمعنى العام : لقد فضلك الله علينا بالعلم والحلم والعقل والفضل والحسن والملك

الفائدة 852: دليل آخر على عدم نبوة إخوة يوسف عليه السلام

واحتج بعضهم بهذه الآية على أن إخوته ما كانوا أنبياء، لأن جميع المناصب التي

تكون مغيرة لمنصب النبوة كالعدم بالنسبة إليه فلو شاركوه في منصب النبوة لما قالوا: {تالله

لقد آثرك الله علينا} وبهذا التقدير يذهب سؤال من يقول لعل المراد كونه زائدا عليهم في

الملك وأحوال الدنيا وإن شاركوه في النبوة لأننا بينا أن أحوال الدنيا لا يعبأ بها في جنب

منصب النبوة.

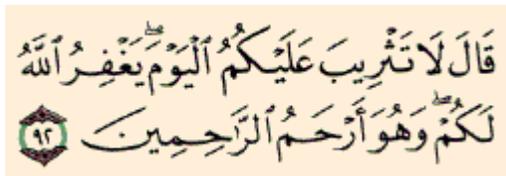
الفائدة 853: بين الخاطئ والمخطئ

قوله تعالى: { وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ } قال ابن عباس: لمذنبين آثمين في أمرك. قال ابن

الأنباري: ولهذا اختير «خاطئين» على «مخطئين» وإن كان «أخطأ» على ألسن الناس

أكثر من «خطيء يخطأ» لأن معنى الخطيء: الآثم، ومعنى المخطيء: ترك الصواب و

إن لم يَأثم.



أوجه الاستدلال من الآية :

تصوّر لنا الآية طرفاً من أخلاق يوسف عليه السلام ، ومن بينها الصفح الجميل والعفو عند المقدرة ومراعاته للمشاعر ، كما تبين لنا نجاحه في الابتلاء بالنعمة ووجهاً من الشبه بين سيرته وسيرة النبي ρ في الصفح عند الفتح ، ونختم بفائدة لغوية .

الفائدة 854: التثريب

التثريب : التعيير ومنه قول النبي ρ : " إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرب " ⁵⁴⁰ أي لا يعير . وأصله من الثرب وهو الشحم الذي هو غائشة الكرش ، ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقرع إزالة الجلد والقرع، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال، فضرب مثلاً للتثريب الذي يمزق الأعراض، ويذهب بهاء الوجه

الفائدة 855: الصفح الجميل

لقد أسقط يوسف حق نفسه بقوله " لا تثريب عليكم " ، ثم دعا الله أن يغفر لهم حقه . وهذا من شرائط الكرم فالكريم إذا قدر عفاً، والعذر عند كرام الناس مقبول. وقال شاه الكرمانى : (من نظر إلى الخلق بعين الحق لم يعبأ بمخالفتهم، ومن نظر اليهم بعينه أفنى أيامه بمخالصتهم. ألا ترى يوسف عليه السلام لما علم مجاري القضاء كيف عذر أخوته).

الفائدة 856: يوسف بين إخوته كمثل رمضان بين الشهور

قبل الشهور الإثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام ، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى عالم الغيوب ، وكان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال : " لا تثريب عليكم اليوم " فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات والعتق من النار والغفران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور. ⁵⁴¹

الفائدة 857 : طلب الحوائج من الشباب والشيوخ

⁵⁴⁰ أخرجه الطيالسى (ص 189 ، رقم 1334) ، وعبد الرزاق (393/7 ، رقم 13598) ، وأحمد (116/4) ، رقم 17084) ، والبخارى (756/2 ، رقم 2046) ، ومسلم (1329/3 ، رقم 1704) ، وأبو داود (160/4) ، رقم 4469) ، والنسائى فى الكبرى (301/4 ، رقم 7257) ، وابن ماجه (857/2 ، رقم 2565) ابن الجوزي ، بستان الواعظين ورياض السامعين ، ص 187⁵⁴¹

وقال عطاء الخراساني: طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ؛ ألم تر قول يوسف: «لَا تَتْرِبْ عَلَيَّكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» وقال يعقوب: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي». 542

الفائدة 858 : نجاح يوسف في الابتلاء بالنعمة

ينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة ، إنه كان من المحسنين " قال لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " .

الفائدة 859: صفة العفو

من الآية نستنبط العفو عند المقدرة ، وعفا: في أسماء الله تعالى: العفو، وهو فعول من العفو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة. يقال: عفا يعفو عفوًا، فهو عاف وعفو، قال الليث: العفو عفو الله، عز وجل، عن خلقه، والله تعالى العفو الغفور. وكل من استحق عقوبةً فتركها فقد عفوت عنه. قال ابن الأنباري في قوله تعالى: " عفا الله عنك لم أذنت لهم " (التوبة 43)؛ أي محا الله عنك (لسان العرب).

الفائدة 860 : الدعاء لمن ظلمك

الدعاء لمن أخطأ عليك بالمغفرة (يغفر الله لكم) فإذا ظلمك شخص وقلت له يغفر الله لك نعم فلك أجر عظيم .

الفائدة 861 : الصفح عند الفتح بين سيرة يوسف وسيرة النبي ﷺ

أخرج البيهقي في الدلائل، عن أبي هريرة-رضي الله عنه-أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، طاف بالبيت وصلى ركعتين، ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب، فقال: «ماذا تقولون، وماذا تظنون؟ قالوا: نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم، فقال: أقول كما قال يوسف

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

{لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ} فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام». 543

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أخذ بُعْضَانِيَّيِ الباب يوم فتح مكة، وقد لآذَ النَّاسُ بالبيت فقال: «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «ماذا تظنون يا معشر قريش» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم وقد قَدَرْتِ؛ قال: «وأنا أقول كما قال أخي يوسف «لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» فقال عمر رضي الله عنه: فَفِضْتُ عَرَقاً من الحياء من قول رسول الله ﷺ؛ ذلك أنني قد كنت قلت لهم حين دخلنا مكة: اليوم ننتقم منكم ونفعل، فلما قال رسول الله ﷺ ما قال استحبيبت من قولي. 544

الفائدة 862 : في قوله أرحم الراحمين

" وهو أرحم الرحمين "

. فان كل من يرحم سواه جل وعلا فإنما يرحم برحمته سبحانه مع كون ذلك مبنياً على جلب نفع أو دفع ضرر ولا أقل من دفع ما يجده في نفسه من التألم الروحاني مما يجده في المرحوم . وقيل : لأنه تعالى يغفر الصغائر والكبائر التي لا يغفرها غيره سبحانه ويتفضل على التائب بالقبول والجملة إما بيان للوثوق بإجابة الدعاء أو تحقيق لحصول المغفرة لأنه عفا عنهم فالله تعالى أولى بالعمو والرحمة لهم

الفائدة 863: نكتة لغوية

التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء في قوله : " لا تتريب عليكم " معناه اللهم اغفر لهم . 545

أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ
بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

543 البيهقي في دلائل النبوة (58/5) .

544 أخرجه ابن عساكر (384/3) . والبيهقي في السنن الكبرى (118/9)

545 ابن قيم الجوزية ، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، ص 63

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

نتكلم في خضم هذه الآية عن أنواع الإتيان وعن فائدة إرسال القميص إلى يعقوب عليه السلام ، وعن دور العامل النفسي في العلاج، وعن المعنى بالأهل في الآية ، كما نشير إلى حال ملوك مصر في زمن يوسف عليه السلام ، ونختم بأهمية تكريم الأهل.

الفائدة 864: فائدة إرسال القميص

وقوله (اذهبوا بقميصي هذا) يدل على أنه أعطاهم قميصا، فعمله جعل قميصه علامة لأبيه على حياته، ولعل ذلك كان مصطلحا عليه بينهما. وكان للعائلات في النظام القديم علامات يطلعون عليها ويحتفظون بها لتكون وسائل للتعرف بينهم عند الفتن والاعتراب، إذ كانت تعترتهم حوادث الفقد والفرق بالغزو والغارات وقطع الطريق، وتلك العلامات من لباس ومن كلمات يتعارفون بها وهي الشعار، ومن علامات في البدن وشامات. وفائدة إرساله إلى أبيه القميص أن يثق أبوه بحياته ووجوده في مصر، فلا يظن الدعوة إلى قدومه مكيدة من ملك مصر. ولقصد تعجيل المسرة له.

الفائدة 865: دور العامل النفسي في العلاج

" فألقوه على وجه أبي يأتي بصيرا " لعل يوسف عليه السلام علم أن أباه ما ذهب بصره إلا من كثرة البكاء وضيق القلب فإذا ألقى عليه قميصه فلا بد وأن ينشرح صدره وأن يحصل في قلبه الفرح الشديد وذلك يقوى الروح ويزيل الضعف عن القوى فحينئذ يقوى بصره ويزول عنه ذلك النقصان فهذا القدر مما يمكن معرفته بالعقل فإن القوانين الطبية تدل على صحته.

الفائدة 866: الإخبار بالغيب من معجزات الأنبياء

فإن قيل كيف علم يوسف أن أباه أصيب بالعمي ؟ قال العلماء أن الغيب نوعان غيب زمان وغيب مكان ، وإخبار يوسف بعمي والده في حينه ذلك من إخبار الله له بغيبات المكان ، وهو ما يسمى غيب الحاضر لأنه يخبر بحدث حدث في نفس اللحظة ولكن في مكان آخر.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وعند القرطبي (وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة وإن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي وقال الحسن لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره وكان الذي حمل قميصه يهوذا قال ليوسف أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته وأنا الذي أحمله الآن لأسره وليعود إليه بصره فحمله حكاه السدي)⁵⁴⁶

الفائدة 867: في إتيان يعقوب عليه السلام

إن الإتيان في الأول " يأت بصيرا " مجاز عن الصيرورة ولم يذكر إتيان الأب إليه لا لكونه داخلاً في الأهل بل تقادياً عن أمر الإخوة بالإتيان لأنه نوع إجبار ، فهو إلى اختياره.

وفي الثاني " وأتوني بأهلكم أجمعين " على الحقيقة وفيه التقادي المنكور ، والجزم بأنه من الآتين لا محالة وثوقاً بمحبته وإن فائدة الإلقاء إتيانه على ما أحب من كونه معافى سليم البصر .⁵⁴⁷

الفائدة 868: من هم الأهل المقصودون ؟

" وأتوني بأهلكم أجمعين " وكان أولئك الأهل نحواً من سبعين إنساناً وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس أنهم اثنان وسبعون من ولده وولد ولده ، وقيل : ثمانون ، وقيل : تسعون وأخرج ابن المنذر . وغيره عن ابن مسعود أنهم ثلاثة وتسعون . وقيل : ست وتسعون وقد نموا في مصر فخرجوا منها مع موسى عليه السلام وهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس -رضي الله عنه- قال : خرج يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام بمصر ، في اثنين وسبعين من ولده وولد ولده ، فخرجوا منها مع موسى عليه السلام وهم ستمائة ألف .⁵⁴⁸

الفائدة 869: تكريم الأهل

⁵⁴⁶ تفسير القرطبي(259/9)
الألوسي ، روح المعاني ، جزء 22 ص 99⁵⁴⁷
⁵⁴⁸ وإن كان ابن خلدون قد شكك في هذا العدد في مقدمته ، وأتى بالأدلة على صحة ما ذهب إليه ، وتلك قصة أخرى قد نعود إليها في كتب أخرى .

معنى قوله : {وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} [يوسف:93] كأن يوسف عليه السلام قال لهم اتتوني بهم ، لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا بأخبار هلكي.

الفائدة 870: تحويل الحديث من حسن الخلق

في الآية حسن تحويل يوسف للحديث للتخفيف عنهم من الحياء والخجل إلى لون آخر شأن أبيه الذي ابيضت عيناه من الحزن ، فهو معجل إلى تبشيره، معجل إلى إلقائه ، معجل إلى لقاءه ، معجل إلى كشف ما علق بقلبه من حزن ، وما ألم بجسمه من ضنى وما أصاب بصره من كلال .

الفائدة 871 : حال ملوك مصر زمن يوسف عليه السلام

في الإصحاح 45 من سفر التكوين أن يوسف عليه السلام قال لإخوته حينئذ : "وهو أي الله . قد جعلني أبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر" فالظاهر أن الملك الذي أطلق يوسف عليه السلام من السجن وجعله عزيز مصر قد توفي وخلفه ابن له فحجبه يوسف عليه السلام وصار للملك الشاب بمنزلة الأب، وصار متصرفا بما يريد، فرأى الحال مساعدا لجلب عشيرته إلى أرض مصر . ولا تعرف أسماء ملوك مصر في هذا الزمن الذي كان فيه يوسف عليه السلام لأن المملكة أيامئذ كانت منقسمة إلى مملكتين: إحداهما ملوكها من القبط وهم الملوك الذين يقسمهم المؤرخون الإفرنج إلى العائلات الخامسة عشرة، والسادسة عشرة، والسابعة عشرة، وبعض الثامنة عشرة. والمملكة الثانية ملوكها من الهكسوس. ويقال لهم: العمالقة أو الرعاة وهم عرب.

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفِنْدُونَ ﴿٩٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

يتجلى لنا من خلال هذه الآية معنى الفند ، ثم نشير إلى تضمنها معنى لطيفاً وهو التعرض للنفحات الإيمانية ، كما تخبرنا بصنوف من المعجزات والوحي بدون كلام ، ونختم بلطيفة في الطب وبقطوف لغوية .

الفائدة 872: أين قصدت القافلة ؟

" ولما فصلت العير " خرجت القافلة التي تضم إخوة يوسف عليه السلام من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام وكان قريباً من بيت المقدس والقول بأنه كان بالجزيرة لا يعول عليه.

الفائدة 873 : من الذي خاطب يعقوب ؟

والمخاطب في قوله " قال أبوهم " قيل: من بقي من ولده غير الذين ذهبوا يمتارون وهم كثير ، وقيل: ولد ولده ومن كان بحضرته من ذوي قرابته وهو المشهور .

الفائدة 874 : أهمية حاسة الشم

قول يعقوب عليه السلام : " لأجد ريح يوسف " أي أشم ، وعبر عنه بالوجود لأنه وجدان له بحاسة الشم، وهي واحدة من أهم الحواس الأساسية في الإنسان، حيث يستكشف الروائح، عن طريق التنفس، أو شم الهواء الذي يحمل الروائح. وتأتي الروائح من جزيئات الغاز التي تنبعث من مواد مختلفة منتشرة بكثرة في الهواء .

الفائدة 875: شم ريح يوسف من مسافة بعيدة معجزة ليعقوب

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

أن الأشياء المعنوية⁵⁴⁹ يحس بها الإنسان يعنى عندما يقول (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) هل يوسف ريحه يوجد في مصر إلى فلسطين؟ لكن هناك قوه خفيه الله أودعها في نفوس الناس يمكن أن تكون معجزه ليعقوب عليه السلام أن شم رائحة ولده عبر هذه المسافة الطويلة جدا .

الفائدة 876: التعرض للنفحات

لقد جاء في الأثر: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لنفحات الرحمن»⁵⁵⁰ ويقال: المؤمن المتحقق يجد نسيم الإيمان في قلبه وروح المعرفة السابقة له من الله تعالى في سره، وإنما وجد عليه السلام هذا الريح حيث بلغ الكتاب أجله وذنبت أيام الوصال وحن تصرم أيام الهجر والبلبال وإلا فلم لم يجده عليه السلام لما كان يوسف في الجب ليس بينه وبينه إلا سويعة من نهار وما ذلك إلا لأن الأمور مرهونة بأوقاتها .

الفائدة 877: من أصناف الوحي : الوحي بدون كلام

ووجدان يعقوب ريح يوسف عليه السلام إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له إذ نكره بشمة الريح الذي ضمخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته وهذا من

⁵⁴⁹ يمكن القول بأنها مادية وليست معنوية لأن هذه المرة كان معهم شيء مادي وهو القميص ذلك بخلاف كل مره ذهبوا ورجعوا لم يكن معهم شيء من مقتنيات يوسف فهم بمجرد أن فصلوا أي خرجوا من مصر وجد ريح يوسف ، انظر في تفسير القرطبي (قوله تعالى ولما فصلت العير أي خرجت منطلقاً من مصر إلى الشام يقال فصل فصولاً وفصلته فصلاً... قال أبوهم أي قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده إنني لأجد ريح يوسف وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيه فقال لمن بقي إنني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال ابن عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إليه وبينهما مسيرة ثمان ليال وقال الحسن مسيرة عشر ليال) تفسير القرطبي (259/9)

وأثر بن عباس عزاه بن كثير في تفسيره لعبد الرزاق قال أنبأنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت بن عباس يقول وذكر نحو المتقدم... والأثر صحيح الإسناد فاسرائيل وأبي سنان وابن أبي الهذيل ثقات روى لهم الشيخان.

⁵⁵⁰ أخرجه الطبراني في الكبير (233/19 ، رقم 519) . وأخرجه أيضاً : في الأوسط (180/3 ، رقم 2856) . قال الهيثمي (231/10) : فيه من لم أعرفهم ، ومن عرفتهم وثقوا . قال العجلوني (269/1) : ذكره الغزالي في الإحياء ، وقال العراقي في تخريج أحاديثه : رواه الترمذي الحكيم في النوادر .

صنف الوحي بدون كلام ملك مرسل، وهو داخل في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً).

الفائدة 878 : ما هو الفند ؟

الفند هو الحَرْف ، لذلك يقال أفند الكلام ، أي أبطله وأجعله باطلا ، ومنه التنفيد .
وفي قوله { لولا أن تفندون } أربعة أقاويل :

. أحدها : لولا أن تسفهون ، قاله ابن عباس ومجاهد ، ومنه قول النابغة الذبياني :

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فا جدها عن الفند

أي عن السفه.

. الثاني : معناه لولا أن تكذبون ، قاله سعيد بن جببر والضحاك ، ومنه قول الشاعر :

هل في افتخار الكريم من أود أم هل لقول الصديق من فند

أي من كذب .

. الثالث : لولا أن تضعفون ، قاله ابن إسحاق . والتنفيد : تضعيف الرأي ، ومنه قول الشاعر :

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمري بمرود

وكان قول هذا لأولاد بنيه ، لغيبة بنيه عنه ، فدل هذا على أن الجدُّ أبٌ .

. الرابع : لولا أن تلوموني ، قاله ابن بحر .

ومنه قول جرير :

يا عاذليّ دعا الملامة واقصرا طال الهوى وأطلتُما التنفيدا⁵⁵¹

الفائدة 879 : لطيفة في الطب

توصل العالم المسلم الأستاذ الدكتور عبد الباسط محمد سيد الباحث بالمركز القومي للبحوث بمصر على براءتي اختراع دوليتين ، بعد أن قام بتصنيع قطرة عيون لمعالجة المياه البيضاء استلهاما من سورة يوسف ، فيقول أن البياض الذي يصيب العين أو المياه البيضاء

⁵⁵¹ الماوردي ، النكت والعيون ، ج 2 ص 251

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

عبارة عن عتامة تحدث لعدسة العين تمنع دخول الضوء جزئيا أو كليا ، وذلك حسب درجة العتامة ، وعندما تبلغ العتامة حدها الأقصى تضعف الرؤية .
وعن علاقة الحزن بظهور المياه البيضاء، التفسير أن الحزن يسبب زيادة هرمون (الأدرنالين) وهذا يعتبر مضادا للأنسولين ، وبالتالي فإن الحزن الشديد أو الفرح الشديد يسبب زيادة في هرمون الأدرنالين الذي يسبب بدوره زيادة في سكر الدم ، وهو أحد مسببات العتامة .

وبعد التفكير في قوله تعالى : " اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتي بصيرا " وجد أن الحل يكمن في مكونات عرق الإنسان .
فقد عزل أحد مكونات العرق الأساسية ، ثم أحدث عتامة لعدسة العين وحسب كمية الضوء النافذ من خلالها قبل وضع قطرة العرق ، فوجد أن كمية الضوء النافذ تزداد من 2 % إلى 60 % في خلال ربع ساعة ، ثم 90 % خلال ثلاثين دقيقة ثم 99 % خلال ساعة .
وأرسل صورة البحث إلى براءة الاختراع الأوروبية ثم الأمريكية ، وتولى الأمر هناك بيوت الخبرة فشكلت لجنة لامتحان الاختراع ، وقد أجاز من براءة الاختراع الأوروبية عام 1991 ومن براءة الاختراع الأمريكية عام 1993 مع اشتراط نسبته إلى مصدره القرآني .

الفائدة 880 : نكت لغوية

- والريح: الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم.
- وأكد هذا الخبر ب(أن) واللام لأنه مظنة الإنكار ولذلك أعقبه ب(لولا أن تفندون).
 - وجواب (لولا) محذوف دل عليه التأكيد، أي لولا أن تفندوني لتحققتم ذلك.
 - وفائدة التأكيد في هذه الآية تحقيق هذه الكرامة الحاصلة ليعقوب عليه السلام لأنها خارق عادة، ولذلك لم يؤت ب(أن) في نظائر هذه الآية مما لم يكن فيه داع للتأكيد.

قَالُوا تَأْتِيكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتساءل عن معنى الضلال في هذه الآية ، كما نشير إلى عظم قبح الكلام مع الوالدين وما يقابله من حلم يعقوب عليه السلام .

الفائدة 881: الضلال

- قوله عز وجل : { قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم } فيه أربعة تأويلات :
- أحدها : أي في خطئك القديم ، قاله ابن عباس وابن زيد .
 - الثاني : في جنونك القديم ، قاله سعيد بن جبير . قال الحسن : وهذا عقوق .
 - الثالث : في محبتك القديمة ، قاله قتادة وسفيان .
 - الرابع : في شغائك القديم ، قاله مقاتل ، ومنه قول لبيد :
- تمنى أن تلاقي آل سلمى بحطمة والمنى طرف الصّلال
أي لفي خطئك القديم من حب يوسف، أو لفي نفس ذهابك القديم عن الصواب في إفراط محبتك ليوسف .⁵⁵²

الفائدة 882: القبح والغلظة في الكلام

وعلى كلٍ فقد قال أهل يعقوب عليه السلام كلمة غليظة ما ينبغي أن يقال لأب فكيف إذا كان رسولا وقد واجهوه بهذا الكلام القبيح الفج . قال قتادة: قد قالوا كلمة غليظة ولم يكن يجوز أن يقولوها لنبي الله .

الفائدة 883: حلم يعقوب عليه السلام وصفحه عن أهله

كأن يعقوب عليه السلام تمثّل قوله تعالى : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " (الفرقان 63) لأنه كريم ، ولأنه سمع هذا الكلام من أناس لا يعرفون من الله ما يعرف وقد قيل ما تساب اثتان إلا انحطّ الأعلى إلى رتبة الأسفل ، وقد سب أحد الحكماء فلم يرد فقيل له في ذلك ، فقال : أدخل حربا الغالب فيها شر من المغلوب .

⁵⁵² الماوردي ، النكت والعيون ، ج 2 ص 251

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۗ
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تنبئنا الآية بأنه لا بد من الفرج بعد الشدة ، كما نبين من خلالها المراد بعلم يعقوب عليه السلام ، كما لا زالت السورة تكشف لنا عن نوع من البيان وهو بيان الإبصار .

الفائدة 884 : الفرج بعد الشدة

إن الفرج مع الكرب ، وإن العسر مع يسرا ، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أن أنهى ما يكون ، ثم حصل الاضطراب لآل يعقوب ومسهم الضر ، أذن الله حينئذ بالفرج ، فحصل التلاقي ، في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا ، فتم بذلك الأجر وحصل السرور ، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أوليائه بالشدة والرخاء والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم وعرفانهم .

الفائدة 885 : ما المراد بعلم يعقوب

هكذا قال يعقوب عليه السلام: {ألم أقل لكم إنني أعلم من الله ما لا تعلمون} والمراد علمه بحياة يوسف من جهة الرؤيا أو الوحي ، لأن هذا المعنى هو الذي له تعلق بما تقدم.

الفائدة 886 : السورة كشف وبيان للإبصار

ها هو سيدنا يعقوب (عليه السلام) حين يعود أولاده من مصر دون (بنيامين) شقيق يوسف يحزن عليه حزناً شديداً ، ويتذكر مصابه بيوسف ، فيفقد بصره ، وفاقد البصر تخفى عليه مظاهر الأشياء . لكن قميص يوسف الذي حُمل إلى سيدنا يعقوب من مصر ، وألقي

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

على وجهه يعيد إليه بصره الذي فقده ، وإذا كان فقدَ البصر (غياب وستر وإخفاء للأشياء) فإن الإبصار من بعد ذلك (حضور لما غاب ، وكشف لما ستر ، وإبانة لما أُخفي⁵⁵³).

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تحدثنا الآية عن إقرار واعتراف إخوة يوسف عليه السلام بذنوبهم أخيراً وهو الطريق الصحيح لتوبتهم ، كما أن في طلبهم المغفرة من أبيهم رغم طلبهم ذلك سابقاً من يوسف عليه السلام ، عبر سنشير إليها في موطنها .

الفائدة 887: جملة من ذنوب إخوة يوسف

كأن إخوة يوسف عليه السلام يقولون استغفر لنا ذنوبنا فهي كثيرة : قد حقدنا وحسدنا ثم كذبنا وبالقتل هممنا وأخانا في الجب ألقينا ثم بك استهزأنا وللأرحام قطعنا.

الفائدة 888 : طلب الاستغفار من الوالدين عند العقوق

نستشف من الآية وجوب طلب الاستغفار من الأب عند عقوقه ، فإن إخوة يوسف عقوا أباهم فما هي الكفارة إذا واحد عق أباه أو أمه ؟
أن يقول يا أباي استغفر لي هذا من كفارات العقوق لأن هؤلاء قالوا (يا أبانا استغفر لنا)

الفائدة 889 : لماذا طلب إخوة يوسف الاستغفار ؟

⁵⁵³ ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

قوله عز وجل : { قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا } وإنما سألوه ذلك لأمرين :
أحدهما : أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإجلاله .
الثاني : أنه نبئ تجاب دعوته ويعطى مسأله .

الفائدة 890: الاعتراف بالخطأ من شيم العقلاء

اعتراف إخوة يوسف عليه السلام بالخطأ بقولهم (إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) من شيم العقلاء غير المتكبرين . فالمتكبر هو الذي لا يعترف بالخطأ مما يجر صاحبه إلي استحلال المحرمات حتى يسوغ لنفسه فعلها .

الفائدة 891: لماذا سألوا أباهم الاستغفار رغم أن يوسف قد استغفر لهم ؟

فإن قيل قد تقدمت المغفرة لهم بقول يوسف من قبل { لا تثريب عليكم } الآية ، فلم
سألوا أباهم أن يستغفر لهم؟
فعن ذلك ثلاثة أجوبة :
- أحدها : لأن لفظ يوسف عن مستقبل صار وعداً ، ولم يكن عن ماض فيكون خبراً
- الثاني : أن ما تقدم من يوسف كان مغفرة في حقه ، ثم سألوا أباهم أن يستغفر لهم
في حق نفسه .
- الثالث : أنهم علموا نبوة أبيهم فوثقوا بإجابته ، ولم يعلموا نبوة أخيه فلم يتقوا
بإجابته . 554

الفائدة 892 : طلب المغفرة بداية للتوبة

وقول إخوة يوسف عليه السلام (استغفر لنا ذنوبنا) توبة واعتراف بالذنب، فسألوا أباهم
أن يطلب لهم المغفرة من الله.

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

الماوردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 285⁵⁵⁴

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية أسرار تتعلق بالرقائق لاسيما الاستغفار والدعاء والتوبة، وجملة من الخصائص المتعلقة بها جميعا .

الفائدة 893: لماذا أحرَّ يعقوب الاستغفار ؟

إنما وعد يعقوب أبناءه بالاستغفار في المستقبل لأحد الأسباب التالية :
. أراد أن ينبههم إلى عظم الذنب وعظمة الله تعالى وأنه سيكرر الاستغفار لهم في أزمنة مستقبلية .
. وقيل أحرَّ الاستغفار لهم إلى ساعة هي مظنة الإجابة ، وعن ابن عباس مرفوعا أنه أحرَّ إلى ليلة الجمعة ، رواه الطبري، وقال ابن كثير : في رفعه نظر
. وقيل أراد أن يتعرف منهم صدق التوبة
. وقيل حتى يسأل يوسف هل عفا عنهم
. وقال بعضهم: وعدهم الاستغفار لأنه لم يفرغ بعد من استبشاره إلى استغفاره
. أو حتى يستأذن ربه تعالى في الاستغفار لهم فيأذن سبحانه لئلا يكون مردودا فيه كما رد نوح عليه السلام في ولده بقوله تعالى : " إنه ليس من أهلك " (هود 46)

الفائدة 894: بين تعجيل يوسف واستبطاء يعقوب

إنما أسرع يوسف بالاستغفار لهم ووعد يعقوب عليهما السلام لأن يعقوب كان أشد حبا لهم فعاتبهم بالتأخير ويوسف لم يرههم أهلا للعتاب ، فتجاوز عنهم من أول وهلة أو اكتفى بما أصابهم من الخجل وكان خجلهم منه أقوى من خجلهم من أبيهم ، وفي المثل كفى للمقصر حياء يوم اللقاء .

الفائدة 895: فضل الدعاء وقت السحر

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

نقل ابن كثير عن ابن جرير بسنده إلى محارب بن دثار قال : كان عمر رضي الله عنه يأتي المسجد فيسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي ، قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال : إن يعقوب أحرّ بنيه إلى السحر بقوله : " سوف أستغفر لكم ربي " .

الفائدة 896 : هل الأجر طلب الاستغفار أم التوبة ؟

وإنما سأله عن الاستغفار لهم وإن كان المستحق في ذنوبهم التوبة منها دون الاستغفار لهم ثلاثة أمور :

- أحدها : للتبرك بدعائه واستغفاره .
- الثاني : طلباً لاستعطافه ورضاه .
- الثالث : لحذرهم من البلوى والامتحان في الدنيا⁵⁵⁵

الفائدة 897: باب التوبة مفتوح مهما عظمت الذنوب

إن في قول يعقوب عليه السلام : " إنه هو الغفور الرحيم " ثلاث توكيدات : الأولى بأداة إن ، والثاني بكلمة هو والثالث بأداة التعريف (أل) . وكل هذا ليبين عليه السلام لأولاده بأن مغفرة الله واسعة رغم عظم الذنوب التي أتوها وهذا مصداقاً لقوله تعالى : " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " (الزمر / 53)

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَابِهِ
وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ ﴿١١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

الموردي ، النكت والعيون ، جزء 2 ص 285⁵⁵⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

تضم الآية جملة من الفرائد منها آداب استضافة الضيوف عند قدومهم ، ومكانة الوالدين ، ومكانة الأمن في القرآن ، كما أن فيها لطائف تتعلق بإطلاق الأم على الخالة وعلى أهمية الاستثناء بقول إن شاء الله وفائدته في هذا الموضع .

الفائدة 898: من البرتوكول استضافة الوفود قبل دخولها البلد

فإن قيل : ما معنى دخول أهل يوسف عليه قبل دخولهم مصر؟

فالجواب : أنه حين استقبلهم أنزلهم في خيمة ، أو بيت هناك ، فدخلوا عليه وضم إليه أبويه وقال : { ادخلوا مصرَ إن شاءَ اللهُ آمِنِينَ } ، أي : أقيموا بها آمنين ، سمى الإقامة دخولاً؛ لاقتران أحدهما بالآخر .

وقد روي أنّ يوسف بعث مع البشير إلى يعقوب مائتي راحلة ، وجهازاً كثيراً ، ليأتوا بيعقوب وأهله وولده ، فخرجوا وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة ، فلمّا دنا من مصر كَلَّم يوسف الملك الذي فوقه ، فخرج يوسف ، والملك في أربعة آلاف من الجُنْدِ ، وركب أهل مصر معهما فتلقوا يعقوب ، وهو يتوكأ على يهوذا ماشياً؛ فنظر إلى الجبل ، وإلى الناس فقالوا : يا يهوذا : هذا ملك مصر؟ قال : لا هذا ابنك يوسفُ.

وهذا من البرتوكولات الدبلوماسية ، حيث يُستقبل الوفد المهم عند مشارف البلاد ، قبل أن يدخلها لاحقاً بعد إتمام إجراءات الترحيب .

الفائدة 899: مكانة الوالدين تعرف بالفراق عنهما

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ} (يوسف: 99) لأنهما ذاقا طعم مرارة الفراق

فخصهما من بينهم بمزيد الدنو يوم التلاق، ومن هنا يتبين أين منازل العاشقين يوم الوصال.

الفائدة 900: من إكرام الوالدين تخصيص غرفة لهما

تؤكد الآية " أوى إليه أبويه " على إكرام الأبوين وبرهما ، فيوسف عليه السلام أوى إليه أبويه وضمهما إلي مسكنه الخاص والباقي أنزلهم في غرف الضيوف . مثل أن يكون لك غرفة خاصة مهيئة مزينة فإذا جاء والدك أو والدتك تؤويهم في نفس المكان الذي أنت فيه ؟ أم في غرفة الضيف ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

غرفة الضيف يمكن أن تكون لأي أحد لكن إذا أنزلتهم في مكانك الخاص فهذا زيادة إكرام وهذا ما يليق بالوالدين والبر بهما .

الفائدة 901 : إطلاق الأم على الخالة

قوله " آوى إليه أبويه " وأبواه أحدهما يعقوب عليه السلام وأما الآخر فالصحيح أن أم يوسف عليه السلام وهي راحيل توفيت قبل ذلك حين ولدت بنيامين، ولذلك قال جمهور المفسرين: أطلق الأبوان على الأب وزوج الأب وهي لينة خالة يوسف عليه السلام وهي التي تولت تربيته على طريقة التغليب والتنزيل.

ويقال إن أمه راحيل قد ماتت في ولادة بنيامين ولذلك سمي بنيامين واليامين وجع الولادة بلسانهم⁵⁵⁶ وجاء عن النبي ρ أنه قال " الخالة أم " ⁵⁵⁷.

الفائدة 902: الوصال بعد الفراق

ما أحلى الوصال، بعد الفراق، وما أذ شهود الحبيب على الاشتياق، فبقدر طول البين يعظم قدر الوصال، ويقدر حمل مشاق الطلب يظفر بالمأمول. فجذّ أيها العبد في طلب مولاك، وغبّ في سيرك إليه عن حظوظك وهواك، تظفر بالوصل الدائم في عزك وعُلاك، وتتصل بكل ما كنت تأمله من مطالبك ومُنأك

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا...فسبحان من جمع هذه الأسرة بعد هذه الفترة الطويلة .

الفائدة 903 : طمأنة الخائف تخفف من كربيه

السمرقندي، تفسير السمرقندي، جزء 2 ص 210⁵⁵⁶
⁵⁵⁷ أخرجه الحاكم (232/3)، رقم (4939) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (284/2)، رقم (2278)، والبيهقي (6/8)، رقم (15549).

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

طمأنة الخائف في قوله (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) آمنين على أنفسكم ، وأموالكم ، وأهلكم لا تخافون أحداً ، وكان فيما سلف يخافون ملك مصر ، وقيل : آمنين من القحطِ والشدة .

وهذا يذكّرنا بما قاله الرجل الصالح في قصة موسى (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (القصص:25) لأن هذا ما يحتاج إليه الشخص الخائف .

الفائدة 904: الاستثناء بقول إن شاء الله

قوله " إن شاء الله " قال السدي في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال :

- الأول : أنه عائدٌ إلى الأمن ، والمعنى : ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله ، كقوله تعالى { لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمِنِينَ } [الفتح : 27] .
- وقيل : إنَّه عائدٌ إلى الدُّخول .
- وقيل : « إن » هنا بمعنى : « إذ » يريدُ : إن شاء الله ، كقوله : { وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 139] أي : إذ كنتم مؤمنين .

الفائدة 905: بم تتعلق المشيئة في الآية ؟

فإن قلت: بم تعلقت المشيئة قلنا: بالدخول مكيفاً بالأمر ، لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم: اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله. ونظيره قولك للغازي: ارجع سالماً غانماً إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقاً ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة مكيفاً بهما. والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذو الحال.

الفائدة 906: الأمن في القرآن

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

" آمنين " والأمن: حالة اطمئنان النفس وراحة البال وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك، ولذلك قالوا في دعوة إبراهيم عليه السلام (رب اجعل هذا البلد آمنا) إنه جمع في هذه الجملة جميع ما يطلب لخير البلد.

الفائدة 907: نكتة لغوية

- إطلاق الكل على البعض في قوله: " ادخلوا مصر " ومعلوم أنه لم يستوعبها⁵⁵⁸

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ
مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

⁵⁵⁸ ابن قيم الجوزية ، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، ص 46

الآية مناسبة للحديث عن السجود في شريعة يوسف عليه السلام ، كما أن فيها جملة من الآداب السامية لهذا النبي الكريم منها التحديث بنعم الله عليه ، والحفاظ على مشاعر إخوته وشكر الله تعالى على لم شمل العائلة وعدم ذكر إخوته بسوء .
كما أن فيها إشارة لصفة من صفات الله تعالى وهي اللطف وما يتعلق بها ، وخاصة اللطف من الشيطان ونزغه . لنتم بالحديث عن البادية والحضر والفرق بينهما، وعن المشيئة وكشف الرموز والإشارات في الآية .

الفائدة 908: السجود في شريعة يوسف

" وخرّوا له سجداً " كان هذا السجود جائزاً في شريعته يوسف عليه السلام، ولا يجوز في شرعنا لحديث أنس أن النبي ﷺ قال (لَا يَصْلُحُ لِيَشْرِبَ أَنْ يَسْجُدَ لِيَشْرِبَ وَلَوْ صَلَّى لِيَشْرِبَ أَنْ يَسْجُدَ لِيَشْرِبَ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِرُؤُوسِهَا مِنْ عِظْمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فُرْحَةً تَنْبَجِسُ بِالْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ ثُمَّ اسْتَقْبَلْتَهُ فَاحْسَنْتَهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ) ⁵⁵⁹
و ذكر بن كثير (644/2) في تفسير هذه الآية "وخرّوا له سجداً" { أي سجد له أبواه وإخوته الباقون. وكانوا أحد عشر رجلاً وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة وجعل السجود مختصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره. وفي الحديث أن معاذاً قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال " ما هذا يا معاذ؟" فقال إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال: "لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها". وفي حديث آخر: أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالإسلام فسجد للنبي ﷺ فقال: "لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحبي الذي لا يموت" والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم ولهذا خروا له سجداً. }

الفائدة 909: سبق يعقوب للسجود ليطبعه أبناءه

⁵⁵⁹ أخرجه أحمد (158/3 ، رقم 12635) . وأخرجه أيضاً : الضياء (265/5 ، رقم 1895) . قال الهيثمي (4/9) : رواه أحمد والبخاري والبيهقي وغيرهم . وهو ثقة ، قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 7725 في صحيح الجامع.

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

لعل إخوة يوسف عليه السلام حملتهم الأنفة والاستعلاء على أن لا يسجدوا له على سبيل التواضع، وعلم يعقوب عليه السلام أنهم لو لم يفعلوا ذلك لصار ذلك سببا لثوران الفتن ولظهور الأحقاد القديمة بعد كمونها فهو عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حقه بسبب الأبوة والشيخوخة والتقدم في الدين والنبوة والعلم فعل ذلك السجود، حتى تصير مشاهدتهم لذلك سببا لزوال الأنفة والنفرة عن قلوبهم ألا ترى أن السلطان الكبير إذا نصب محتسبا فإذا أراد ترتيبه مكنه في إقامة الحسبة عليه ليصير ذلك سببا في أن لا يبقى في قلب أحد منازعة ذلك المحتسب في إقامة الحسبة فكذا ههنا.

الفائدة 910: ألم تكن رؤيا يوسف كافية لطمأننة يعقوب ؟

" وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل " فإن قيل : فإن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا صادقة فهلاً وثق بها يعقوب وتسلى؟ ولم {قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً } وما يضر الكيد مع سابق القضاء؟
قيل عن هذا جوابان :

- أحدهما : أنه رآها وهو صبي فجاز أن تخالف رؤيا الأنبياء المرسلين .
- الثاني : أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوى وخاف كيد الإخوة في تعجيل الأذى

الفائدة 911: إحسان الله إلى يوسف

قوله " وقد أحسن بي " فإن إضافة (قد) لفعل (أحسن) اقتضت وقوع إحسان غير معدود، فإن ذلك الوقت كان زمن ثبوت براءته من الإثم الذي رمت به امرأة العزيز وتلك منه، وزمن خلاصه من السجن فإن السجن عذاب النفس بالانفصال عن الأصدقاء والأحبة، وبخلطه من لا يشاكلونه، وبشغله عن خلوة نفسه بتلقي الآداب الإلهية، وكان أيضا زمن إقبال الملك عليه. وأما مجيء أهله فزوال ألم نفساني بوحشته في الانفراد عن قرابته وشوقه إلى لقائهم، فأفصح بذكر خروجه من السجن، ومجيء أهله من البدو إلى حيث هو مكين قوي.

الفائدة 912 : لماذا ذكر يوسف نجاته من السجن ولم يذكر نجاته من الجب ؟

قال يوسف { وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن } فإن قيل فلم اقتصر من ذكر ما بُلي به على شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله في الجب أخطر؟
قيل عنه ثلاثة أجوبة :

- أحدها : أنه كان في السجن مع الخوف من المعرفة ما لم يكن في الجب فكان ما في نفسه من بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر .
- الثاني : أنه قال ذلك شكراً لله عز وجل على نقله من البلوى إلى النعماء ، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب ، فصار أخص بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملكاً ، وبخروجه من الجب عبداً . فالنعمة أكبر
- الثالث : أنه لما عفا عن إخوته بقوله { لا تثريب عليكم اليوم } أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ لإخوته وتعريفهم بما فعلوه فترك ذكره توقيراً لهم،
وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله : { وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن } أي من سجن السخط إلى فضاء الرضا .

الفائدة 913: الحفاظ على مشاعر الآخرين

من الآية نستنبط الحفاظ على مشاعر الآخرين وعدم جرحها وإيذاءها ، فإن يوسف عليه السلام قال (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) ما قال بعد ما ظلمني أخوتي ما قال بعد ما القوني في الجب يعنى وضع اللوم على الشيطان بدلا من أن يضعه على أخوته وهذا من مكارم الأخلاق ومما يليق بالأنبياءهذه أخلاق الأنبياء .

الفائدة 914: التحديث بنعمة الله وتذكر الحال الأولى

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

إنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر ، وسوء حال ، أن يعترف بنعمة الله عليه ، وأن لا يزال ذاكرًا حاله الأولى ، ليحدث لذلك شكرًا ، كلما ذكرها لقول يوسف عليه السلام : " وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ".
ويؤيد هذا ما ورد في حديث الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص و الأعمى والأقرع ، الذين دعوا الله أن يغير حالهم إلى الأحسن، فلما استجاب لهم، أنكروا ماضيهم خلا الأبرص، فعاقبهم الله تعالى بارجاعهم إلى ما كانوا عليه .

الفائدة 915: الاعتراف بالنعم في جميع الأحوال

الاعتراف لله بالنعم في جميع الأحوال التي يتقلب فيها الإنسان .
(أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ) (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) أي منه من الله على أن جمع شمل العائلة مره أخرى وإخراجي من الجب نعمه.... وإخراجي من السجن نعمه... ولم شمل العائلة نعمه .

الفائدة 916: من مكارم الأخلاق عدم ذكر الأسماء

قال يوسف : (أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ) ولم يقل الجب فلماذا؟
طبعًا يلاحظ أن يوسف هنا قال (أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ) ولم يقل الجب مراعاة لإخوانه لأنهم هم الذين القوه في الجب فأعرض عن ذكره بالمره.... فأنت إذا ظلمك أحد أقربائك مثلا فلا تقل الحمد لله انتهينا من المشاكل التي عملها فلان بل اعرض عن هذا واضرب عنه صفحا ولا تذكره وهذا من مكارم الأخلاق . وهذا خلق الأنبياء (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا يَكْفُرِي لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام:90)

الفائدة 917 : البادية والبدو

" وجاء بكم من البدو " أي البادية، وأصله البسيط من الأرض وإنما سمي بذلك لأن ما فيه يبدو للناظر لعدم ما يواريه ثم أطلق على البرية مطلقاً، وكان منزلهم على ما قيل:

بأطراف الشام ببادية فلسطين وكانوا أصحاب إبل وغنم، وزعم بعضهم أن يعقوب عليه السلام إنما تحول إلى البادية بعد النبوة لأن الله تعالى لم يبعث نبياً من البادية.⁵⁶⁰

الفائدة 918: هل البادية أفضل أم الحاضرة ؟

إن الفتنة تتنوع بتنوع المقامات؛ ففتنة أهل العبادات: تعذر إقامة الشريعة لكثرة الهرج والفتن، وفتنة أهل التزكية: تعذر جمع القلب بالله؛ لكثرة الحس، وتعرض الشواغل والعلائق. فمن وجد ذلك في الحواضر فلينتقل إلى البوادي، إن وجد من يعينه على الدين. والغالب أن الحواضر في هذا الزمان يغلب فيها العوائد والشهوات، وتعتري فيها الشواغل والشواغب، بخلاف البادية. فإذا كان عليه الصلاة والسلام أذن لسلمة: خوف فتنة الظاهر، فأولى خوف فتنة الباطن؛ لأنه إذا فسد القلب فسد الجسد كله.

الفائدة 919 : الجمع بين علم المدن وتفرغ البوادي

لقد وجد كثير من الأولياء بالمدن والحواضر، وكثير منهم في القرى والمداشر. وفضل الله يؤتية من يشاء، لا يختص بمكان ولا زمان، غير أن جلهم جمعوا بين علم المدن وتفرغ البوادي، يعني: جمعوا بين شريعة المدن وحقيقة البوادي؛ لأن أهل المدن شريعتهم قوية، وحقيقتهم ضعيفة. والبوادي بالعكس؛ لكثرة العلائق في المدن وخفتها في البوادي، والحقيقة تحتاج إلى تفرغ كبير وتفكر كثير، والله تعالى أعلم.

الفائدة 920 : نزغ الشيطان

{مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} أي أفسد وحرش، وأصله منه نزغ الرابض الدابة إذا نسخها وحملها على الجري.
وانظر كيف ربط بين وسوسة الشيطان وكيد اخوته له ، وكأنه استحضر مقولة أبيه عندما كان يوسف لا يزال طفلاً صغيراً : " فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين " ، فمن

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

جهة اجتنب أن يذكر إخوته بسوء وهو من شيم الكرام ، ومن جهة أخرى بقيت آثار التربية النبوية الصافية على يد يعقوب عليه السلام رغم تباعد السنين .[♦]

الفائدة 921: من صفات الله اللطيف

قوله " إن ربي لطيف لما يشاء " اللطيف صفة من صفات الله واسم من أسمائه، وفي التنزيل العزيز: " الله لطيف بعباده "، وفيه: "وهو اللطيف الخبير"؛ ومعناه الخفي عن الإدراك أو العالم بالخفيات، أو المتفضل بإيصال المرافق والمنافع ، من أبواب بعيدة عن العقول والأوهام ، أو الرفيق بعباده ، والكل صحيح .

ولطفه تعالى بخلقه من وجوه كثيرة ، أعظمها تسهيل الطاعات وتيسير الموافقات، وحفظ التوحيد في القلوب ، وإطلاعها على المكاشفة بعلم الغيوب ، وصيانة العقائد من الارتباب ، وسلامة القلوب من الاضطراب ، قال تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة " (إبراهيم / 27) .⁵⁶¹

فقال أبو سليمان الخطابي: هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الاعرابي: اللطيف الذي يوصل إليك أريك في رفق؛ ومنه قولهم: لطف الله بك؛ ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية. وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض .

وقال ابن الأثير في تفسيره: اللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه.

الفائدة 922: التخلق باللطف

يكون التخلق باللطف بالاعتناء بتلطيف بشريته ، وتقوية روحانيته ، حتى تتلطف في حقه جميع الأواني لغلبة شهود المعاني .

♦ اختلف في المدة التي كانت بين الرؤيا وبين تحققها على أقوال شتى عدّها ابن الجوزي سبعا ، أقلها 18 سنة وأكثرها 97 سنة ، وصوّب الألوسي أن مدة 40 سنة هو قول الأكثرين وأن تأويل الرؤيا ينتهي إليه ، والله تعالى أعلم ، وإن كنا نرى أن العبرة ليست بالعدد في مثل هذه المواطن ، وإنما تكون في عدم استعجال تحقق الرؤيا ولنا في يوسف عليه السلام أعظم قدوة .

⁵⁶¹ محمد بن عجيبة الحسني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص 139

وفي ذلك يقول ابن الفارض :

ولطف الأواني في الحقيقة تابع لطف المعاني والمعاني بما تسمو
وبتحصيل العلم بأنوار الصفات وبإغاثة الملهوف ، وإرشاد المتلوف ، وجبر المكسور
وإعطاء الميسور .⁵⁶²

ومن علم أنه الخفي عن الإدراك ، عظمه على قدر تمكن ذلك من قلبه . ومن علم أنه
العالم بالخفيات ، يحذر أن يطلع عليه فيما هو فيه ، ويثق بعلمه ، وحاله . ومن علم أنه
المتفضل بإيصال المنافع ، التجأ إليه ، ولا يعول إلا عليه .

الفائدة 923: من لطف الله بيوسف

لقد كان لطف الله بيوسف عظيماً ، حيث نقله في تلك الأحوال وأوصل إليه الشدائد
والمحن ليوصله بها إلى أعلى الغايات ، ورفيع الدرجات . وكم لطف بيوسف :
. فلم يجعله يموت في الجب
. ولم يجعله يبقى في السجن
. ولم يبق فقيراً
. ولم يبق مظلوماً
و إنما لطف به وجمعه بأهله بعد سنين

الفائدة 924: السورة كشف وبيان للرموز والإشارات

وتنتهي قصة يوسف بسجود أبويه وإخوته له، تأويلاً لرؤياه التي جاءت في بداية القصة
، فالرؤيا التي بدأت رمزاً وإشارة ودلالة ، وهي أمور خفية غامضة تعتمد الإيحاء، ها هي
الآن تتكشف وتظهر لا تأويلاً لفظياً مثلما فعل سيدنا يعقوب أوّل القصة، وإنما فعلاً حقيقياً
وواقعاً ملموساً ، ليقول يوسف في نهاية الأمر) يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا.⁵⁶³

⁵⁶² محمد بن عجيبة الحسني ، تفسير الفاتحة الكبير ، ص 140
⁵⁶³ ياسر محمود الأقرع ، الإعجاز البياني في سورة يوسف ، شبكة الأنترنت

الفائدة 925: نكتة لغوية

ومعنى (أحسن بي) أحسن إلي. يقال: أحسن به وأحسن إليه، من غير تضمين معنى فعل آخر. وقيل: هو بتضمين أحسن معنى لطف. وباء (بي) للملابسة أي جعل إحسانه ملابساً لي، وخص من إحسان الله إليه دون مطلق الحضور للامتياز أو الزيادة إحسانين هما يوم أخرجه من السجن ومجيء عشيرته من البادية.

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

في الآية توجيهات عدة نبدأها بسر طلب يوسف عليه السلام للوفاة ونتبعها بتحليل لدعائه عليه السلام حيث تضمن لطف الله به ، وتواضع يوسف وسؤاله حسن الخاتمة وتضمن دعاءه لجوامع الكلم . ثم نتكلم عن طلب الوفاة في شريعتنا والشرائع السابقة لها ، وكيف أن الله تعالى امتدح يوسف عليه السلام في مواضع من السورة من جملتها هذا الموضوع الذي يشير فيه هذا الرسول الكريم إلى هوان الدنيا وإلى أن النقصان يعتري كل كمال فيها .

الفائدة 926: العلم والملك لا يساويان من علم الله وملكه شيئاً

قول يوسف عليه السلام : " من الملك ومن تأويل الأحاديث " ، أي بعضاً عظيماً منه . فمن . للتبعض ، وهو إشارة إلى أن ملك الدنيا مهما كان عظيماً فهو لا يساوي في ملك الله شيئاً ، وأن العلم مهما كان واسعاً فهو أمام علم الله تعالى لا يكاد يذكر ، كما ورد بذلك حديث الخضر مع موسى عليه السلام، إذ لما ركبا السفينة وجاء عصفور فنقر في البحر

نقرة، قال له : " ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر " . 564

ورغم هذا، فإننا نرى من يغره ملكه فيفضي به ذلك إلى الطغيان والتجبر وإلى بطر الحق (أي رده) ، ومنهم من يغتر بعلمه فيسلمه إلى غمط الناس (أي احتقارهم) ، وهذان الشقان - أقصد بطر الحق وغمط الناس كما ورد بذلك الحديث الصحيح - هما أس الكبر الذي يمقته الله تعالى ويدخل صاحبه النار والعياذ بالله تعالى . ♦

الفائدة 927 : المراد بالملك وتأويل الأحاديث

لقد ذكر يوسف عليه السلام ثلاث نعم: اثنتان دنيويتان وهما: نعمة الولاية على الأرض ونعمة العلم، والثالثة أخروية وهي نعمة الدين الحق المعبر عنه بالإسلام. وعلى هذا يكون المراد بالملك التصرف العظيم الشبيه بتصريف الملك إذ كان يوسف عليه السلام هو الذي يسير الملك برأيه. ويجوز أن يراد بالملك حقيقته ويكون التبعض حقيقياً، أي آتيتي بعض الملك لأن الملك مجموع تصرفات في أمر الرعية، وكان ليوسف عليه السلام من ذلك الحظ الأوفر، وكذلك تأويل الأحاديث. وتقدم معنى تأويل الأحاديث عند قوله تعالى (ويعلمك من تأويل الأحاديث) في هذه السورة.

الفائدة 928: لماذا قدّم يوسف الملك على تأويل الأحاديث ؟

لعل تقديم إيتاء الملك على تأويل الأحاديث في الذكر لأنه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وإن كان ذلك أيضاً نعمة جلييلة في نفسه فتذكر وتأمل.

564 جزء من حديث طويل جدا رواه البخاري (4725) ومسلم (2380) ، وفيه من العبر والفوائد الكثير ، وقد رجع إليه في مؤلف خاص إن يسر الله تعالى ذلك بفضلله وامتنانه .

♦ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " فقال رجل : إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : " إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " - رواه مسلم (91) - وراجع إن شئت في ذلك رياض الصالحين الباب 72 ، تحريم الكبر والإعجاب .

الفائدة 929: الفاطر

قال أبو عبيدة: الفاطر، معناه: الخالق. وقال ابن قتيبة: المبتدئ. ومنه «كل مولود يولد على الفطرة» أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم. وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها، قال الزجاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى: الخلق، والانفطار: الانشقاق في قوله تعالى: { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقهما خلقا قاطعا. والانفطار، والفطور، تقطع وتشقق.

الفائدة 930: يوسف يطلب من الله الوفاة على الإيمان

وقبل أن يسدل الستار على المشهد الأخير المثير ، نشهد يوسف ينزع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والابتهاج والجاه والسلطان ، والرغد والأمان . . . ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر ! كل دعوته - وهو في أبهة السلطان ، وفي فرحة تحقيق الأحلام - أن يتوفاه ربه مسلما وأن يلحقه بالصالحين .

الفائدة 931: لماذا سأل يوسف عليه السلام الوفاة ؟

بمناسبة قوله تعالى على لسان يوسف : " توفي مسلما وألحقني بالصالحين " قال ابن كثير : وهذا الدعاء يحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول : " اللهم في الرفيق الأعلى " ⁵⁶⁵ ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللاحق

⁵⁶⁵ أخرجه أحمد (231/6 ، رقم 25989) ، ومسلم (1893/4 ، رقم 2444) ، والترمذي (525/5) ، رقم 3496) ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضاً : مالك (238/1 ، رقم 564) ، والبخاري (1614/4) ، رقم 4176) ، وابن حبان (585/14 ، رقم 6618) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره ، لا أنه سأل ذلك منجزاً ، كما يقول الداعي لغيره : أماتك الله على الإسلام ، ويقول الداعي : اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً ، وكان ذلك سائغاً في ملتهم كما قال قتادة : قوله : توفني مسلماً وألحقني بالصالحين " لما جمع الله شمله وأقر عينه ، وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها ونضارتها ، اشتاق إلى الصالحين قبله .

وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام . قال ابن عباس : يريد : لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه . وكان ابن عقيل يقول : لم يتمن يوسف الموت ، وإنما سأل أن يموت على صفة . والمعنى : توفني إذا توفيتني مسلماً .

الفائدة 932: بعد اكتمال الأمر يكون النقصان

{توفني مسلماً} طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير والحسن كما قال يعقوب لولده {ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} آل عمران: 102 ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل {وألحقني بالصالحين} من آبائي أو على العموم . وعن عمر بن عبد العزيز : أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له : صنع الله على يدك خيراً كثيراً : أحبيت سنناً وأمت بدعاً وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال : أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال : " توفني مسلماً وألحقني بالصالحين " .

الفائدة 933: عدم جواز تمني الوفاة في شريعتنا

ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس أن يوسف عليه السلام أول نبي دعا بذلك ، وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام ، وكما أن نوحاً أول من قال : " رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً " (نوح / 28) . ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك ، وهو ظاهر قول قتادة ، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان ولا بد متمنيا الموت فليقل : اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي " ⁵⁶⁶

ولكن عند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال : " اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئمونني ."

الفائدة 934 : من الآداب تقديم الثناء عند الدعاء

اعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام حكى عن جبريل عليه السلام عن رب العزة أنه قال : "من شغله ذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين" ⁵⁶⁷ فهذا المعنى من أراد الدعاء فلا بد وأن يقدم عليه ذكر الثناء على الله فهنا يوسف عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء قدم عليه الثناء وهو قوله: {رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر * السماوات والأرض} ثم ذكر عقيب الدعاء وهو قوله: {توفني مسلما وألحقتني بالصالحين} ونظيره ما فعله الخليل صلوات الله عليه في قوله: {الذى خلقتني فهو يهدين} (الشعراء: 78) من هنا إلى قوله: {رب هب لي حكما} (الشعراء: 83) ثناء على الله ثم قوله: {رب هب لي} إلى آخر الكلام دعاء فكذا ههنا.

الفائدة 935: لماذا تمنى يوسف الموت على الإسلام رغم نبوته ؟

لقائل أن يقول: الأنبياء عليهم السلام يعلمون أنهم يموتون لا محالة على الإسلام، فكان هذا الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل وأنه لا يجوز ؟

والجواب: أحسن ما قيل فيه أن كمال حال المسلم أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الإسلام ويرضى بقضاء الله وقدره، ويكون مطمئن النفس منشرح

⁵⁶⁶ أخرجه الطيالسي (ص 268 ، رقم 2003) ، وأحمد (101/3 ، رقم 11998) ، وعبد بن حميد (ص 411 ، رقم 1398) ، والبخاري (2337/5 ، رقم 5990) ، ومسلم (2064/4 ، رقم 2680) ، وأبو داود (188/3 ، رقم 3109) ، والترمذي (301/3 ، رقم 970) ، والنسائي (3/4 ، رقم 1820) ، وابن ماجه (1425/2 ، رقم 4265) ، وابن حبان (248/3 ، رقم 968) .

⁵⁶⁷ رواه البخاري في التاريخ الكبير (115/2) والشهاب في مسنده (340/1) والبيهقي في شعب الإيمان (413/1)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الصدر منفسح القلب في هذا الباب، وهذه الحالة زائدة على الإسلام الذي هو ضد الكفر، فالمطلوب ههنا هو الإسلام بهذا المعنى.⁵⁶⁸

الفائدة 936: لماذا كانت الدنيا مذمومة والموت مطلوباً ؟

إن الخطباء والبلغاء وإن أطنبوا في مذمة الدنيا إلا أن حاصل كلامهم يرجع إلى أمور ثلاثة: . أحدها: أن هذه السعادات سريعة الزوال مشرفة على الفناء والألم الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها. . وثانيها: أنها غير خالصة بل هي ممزوجة بالمنغصات والمكدرات. . وثالثها: أن الأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل فيها بل ربما كان حصة الأراذل أعظم بكثير من حصة الأفاضل، فهذه الجهات الثلاثة منفرة عن هذه اللذات، ولما عرف العاقل أنه لا سبيل إلى تحصيل هذه اللذات إلا مع هذه الجهات الثلاثة المنفرة لا جرم يتمنى الموت ليتخلص عن هذه الآفات.

الفائدة 937: سؤال حسن الخاتمة

إنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه ، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك ، و يسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام في الآية " توفي مسلماً " .

الفائدة 938: دعاء يوسف من جوامع الكلم

جمعت هذه الدعوة من يوسف عليه السلام ما يأتي :

- الإقرار بالتوحيد
- والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه
- والبراءة من موالاته غيره سبحانه

⁵⁶⁸ ابن عادل، اللباب من علوم الكتاب ، جزء 9 ص 364

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد ، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد
- والاعتراف بالمعاد
- وطلب مرافقة السعداء .⁵⁶⁹

الفائدة 939: عن العوالم والأرواح

واعلم أن مراتب الموجودات ثلاثة:
المؤثر الذي لا يتأثر وهو الإله تعالى وتقدس .
والمتأثر الذي لا يؤثر وهو عالم الأجسام، فإنها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة .
والأعراض المتضادة فلا يكون لها تأثير في شيء أصلا، وهذان القسمان متباعدان جدا .
ويتوسطهما قسم ثالث، وهو الذي يؤثر ويتأثر، وهو عالم الأرواح، فخاصية جوهر الأرواح أنها تقبل الأثر والتصرف عن عالم نور جلال الله، ثم إنها إذا أقبلت على عالم الأجسام تصرفت فيه وأثرت فيه، فتعلق الروح بعالم الأجسام بالتصرف والتدبير فيه، وتعلقه بعالم الإلهيات بالعلم والمعرفة.

وقوله تعالى: {قد أتيتني من الملك} إشارة إلى تعلق النفس بعالم الأجسام وقوله: {وعلمتني من تأويل الأحاديث} إشارة إلى تعلقها بحضرة جلال الله، ولما كان لا نهاية لدرجات هذين النوعين في الكمال والنقصان والقوة والضعف والجلاء والخفاء، امتنع أن يحصل منهما للإنسان إلا مقدار متناه، فكان الحاصل في الحقيقة بعضا من أبعاض الملك، وبعضا من أبعاض العلم، فهذا السبب ذكر فيه كلمة "من" لأنها دالة على التبعية.

الفائدة 940: وصية يوسف لأهل مصر

لما مات يوسف عليه السلام أراد قومه أن يحملوه إلى الأرض المقدسة فلم يتركهم أهل مصر واختلفوا في دفنه وأراد أهل كل محلة أن يدفن في مقابرهم وكاد أن يقع بينهم قتال حتى إصطلحوا واتفقوا على أن يدفن عند قسمة مياههم في أعلى مصر لكي يصيب بركته أهل مصر وكان هناك إلى زمن موسى عليه السلام فرفعه موسى وحمله إلى الأرض

⁵⁶⁹ ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، ص 318

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

المقدسة ووضعه عند آبائه وقد كان يوسف أوصى إلى بني إسرائيل أن يحملوا عظامه * من أرض مصر إذا خرجوا من أرض مصر⁵⁷⁰

الفائدة 941: مدح الله تعالى ليوسف في ثمانية مواضع

قوله تعالى " رب قد آتيتني من الملك " قال الفقيه أبو الليث رحمه الله : إن الله تعالى مدح يوسف في هذه السورة في ثمانية مواضع :

. أولها أن أخوته لما فعلوا به ما فعلوا صرف العداوة من إخوته إلى الشيطان فقال " من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي "

. والثاني حين راودته المرأة قال " إنه ربي أحسن مثواي " فعرف حرمة سيده ولم يهتك حرمة

. الثالث " قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه " فاختار السجن على الشهوة الحرام والرابع قال " وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء * بعد ما ظهر أن الذنب كان من غيره

. والخامس لما اعتذر إليه إخوته قال لهم " لا تثريب عليكم واليوم "

. والسادس أنه بعث القميص على يد إخوته كما أدخلوا على أبيهم الحزن في الابتداء أراد أن يدخلوا عليه السرور فقال " اذهبوا بقميصي هذا "

. والسابع لما لقي أباه لم يذكر عنده ما لقي من الشدة وإنما ذكر المحاسن حيث قال " يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو "

. والثامن لما تم أمره تمنى الموت وترك الدنيا⁵⁷¹

الفائدة 942: نكتة لغوية

براعة المطلب وحسن التوسل في قوله : " رب قد آتيتني من الملك " .

* المقصود بالعظام هنا هو جسم يوسف عليه السلام ، لأنه معلوم أن أجساد الأنبياء قد حرّمت على الدود، كما بيّنه الألباني في بحث له قيم في هذا الباب .

السمرقندي ، المرجع السابق، جزء 2 ص 212⁵⁷⁰

* على من نسب هذا القول ليوسف عليه السلام والأرجح أنه لزوجة العزيز كما أسلفنا السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، جزء 2 ص 211⁵⁷¹

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

تبين لنا الآية أن الوحي بقصة يوسف عليه السلام دليل آخر على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأن فيها إنباء بغيب ماض، وأن هذا القصص مدعاة إلى الإيمان، زيادة على أن أسلوب الآية تحمل التهكم بالمكذبين وفيها نكتة لغوية تخص هذا النوع البياني من التهكم .

الفائدة 943 : من دلائل نبوة محمد ﷺ

قد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا ﷺ لأنه أنزل عليه هذا القرآن وفصل له هذه القصة ، مع أنه ﷺ لم يكن حاضرا لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به ، وجعله في غيابت الجب ، فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه .⁵⁷²

الفائدة 944: التهكم بالمكذبين من أساليب القرآن

قال بعض المحققين: إن هذا تهكم بمن كذبه وذلك من حيث أنه تعالى جعل المشكوك فيه كونه عليه السلام حاضراً بين يدي أولاد يعقوب عليه السلام ماكرين فنفاه بقوله: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ} وإنما الذي يمكن أن يرتاب فيه المرتاب قبل التعرف هو تلقيه من أصحاب هذه القصة، وكان ظاهر الكلام أن ينفي ذلك فلما جعل المشكوك ما لا ريب فيه لأن كونه عليه الصلاة والسلام لم يلق أحداً ولا سمع كان عندهم كفلق الفجر جاء التهكم البالغ وصار

⁵⁷² محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 218

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

حاصل المعنى قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى من القرون الخالية وإنكاركم لما أخبر به يفضي إلى أن تكابروه بأنه قد شاهد من مضى منهم، وهذا

كقوله تعالى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} (الأنعام: 144) ومنه يظهر فائدة العدول عن أسلوب {مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ} إلى هذا الأسلوب وهو أبلغ مما ذكر أولاً، وذكر لترك ذلك نكتة أخرى أيضاً وهي أن المذكور مكرهم وما دبروه وهو مما أخفوه حتى لا يعلمه غيرهم فلا يمكن تعلمه من الغير ولا يخلو عن حسن، وأياً ما كان ففي الآية إيذان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه.

الفائدة 945 : القصص مدعاة إلى الإيمان

" ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك " باعتبار إفادتها أن هذا القرآن وحي من الله وأنه حقيق بأن يكون داعياً سامعياً إلى الإيمان بالنبي ρ . ولما كان ذلك من شأنه أن يكون مطعماً في إيمانهم عقب بإعلام النبي ρ بأن أكثرهم لا يؤمنون.

الفائدة 946: من المراد بإجماع الأمر والمكر؟

" وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم " للم يبين هنا الذي أجمعوا أمرهم عليه ، ولم يبين هنا أيضا المراد بمكرهم ، ولكنه بين في أول السورة الكريمة أن الذي أجمعوا أمرهم عليه هو جعله في غيابات الجب وأن مكرهم هو ما فعلوه بأبيهم يعقوب وأخيهم يوسف ، وذلك في قوله تعالى : " فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب " .

الفائدة 947: نكتة لغوية

في قوله " وما كنت لديهم " الآية قد يسمى في علم البيان بالاحتجاج للنظر، وبعضهم يسميه المذهب الكلامي ، وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج وفيه تهكم مرير بهم، لأنه قد علم كل أحد أن محمداً ρ ما كان معهم ، فإذا أخبر به ، وقصه هذا القصص البديع ، لم تقع شبهة في أنه ليس منه .⁵⁷³

أوجه الاستدلال من الآية :

نجيب عن سؤال من المقصود بالناس في هذه الآية ،ونورد نكتة لغوية

الفائدة 948: المقصود بالناس في الآية

قال ابن الأنباري: سألت قريش واليهود رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت مشروحة شرحاً وأفياً فأمل عليه الصلاة والسلام أن يكون ذلك سبب إسلامهم، وقيل: إنهم وعدوه أن يسلموا فلما لم يفعلوا عزّاه تعالى بذلك. وقيل: إنها نزلت في المنافقين، وقيل: في النصارى، وقيل: في المشركين فقط، وقيل: في أهل الكتاب فقط.

الفائدة 949: نكتة لغوية

في قوله تعالى " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " فن الاعتراض ، وفائدة الاعتراض من وجهين :

- أولهما : تصوير حرصه ﷺ على إيمان قومه وهدايتهم وتهالكه على ردهم عن غيهم ، وحرفهم عن مظان الخطأ ومواطن الضلال ، واستهدافه للأذى في سبيل هذا الحرص، مع علمه بعدم جدوى ذلك ، واستحالة إقلاعهم عمّا هم فيه.
- وثاني الوجهين : تصوير لجأجتهم ووجود عقليتهم ، وإصرارهم على الغي الذي هم فيه شارعون ، وبه آخذون ، وعنادهم ومكابرتهم فيما لا تجدي معه الحجج والبراهين الثابتة المنيرة .

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

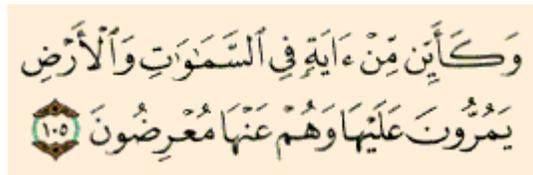
مما يستفاد من الآية أن الرسول ρ مبعوث للعالمين وكذا يستفاد حرمة أخذ الأجر على القيام بالواجبات .

الفائدة 950: عالمية الرسالة المحمدية

في الآية دلالة صريحة على أن النبي ρ قد أرسل للناس كافة، ومن ثم فرسالته عالمية لا تختص بزمان أو مكان . مع الإشارة إلى أن هذه الآية أنزلت في المرحلة المكية .

الفائدة 951: حرمة أخذ أجر على أداء الواجبات

وعليه تكون الآية دليلاً على حرمة أخذ الأجرة على أداء الواجبات، وفيه تفصيل .



أوجه الاستدلال من الآية :

تحدثنا الآية عن وجوب النظر في آيات الله الكونية ، وتذم الغفلة والإعراض عنها ، كما تجرنا إلى الحديث عن أقسام النظر في هذه الآيات بما يشمل العلوم والفنون الكونية .

الفائدة 952: في الآيات الدالة على رب السماوات

والمراد من " الآية " الدليل الدال على وجود الصانع ووحدانيته وكمال علمه وقدرته، وهي وإن كانت مفردة لفظاً لكنها في معنى الجمع أي آيات لمكان كائن، والمعنى وكأي عدد شئت من الآيات الدالة على صدق ما جئت به غير هذه الآية {فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي كائنة فيهما من الإجمام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض العجائب الفائتة للحصر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

الفائدة 953: ذم الغفلة والإعراض عن التفكير والاعتبار

وقوله تعالى: { وكأين من آية... } الخ، فيه ذم الغفلة، والإعراض عن التفكير والاعتبار؛ فإن الحق . جل جلاله . ما أظهر هذه الكائنات إلا ليعرف بها، وتظهر فيها أسرار ذاته، وأنوار صفاته.

قال في لطائف المنن: (فما نصبت الكائنات لتراها، ولكن لترى فيها مولاها؛ فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها؛ تراها من حيث ظهوره فيها، ولا تراها من حيث كونيتها).

الفائدة 954: معنى المرور في الآية

قوله : " يمرون " المعنى أنهم يجيئون ويذهبون في الأرض ويرون آثار الأمم الهالكة وما فيها من الآيات والعبر ولا يتفكرون في ذلك. وهو مرور مذموم، عكس مرور الكرام المحمود الذي هو اجتناب للمعاصي والآثام. " وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً " (الفرقان / 72)

الفائدة 955: دلائل التوحيد وأقسامها

واعلم أن دلائل التوحيد والعلم والقدرة والحكمة والرحمة لا يبد وأن تكون من أمور محسوسة، وهي إما الأجرام الفلكية وإما الأجرام العنصرية.
1- أما الأجرام الفلكية: فهي قسمان: إما الأفلاك وإما الكواكب.

. أما الأفلاك (الفلك): فقد يستدل بمقاديرها المعينة على وجود الصانع وقد يستدل بكون بعضها فوق البعض أو تحته، وقد يستدل بأحوال حركاتها إما بسبب أن حركاتها مسبوقة بالعدم فلا بد من محرك قادر، وإما بسبب كيفية حركاتها في سرعتها وبطئها، وإما بسبب اختلاف جهات تلك الحركات.

. وأما الأجرام الكوكبية (الرياضيات الكونية) فتارة يستدل على وجود الصانع بمقاديرها أحيائها وحركاتها، وتارة بألوانها وأضوائها، وتارة بتأثيراتها في حصول الأضواء والأظلال والظلمات والنور .

2- وأما الدلائل المأخوذة من الأجرام العنصرية: فإما أن تكون مأخوذة من بسائط، وهي عجائب البر والبحر، وإما من المواليد وهي أقسام:

. أحدها: الآثار العلوية كالرعد والبرق والسحاب والمطر والثلج والهواء وقوس قزح. (علم الطبيعة)

. وثانيها: المعادن على اختلاف طبائعها وصفاتها وكيفياتها.(الجيولوجيا)

. وثالثها: النبات وخاصة الخشب والورق والثمر واختصاص كل واحد منها بطبع خاص وطعم خاص وخاصة مخصوصة.(علم النبات)

. ورابعها: اختلاف أحوال الحيوانات في أشكالها وطبائعها وأصواتها وخلقتها.(علم الحيوان) وخامسها: تشريح أبدان الناس وتشريح القوى الإنسانية وبيان المنفعة الحاصلة فيها فهذه مجامع الدلائل.(البيولوجيا)

ومن هذا الباب أيضا قصص الأولين وحكايات الأقدمين وأن الملوك الذين استولوا على الأرض وخرّبوا البلاد وقهروا العباد ماتوا ولم يبق منهم في الدنيا خبر ولا أثر ثم بقي الوزر والعقاب عليهم (التاريخ)

هذا ضبط أنواع هذه الدلائل والكتاب المحتوي على شرح هذه الدلائل هو شرح جملة العالم الأعلى والعالم الأسفل والعقل البشري لا يفي بالإحاطة به فلهذا السبب ذكره الله تعالى على سبيل الإبهام .⁵⁷⁴

⁵⁷⁴ ابن عادل، اللباب من علوم الكتاب ، جزء 9 ص 395 مع تصرف

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نركز في هذه الآية على التوحيد بشقيه توحيد الألوهية والربوبية ، ونتعرض لنقيضه وهو الشرك ، حيث نجيب عن من المعني بالشرك في هذه الآية ، ونفصل في أنواع من الشرك كالنذر والعبادة لغير الله ، وفي نماذج من الشرك الظاهر والخفي .

الفائدة 956: الإيمان يقتضي توحيد الألوهية إلى جانب الربوبية

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وأكثر المفسرين : إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس ، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته .

فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شؤونهم ، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جدا .

وهذه الآيات القرآنية تدل على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة ، أي عبادة الله وحده لا شريك له ، ويدل لذلك قوله تعالى : " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " .

الفائدة 957: بين الإيمان اللغوي والشرعي

الذي يظهر أن هذا الإيمان المقيد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان البتة شرعا ، أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق⁵⁷⁵ ، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعا .

كما مر بنا في فائدة سابقة : الإيمان أصله التصديق⁵⁷⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجمع الشرك فلا إشكال في تقييده به وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى: "قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" (الحجرات 14). فهو الإسلام اللغوي ، لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه ، والعلم عند الله تعالى .⁵⁷⁶

الفائدة 958: من المقصود بالمشركين في هذه الآية؟

- قوله عز وجل : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } فيه ستة أوجه :
- أحدها : أنه قول المشركين الله ربنا وألهتنا ترزقنا ، قاله مجاهد .
 - الثاني : أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى ، قاله الحسن .
 - الثالث : هو أن يشبه الله تعالى بخلقه ، قاله السدي .
 - الرابع : أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وقلان لهلك فلان ، وهذا قول أبي جعفر .
 - الخامس : أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بمحمد ﷺ ، فلا يصح إيمانهم حكاه ابن الأنباري .⁵⁷⁷
 - السادس : وقال بعض العلماء : نزلت آية : " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " في قول الكفار في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهو راجع إلى ما ذكر .

الفائدة 959: النذر والعبادة لغير الله من الشرك

وقد يقال نظراً إلى مفهوم الآية: إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقته مثلاً وكان مرتكباً ما يعد شركاً كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتمدون للنفع والضرر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود.

⁵⁷⁶ محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، ص 218
⁵⁷⁷ الماوردي ، النكت والعيون ، ج 2 ، ص 258

الفائدة 960: إبطال اعتراف قريش والعرب بأن الله خالقهم

وجملة "وما يؤمن أكثرهم بالله" في موضع الحال من ضمير "يمرون" أي وما يؤمن أكثر الناس إلا وهم مشركون. والمراد ب"أكثر الناس" أهل الشرك من العرب. وهذا إبطال

لما يزعمونه من الاعتراف بأن الله خالقهم كما في قوله تعالى "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" وبأن إيمانهم بالله كالعدم لأنهم لا يؤمنون بوجود الله إلا في تشريكهم معه غيره في الإلهية.

الفائدة 961: نماذج من الشرك الخفي

وفي الأحاديث نماذج من هذا الشرك الخفي:

- روى الترمذي - وحسنه - من رواية ابن عمر: "من حلف بغير الله فقد أشرك" ⁵⁷⁸.
- وروى أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الرقى والتمايم والتولة شرك" ⁵⁷⁹.
- وفي مسند الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "من علق تميمة فقد أشرك" ⁵⁸⁰.
- وعن أبي هريرة - بإسناده - قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه" ⁵⁸¹.

⁵⁷⁸ أخرجه الطيالسي (ص 2 57 ، رقم 1896) ، وأحمد (125/2 ، رقم 6072) ، والترمذي (110/4 ، رقم 1535) وقال : حسن . والحاكم (65/1 ، رقم 45) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (29/10 ، رقم 19614) ، والضياء (313/1 ، رقم 205) . وأخرجه أيضاً : أبو داود (223/3 ، رقم 3251) ، وأبو عوانة (44/4 ، رقم 5967) ، وابن حبان (199/10 ، رقم 4358)

⁵⁷⁹ أخرجه أحمد (381/1 ، رقم 3615) ، وأبو داود (9/4 ، رقم 3883) ، وابن ماجه (1166/2 ، رقم 3530) ، والحاكم (463/4 ، رقم 8290) ، وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين . والبيهقي (350/9 ، رقم 19387) . وأخرجه أيضاً : أبو يعلى (133/9 ، رقم 5208) .

⁵⁸⁰ أخرجه أحمد (156/4 ، رقم 17458) قال الهيثمي (103/5) : رجاله ثقات . والحاكم (243/4 ، رقم 7513) وأخرجه أيضاً : الحارث كما في بغية الباحث (600/2 ، رقم : 563) .

⁵⁸¹ أخرجه مسلم (2289/4 ، رقم 2985) ، وابن ماجه (1405/2 ، رقم 4202) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد ابن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله ρ : " إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادي مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله , فليطلب ثوابه من عند غير الله , فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك "582

- وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن محمود بن لبيد أن رسول الله ρ قال: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال:

الرياء . يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جاء الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء " ؟ 583
فهذا هو الشرك الخفي الذي يحتاج إلى اليقظة الدائمة للتحرز منه ليخلص الإيمان .

الفائدة 962: نماذج من الشرك الظاهر

هناك الشرك الواضح الظاهر , وهو الدينونة لغير الله في شأن من شؤون الحياة .
الدينونة في شرع يتحاكم إليه - وهو نص في الشرك لا يجادل عليه - والدينونة في تقليد من التقاليد كاتخاذ أعياد ومواسم يشعرها الناس ولم يشعرها الله . والدينونة في زي من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر ويكشف أو يحدد العورات التي نصت شريعة الله أن تستر .

والأمر في مثل هذه الشؤون يتجاوز منطقة الإثم والذنب بالمخالفة حين يكون طاعة وخضوعا ودينونة لعرف اجتماعي سائد من صنع العبيد , وتركنا للأمر الواضح الصادر من رب العبيد . . إنه عندئذ لا يكون ذنبا , ولكنه يكون شركا . لأنه يدل على الدينونة لغير الله فيما يخالف أمر الله . . وهو من هذه الناحية أمر خطير . .

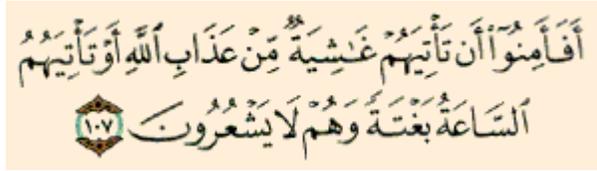
582 أخرجه أحمد (466/3 ، رقم 15876) ، والترمذى (314/5 ، رقم 3154) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (1406/2 ، رقم 4203) ، والطبرانى (307/22 ، رقم 778) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (330/5 ، رقم 6817) . وأخرجه أيضاً : ابن حبان (130/2 ، رقم 404) .

583 أخرجه أحمد (428/5 ، رقم 23680) . قال المنذرى (34/1) : إسناده جيد . وقال الهيثمى (102/1) : رجاله رجال الصحيح .

الفائدة 963: تصحيح الاعتقاد هو هدف الإسلام

إن تصحيح الاعتقاد والعبادة هو الهدف الأول للإسلام، فقد كانت الأمم الأولى تعرف الله معرفة يشوبها القصور والخطأ، فلم يكن بد من إزاحة هذا الجهل ودحض تلك الشبهات .

والتوحيد الذي يلح الإسلام في تقريره ويحض البشر على فهمه والأخذ به ليس بدعة جاء بها النبي محمد ، كلا إنه توكيد الدعوة الأولى التي هتف بها الأنبياء أجمعون ، وإبراز الأصل الذي قامت عليه ديانتهم كلها.⁵⁸⁴



أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرض هنا إلى معنى الغاشية في الآية لغة واصطلاحاً ، ثم نبين أن الساعة من مقتضيات الإيمان

الفائدة 964: في الغاشية

والغشي والغشيان: الإحاطة من كل جانب "وإذا غشيهم موج كالظلل".
والغاشية: الحادثة التي تحيط بالناس. والعرب يؤنثون هذه الحوادث مثل الطامة والصاخة والداهية والمصيبة والكارثة والحادثة والواقعة والحاقة.

الفائدة 965 : الساعة من مقتضيات الإيمان

من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالساعة ، وهي الساعة التي تنتهي فيها الحياة الدنيا بجميع أوضاعها ، وتبدأ القيامة بكل أهوالها ، ويصف القرآن الساعة وأحداثها وصفا يهز النفس من أقطارها ، ويبعث الرهبة في أعماقها .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

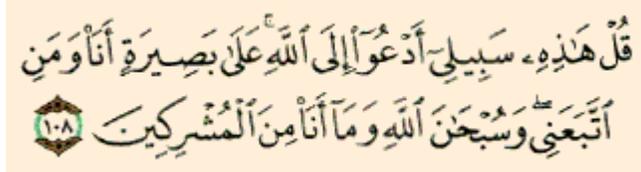
" يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أننا لمردودون في الحافرة " . " إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت و إذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت " .

ولاقتراب الساعة أمارات يذكرها القرآن والأحاديث .

ولقد اقتربت الساعة منذ بعثة الرسول ﷺ ، فقد جاء في الحديث : " بعثت الساعة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى " 585

ولكن مقياس الزمن عند الله غير مقاييسنا ، فحين أنذر الرسول ﷺ مشركي العرب باقتراب الساعة حسبوا أنها أيام معدودة بحسابهم . ثم تأتي الساعة ، فلما رأوها لم تأت قالوا له : أين العذاب الذي أنذرتنا به ؟ وأين يوم القيامة الذي زعمت أنه قريب ؟

فرد عليهم الله في أكثر من آية : " بل يريد الإنسان أن يفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة " وما يدريك لعل الساعة قريب " 586 .



أوجه الاستدلال من الآية :

حديثنا ينصب في هذه الآية على أهمية الدعوة وتقريبها إلى الناس وارتكازها على التوحيد ، وكذا عن حاجتها إلى العلم ، وأنها من واجبات الكفاية وأنها سبيل الأنبياء جميعا . لنختم بالحديث عن حقيقة الإلتباع وتنزيه الله عن أي شرك .

الفائدة 966: على الداعي تقريب الدعوة إلى الناس

585 أخرجه أحمد (123/3 ، رقم 12267) ، والبخارى (2385/5 ، رقم 6139) ، ومسلم (2268/4) ، رقم 2951 ، والترمذي (496/4 ، رقم 2214) وقال : حسن صحيح . وعبد بن حميد (ص 353 ، رقم 1166) ، وابن حبان (11/15 ، رقم 6640) .

586 محمد قطب ، ركائز الإيمان ، ص 397 بتصرف

في قوله " قل هذه سبيلي " ما يوحي بأن الدعوة الحق التي تجدي أثرا في النفوس هي الدعوة الراشدة التي تتبع عن اقتناع وحسن رؤية للأمر ، حتى يراها قريبة من نفسه فيستطيع تقربها إلى الناس ومن أجل هذا قال سبحانه (هذه) إشارة للقريب .

الفائدة 967: الدعوة سبيل الأنبياء جميعا

وقوله "قل هذه سبيلي" الآية، فإن تلك الآي تضمنت الحجة على صدق الرسول ρ فيما جاءهم به، وضمنت أن الذين أشركوا غير مصدقينه عنادا وإعراضا عن آيات الصدق. فالمعنى أن إرسال الرسل عليهم السلام سنة إلهية قديمة فلماذا يجعل المشركون نبوءتك أمرا مستحيلا فلا يصدقون بها مع ما قارنها من آيات الصدق فيقولون "أبعث الله بشرا رسولا". وهل كان الرسل عليهم السلام السابقون إلا رجالا من أهل القرى أوحى الله إليهم فيماذا امتازوا عليك. فلم المشركون ببعثتهم وتحذثوا بقصصهم وأنكروا نبوءتك. وراء هذا معنى آخر من التنكير باستواء أحوال الرسل عليهم السلام وما لقوه من أقوامهم فهو وعيد باستواء العاقبة للفريقين.

الفائدة 968: الدعوة إلى توحيد الله أصل الأمر

في قوله " أدعو إلى الله " أي أدعو الناس إلى معرفته سبحانه بصفات كماله ونعوت جلاله ومن جملتها التوحيد توحده تعالى ذاتاً وصفاتاً، ومن هنا ندرك أن أي دعوة لا ترتكز أساسا على التوحيد الحق يكون مآلها الفشل والاضمحلال.

الفائدة 969: حاجة الدعوة إلى العلم

" على بصيرة " وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها ، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه ، بل لأبد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

حد أقصى يصل إليه السعي ، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام ،
والله يؤتي فضله من يشاء .⁵⁸⁷

الفائدة 970: دلالة أنا في الآية

إن قوله " أنا " في هذه المناسبات لا صلة لها بالمعاني الضيقة التي تعرف بها بل هي صيحة القوة لنصرة الحق، وفتحة العمل لدعم الإيمان، والتعهد بأداء الواجب وإن بهضت تكاليفه، والشعور الحاد بأن المرء قبل غيره مفروض عليه أن يقوم بما ندب إليه .
وفي الحديث أيضا " إن أخشاكم وأعلمكم بالله أنا " فأنا هنا ليست ترجمة غرور واستعلاء ولا يمكن أن تؤدي إلى هذه المشاعر، وإنما هي تحديد للمصدر الذي يؤخذ منه الحق، وتقتبس منه الأسوة الحسنة وينظر إلى ما عداه على أنه تنكب والتواء.⁵⁸⁸

الفائدة 971: الدعوة من واجبات الكفاية

" ومن اتبعني " وفي هذا دلالة على أن أصحاب النبي ﷺ والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون. وقد قاموا بذلك بوسائل بث القرآن وأركان الإسلام والجهاد في سبيل الله. وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في صدر زمان البعثة المحمدية واجبا على الأعيان لقول النبي ﷺ : " بلغوا عني ولو آية " ⁵⁸⁹. أي بقدر الاستطاعة. ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجبا على الكفاية كما دل عليه قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) الآية في سورة آل عمران.

الفائدة 972: تنزيه الله عن الشرك وعن صفات النقص

قوله تعالى: { وَسُبْحَانَ اللَّهِ } المعنى: وقل سبحان الله تنزيها له عما أشركوا.

⁵⁸⁷ابن القيم ، التفسير القيم ، ص 319
محمد الغزالي ، جدد حياتك ص 227 ⁵⁸⁸
⁵⁸⁹ أخرجه أحمد (159/2 ، رقم 6486) ، والبخارى (1275/3 ، رقم 3274) ، والترمذى (40/5) ، رقم 2669 وقال : حسن صحيح . وابن حبان (149/14 ، رقم 6256) . وأخرجه أيضا : الدارمى (145/1) ، رقم 542) ، والقضاعي(387/1 ، رقم 662) ، والديلمى (9/2 ، رقم 2081) .

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

وسبحان: مصدر التسييح جاء بدلا عن الفعل للمبالغة. والتقدير: وأسبح الله سبحانه، أي أدعو الناس إلى توحيده وطاعته وأنزله عن النقائص التي يشرك بها المشركون من ادعاء الشركاء، والولد، والصاحبة.

الفائدة 973: نكتة لغوية

- قال الفراء وجماعة: "ومن اتبعني" معطوف على الضمير في "أدعو" يعني أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو، وهذا قول الكلبي. قال: حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة. ويقوي هذا القول من وجوه كثيرة.

- قال ابن الأنباري: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: "إلى الله" ثم بيتدى بقوله "على بصيرة أنا ومن اتبعني" فيكون الكلام على قوله جملتين:

أخبر في أولهما أنه يدعو إلى الله والثانية: بأنه مع أتباعه على بصيرة.

والقولان متلازمان فلا يكون الرجل من أتباعه حقا حتى يدعو إلى ما دعا إليه ويكون على بصيرة.

وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَا لَأُوحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

أوجه الاستدلال من الآية:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

نجيب على جملة من الأسئلة المتعلقة بهذه الآية هي : هل كان من الأنبياء نساء ، ولماذا كان الرسل من أهل الحواضر لا من أهل البوادي ، ولماذا أمر القرآن بالنظر في سنن السابقين ، لنختم بالإجابة عن معنى الدار .

الفائدة 974 : هل كان من الأنبياء نساء ؟

يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء ، وهذا قول جمهور العلماء كما دلّ عليه سياق هذه الآية أن الله لم يوح إلى امرأة من بني آدم وحي تشريع ، وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات ، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وبقوله تعالى : " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه " الآية . وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى : " إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " .

وهذا القدر حاصل لهن ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك ، فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لا شك فيه ، ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرد أم لا ؟

الذي عليه أهل السنة والجماعة هو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صدّقات كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى : " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام " فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقية فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام فهي صدّيقة بنص القرآن .⁵⁹⁰

الفائدة 975: الرسل من أهل التحضر والتمدن

{مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} كان الأنبياء من أهل المدن لأن أهلها - كما قال ابن زيد وغيره - أعلم وأحلم من أهل البادية . ولذا يقال: لأهل البادية أهل الجفاء ، وذكروا أن التبدي مكروه إلا في

⁵⁹⁰ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جزء 2 ص 514

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الفتن، وفي الحديث «من بدا جفا»⁵⁹¹ قال قتادة: ما نعلم أن الله تعالى أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى، ونقل عن الحسن أنه قال: لم يبعث رسول من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن .

قال قتادة : من أهل الأمصار دون البوادي لأنهم أعلم وأحلم .

الفائدة 976: النظر في آثار السابقين مأمور به

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} من المكذبين بالرسول والآيات من قوم نوح، وقوم لوط. وقوم صالح وسائر من عذبه الله تعالى فيحذروا تكذيبك وروى هذا عن الحسن، وجوز أن يكون المراد عاقبة الذين من قبلهم من المشغوفين بالدنيا المتهاكين عليها فيقلعوا ويكفوا عن حبها .

الفائدة 977: في دراسة السنن الكونية

إن النظر في آثار الغابرين يهز القلوب . حتى قلوب المتجربين. ولحظات الاسترجاع الخيالي لحركاتهم وسكناتهم وخلجاتهم ; وتصورهم أحياء يروحون في هذه الأمكنة ويجيئون , يخافون ويرجون , يطمعون ويتطلعون . . ثم إذا هم ساكنون , لا حس ولا حركة . آثارهم خاوية , طواهم الفناء وانطوت معهم مشاعرهم وعوالمهم وأفكارهم وحركاتهم وسكناتهم , ودياهم المائلة للعيان والمستكنة في الضمائر والمشاعر . . إن هذه التأملات لتنهز القلب البشري هزا مهما يكن جاسيا غافلا قاسيا . ومن ثم يأخذ القرآن بيد القوم ليوقفهم على مصارع الغابرين بين الحين والحين .

الفائدة 978: نكتة لغوية

⁵⁹¹ أخرجه أحمد (371/2 ، رقم 8823) قال الهيثمي (246/5) : أحد إسناده أحمد رجاله رجال الصحيح خلا الحسن بن الحكم النخعي وهو ثقة . وابن عدي (318/1 ، ترجمة 142 إسماعيل زكريا) ، والبيهقي (101/10) ، رقم 20042 . والطبراني (56/11 ، رقم 11030) ، والقضاعي (222/1 ، رقم 339) ، والديلمي (553/3) ، رقم 5732) .

{ ولدان الآخرة خير } يعني بالدار الجنة ، وبالأخرة القيامة ، فسمى الجنة داراً وإن كانت النار داراً لأن الجنة وطن اختيار ، والنار مسكن اضطرار .
وهو من باب إضافة الشيء إلى صفته، قال أبو سعيد الضرير : سألتني أبو دلف أيضا
الشيء إلى صفته ، قلت : نعم، قال : أين ؟ قلت قال الله تعالى : " ولدان الآخرة " فأضاف
الدار إلى الآخرة وهي هي .⁵⁹²

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعرض في هذه الآية إلى معنى استيناس الرسل وإلى أن الخواطر البشرية لا يخلو
منها الرسل وأتباعهم ، وأن النصر لا يكون إلا مع الصبر، لنأتي على مفهوم قوله نصرنا
لنرجع على قوله كذبوا ، ووعلى فنون القراءات فيه . لختم بالكلام عن معنى القوم في
الآية.

الفائدة 979: استيناس الرسل ما هو ؟

" حتى إذا استيناس الرسل " المعنى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا، فدعوا قومهم،
فكذبوهم، وصبروا وطال دعائهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيناس الرسل أي يؤسوا من إيمان
القوم {وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} [يوسف:110] كذبوا وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم.

الأمين الشنقيطي ، شرح المعلمات العشر وأخبار شعرائها ص 39⁵⁹²

وبالتخفيف أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه {جَاءَهُمْ نَصْرُنَا} [يوسف:110] للأنبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب .

الفائدة 980: من فنون القراءات : كُذِّبُوا وَ كَذَّبُوا

قوله { أنهم قد كذبوا } بالتشديد أي: أن قوم الرسل كذبوهم فيئسوا من إيمانهم. أو: ظنوا أن من آمن بهم قد كذبوهم؛ لطول البلاء وتأخر النصر .

وأما قراءة (كُذِّبُوا)؛ بالتخفيف؛ فمعناها: وظنوا أنهم قد كذب عليهم في وعد النصر.. وأنكرت عائشة . رضي الله عنها . هذه الرواية، وقالت: معاذ الله؛ لم تكن الرسل تظن بربها ذلك. كما في البخاري.

وقد يجاب بأن ذلك كانت خواطر وهواجس من وسواس النفس، يمر ولا يثبت، وهو من طبع البشر، لا يدخل تحت التكليف. وسماه ظناً؛ مبالغة في طلب المراقبة، كما تقدم في قوله: { ولقد همت به وهم بها }.

والحاصل: أن الرسل . عليهم الصلاة والسلام . لما تأخر عنهم النصر هجس في أنفسهم تخلف الوجد؛ خوفاً أن يكون متوقفاً على شرط لم يعلموه، أو جعلوا له وقتاً فهموه من أمارات، فلما تأخر عنه ظنوا أنه قد تخلف.

الفائدة 981 : النصر لا يأتي إلا بعد البأس واليأس

تلك سنة الله في الدعوات . لا بد من الشدائد ، ولا بد من الكروب ، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة . ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس . يجيء النصر من عند الله ، فينجو الذين يستحقون النجاة ، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين ، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون . ويحل بأس الله بالمجرمين ، مدمرا ماحقا لا يقفون له ، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير .

ذلك كي لا يكون النصر رخيصة فتكون الدعوات هزلا . فلو كان النصر رخيصة لقام في كل يوم دعي بدعوة لا تكلفه شيئا . أو تكلفه القليل . ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثا ولا لعبا . وإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج ، ينبغي صيانتها وحراستها من

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الأدعياء . والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة , لذلك يشفقون أن يدعوها , فإذا ادعوها عجزوا عن حملها وطرحوها , وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون ; الذين لا يتخلون عن دعوة الله , ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة !

الفائدة 982: من دلائل قوله تعالى " نصرنا "

" جاءهم نصرنا " لم يقل سبحانه جاءهم النصر أو نصرناهم ، كأنه على موعد معهم سبحانه لا يخلفه ، يأتيهم في الوقت المناسب حيث يكون له لذة لأنه مطلوب بشغف وشوق. وفي إضافة النصر إلى ضمير الجلالة " نصرنا " ما يدل على أنه نصر عزيز مؤزر يحمل من صفات الذات العلية الكثير، ولأمر ما تأتي آيات النصر مع وصف الله جلّ وعلا بالعزة والحكمة " وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم " (آل عمران 126) " وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم " (الأنفال 10).

ويوصف النصر بأنه عزيز أي غير رخيص وإنما يأتي بعد البذل والفداء : "وينصرك الله نصرا عزيزا " (الفتح 3) .⁵⁹³

الفائدة 983: معنى القوم في الآية

قوله : " القوم المجرمين " لم نقل الآية عن المجرمين ، وإنما ذكرت " القوم " للدلالة على أن رؤوس الكفر المدبرة لا تسلم من العذاب ولا تستطيع عن نفسها له دفعا فما لنا بالمجرمين الصغار .

إذ أن مادة (ق و م) فيها معني تولي الأمر، ومنه القوامة ، تقول قام بأمر كذا ، ولعله لهذا السبب تطلق على الرجال دون النساء ، كما قال زهير بن أبي سلمى :

وما أدري ولست أخال أدري أ قوم آل حصن أم نساء⁵⁹⁴

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾

أوجه الاستدلال من الآية :

نتعلم من الآية الأخيرة أن أمثال هذه القصص في القرآن الكريم إنما جعلت للاتعاظ والاعتبار ، وسورة يوسف خصوصاً تشمل جميع وجوه التفكير والاعتبار التي سنشير إليها. وسنشرح بعدها بعض المفاهيم الواردة في الآية وهي : كل شيء وأولي الألباب، والهدى، والرحمة، لننتقل بعدها إلى عقد بعض المقابلات بين يوسف عليه السلام وبين غيره من الأنبياء بدءاً بالنبى ﷺ ثم آدم وإبراهيم عليهم السلام .
لنختم السورة بالإشارة إلى أن الإسلام دين المبدأ ونكشف عن سر ارتباط أول السورة بآخرها ونذكر طرفاً من خصائص مصر زمن يوسف، ثم جملة من خصائص السورة كلها،

الفائدة 984: قصة يوسف دليل على إنجاء المؤمنين وإهلاك الكفار

" لقد كان في قصصهم عبرة " ذكر الله جل وعلا في هذه الآية أن في أخبار المرسلين مع أممهم وكيف نجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين عبرة لأولي الألباب ، أي عظة لأولي العقول .
وبيّن هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله في قوم لوط : " وإنكم لتمررون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون " .

الفائدة 985 : قصة يوسف عبرة لنصرة أنبيائه وأوليائه

قوله عز وجل : { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } يعني في قصص يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن، ومن الذل والرق إلى أن جعله ملكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً ، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر ، وإنما الإمهال إنذار وإعذار .

الفائدة 986: في أنواع التفكير والاعتبار

تفكر الاعتبار يشد عروة الإيمان، وفكرة الاستبصار تشد عروة الإحسان. قال عطاء الله السكندري في الحكَم: " الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان. فالأولى: لأهل التفكير والاعتبار، والثانية: لأهل الشهود والاستبصار ". ومرجع الاعتبار إلى خمسة أمور:

. الأول: التفكير في سرعة انصرام الدنيا وانقراضها، وذهاب أهلها. قرناً فقرناً، وجيلاً فجيلاً. فيوجب ذلك الزهد في الدنيا، والإعراض عن زخرفها الغرارة، والتأهب للدار الباقية.

. الثاني: التفكير في الدار الباقية، ودوام نعيمها، أو عذابها. وذلك مرتب على السَّعي في هذه الدار، فيوجب ذلك انتهاز الفرصة في الأعمال، واغتنام الأوقات والساعات قبل الفوات.

. الثالث: التفكير في النعم التي أنعم الحق . تعالى بها على الإنسان؛ إما ظاهرة؛ كالعافية في البدن والزرق الحلال، وما يتبع ذلك مما لا يحصى؛ قال تعالى:

{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } [إبراهيم: 34]. وإما باطنة: كنعمة الإسلام والإيمان، وصحيح العرفان، والاستقامة في الدين، ولا سيما إن رزقه الله من يأخذ بيده من شيخ عارف. فهذه نعمة عظيمة قلَّ من يسقط عليها. فيوجب له ذلك الشكر الذي هو أعلى المقامات، ومتكفل بالزيادات، قال تعالى { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم: 7].. ولا يعرف العبد ما عليه من النعم إلا بالتفكر في أضعافها، والنظر إلى أهل البلاء.

. الرابع: التفكير في عيوبه ومساوئه، لعله يسعى في تطهيرها، أو يشتغل بها عن عيوب غيره.

. الخامس: التفكير فيما أظهر الله تعالى من أنواع المكونات، وضروب المصنوعات؛ فيعرف بذلك جلالة الصانع، وعظيم قدرته، وإحاطة علمه، وحكمته.

الفائدة 987: وجه الاعتبار بقصة يوسف

الاعتبار لغة : عبارة عن العبور من الطريق المألوفة إلى الطريق المجهولة ، و المراد منه اصطلاحاً: التأمل والتفكر ، ووجه الاعتبار بقصة يوسف أمور :

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- أحدها : أن الذي قدر على إعزاز يوسف عليه الصلاة والسلام ، بعد إلقاءه في الجب وإعلانه بعد سجنه ، وتمليكه مصر بعد أن كانوا يظنون أنه عبد لهم وجمعه مع أبيه وإخوته على ما أحبَّ بعد المدة الطويلة؛ لقادرٌ على إعزاز محمد ρ ، وإعلاء كلمته .
- وثانيها : أن الأخبار عنه إخبارٌ عن الغيب ، فكان معجزة دالة على صدق محمد صلوات الله وسلامه عليه
- وثالثها : أنه قال في أول السورة : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ } [يوسف : 3] ثم قال هنا : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } وذلك تنبيه على أن حسن هذه القصة ، إنما هو لأجل حصول العبرة منها ، ومعرفة الحكمة والقدرة

الفائدة 988 : لما قال عبرة لأولي الألباب ؟

فإن قيل : لم قال : { عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } مع أن قوم محمد ρ من المشركين كانوا ذوي عقول وأحلام ، وقد كان الكثير منهم لم يعتبر؟ .
فالجواب : أن جميعهم كانوا متمكّنين من الاعتبار ، ولكنهم لم يستعملوا عقولهم التي وهبهم الله إياها في التفكير والاعتبار ، فأعرضوا فأعرض الله عنهم .

الفائدة 989: القرآن تصديق للكتب السماوية

قوله " تصديق " لم يقل سبحانه تصديقاً فحذف التنوين ، للإضافة إلى اسم الموصول (الذي) لكي يوحي إلى القارئ ثبوت هذا القرآن على ما جاءت به الكتب السماوية من مبادئ أساسية وأحكام تشريعية كالوحدانية والعمل الصالح ... ، وليس في تصديقه لما قبله أدنى شك على عكس لو قيل تصديقاً بالتكثير.⁵⁹⁵

الفائدة 990 : ما معنى كل شيء في الآية ؟

{ وَتَقْصِلَ كُلِّ شَيْءٍ } .

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 91⁵⁹⁵

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

. قيل : كل شيء في واقعة يوسف مع أبيه ، وإخوته .
. وقيل : يعود على كلِّ القرآن؛ كقوله تعالى : { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام :

[38

والأولى : أن يجعل هذا الوصف وصفاً لكلِّ القرآن ، ويكون المراد ما تضمَّنه من الحلال والحرام ، وسائر ما يتَّصل بالدين .

قال الواحدي : وعلى هذين التفسيرين جميعاً؛ فهو من العام الذي أريد به الخاص؛ كقوله تعالى : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } [الأعراف : 156] يريد : وسعت كل شيء أن يدخل فيها ، { وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } [النمل : 23] .

الفائدة 991: الهدى و الرحمة في القصص القرآني

في قوله " هدى ورحمة " والهدى الذي في القصص: العبر الباعثة على الإيمان والتقوى بمشاهدة ما جاء من الأدلة في أثناء القصص على أن المتصرف هو الله تعالى، وعلى أن التقوى هي أساس الخير في الدنيا والآخرة ، وكذلك الرحمة فإن في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة الله لهم وعنايته بهم، وذلك رحمة للمؤمنين لأنهم باعتبارهم بها يأتون ويذرون، فتصلح أحوالهم ويكونون في اطمئنان بال، وذلك رحمة من الله بهم في حياتهم وسبب لرحمته إياهم في الآخرة كما قال تعالى " من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " (النحل 97)

الفائدة 992 : مقابلة بين يوسف والنبي ρ

{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِتَى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } (يوسف: 4) هذه أول مبادئ الكشوف فقد ذكروا أن أحوال المكاشفين أوائلها المنامات فإذا قوي الحال تصير الرؤيا كشفاً.

قيل: إن يوسف عليه السلام قد سلك به نحواً مما سلك برسول الله ρ وذلك أنه بدىء بالرؤيا الصادقة كما بدىء رسول الله ρ بها فكان لا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح ثم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

حبيب إليه الخلاء على ما يشير إليه قوله: {رَبِّ أَلْسِنُ أَحَبُّ إِلَيَّ} (يوسف: 33) كما حبيب ذلك إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان يتحنث في غار حراء الليالي ذوات العدد، وفيه أن حديث السجن بعد إيتاء النبوة فتدبر.

الفائدة 993: مقابلة بين يوسف وآدم عليه السلام

ذكر بعض العلماء أن يوسف عليه السلام كان آدم الثاني لما كان عليه من كسوة الربوبية ما كان على آدم عليه السلام وهو مجلي الحق للخلق فلما رأت الملائكة ما رأت من آدم سجدوا له وهنأ سجد ليوسف من سجد وهم الشمس والقمر والكواكب المعدودة المشار بهم إلى أبويه وإخوته الذين هم على القول بنبوتهم خير من الملائكة عليهم السلام، ولا بدع إذ سجدوا لمن يتلأأ من وجهه الأنوار القدسية .

الفائدة 994: مقابلة بين يوسف وإبراهيم عليهما السلام

إن إبراهيم عليه السلام لما رأى في الكواكب دلائل الخلق وصرف وجهه عنها متوجهاً إلى الخالق المنزه عن التغير والنقص قائلاً: {إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام: 78) أسجد الله تعالى الشمس والقمر وبعض الكواكب لبعض بنيه إعظاماً لأمره ومبالغة في تنزيهه جلال الكبرياء،

وحيث تأخرت براءة إبراهيم عليه السلام إلى الموضع الثالث تأخر أمر الإسجد إلى ثالث البنين يوسف، وليس المقصود من هذا إلا بيان بعض من أسرار الحكمة الإلهية معبراً بسجود أبويه وإخوته له عليهم السلام في عالم الحس فتدبر.

الفائدة 995: ما هو المراد بالقصص القرآني ؟

دلّت السورة بمجموعها على أن المراد من القصة هو الوقوف على العبر والعظات التي فيها وأنها ما كانت قصة مفتراه ولكنها تصديق لما جاء من قبل لأهل الكتاب وتفصيل للشرائع وهداية للخلق من الغواية والضلال ورحمة للمؤمنين وعليه. وفيها أيضاً عبرة للملوك في بسط العدل كما فعل يوسف عليه السلام، ولأهل التقوى في ترك ما تراوهم النفس الشهوانية عليه، وللمماليك في حفظ حرم السادة، ولا أحد أغير من الله تعالى ولذلك حرم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الفواحش، وللقادرين في العفو عن أساء إليهم ولغيرهم في غير ذلك ،وهكذا سائر القصص في القرآن.

الفائدة 996 : من هم أولوا الألباب ؟

لن ينتفع بهذه الآيات إلا أولوا الألباب أي أصحاب العقول الزكية الطاهرة، وهم ذوو الأحوال من العارفين والصابرين والصادقين وغيرهم، ولكن أين المعتبرون؟ أشباح ولا أرواح وديار ولا ديار فإننا لله وإنا إليه راجعون هذا.

الفائدة 997: صدق الوقائع من تمام حصول النفع

إن جملة "ما كان حديثا يفترى" إلى آخرها تعليل لجملة " لقد كان في قصصهم عبرة" أي لأن ذلك القصص خبر صدق مطابق للواقع وما هو بقصة مخترعة. ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبرا عن أمر وقع، وذلك بخلاف القصص الموضوعية بالخيال والتكاذيب فإنها لا يحصل بها اعتبار لاستبعاد السامع وقوعها لأن أمثالها لا يعهد، مثل مبالغات الخرافات وأحاديث الجن والغول عند العرب وقصة رستم وأسفنديار عند العجم، فالسامع يتلقاها تلقي الفكاهات والخبالات اللذيذة ولا يتهيأ للاعتبار بها إلا على سبيل الفرض والاحتمال وذلك لا تحتفظ به النفوس.

الفائدة 998 : سر الترابط بين بداية السورة وآخرها

نرى أن الترابط بين الآيات الأولى الممهدة للقصة والآية الأخيرة في السورة يستهدف أن يعود القارئ بفكره إلى نقطة البدء ويعيش أحداث القصة من بعد ، يتأملها حتى ترسخ في نفسه مبادئ لا تنتزع .

الفائدة 999 : الإسلام دين المبدأ

لقد سميت باسم بطل القصة (يوسف) وورد فيها من الأسماء من يستحقون أن يكونوا قدوة دون غيرهم إذ يذكر فيها يعقوب و ابراهيم ... وأما أسماء الأخوة فلا حتى ذلك الذي قال لا تقتلوا يوسف أو كبيرهم الذي تحرج أن يعودوا إلى أبيهم وقد فقدوا في نظرهم الأخ الثاني بعد يوسف ، كذلك الذي اشتراه من مصر ، وتلك التي راودته عن في بيتها نفسه. إن إغفال أسماء تلك الشخصيات يدلّ على أن الإسلام دين المبدأ والعقيدة.⁵⁹⁶

الفائدة 1000: من خصائص مصر زمن يوسف

- من السورة ندرك جملة من خصائص مصر زمن يوسف عليه السلام ومنها :
- طبقة أرستقراطية غنية ومترفة (الوزير و حاشيته)
 - غياب العدل في قضايا القضاء
 - السجن لم يكن منظما ولا محكم التسيير
 - المدينة كانت :
 - كثيرة الأبواب والمداخل
 - كان السجن بعيدا عنها
 - كانت واسعة المساحة - تفسخ أخلاقي (المراودة ، مجالس اللهو، الخمر، عدم الغيرة)
 - طبقية المجتمع : طبقة الأمراء، طبقة الكهنة ، طبقة العبيد
 - مكانة الزراعة والمحاصيل وتربية الماشي
 - بقايا عقيدة ودين سماوي لكن تشوبه وثنية وتعدد الآلهة
 - مكانة هامة للتجارة وقوافل دائبة بين مصر والبلدان المجاورة

من خصائص السورة :

إن سورة يوسف عليه السلام هي السورة الوحيدة التي ذكر فيها الذئب والشغف بالحب وقوله معاذ الله ولفظة هيت، والسورة الوحيدة التي أفردت لقصة نبي من أولها لآخرها ، كما

أحمد ماهر البقري ، يوسف في القرآن ، ص 92⁵⁹⁶

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

ورد فيها ذكر الحواس الخمس : السمع والبصر والذوق والشم واللمس تصرّيحاً وتلميحاً ،
وورد ذكر الحواس الأخرى غير المادية: الإلهام والبصيرة والفراسة.
إلى جانب خصائص أخرى كثيرة أشرنا إلى بعض منها في الكتاب ، ويحتاج البعض
الأخر إلى بحث مستقل بذاته .

الخاتمة :

هذا ما تسنى لنا جمعه من الفوائد والعبير والفرائد من هذه السورة العظيمة ألا وهي
سورة يوسف عليه السلام ، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أؤكد على عظمة القرآن الكريم
الذي لا تتقضي عجائبه ، ولا يشبع منه طالب علم وحق ، فإن سورة واحدة منه قد حوت
أكثر من ألف عبرة في فنون مختلفة ، فما بالك بالقرآن كله ؟؟

زيادة على هذا، فإن محاولتنا المتواضعة هاته لم تكن إلا طرقا للأبواب المختلفة التي تضمنتها سورة يوسف عليه السلام وإشارات سريعة موجزة ، وإلا فإن يقيني لا يراوده شك في أنه من أراد أن يفرد الحديث عن جانب واحد فقط من جوانب العلوم التي تضمنتها هذه السورة الكريمة كعلم النفس مثلا أو علم الاقتصاد أو علم التربية فإنه سيجد مبتغاه لا محالة ، بل يمكنه أن يتعمق في مسألة واحدة من المسائل الدقيقة التي وردت في خضم السورة و أشرنا إلى بعضها ، بمزيد من البحث والتنقيب والتفصيل، ويؤلف فيها كتباً إن أراد

ولا يسعنا في هذا المقام إلا التسليم بقوله تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شيء " فالله الله في كتابه العزيز ، فهو حبله المتين وصراطه المستقيم .
ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتنا وأن يتجاوز عنا ما ورد فيه من سبق قلم أو خطأ، وأن ينسئ لنا في العمر حتى نتلوه ونعمل بما جاء فيه ، ونسأله أن يجعلنا من الذين يشهد القرآن لهم لا عليهم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الجزائر في 05 ذو القعدة 1431 للهجرة الموافق ل 13 أكتوبر 2010

M B M

ملاحق

- جداول علمية تفصيلية لموضوعات السورة
- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار

- فهرس الأشعار

عقيدة (الجانب النظري) :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
47	05	55	من هو الشيطان ؟
48	05	56	عداوة الشيطان للإنسان أبدية
54	06	70	من صفات الله تعالى العلم
55	06	72	من صفات الله تعالى الحكمة
103	15	167	تعامل الناس مع آثار الأنبياء
110	17	178	الإيمان أصله التصديق
123	19	202	حكمة الله واسعة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

189	31	324	ما هي الملائكة ؟
189	31	325	من وظائف الملائكة
191	31	327	مفاضلة بين الملائكة والبشر
207	34	359	صفة السمع
224	38	403	أهمية التوحيد
224	38	404	إخلاص التوحيد
227	39	411	إثبات الألوهيات من إثبات النبوات
229	39	416	من صفات الله القهر
230	40	419	ما هي العبادة
230	40	420	بطلان الشرك
231	40	422	من صفات الله الحكم
232	40	424	تقديس الأولياء من الشرك
233	40	426	الشرك الأكبر
246	44	458	الشعوذة والكهانة مألها البطلان
261	45	485	الإخلاص في العلم والتعلم
270	50	504	الربوبية
283	53	537	من صفات الله المغفرة
284	53	539	من صفات الله الرحمة
307	57	581	الخير المطلق لا يكون إلا في الآخرة
335	67	659	لا يعني حذر من قدر
335	67	660	أنواع التوكل
339	68	668	كلام في القدر
340	68	670	النهى عن الخوض في مسائل القدر
355	76	710	الألفاظ التي توهم المكر والكيد لا تنسب إلى الله مجردة
360	76	719	علم الخالق لا يشبه علم المخلوقين
361	76	722	التحاكم إلى شريعة الله

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

438	100	921	من صفات الله اللطيف
442	101	929	الفاطر
447	101	939	عن العوالم والأرواح
452	104	952	في الآيات الدالة على رب السماوات
453	105	955	دلائل التوحيد وأقسامها
455	106	956	الإيمان يقتضي توحيد الألوهية إلى جانب الربوبية
457	106	960	إبطال اعتراف قريش والعرب بأن الله خالقهم
458	106	962	نماذج من الشرك الظاهر
460	107	965	الساعة من مقتضيات الإيمان
463	108	972	تنزيه الله عن الشرك وعن صفات النقص

عقيدة (الجانب العملي):

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
54	06	71	التخلق بالعلم
55	06	73	التخلق بالحكمة
135	21	230	أمر الله غالباً دائماً
190	31	326	أثر الإيمان بالملئكة في حياة الإنسان
208	34	360	التخلق بالسمع
220	37	396	من آثار الإيمان باليوم الآخر في سلوك

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

			الفرد والجماعة
229	39	417	التخلق بالقهر
232	40	423	التخلق بالحكم
283	53	538	التخلق بالمغفرة
285	53	540	التخلق بالرحمة
305	57	577	ثواب الآخرة أفضل من ثواب الدنيا
324	64	628	رحمة الله الواسعة
328	66	634	اتخاذ الأسباب من تمام التوكل
334	67	657	اتخاذ الأسباب لتجنب العين
335	67	658	من العادات الجاهلية لصد العين
336	67	662	التوازن بين اتخاذ الأسباب
339	68	669	أثر الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح
393	86	804	درجة اليقين بالله في الإيمان
399	88	818	الإخبار بالحال لا ينافي التوكل
439	100	922	التخلق باللطف
456	106	959	النذر والعبادة لغير الله من الشرك
458	106	962	من نماذج الشرك الخفي

النساء :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
172	28	295	هل الخطاب خاص بامرأة العزيز أم عام لجميع النساء ؟
172	28	296	كيد ربان القصور أعظم تاريخيا
172	28	297	النساء من مطايا الشيطان إن انحرفن
173	28	298	بين كيد النساء وكيد الشيطان
175	29	300	صلاح الزوجة متعلق بصلاح الزوج

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

179	30	306	مكر النسوة ذو وجوه
180	30	307	لماذا قال نسوة في المدينة؟
180	30	308	الفضائح مما لا يمكن كتمانها
181	30	311	الحب وأحواله
182	30	312	مراتب الحب
184	31	316	حيلة امرأة العزيز
185	31	317	معركة امرأة العزيز مع النسوة
192	31	328	نتائج معركة امرأة العزيز مع النسوة (الانتصار)
197	32	334	صفة الملكية يقتضي الامتناع عن يوسف فكيف صارت عذرا للمراودة؟
198	32	337	شدة الحب قد تقضي على شدة الانتقام
199	32	339	الاستثمار في انتصار امرأة العزيز بعد نهاية المعركة
202	33	347	النساء أعظم فتنة على الرجال
205	33	351	من أنواع الترغيب والترهيب للفاحشة
276	51	520	الحيدة

خصائص سورة يوسف:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
21	02	06	جلالة قدر سورة يوسف
33	03	28	السورة كشف وبيان تاريخي
37	04	35	سورة يوسف أصل في تعبير الرؤى
53	06	69	السورة كشف وبيان رمزي
60	07	83	سورة يوسف دليل على التوحيد والرسالة
60	07	84	من آيات السورة الصدق

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

61	07	85	سورة يوسف بشرى لكل مكروب
62	07	89	من آيات الله في السورة العلوم الباطنة
63	07	92	سورة يوسف آية في دقة أخبارها
69	08	104	السورة كشف وبيان نفسي
102	15	165	السورة كشف وبيان روحي
124	19	206	السورة كشف وبيان حسي
163	25	277	السورة كشف وبيان للنجاة
192	31	330	السورة كشف وبيان للكيد
278	51	526	السورة كشف وبيان لدفع التهم
347	70	683	السورة كشف وبيان للحيل
406	89	836	السورة كشف وبيان للشخصية
425	96	886	السورة كشف وبيان للإبصار
440	100	924	السورة كشف وبيان للرموز والإشارات

إعجاز القرآن :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
27	03	18	لماذا لم تتكرر سورة يوسف في القرآن ؟
56	06	77	اللف والنشر
159	25	269	اختصار القرآن المعجز
242	43	447	التعبير بالملك من إعجاز القرآن التاريخي
269	50	501	محذوفات الآية
287	53	544	العنصر الإنساني في سورة يوسف

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

389	85	793	من نظم القرآن المعجز في البلاغة
410	90	846	لماذا ذكر الصبر بعد التقوى رغم أنه منها
421	94	877	من أصناف الوحي: الوحي بدون كلام
450	102	944	التهكم بالمكذابين من أساليب القرآن
472	111	989	القرآن تصديق للكتب السماوية
475	111	997	صدق الوقائع من تمام حصول النفع
475	111	998	سر الترابط بين بداية السورة وآخرها

قصة يوسف :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
35	04	31	من هو يوسف عليه السلام؟
36	04	32	من هو يعقوب عليه السلام؟
39	04	40	ما حال الرؤيا في بيت يعقوب ؟
46	05	50	علم يعقوب بالرؤى
50	06	62	اصطفاء يوسف عليه السلام
52	06	66	تكريم أهل يعقوب

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

56	06	76	لماذا أثر يعقوب عليه السلام يوسف بالمحبة؟
62	07	90	من أسرار المقابلة بين وإخوته
64	08	94	حسد إخوة يوسف لأخيهم ما سببه ؟
65	08	96	لماذا لم يتعرض بنيامين لما تعرض له يوسف
65	08	97	كيف يؤمن أبناء يعقوب بنبوة أبيهم ثم يخطئونه
67	08	101	لماذا وصف إخوة يوسف أباهم بالضلال ؟
68	08	102	حب يوسف بين الأب والإخوة
69	09	105	هل كان إخوة يوسف أنبياء ؟
78	10	118	بداية سلسلة الابتلاءات في قصة يوسف
93	13	147	لماذا اعتذر يعقوب عليه السلام بالذنب ؟
94	14	150	استمالة إخوة يوسف لأبيهم كيف تمت ؟
96	15	155	كان يوسف غلاما صغيرا
97	15	156	حكمة إضمار موافقة يعقوب على ذهاب ابنه
97	15	157	الإجماع على إلقاء يوسف
98	15	158	محنة يوسف الثانية : الإلقاء في الجب
100	15	162	صبر يوسف عليه السلام
100	15	163	الوحي إلى يوسف عليه السلام
102	15	164	في عدم شعور إخوة يوسف
104	16	169	لماذا جاء إخوة يوسف وقت العشاء ؟
109	17	177	لماذا اتهم إخوة يوسف أنفسهم بالكذب ؟
110	17	179	دلائل على كذب إخوة يوسف
111	18	180	اكتمال فصول المؤامرة
113	18	185	كيف عرف يعقوب أن بنيه كاذبون
115	18	188	لماذا كان رد يعقوب على وجه السرعة ؟
115	18	189	لماذا لم يفتش يعقوب عن ابنه ؟
120	19	195	لطف الله بيوسف عليه السلام ونجاته من الجب
121	19	197	جمال يوسف عليه السلام

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

125	20	207	محنة يوسف الثالثة: الاسترقاق
125	20	208	لماذا بيع يوسف بثمن بخس ؟
130	21	219	لطف الله بيوسف عليه السلام وتهيئته للنبوّة
135	21	232	يعقوب عليه السلام من القلة العالمية
137	22	235	المحنة الرابعة: معيشة القصر
140	22	241	من إحسان يوسف عليه السلام: العبادة والتقوى
142	23	245	المحنة الخامسة: المراودة
143	23	246	الخطوة الأولى: الإغواء
143	23	247	نزاهة يوسف عليه السلام
143	23	248	الخطوة الثانية: المحاصرة
144	23	249	الخطوة الثالثة: الدعوة على النفس
144	23	250	دواعي امتناع يوسف عليه السلام
144	23	251	من إحسان يوسف : الاعتراف بالجميل
146	23	255	عشر مغريات لارتكاب الفاحشة
148	24	258	همّ يوسف والقول فيه
155	24	263	طهارة يوسف وعفته عليه السلام
162	25	274	الحيل في قول امرأة العزيز
164	27-26	279	دفاع يوسف عن نفسه
164	27-26	280	حسن أدب يوسف (الرجل الحصيف)
165	27-26	281	أحوال الشاهد من هو ؟
165	27-26	282	دلائل أن الشاهد رجل حكيم
167	27-26	284	لماذا كان الشاهد من أهلها ؟
168	27-26	288	دلالة قَدّ القميص
168	27-26	289	الأمارات الدالّة على صدق يوسف عليه السلام
172	28	294	بيان براءة يوسف من طرف خفي
188	31	323	جمال يوسف في الظاهر والباطن
197	32	336	التهديد والوعيد حجة وسبيل الضعفاء

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

200	33	341	المحنة السادسة: مراودة النساء
201	33	343	لماذا كان السجن أحب إلى يوسف ؟
204	33	350	لماذا عيّر يوسف بالجمع عن المراودة ؟
206	33	353	من أخلاق الأنبياء التلطف في الدعاء
208	34	361	صرف الله الكيد عن يوسف من تمام صرف السوء والفحشاء عنه
208	34	362	اجتياز محنة النسوة
209	35	364	المحنة السابعة: السجن
209	35	365	ما هي الآيات ؟
212	36	372	تأنيس يوسف عليه السلام
213	36	376	من إحسان يوسف عليه السلام: حسن التعامل مع الآخر
214	37	380	المراحل التي مرّ بها يوسف عليه السلام
216	37	378	علو مرتبة يوسف في العلم
217	37	388	من معجزات يوسف عليه السلام الإخبار بالغيب
217	37	389	يوسف يؤتى النبوة في السجن
219	37	393	حال الشرك زمن يوسف عليه السلام
224	38	405	فضل الله على يوسف وعلى آباهه وعلى الناس
237	42	437	من المعنى بالنسيان يوسف أم صاحبه في السجن ؟
242	43	446	رؤيا الملك بداية الفرج
248	45	462	صدق يوسف في الحديث وتأويله
260	47	480	يوسف كريم الخلق زكي النفس
260	47	481	النفس المطمئنة ليوسف عليه السلام
260	47	482	تعبير يوسف يدل على أنه نبي يوحى إليه
262	47	487	لماذا لم يقل يوسف عليه السلام إن شاء الله ؟
268	50	502	لماذا استدعى الملك يوسف ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

272	50	507	عزة نفس يوسف عليه السلام
272	50	508	أثر التربية الإيمانية
272	50	509	لماذا طلب يوسف السؤال عن النسوة دون امرأة العزيز
273	50	510	عظيم حلم يوسف عليه السلام
273	50	511	وفاء يوسف عليه السلام
274	50	515	ثقة يوسف المطلقة بالله
276	51	522	ظهور الحق في قصة يوسف
276	51	523	توبة امرأة العزيز الصادقة
289	54	548	لماذا أعجب الملك بيوسف عليه السلام؟
292	55	553	يوسف الممكن في الأرض
306	57	578	مكانة يوسف عليه السلام عند الله
309	58	587	لماذا جاء إخوة يوسف كلهم دون بنيامين؟
309	58	588	اشتهار يوسف عليه السلام بالعدل والصلاح
310	58	589	تعفف يوسف ورأفته بالرعية
311	58	595	لماذا لم يعرف إخوة يوسف أخاهم؟
312	58	596	عدم التعرف على يوسف تحقيق للوعد الإلهي
316	59	606	هل في قول يوسف وأنا خير المنزلين امتنان على إخوته؟
317	60	610	كان إخوة يوسف ينوون العودة بحكم المجاعة
318	60	611	هل يعتبر إدخال الحزن على قلب يعقوب عقوقاً من يوسف؟
321	62	619	لماذا أمر يوسف برد بضاعة إخوته؟
322	62	621	من أكرام الله ليوسف كثره العاملين عنده
322	63	623	بداية المراودة
323	63	624	وعد إخوة يوسف بحفظ أخيه
324	64	629	تغيير حال إخوة يوسف إلى الصلاح

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

325	65	633	وعود إخوة يوسف الجديدة
330	66	648	لماذا قبل يعقوب بإرسال بنيامين
341	69	673	سوء معاملة إخوة يوسف لبنيامين
342	69	675	صفاء قلب يوسف رغم أجزائه
344	70	681	هل كان النداء بأمر يوسف أو ما كان بأمره
345	70	683	كيف نسب يوسف السرقة لإخوته
346	70	684	كيف رضي بنيامين بالعودة عن أبيه
352	75-74	701	نزاهة الصالحين عن السرقة
353	75-74	703	ثقة إخوة يوسف عليه السلام بأنفسهم
355	76	709	دقة التفتيش في المتاع
362	77	724	نار الغيرة والحقد لا زالت متقدة رغم الصلاح
364	77	730	لماذا كان إخوة يوسف شر مكانا
369	79	744	تحرز يوسف عن الكذب في مقابل كذب أخوته
369	79	745	لكلام يوسف معنى ظاهر وآخر باطن
369	79	746	لماذا لم يكشف يوسف عن شخصيته
371	80	749	لماذا عين القائل؟
372	80	752	لماذا امتنع الأخ عن العودة ؟
372	80	753	دلالة على تغير حال إخوة يوسف إلى الأحسن
373	80	754	لماذا عظم خطب افتقاد بنيامين؟
377	82	763	دلائل صدق إخوة يوسف
379	83	768	عفة لسان يعقوب عليه السلام
382	84	780	الحكمة في ذهاب بصر يعقوب
382	84	778	مكانة يوسف عند أبيه لم تتبدل
386	84	786	صبر وأجر يعقوب عليه السلام
387	85	789	عدم نسيان يعقوب لابنه رغم مرور السنين
392	86	799	صبر يوسف على أبيه
396	87	808	تيقن يعقوب لحياة ابنه

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

396	87	810	لماذا لم يذكر الأخ الثالث؟
399	88	816	إخوة يوسف في مصر للمرة الثالثة
399	88	817	لماذا عدل إخوة يوسف إلى الميرة
400	88	819	تلطف إخوة يوسف واستكانتهم
404	89	830	ما الذي فعله إخوة يوسف ببنيامين؟
406	89	834	تتقن يوسف عليه السلام لصالح اخوته
406	89	835	تعريف يوسف بنفسه بتصديق للوحي إليه في الجب
407	90	838	لماذا لم يعرف يوسف بنفسه أول الأمر؟
408	90	840	كيف تعرّف إخوة يوسف على أخيهم
411	90	848	وصف يوسف نفسه بالتقوى دليل آخر على براءته
412	91	852	دليل آخر على عدم نبوة إخوة يوسف عليه السلام
414	92	856	يوسف بين إخوته كمثل رمضان بين الشهور
414	92	858	نجاح يوسف في الابتلاء بالنعمة
418	93	867	في إثيان يعقوب عليه السلام
420	94	873	من الذي خاطب يعقوب؟
424	95	883	حلم يعقوب عليه السلام وصفحه عن أهله
426	97	889	لماذا طلب إخوة يوسف الاستغفار
427	97	891	لماذا سألوا أباهم الاستغفار رغم أن يوسف قد استغفر لهم؟
427	98	893	لماذا أصرّ يعقوب الاستغفار
428	98	894	بين تعجيل يوسف واستبطاء يعقوب
434	100	909	سبق يعقوب للسجود ليطبعه أبناءه
434	100	910	ألم تكن رؤيا يوسف كافية لطمأنة يعقوب
435	100	911	إحسان الله إلى يوسف

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

440	100	923	من لطف الله بيوسف
443	101	930	يوسف يطلب من الله الوفاة على الإيمان
443	101	931	لماذا سأل يوسف عليه السلام الوفاة
445	101	935	لماذا تمنى يوسف الموت رغم أنه نبي
446	101	938	دعاء يوسف من جوامع الكلم
448	101	940	وصية يوسف لأهل مصر
448	101	941	مدح الله تعالى ليوسف في ثمانية مواضع
470	111	984	قصة يوسف دليل على انجاء المؤمنين وإهلاك الكفار
470	111	985	قصة يوسف عبرة لنصرة أنبيائه وأوليائه
471	111	987	وجه الاعتبار بقصة يوسف

فنون :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
36	07	81	إعداد النفس لتلقي أحداث القصة
38	07	86	عناصر القصة
64	15	154	الإيجاز الفني في القرآن
72	16	171	من فنون التمثيل
187	45	467	لطيفة في فن العمارة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

437	100	917	البادية والبدو
437	100	918	هل البادية أفضل أم الحاضرة ؟
438	100	919	الجمع بين علم المدن وتفرغ البوادي
467	110	980	من فنون القراءات كُذِّبوا وكذَّبوا
476	111	1000	من خصائص مصر زمن يوسف عليه السلام

وعى :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
09	02	14	مكانة العقل في الإسلام
49	09	113	مبدأ الغاية تبرر الوسيلة
54	10	123	قاعدة أخف الضررين
55	10	127	سنة التدافع
55	10	128	من آداب الحوار والمناقشة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

56	11	131	سر النجاح الكثرة في الإلحاح (الإصرار)
63	14	149	المغالطة في الحوار
64	14	152	المقدمات الخاطئة تؤدي على نتائج خاطئة
139	31	329	الدين ضرورة لقيام المجتمع
153	35	367	من آفات الاستبداد : تضليل الرأي العام
154	35	369	القضاء العرفي من وجوه الاستبداد
197	47	488	الكليات الخمس

كباثر وأنام :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
40	08	93	الحسد
40	08	95	حال الحاسد
53	10	122	خطورة جريمة القتل
57	11	133	من سوء الخلق التلاعب بعواطف الأبوة
57	12	136	سرعة تنفيذ الجريمة من تمام الحسد

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

58	12	139	خطورة الكذب
59	12	140	الكذب لا يؤدي إلى خير
75	17	176	الاحتياط بالتعريض بالصدق
85	19	200	الطمع من دأب التجار
85	19	201	النهي عن الطمع
103	23	253	ما هو الظلم؟
116	25	273	الاختلاط والتساهل فيه يؤدي على المحاذير
127	29	303	الخطأ
142	32	332	من تلبس إبليس تبرير المعاصي
142	32	333	الجهر بالمعصية من مسببات العقوبة
179	42	443	مجالس اللهو والخمور
315	59	602	التطفيف
352	73	700	السرقه والفساد
363	77	726	لا تتبع أذاك بالوقعية بعد القطيعة
363	77	727	التعير بالألم وأن العرق دساس
388	85	790	سوء معاملة الوالدين من سوء الخلق
397	87	812	القنوط كبيرة تقارب الكفر
424	95	881	الضلال
424	95	882	القبح والغلظة في الكلام
426	97	887	جملة من ذنوب إخوة يوسف

فقه:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
22	04	45	عن السجود
54	10	125	أحوال اللقطة والالتقاط
73	17	173	في السباق والمسابقة
74	17	174	أنواع المسابرة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

77	18	181	العمل بالأمارات والقرائن
84	19	198	البشارة
88	20	210	تداول الشيء يحيله على الجواز
88	20	211	جواز شراء الخطير بالثمن اليسير
94	21	226	التبني
94	21	227	من أخطار التبني
94	21	228	ظاهرة الخدم
114	25	270	العمل بالعرف والعادة
120	27	285	التحقيق في القضية كيف يكون ؟
270	50	506	بين الرخصة والعزيمة
276	51	521	ألفاظ التبرئة من التهمة في الفقه
327	66	639	جواز الحملالة
327	66	640	الحلف على العهد
329	66	644	العذر للمغلوب على أمره في تنفيذ العهود
329	66	646	ذكر الله في العهود مدعاة للبركة
333	67	653	ماذا يفعل من أعجب بمن رأى
333	67	654	ماذا يفعل العائن ؟
334	67	655	حكم صاحب العين ؟
334	67	656	الرقى الشرعية يدفع بها البلاء
344	70	680	الشرب في آنية الذهب والفضة
346	70	685	الحيل الشرعية
348	72-71	690	الفقد
349	72-71	693	جواز الكفالة
350	72-71	695	ضمان المجهول
350	72-71	696	الجعالة
351	73	698	القسم
353	75-74	704	حكم السرقة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

356	76	712	التحايل في الأحكام
366	78	736	الحمالة
367	78	740	الشفاعة في الحدود
368	79	741	جواز استعمال المعاريض
375	81	758	جواز الشهادة بأي وجه
375	81	759	شهادة المرور
376	81	760	لا تجوز الشهادة إلا مع العلم
376	81	761	نكتة في الشهادة
376	82	764	جواز التطوع بالشهادة ولو لم تطلب
377	82	765	تقديم الأدلة على صدق الشهادة من تمامها
379	83	769	اتهام من هو مظنة لذلك لا حرج فيه
388	85	791	جواز الحلف بغلبة الظن
402	88	824	في المعاريض
403	88	826	أجرة الكيال على البائع
428	98	895	فضل الدعاء وقت السحر
444	101	933	عدم جواز تمني الوفاة في شريعتنا
445	101	934	من الآداب تقديم الثناء عند الدعاء
452	104	951	حرمة أخذ أجر على أداء الواجبات

علوم القرآن :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
04	01	03	القرآن كتاب منزل من عند الله
06	02	07	تعريف القرآن الكريم
06	02	08	كيف تنزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

07	02	10	فضل القرآن على اللغة العربية
07	02	11	هل كل ما في القرآن عربي ؟
12	03	21	ما هو الوحي ؟
13	03	22	أقسام الوحي

إسرائيليات وأحاديث ضعيفة :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
11	03	19	القصة القرآنية تغني عن الإسرائيليات
21	04	42	من الإسرائيليات تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لكواكب يوسف
112	23	264	اتهام الأنبياء وتشويه صورتهم بدعة إسرائيلية يهودية
135	31	322	من الإسرائيليات دهشة النسوة المبالغ فيها
177	42	438	حديث نسيان يوسف
312	58	597	استرقاق يوسف لأهل مصر ثم عتقهم
362	77	725	في السرقة المنسوبة إلى يوسف

علم النفس :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
49	09	116	نظرة إلى نفسية إخوة يوسف
66	15	159	نفسية يوسف في البئر
82	18	194	نفسية يعقوب عليه السلام

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

115	25	272	نفسية امرأة العزيز
126	29	299	نفسية العزيز
153	35	366	الإعراض عن الآيات طبيعة بشرية
177	42	439	النسيان والذاكرة
178	42	440	طبيعة الإنسان نسيان أوقات الحرمان
194	46	478	نفسية الساقى
278	52	530	النفسية الجديدة لامرأة العزيز
364	77	729	الكلام النفسي الداخلي
371	80	748	قمة اليأس وقطع الأمل
395	87	807	نفسية يعقوب عليه السلام
408	90	839	تعجب إخوة يوسف من عدم التعرف عليه

علوم إنسانية وكونية:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
21	04	43	كواكب يوسف وعلم الفلك
21	04	44	هل الآية دليل على وجود أحد عشر كوكبا ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

41	08	98	العصبية والقوة
42	08	99	الطبع يغلب التطبع
61	13	145	من أحوال الذئب
70	15	166	أحوال جب يوسف عليه السلام
190	45	479	الرقم سبعة في الحضارات القديمة
191	45	480	من خصائص رقم سبعة في الإسلام
195	47	487	حالة استنفار عام
196	47	488	الحد من الاستهلاك
196	47	490	لطفية في فن الزراعة
198	48	492	في الادخار
198	48	497	في أنواع الادخار
382	84	779	إصابة العين بالبياض طبيا
417	93	865	دور العامل النفسي في العلاج
422	94	879	لطفية في الطب

دعوة :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
157	36	377	تأقلم الداعية إلى الله مع كل وضع
157	36	379	الاشتراك في المصير يسهل الدعوة إلى الله
159	37	386	من آداب الفتيا الابتداء بالأهم فالمهم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

159	37	386	أسلوب الدعوة كيف يكون ؟
161	37	392	التوحيد أصل الدعوة إلى الله
168	39	412	التدرج في الدعوة
173	40	427	التهاون في طلب العلم سبيل للعقوبة
174	41	429	استخدام الأسلوب اللطيف في التعبير
188	46	471	الإفتاء
189	46	472	من شروط الإفتاء
189	46	473	خطورة الفتيا عند السلف
199	49	494	الزيادة في الإجابة من آداب الفتوى
271	50	505	التضحية في سبيل إعلاء كلمة الحق
302	56	569	التمكين يأتي بعد الابتلاء
318	60	612	استخدام أسلوب الترهيب يخدم القضية أحيانا
357	76	714	ما مفهوم الدين ؟
461	108	966	على الداعي تقريب الدعوة إلى الناس
462	108	967	الدعوة سبيل الأنبياء جميعا
461	108	968	الدعوة إلى توحيد الله أصل الأمر
462	108	969	حاجة الدعوة إلى العلم
462	108	971	الدعوة من واجبات الكفاية
466	110	981	النصر لا يتأتى إلا بعد البأس واليأس

علم الدلالة :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
20	04	39	من دلالات فعل رأى: الرؤيا الروحية
111	24	262	من دلالات فعل رأى: الرؤية القلبية
123	28	292	من دلالات فعل رأى: رؤية التحقق والتثبت

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

132	30	313	من دلالات فعل رأى: الرؤية العلمية
157	36	378	من دلالات فعل رأى: رؤيا المشاركة
158	36	381	من دلالات فعل أكل: الأكل بمعنى النهش
158	36	382	من دلالات فعل رأى: رؤية المراقبة والتجريب
181	43	448	من دلالات فعل رأى: رؤية التحذير والإنذار
182	43	452	من دلالات فعل أكل: الابتلاع
183	43	455	من دلالات فعل عبّرت
367	78	738	من دلالات فعل رأى: رؤية العهد
140	90	845	دلالات التقوى والصبر
468	110	982	من دلالات قوله تعالى " نصرنا "

علوم التربية :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
27	05	57	قوام التربية بين الترغيب والترهيب
28	05	58	أدب الولد مع الوالد
28	05	59	أدب الوالد مع الولد

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

33	06	74	مكانة الأسرة الصالحة
34	06	75	من أحق الأولاد بالمحبة ؟
43	08	103	كيف يجب أن يعامل الأبناء ؟
56	11	132	واجب الأب حماية ولده وحفظه
57	11	134	واجب الإخوة الأمان و نصح
58	12	137	دور اللعب في التربية
58	12	138	أدب رحلات الأطفال
62	13	146	التربية بالتلقين
164	38	399	البيت الصالح له الأثر الطيب في استقامة الفرد

تاريخ:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
82	18	193	من خصائص بني إسرائيل
83	19	196	عن القوافل السيارة
90	21	215	من الذي اشترى يوسف عليه السلام ومن

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

			زوجه ؟
90	21	216	من أحوال مصر
115	25	271	السيادة وسياقها التاريخي
117	25	276	عن السجن والعذاب
120	27	283	فيمن تكلم صغيرا
126	29	301	سنن الله الكونية في الدول
131	30	309	من هي النسوة ؟
134	31	319	مجالس الكبراء
144	32	338	القصور وكر للدسائس والمؤامرات
154	35	368	السجن الاحتياطي من وجوه الظلم
154	35	369	القضاء العرفي من وجوه الاستبداد
155	36	371	سجن يوسف
156	36	374	لماذا دخل الفتیان السجن ؟
162	37	394	الأخرة عند قدماء المصريين
169	39	414	التثليث مبدأ قديم
169	39	415	الآلهة عند قدماء المصريين
175	41	432	عقوبة الإعدام كانت ممثلة في الصلب
179	42	444	حال السجن زمن الهكسوس
180	42	445	حال الحكم زمن الهكسوس
182	43	450	عالم الرؤيا زمن يوسف عليه السلام
182	43	453	أهمية الزراعة و الماشية في مصر
285	53	541	في أهل مصر يومئذ بقية من خلق
285	53	542	استمرار أثر التوحيد بعد موت يوسف عليه السلام
290	54	550	ما هي لغة الحوار ؟
309	58	585	المجاعة كانت عامة
328	66	641	التوثيق

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

330	66	647	ضمانات العهد قديما
330	67	649	المراد بالأبواب
344	70	679	في السقاية
349	72-71	691	الصواع هو المكيال الرسمي للدولة
349	72-71	694	الكفالة في شرع يوسف
358	76	715	استرقاق السارق ظاهرة تاريخية قديمة
366	78	734	مصير العزيز
416	93	864	فائدة إرسال القميص
419	93	871	حال ملوك مصر زمن يوسف عليه السلام
420	94	872	أين قصدت القافلة
433	100	908	السجود في شريعة يوسف عليه السلام
465	109	976	النظر في آثار السابقين مأمور به
465	109	977	في دراسة السنن الكونية

قصص :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
09	03	16	لماذا سميت سورة يوسف أحسن القصص ؟
10	03	17	كل قصص القرآن أحسن القصص في بابه
12	03	20	أغراض القصة القرآنية

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

35	07	80	اختصاص الأمة المحمدية بالقصص الحق
38	07	87	ينبغي أن يبحث عن مواطن العبر في السورة
53	10	121	منهج القصة القرآنية
71	15	168	بين يوسف وأم موسى : أو بين الإلقاء الإيماني والإلقاء الشيطاني
90	21	217	يوسف على أثر جده إبراهيم
95	21	229	بين آسيا وزليخة
96	21	233	مقابلة بين يوسف وموسى عليهما السلام
98	22	237	مقابلة بين يوسف وموسى عليهما السلام : الاستواء
162	37	395	الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر منهج الأنبياء جميعا
164	38	398	رسالة يوسف امتداد للملة الإبراهيمية
171	40	421	التقليد الأعمى من أخطر الأمراض
273	50	513	النبي قدوة في عفته وكرامته
339	68	666	مكانة يعقوب عليه السلام عند الله تعالى
381	83	776	يجوز على النبي الخطأ في أمور الدنيا
384	84	783	كيف بلغ الحزن بنبي كل هذا المبلغ؟
392	86	801	اشترك الأنبياء في العلم اللدني
397	87	813	كيف لم يصل خبر يوسف إلى يعقوب ؟
401	88	823	هل الصدقة ممتعة في حق النبي ρ وحده أم تشمل جميع الأنبياء ؟
405	89	831	عدم التشفي والشماتة من أخلاق الأنبياء
417	93	866	من معجزات الأنبياء الإخبار ببعض الغيب
420	94	875	شم ريح يوسف من مسافة بعيدة
450	102	945	القصص مدعاة إلى الإيمان
452	104	950	عالمية الرسالة المحمدية

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

464	109	974	هل كان من الأنبياء نساء؟
465	109	975	الرسول من أهل التحضر والتمدن
466	110	979	استيئاس الرسول ما هو؟
470	111	986	في أنواع التفكير والاعتبار
473	111	992	مقابلة بين يوسف والنبي عليهما السلام
474	111	993	مقابلة بين يوسف وآدم عليهما السلام
474	111	994	مقابلة بين يوسف وإبراهيم عليهما السلام
474	111	995	ما هو المراد بالقصص القرآني؟
476	111	999	الإسلام دين المبدأ

تَرْكِيبة :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
26	05	54	فراصة المؤمن صائبة
28	05	60	من التدبير ترك التدبير
77	18	182	أحوال القميص

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

78	18	183	قمصان المؤمن
87	20	209	قيمة العبد عند الله تعالى في تقواه وصلاحه
88	20	212	بيع النفس للشيطان بالشهوات هو البيع البخس
88	20	213	الزهد ما هو ؟
100	22	242	لماذا ذكر حكم وعلم و إحسان يوسف عليه السلام ؟
133	30	314	الضلال المبين في المحبة
165	38	400	التخلية ثم التحلية
188	46	469	الصدّيقية
283	53	536	من فضائل التحلي بالرحمة
306	57	580	عاقبة الإحسان
307	57	583	خصال المتقين
320	62	620	رد البضاعة فيه دلالة على رد الأعمال
329	66	645	ذكر الله في كل حين
338	68	665	تلطف الله بيعقوب عليه السلام
359	76	717	من أصناف رفع الدرجات للناس
396	87	809	الرجوع إلى الله في كل وقت
401	88	821	اليد العليا خير من اليد السفلى
402	88	825	هل يقال في الدعاء اللهم تصدّق عليّ؟
404	89	828	الأخ الحقيقي
441	101	926	العلم والملك لا يساويان من علن الله شيئاً

أخلاق :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
26	05	52	جواز ذكر الإنسان بما يكره في مواضع
26	05	53	البعد عن أسباب الشر
30	06	65	النعمة على العبد قد تشمل لأهله

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

39	07	91	اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي
46	09	106	الحذر من الذنوب وما يستتبعها
46	09	107	من آثار الذنوب والمعاصي
47	09	109	التوبة الجاهزة
47	09	110	التوبة الصحيحة
48	09	111	شروط التوبة
48	09	112	هل تكون التوبة مع يقين عظم الذنب
67	15	160	الصبر
67	15	161	من كرامات الصابرين
79	18	187	الصبر الجميل
82	18	192	الاستعانة بالله
99	22	240	الإحسان
100	23	244	الحذر من الخلوة وأسباب الفتنة
105	23	257	عدم إجابة نداء الفاحشة مدعاة إلى الاستغلال بظل الله يوم القيامة
113	24	266	الإخلاص يؤدي إلى النجاة
126	29	302	الاستغفار
135	31	320	من آداب الأكل
147	33	348	التواضع لله وتعليق الأسباب به سبحانه
148	33	350	من آداب الدعاء وهديه
161	37	393	التواضع لله من شيم الصالحين والعلماء
234	41	431	العنبر ليس ميزان الكرم
277	51	524	رد الجميل
287	53	543	الاعتراف في الدنيا يجنب الفضيحة يوم القيامة
294	55	555	هل مدح يوسف نفسه ينافي التواضع ؟
300	55	566	الحفظ والعلم صفتان لازمتان في كل

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

			مسؤول
300	55	567	خصال يوسف التي جعلته يطلب خزائن الأرض
306	57	579	مدح الثاني في الأمور كلها
316	59	605	مشروعية الضيافة
319	61	613	خطورة الوعد
325	65	632	صلة الرحم
326	65	634	الوفاء بالعهود
326	65	637	إكرام الناس وسيلة لاستمالتهم إلى الخير
331	67	650	رحمة الآباء بالأبناء ولو كانوا عاقين
341	69	672	رأفة الأخ الحقيقي بأخيه
348	72-71	688	من حسن أدب الحديث
348	72-71	689	ترك الخصام والجدل
363	77	728	كظم الغيظ
366	78	735	إكرام الشيخ الكبير
367	78	739	في أنواع الإحسان
380	83	774	حسن الظن بالله
383	84	781	البكاء لا ينافي الصبر
390	86	795	المحنة تقتضي الصبر والتقوى
391	86	797	الشكوى إلى الله من تمام المحبة
393	86	802	الحزن فطرة في الإنسان
404	89	828	النصح وعدم التشفي مدعاة لتوبة المذنب
410	90	844	جزاء الصبر والتقوى
413	92	855	الصفح الجميل
414	92	859	صفة العفو
419	93	870	تحويل الحديث من حسن الخلق
426	97	888	طلب الاستغفار من الوالدين عند العقوق

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

426	97	890	الاعتراف بالخطأ من شيم العقلاء
427	97	892	طلب المغفرة بداية للتوبة
430	99	899	مكانة الوالدين
431	99	903	طمأنة الخائف من تخفف من كربيه
430	99	900	من إكرام الوالدين تخصيص مكان لهما
436	100	913	الحفاظ على مشاعر الآخرين
436	100	914	التحديث بنعمة الله وتذكر الحال الأولى
437	100	916	من مكارم الأخلاق عدم ذكر الأسماء

قراءات:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
59	12	141	قراءات " يرتع ويلعب "
104	23	254	من فنون القراءات في " هيت "
186	45	465	من فنون القراءات " الأمة "

علم تعبير الرؤيا:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
17	04	33	ما هي الرؤيا ؟
18	04	34	درجات الناس بالنسبة للرؤى
19	04	36	الرؤيا في حق الأنبياء وحي

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

19	04	37	الرؤيا في حق الصالحين بشارة ورفعة
20	04	41	في علم تعبير الرؤيا
24	05	49	ماذا يفعل من رأى رؤيا ؟
25	05	51	على من تقصّ الرؤيا ؟
175	41	433	الرؤيا لأول عابر
183	43	456	سورة يوسف أساس في علم الرؤى
184	44	459	الفرق بين الرؤيا والحلم
185	44	460	الرؤيا لأول معبر بشرط العلم الصحيح بها
190	45	474	التعبير من العلوم الشرعية
197	48	490	جواز الرؤيا للكافر

سيرة نبوية:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
14	03	25	مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله عز وجل
15	03	27	غفلة النبي ﷺ عن القصص من دلائل الوحي
16	03	30	قصة يوسف دليل على صحة نبوة محمد ﷺ

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

23	04	47	بين سيرة يوسف وسيرة النبي ρ: الرؤيا
56	10	129	بين سيرة يوسف وسيرة النبي ρ: الإيذاء
80	18	190	تسلية للنبي ρ لما يتعرض له من أذى
86	19	204	الله محيط بكيد الكائدين يا محمد
96	21	231	بين سيرة يوسف وسيرة النبي ρ: الهجرة
100	22	243	وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بالتمكين
150	33	354	بين سيرة يوسف وسيرة النبي ρ: الخلوة
201	49	499	بين سيرة يوسف وسيرة النبي ρ: السنين
273	50	510	كل خصلة ذكرت في القرآن كان للنبي ρ فيها السبق
415	92	860	بين سيرة يوسف وسيرة النبي ρ : الصفح عند الفتح
449	102	943	من دلائل نبوة محمد ρ

تفسير:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
04	01	01	لماذا جاءت الأحرف المقطعة ؟
04	01	02	الانتصار للقرآن
05	01	04	لماذا وصف الكتاب بالمبين ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

05	01	05	القرآن كتاب خالد
08	02	13	غاية إنزال القرآن التدبر والعمل
19	04	38	لماذا ابتدأت قصة يوسف برؤيا ؟
23	04	46	لماذا قَدّمت الشمس على القمر في الآية ؟
29	06	63	ما هو تأويل الأحاديث ؟
30	06	64	ما هو إتمام النعمة ؟
31	06	67	لماذا قَدّم إبراهيم في نسب يوسف ؟
38	07	88	لماذا خصّ ذكر السائلين في الآية ؟
42	08	100	ما هو الضلال المبين ؟
54	10	124	ما هي غيابات الجب ؟
63	14	151	الخسران ؟
91	21	220	إكرام المثنوى
97	22	236	الأشد ما هو ؟
99	22	239	لماذا قَدّمت الحكمة على العلم ؟
109	24	259	لماذا لم يقل همّت به ولم يهم بها ؟
110	24	260	البرهان الذي رآه يوسف
110	24	261	دلائل البرهان من القرآن
113	24	265	السوء والفحشاء ما هما ؟
121	27	287	لماذا الاستدلال بخرق القميص ؟
123	27	293	الكيد ما هو ؟
131	30	310	شغاف القلب
134	31	318	عجائب كلمة المتكأ
135	31	321	دهشة النسوة كيف كانت ؟
113	32	335	الاستعصام ما هو ؟
150	33	352	ما هي الصبوة ؟
151	34	357	ما هو صرف الكيد ؟
155	35	372	ما هو الحين ؟

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

156	36	375	هل كانت رؤيا الفتين صادقة أم كاذبة ؟
159	37	384	حقيقة الرزق
175	41	434	لماذا قال قضي الأمر ؟
178	42	441	سته وجوه لعدم نسيان يوسف لربه
182	43	449	لماذا لم يقل الملك إنني أرى في المنام ؟
182	43	451	السنابل سبع كالبحر
183	43	454	ما المأ ؟
186	45	464	فعل الإتكار
187	45	466	لماذا تكلم الساقى بلفظ الجمع ؟
188	46	470	لماذا خاطب الساقى يوسف بالصدّيقية ؟
193	46	477	فائدة لعل في هذا المقام
200	49	497	الإعصار
288	54	545	سرعة الاستدعاء
291	54	552	ما هي الأمانة والتمكين
299	55	562	المراد بالخزائن
299	55	564	لماذا لم يقل يوسف عليه السلام إن شاء الله ؟
304	56	573	الإحسان بمعنى الصبر
313	59	599	الجهاز
314	59	600	لماذا طلب يوسف بمجيء أخيه ؟
315	59	603	معنى الوفاء بالكيل
315	59	604	ما هو الإنزال ؟
319	61	614	في المرادة
325	65	630	المتاع
328	66	642	ما هي الإحاطة ؟
338	68	664	ما هي حاجة يعقوب ؟
351	73	699	كيف حلف إخوة يوسف على قوم لا

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

			يعرفونهم
355	76	709	شدة التفتيش
356	76	711	كيد الله
371	80	750	من الكبير ؟
374	81	757	كيف حكم إخوة يوسف على بنيامين بأنه سرق من غير بينة ؟
380	83	772	لماذا تكلم يعقوب بضمير الجمع ؟
386	84	787	ما معنى الكظيم ؟
388	85	792	الحرص ما هو ؟
391	86	798	ما هو البث ؟
392	86	800	علم يعقوب ما هو ؟
395	87	806	التحسس والتجسس
397	87	811	ما هو الروح ؟
400	88	820	كلمة المزجاة
401	88	822	الصدقة
405	89	832	معنى الجهل في الآية
409	90	842	ما هي المنة ؟
412	91	851	بماذا فضّل الله يوسف على إخوته
413	91	853	بين الخاطئ والمخطئ
413	92	854	ما هو التثريب ؟
416	92	862	في قوله أرحم الراحمين
418	93	868	من هم الأهل المقصودون ؟
421	94	878	ما هو الفند ؟
425	96	885	ما المراد بعلم يعقوب ؟
432	99	904	الاستثناء بقول إن شاء الله
432	99	905	بما تعلق المشيئة في الآية ؟
432	99	906	الأمن في القرآن

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

442	101	927	في الملك وتأويل الأحاديث
442	101	928	لماذا قدّم يوسف الملك على تأويل الأحاديث ؟
450	102	946	من المراد بإجماع الأمر والمكر ؟
451	103	948	المقصود بالناس في الآية ؟
453	105	954	معنى المرور
459	107	964	في الغاشية
472	111	988	لماذا قال عبرة لأولي الألباب ؟
972	111	990	ما معنى كل شيء في الآية ؟
475	111	996	من هم أولوا الألباب ؟

علوم الحكمة :

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
31	06	68	تلقي النبوة يقتضي الإعداد والاستعداد
36	07	82	الآيات وأنواعها
47	09	108	الغربة كربة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

55	10	125	الاقْتِصَادُ فِي الْاِنْتِقَامِ
72	16	170	الْبُكَاءُ لَا يَدُلُّ حَتْمًا عَلَى الصِّدْقِ
78	18	185	الرَّأْيُ يَحْتَمِلُ الصَّوَابَ وَالخَطَأَ
85	19	199	مِصَانِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
91	21	218	بِلَدِ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَعْبُدُ اللهُ
92	21	221	فِرَاسَةُ الْعَزِيزِ فِي يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
92	21	222	عِلْمُ الْفِرَاسَةِ
92	21	223	التَّهْيِئَةُ وَالْعِنَايَةُ مِنْ تَمَامِ التَّمَكِينِ
121	27	286	لِلْحَقِّ عِلَامَاتٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ
151	34	358	الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ يَدْعَوَانِ إِلَى الْخَيْرِ
161	37	390	جَوَازٌ وَصَفَ الْعَالَمَ نَفْسَهُ إِذَا جَهِلَتْ مَنزِلَتُهُ
165	38	401	الْفِرَاقُ مَدْعَاةٌ إِلَى الْهَلَاكِ
166	38	406	النُّكْرَانُ وَالْجُحُودُ مِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ
166	38	407	الكَثْرَةُ مَذْمُومَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
167	39	410	الْأَخْذُ بِالْحِجَّةِ فِي الْاِسْتِدْلَالِ
169	39	413	نَصْحُ الرَّائِي مَقْدَمٌ عَلَى تَأْوِيلِ رُؤْيَاهِ
174	41	430	الْاِجْتِمَاعُ فِي الْحَالِ لَا يَعْنِي الْاِجْتِمَاعُ فِي الْمَالِ
199	49	495	لَنْ يَغْلِبَ عَسْرٌ بِسَرِيْنٍ
199	49	496	الْغِيْثُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ
200	49	498	هَلْ لَابَدٌ مِنْ عَامٍ خَيْرٍ بَعْدَ أَعْوَامِ الشَّرِّ ؟
288	54	546	فَضْلُ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ
288	54	547	لَيْسَ مِنْ سَمِعَ كَمَنْ رَأَى
299	55	565	الحِفْظُ وَالْعِلْمُ
304	56	571	رَحْمَةُ اللهِ الدُّنْيَوِيَّةُ تَشْمَلُ جَمِيعَ خَلْقِهِ
323	64	625	جَوَازٌ سِوَهُ الظَّنِّ لَوْجُودِ الْقِرَائِنِ
323	64	626	لَا يَلْدَغُ مُؤْمِنٌ مِنْ جَحْرٍ مَرَّتَيْنِ

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

324	64	627	الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب
339	68	667	العلم مدعاة إلى العمل
342	69	674	التقاؤل سبيل النجاح
343	69	676	التدرج حتى في إدخال السرور
357	76	713	البر لا يبلى والذنب لا ينسى
358	76	716	رفع درجات يوسف وأخيه وأبيه
361	76	721	درجات العلم
366	78	737	العدول من أمر إلى أمر آخر
376	81	762	الموضوعية في سرد الأحداث
378	82	766	الوثوق في النفس من تمام الصدق
380	83	773	الرجاء لا ينبغي أن ينقطع
393	86	803	أشرف أعضاء الإنسان
398	87	814	المؤمن أمره كله خير
414	92	857	طلب الحوائج من الشباب والشيوخ
470	111	986	في أنواع التفكير والاعتبار

رقائق:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
09	02	15	هجر القرآن أنواع
14	03	24	القرآن أفضل سبيل للذكر والتذكر
14	03	26	الغفلة في القرآن

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

49	09	114	ظلم الأهل أشد وقعا
49	09	115	العداء بين الإخوة لأب
51	10	119	ما هو الابتلاء وما أحواله ؟
52	10	120	الحكم من وراء الابتلاء
60	13	142	ما هو الحزن ؟
60	13	143	ما هو الخوف ؟
61	13	144	الحزن والخوف
80	18	188	من الأهل أعداء يجب الحذر منهم
86	19	203	وعيد لكل ظالم
86	19	205	وجوب المراقبة الدائمة لله تعالى
93	21	224	المؤمن محبوب من الخلق
94	21	225	الولد مطلوب مرغوب
98	22	238	الحكمة والعلم منحة إلهية
103	23	252	ما هو الفلاح ؟
113	24	267	خمسة أسباب للنجاة من الفتن
114	25	268	الفرار من محل الفتنة
117	25	275	بين الحب الصادق والحب الكاذب
146	33	344	اختيار العقوبة أولى من ارتكاب المعصية
147	33	346	الإنسان بغير عون الله ضعيف
147	33	347	اللجوء إلى الله في كل الأحوال
149	33	351	الأولى أن يسأل العبد العافية
151	34	357	الاستجابة من الله اللطف بعباده
151	34	358	سرعة إجابة الله تعالى لدعاء الأنبياء والصالحين
156	36	373	من شيم الحكماء معرفة مواضع الصمت والكلام
165	38	402	نجات الإنسان معلقة بإتباع الأنبياء

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

			والمرسلين
167	39	409	عن الصحبة
176	42	436	جواز الاستعانة بالغير وقت الشدة
179	42	442	حديث النفس والشيطان
186	45	463	النجاة من المصائب
270	50	503	طلب البراءة ورد التهمة
274	50	516	وعيد لأصحاب الكيد
277	51	525	للأتقياء في نفوس الفسقة إجلال وإكبار
279	52	529	الاعتراف بالذنب بداية للتوبة
280	52	532	النفس الأمانة بالسوء
282	53	534	النفس لا يوثق بها
282	53	535	الاعتذار
293	55	554	جواز تركية العبد لنفسه في مواضع
305	56	574	الجزاء من جنس العمل
304	56	572	الرحمة نعمة إلهية
305	56	575	الله على كل شيء حسيب
305	56	576	تسلياة لأهل البلاء بشرط مصاحبة الإحسان والتقوى
319	61	616	الاحتياط المحمود ما هو ؟
331	67	651	الأدلة على إثبات العين
332	67	652	العين وحقيقتها
338	68	663	الأسباب متعلقة بالله عز وجل
343	70	678	الاصطفاء يقتضي الابتلاء
359	76	718	مهما بلغ شأو العلم فهو ناقص
364	77	731	شيمة الأنبياء عدم الانتصار للنفس
368	79	742	لا بديل للحبيب في شرع المحبة
379	83	770	تتابع المصائب لا يقابل إلا بالصبر الجميل

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

379	83	771	اشتداد البلاء يدل على قرب الفرج
380	83	775	صفة الصفوة
381	84	777	التعريض بالدعاء
384	84	782	الحزن و أحواله
384	84	784	الحزن القديم قد يتجدد
391	86	797	الشكوى إلى الله من تمام المحبة
339	86	802	الحزن فطرة في الإنسان
403	88	827	آداب التذلل
405	89	833	نصرة الأهل في مواطن الذل
409	90	841	مصير المظلوم النصرة من الله ولو بعد حين
410	90	487	من أفانين الخطابة والوعظ
411	90	849	التحدث بنعمة الله
415	92	860	الدعاء لمن ظلمك
421	94	876	التعرض للنفحات
425	96	884	الفرج بعد الشدة
429	98	896	هل الأجر طلب الاستغفار أم التوبة ؟
429	98	897	باب التوبة مفتوح مهما عظمت الذنوب
431	99	902	الوصول بعد الفراق
436	100	915	الاعتراف بالنعمة في جميع الأحوال
438	100	920	نزغ الشيطان
444	101	932	اكتمال الأمر يكون بعده النقصان
446	101	936	لماذا كانت الدنيا مضمومة والموت مطلوباً
446	101	937	سؤال حسن الخاتمة
453	104	953	ذم الغفلة والإعراض عن التفكير والاعتبار

لغة:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
07	02	09	مكانة اللغة العربية وفضلها
08	02	12	ذكر اللغة العربية في أول السورة له ما بعده
13	03	23	فن براعة التلخيص في مطلع السورة
16	03	29	لماذا لم قال من العاقلين ولم يقل غافلا ؟
24	04	48	* الاختصاص * التأكيد * التغليب
28	05	61	* سر قوله " يكيدوا لك " تأكيد التخويف * سر قوله " لا تقصص " فك الإدغام
35	06	78	* استعمال الأب بمعنى الجد * التشبيه المرسل
50	09	117	* الحذف * الإضمار * المجاز * من فنون الخطاب
56	10	130	* طريقة المقاولات والمحاورات * العدول عن اسم العلم إلى التكتير
57	11	135	جمال ودلالة تعبير " ملك لا تأمنا "
62	13	148	قوله " وأنتم غافلون "
64	14	153	دخول اللام على إن الشرطية: * إضمار القصد * الالتزام بالوعد
73	16	172	بين لفظي جاء وأتى
78	18	184	لطيفة بلاغية : من صيغ المجاز
89	20	214	* الشراء بمعنى البيع * البخس * الدرهم * تقديم المجرور
96	21	234	* الشراء * المرأة * المثنوى
105	23	256	* قوله " في بيتها " الكناية في راودته
117	25	278	* قوله " استبقا الباب " * قد القميص * الإلقاء

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

122	27	291	* الكناية * قوله " هي راودتني "
128	29	305	* التضمين * الالتفات * التغليب
133	30	315	قوله " و قال نسوة "
140	31	331	* التشبيه البليغ * فن تجاهل العارف
145	32	340	* قوله " فذلكن " * نون التوكيد * تركيب " من الصاغرين "
152	34	361	التأكيد وأنواعه
158	36	383	* لفظ فتیان * اطلاق اسم الشيء بما يؤول إليه
163	37	397	* الاستثناء * الاستثناء * زيادة ضمير الفصل
167	38	408	الكلام في الصيغة الخبرية
170	39	418	* الاستفهام التقريري * النداء ب يا صاحبي
173	40	425	مخاطبة الجمع عبر الأفراد
174	40	428	الأسماء بمعنى المسميات
176	41	435	توحيد الأمر في قوله " قضي الأمر "
184	43	457	نفي الشيء بإيجابه
185	44	461	* الجمع للمبالغة * الاختزال من أنواع الحذف
194	46	479	* الأمة واستعمالاتها المختلفة * لفظ " الفتيا " * التكرار في " لعل "
197	47	489	الخبر في معنى الأمر
197	48	491	المجاز في قوله " يأكلن "
201	49	500	* العام والسنة * الإشارة بذلك للمؤنث
278	51	526	قوله حصص
280	52	531	نكتة بلاغية

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

308	57	584	التعبير بصيغة الماضي والمضارع
312	58	598	لماذا قال ولم يعرفوه وقال وهم له منكرون
317	59	609	إيثار صيغة الاستقبال
319	61	617	في قوله إنا لفاعلون
322	63	622	لماذا استعمل إخوة يوسف صيغة الماضي في قولهم " منع "
325	65	631	أحوال " ما " في الآية
327	65	638	إيثار صيغة البناء للمفعول
341	68	671	إطلاق اسم الحاجة إلى المحتاج إليه
343	69	677	التأكيد في قوله " إني أنا أخوك "
347	70	687	المجاز المرسل في قوله أيتها العير
349	71-72	692	بين الجمل والحمل
350	71-72	697	من بلاغة القرآن
352	74-75	702	قوله فهو جزاؤه
353	74-75	705	تكرار الجزاء ما سببه ؟
354	76	706	لم ذكر الصواع منكرات ثم أنه؟
354	76	707	الهاء في استخرجها
361	76	723	إيثار صيغة الاستقبال وصيغة المبالغة مع التنكير
365	77	732	لفظ " بما تصفون " في القرآن
370	79	747	الحذف والإيجاز
373	80	756	احتواء اللفظ القليل على المعاني الكثيرة
378	82	767	إطلاق المحل على اسم الحال
387	84	788	التجنيس المماثل
389	85	794	الحذف المركب ومعنى البث
394	86	805	معنى البث في الآية
398	87	815	استعارة " الروح " للرحمة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

407	89	837	"هل" بمعنى "قد" والاستفهام بمعنى التوبيخ
411	90	850	دلالة حذف الياء
416	92	863	التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء
423	94	880	الريح ما هي والتأكيد في الآية
431	99	901	إطلاق الأم على الخالة
432	99	907	إطلاق الكل على البعض
440	100	925	الباء في " أحسن بي "
449	101	942	براعة المطلب و حسن التوسل
451	102	947	الاحتجاج للنظر أو المذهب الكلامي
451	103	949	فن الاعتراض
463	108	973	حقيقة الإبتاع
469	110	983	مادة " القوم " في الآية

سياسة:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
290	54	549	قواعد في تولية المناصب
291	54	551	بين بطانة الخير وبطانة السوء
294	55	556	جواز أن يسأل الإنسان الولاية بشروط

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

295	55	557	تقييدات العمل عند الظالم
296	55	558	امتيازات المنصب
296	55	559	تحذيرات من الحرص على الإمارة لمن لا يستحقها
298	55	560	جواز عمل الرجل الصالح لدى الفاجر بشروط
301	55	568	الرجل المناسب في المكان المناسب
302	56	570	المسؤولية تقتضي التواجد المستمر
310	58	590	سياسة الباب المفتوح
310	58	591	المسؤولية تكليف وليست تشريفا
311	58	593	حسن التدبير والإدارة
314	59	601	خصال القائم على التموين
316	59	607	من قواعد الإدارة الناجحة (الحكم الراشد)
369	79	743	كلام المسؤول الواعي
409	90	848	عدم الاغترار بالمنصب
429	99	898	من البروتوكول استضافة الوفود قبل دخولها البلد

قضاء:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
275	51	517	القضاء يعيد الاعتبار ليوسف عليه السلام
275	51	518	إعادة النظر في القضية لوجود أدلة جديدة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

275	51	519	تشكيل لجنة تحقيق مستقلة
279	52	528	التحقيق يفضي إلى الحقيقة

اقتصاد:

رقم الصفحة	رقم الآية	رقمها	عنوان الفائدة
309	58	586	من آثار المجاعة
311	58	594	المنطقة الحرة
320	62	618	ما هو الاستثمار؟
326	65	635	الحد الأدنى للكفاف

فهرس الآيات القرآنية :

الصفحة	سورة البقرة:
355	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا (26)
256	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا (29)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

85	قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ (30)
360	قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)
؟	مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)
79	وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (124)
70	قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ (136)
100	وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)
100	أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)
391	وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ (164)
282	إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)
203	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ (172)
256	وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ (196)
؟	وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهُ (214)
408	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ (216)
74	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)
66 الهامش	قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ (247)
99	كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)
292	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ (260)
256	الَّذِينَ يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ (261)
281	الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ (268)
55	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (269)
329	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (286)
الصفحة	سورة آل عمران:
59	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (7)
119	فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21)
52	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)

464	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42)
217	وَآتَيْنَاكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)
307	فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)
444	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)
463	وَلَنْتُكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (104)
150	إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)
468	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)
432	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)
99	وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)
284	وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْهُمْ لَمْ يَلْمِ اللَّهُ لَكُمْ لِيْلْمُواكُمْ أَنْتُمْ لَمْ يَلْمُواكُمْ أَنْتُمْ كَانْتُمْ كَافِرِينَ (178)
	سورة النساء:
	الصفحة
233	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (48)
223	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ (64)
251	وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ (69)
335	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا (71)
173	إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)
173	الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ (76)
81	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)
223	وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ (115)
232	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ (135)
	سورة المائدة:
	الصفحة
152	وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23)

307	قَالَ إِنَّمَا يَنْتَقِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27)
81	أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا (32)
233	إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)
464	مَا الْمَسِيحُ بِنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ (75)
322	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بَنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (116)
	سورة الأنعام:
	الصفحة
28	أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ (6)
283	مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16)
387	وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26)
479/472	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (38)
250	إِلَّا أُمَّةً أُمْتَلَكْتُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)
266	ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62)
474	قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)
71	وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84)
437/273	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ (90)
29	وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)
450	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّأَكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ (144)
	سورة الأعراف:
	الصفحة
112	يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى (26)
112	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)
322	وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ (50)
123	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)
307	إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)
303	قَالُوا أَوْدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا (129)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

303	وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا (137)
473	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)
71	وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159)
71	وَقَطَعْنَا لَهُمُ النَّتْيَ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أَمَمًا (160)
32	أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلُ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)
51	فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185)
158	إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201)
32	وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (205)
سورة الأنفال:	
468	وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)
222 الهامش	وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)
28	فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (38)
سورة التوبة:	
387	اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)
415	عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)
182	فِيهِ رَجَالٌ يُجِبُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (108)
126	إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ (111)
199	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)
سورة يونس:	
70	فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16)
264	وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67)
152	فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84)
سورة هود:	
251	وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ (8)
341	قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ (43)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

283	قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43)
328	إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (46)
450	مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)
16	فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71)
341	قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (80)
375	إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87)
283	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مِخْتَلِفِينَ (118)
16	وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ (120)
سورة الرعد:	
100	سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)
231	وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41)
سورة إبراهيم:	
471	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)
439	يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (27)
261	وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33)
471	وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)
432	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (35)
سورة الحجر:	
256	لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)
256	وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87)
سورة النحل:	
224	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ (36)
61	وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81)
313	يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83)
21	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

473	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً (97)
365	وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ (116)
250	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)
307	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)
الصفحة	سورة الإسراء:
374	نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ (47)
461	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشْرًا رَسُولًا (94)
الصفحة	سورة الكهف:
112	وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَبِرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)
133	الْمَالِ وَالنَّوْنِ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)
233	فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)
240	وَمَا أُنْسَانِيَّةِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63)
257	سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ (22)
387	الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)
الصفحة	سورة مريم:
59	قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10)
29	فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)
374	وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52)
307	تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63)
307	ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)
133	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)
الصفحة	سورة طه:
343	وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (121)
74	وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82)
الصفحة	سورة الأنبياء:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

227	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)
79	وَتَبَلَّوْكُمْ بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)
389	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57)
206	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)
206	لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)
الصفحة	سورة الحج:
80	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ (11)
الصفحة	سورة المؤمنون:
342	وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)
203	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51)
الصفحة	سورة النور:
284	وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)
74	وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)
401	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جَلَالِهِ (43)
233	فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)
الصفحة	سورة الفرقان:
25	وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30)
324/156	وَعبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)
100	أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75)
الصفحة	سورة الشعراء:
346	وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)
162	قَالَ لَنْ اتَّخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)
445	الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78)
445	رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)
الصفحة	سورة النمل:

387	وَجِئْنَاكَ مِنْ سَبَأٍ بَنِيًا يَقِينٍ (22)
473	وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23)
152	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)
الصفحة	سورة القصص:
464	وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَضَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي (7)
134	وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ قَرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)
151/90	وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)
431	قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)
170/131	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)
329	قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِهَا نَحْنُ وَأَنْ نَكْفِكَ إِحْدَىٰ ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ (27)
329	قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ فَصَيِّتْ فَلَا غُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28)
الصفحة	سورة العنكبوت:
80	أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُمِرَّكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)
الصفحة	سورة لقمان:
457	وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ (27)
256	سورة السجدة:
99	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)
الصفحة	سورة الأحزاب:
133	ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ (5)
148	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ (33)
133	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)
284	هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَجِيمًا (43)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

الصفحة	سورة فاطر:
274	اسْتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَجِئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (43)
الصفحة	سورة الصافات:
245	لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8)
193	طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65)
102	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُكُ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى (102)
79	إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106)
470	وَإِنكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْجِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)
155	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ (143)
الصفحة	سورة ص:
306	هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39)
80	وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ (43)
346	وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)
156	إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46)
149	قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)
الصفحة	سورة الزمر:
100	قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ (10)
95	فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (15)
51	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفْسِيرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (23)
285	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أفرَأَنتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (38)
429	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (53)
الصفحة	سورة غافر:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

283	وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)
286	وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ (33)
203	وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60)
الصفحة	سورة فصلت:
59	سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (53)
الصفحة	سورة الشورى:
460	اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17)
375	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)
421/30	وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ (51)
43	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا (52)
الصفحة	سورة الزخرف:
250	بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (22)
الصفحة	سورة الدخان:
375	ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49)
الصفحة	سورة الأحقاف:
139	حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَسَدُهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ (15)
الصفحة	سورة الفتح :
468	وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا (3)
432	لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ (27)
الصفحة	سورة الحجرات:
308	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)
456	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (14)
الصفحة	سورة ق:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

267	وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9)
الصفحة	سورة الذاريات:
316	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24)
224	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)
الصفحة	سورة النجم:
294	فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)
الصفحة	سورة القمر:
77	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (17)
307	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ (55)
الصفحة	سورة الرحمن:
315	أَلَا تَطَّغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)
الصفحة	سورة الواقعة:
370	وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (84)
الصفحة	سورة الحديد:
266	أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ (16)
266	اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِ أَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17)
الصفحة	سورة المجادلة:
364	وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْمَصِيرُ (8)
240	اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ (19)
الصفحة	سورة الصف:
263	تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)
182	وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ (13)
الصفحة	سورة الطلاق:
308	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

308	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)
256	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ (12)
308	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)
الصفحة	سورة الملك:
119	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)
الصفحة	سورة القلم:
119	بِأَيْكُمُ الْمُقْتُونُ (6)
386	فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48)
الصفحة	سورة الحاقة:
256	سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ (7)
الصفحة	سورة نوح:
444	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)
الصفحة	سورة المزل:
268	السَّمَاءِ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18)
الصفحة	سورة القيامة:
460	بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)
182	وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8)
الصفحة	سورة الإنسان:
407	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)
79	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)
الصفحة	سورة النازعات:
460	يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6)
150	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40)
الصفحة	سورة الانفطار:

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

443	إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1)
460	إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2)
الصفحة	سورة الضحى:
342	أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6)
33/183	وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7)
الصفحة	سورة الشرح:
120	إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)
الصفحة	سورة التين:
191	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)
الصفحة	سورة القدر:
21	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1)
الصفحة	سورة الزلزلة:
79	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)
الصفحة	سورة الهمزة:
322	يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)
الصفحة	سورة الفلق:
173	وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4)

فهرس الأحاديث النبوية :

الصفحة	الراوي	الحديث
16	ابن حبان وابن جرير والحاكم	أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه
21	البخاري	ما من نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

25	أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة	رفع القلم عن ثلاث
35	البخاري والدارمي	سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم
36	أحمد والترمذي والدارمي	يا رسول الله أرأيت قوله تعالى: " لهم البشرى "
37	مسلم وأحمد والترمذي والدارمي	وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا
38	البخاري و مسلم	الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان
38	البخاري وأحمد	الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا
40	ابن ماجة	الرؤيا لأول عابر
42	الترمذي وأحمد والحاكم	لو كنت أمرا أحدا بالسجود لأمرت المرأة
43	أبو داود والترمذي وابن ماجة	فضل العالم على العابد كفضل القمر
43	البخاري ومسلم وأبو داود	يا رسول الله من أحق الناس بصحبتى
44	البخاري و مسلم و أحمد	أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي
45	البخاري وأحمد والترمذي	إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث
45	مسلم وأبو داود و ابن حبان	إذا رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر
46	أحمد وابن حبان	الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث
47	الطبراني والعقيلي وأبو نعيم	استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمانها
47	الطبراني (الهامش)	لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا
48	أحمد و مسلم و ابن حبان	خلقت الملائكة من نور و خلقت الجن
63	الخرائطي و ابن حبان و أحمد	اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي
64	البخاري و مسلم	لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا
68	البخاري و مسلم	يا رسول الله إني نحللت ابني هذا بستانا
71	البخاري و مسلم	أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحاق
74	ابن ماجة و أحمد و الحاكم	الندم توبة
75	البخاري	من كان لأخيه عنده مظلمة من مال و عرض
76	مسلم و الترمذي	الإثم ما حاك في نفسك و كرهت أن يطلع عليه الناس

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

80	متفق عليه	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم
80	البخاري	سألت عائشة رسول الله ﷺ عن الطاعون
82	البخاري	لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب
82	النسائي	لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا
82	ابن ماجة همامش	لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن
83	البخاري ومسلم	لك أو لأخيك أو للذئب
88	متفق عليه	لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب
88	أحمد	ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله
98	أحمد والطبراني	من أشد الناس بلاء الأنبياء
99	أحمد وابن حبان	لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده
107	أبو داود	سابق رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها
107	الأربعة وأحمد	لا سبق إلا في نصل أو خوف أو حافر
107	البخاري	كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء
111	البخاري ومسلم الهامش	يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع
111	البيهقي الهامش	لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم
114	البخاري ومسلم وأحمد	إنما الصبر في الصدمة الأولى
114	البخاري	والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال يوسف
121	مسلم	فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن
122 الهامش	البخاري ومسلم	يا كعب بن مالك أبشر
123	أحمد والحاكم	أجمع اليأس مما في أيدي الناس
125	مسلم	رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ولو أقسم على الله
133	البخاري ومسلم	إذا أحب الله العبد نادى جبريل
140	أحمد والبخاري ومسلم	أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
141	البخاري	كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
145	أحمد وابن ماجة والنسائي	فمن زاد فقد أساء وظلم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

150	أصحاب السنن	اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني
150	مسلم وأحمد	ومن همّ بسينة فلم يعملها
151	البخاري ومسلم	إذا همّ عبدي بسينة فلم يعملها كتبت له حسنة
155	الترمذي وأحمد	تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة
165	الطبراني الهامش	تكلم أربعة وهم صغار
166	البخاري و مسلم	لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة
173	البخاري ومسلم	ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال من النساء
176	البخاري ومسلم	إذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر
177	أحمد و أبو داود	من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغضه الله
186	الترمذي والنسائي	لا أكل متثكا
188	مسلم وأحمد	فمررت بيوسف وإذا هو قد لأعطي شطر الحسن
196	متفق عليه	كل أمتي معافي إلا المجاهرين
202	متفق عليه	ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال
203	أحمد وأصحاب السنن	إن الدعاء هو العبادة
203	أحمد ومسلم	يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا
204	الترمذي	كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه
212	البخاري ومسلم	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت
222	البخاري ومسلم	أكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله
223	البخاري وأحمد	الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
232	مسلم وأحمد	اللهم لك أسلمت وبك آمنت وبك خاصمت
235	متفق عليه	لا تسموا العنب الكرم
235	الحاكم	الرؤيا تقع على ما تعبر ومثل ذلك
238	الطبراني	رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
238	الطبراني	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
246	مسلم	من أتى عزافا فسأله عن شيء لا يقبل الله منه صلاة

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

247	متفق عليه	الرؤيا من الله والحلم من الشيطان
250	أبو داود والترمذي	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
251	أحمد والبخاري	أسكن أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان
252	أحمد وأبو يعلى	الإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك الناس
257	أحمد والبخاري ومسلم	سبعة يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله
265	رواه الأربعة وأحمد	هو الطهور ماؤه الحل ميتته
266	أبو يعلى	وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركع وأطفال رضع
267	البخاري ومسلم واحمد	اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف
271	البخاري ومسلم	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي
281	الترمذي والبيهقي	إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة
283	البخاري	رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى
287	البخاري ومسلم وأحمد	يرفع لكل غادر يوم القيامة لواء
294	الدارمي والترمذي	أنا أكرم ولد آدم على ربه
294	البخاري ومسلم	يا عبد الرحمان لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها
296	البخاري	إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة
297	البخاري ومسلم	إنا لا نولي هذا من سألوه ولا من حرص عليه
297	الطبراني	نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها
297	مسلم	إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة
306	البيهقي	التأني من الله والعجلة من الشيطان
321	مسلم	يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم
323	البخاري	لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين
الهامش 331	البخاري	أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
332	مسلم	بسم الله أريك من كل شيء يؤذيك
332	الترمذي	يا رسول الله إن العين إليهم سريعة فأسترقي لهم
332	الطبراني	يا رسول الله أصابته العين فقال أفلا تسترقون

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

332	مسلم	العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين
332	أبو داود	كان يأمر العائن أن يتوضأ ثم يغسل منه المعين
332	ابن عدي وأبو نعيم	إن العين لتدخل الرجل القبر
335	البخاري	العين حق وأنهاكم عن الوشم
335	الطبراني	لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل
338	أحمد والبيهقي	إن هذا لا يغني شيئاً ولكنه تطيبب لنفس الحي
339	البخاري ومسلم	اعملوا فكل ميسر لما خلق له
344	متفق عليه	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما
347	العسكري والمزي	يا خيل الله اركبي
349	أحمد وأبو داود	الزعيم غارم
356	البخاري ومسلم	أفلح إن صدق
367	أبو داود والنسائي	تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد أوجب
375	مسلم	ألا أخبركم بخير الشهداء
377	البخاري و مسلم	على رسلكما إنما هي صفة بنت حبي
380 هامش	البخاري	أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني
381	مسلم	إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذني بالظن
383 هامش	مسلم	تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما بسخط الرب
	البخاري	هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
383	البخاري	ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب
383 هامش	مسلم	أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن
384	الشيخان	با بن عوف إنها لرحمة إن العين لتدمع
391	أبو داود والترمذي	أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من غضبك
401	البخاري ومسلم	اليد العليا خير من اليد السفلى
402	موقوف على عمر	إن في المعاريض لمنذوحة عن الكذب

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

403	مسلم وأحمد	صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
411	البخاري	إني لأتقاكم لله وأعلمكم به
413	الشيخان	إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرَب
415	البيهقي	ماذا تقولون وماذا تظنون؟
415	ابن عساكر والبيهقي	الحمد لله صدق ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده
421	الطبراني	إن لربكم في أيام دهركم نفحات
431	الحاكم وأبو داود	الخالة أم
433	أحمد	لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد
434	أحمد	لو كنت امرأة أحدنا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد
434	ابن أبي حاتم وأبو نعيم	لا تسجد لي يا سليمان و اسجد للحي الذي لا يموت
441	البخاري ومسلم	ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص
442	الترمذي	كل مولود يولد على الفطرة
442	مسلم الهامش	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
443	البخاري ومسلم	اللهم في الرفيق الأعلى
445	البخاري ومسلم	لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به
445	البخاري في التاريخ و البيهقي	من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي
457	أحمد والحاكم	من حلف بغير الله فقد أشرك
457	أحمد وأبو داود	إن الرقى والتائم والتولة شرك
457	أحمد والحاكم	من علق تميمه فقد أشرك
458	مسلم	يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك
458	أحمد والترمذي	إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادي مناد
458	أحمد	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
460	البخاري ومسلم	بعثت والساعة كهاتين
462	أحمد و البخاري	بلغوا عني ولو آية

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

465	أحمد	من بدا جفا
-----	------	------------

فهرس الأثار:

الصفحة	المروي عنه	الأثر
17	علقمة بن وقاص	صليت خلف عمر بن الخطاب فقرأ سورة يوسف

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

17	/	كان أبو بكر بن الصديق إذا وصل في قراءته
21	ابن مسعود	من أراد العلم فعليه بالقرآن
38	ابن عباس	رؤيا الأنبياء وحي
46	مالك	الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة
114	سفيان الثوري	ثلاث من الصبر
114	علي بن أبي طالب	من إجلال معرفة الله ومعرفة حقه
172	سعيد بن المسيب	ما أيسر الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء
176	قتادة	إن هذا القرآن يدلكم على دانكم ودوائكم
204	عبد الله بن المبارك	اللهم جنبني النار ثم ضعني حيثما شئت
253	عطاء	أدركت أقواما يسأل أحدهم عن الشيء
253	ابن عباس	إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله
253	سفيان بن عيينة	أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما
253	الشافعي	حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب
254	مالك	من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب
254	مالك	ليس في العلم شيء خفيف
254	أبو حنيفة	لولا الفرق من الله تعالى أن يضع العلم ما أفتيت
270	عمر بن الخطاب	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف موقف التهم
270	ربيع بن عامر	جننا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة
276	أسامة بن زيد	أهلك ولا نعلم إلا خيرا
294	علي بن أبي طالب	والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار
294	ابن مسعود	لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبليغه
302	الشافعي	لا يمكن المسلم حتى يبنتلى
310	عمر بن الخطاب	والله أيتها البطن لتموتن على الخبز و الزيت
339	سفيان	من لا يعمل لا يكون عالما
393	الحسن	ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

398	ابن عباس	إن المؤمن من الله تعالى على خير يرجوه
402	عمر بن الخطاب	إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب
402	الحسن	إن الله لا يتصدق إنما يتصدق من يبتغي الثواب
428	ابن مسعود	اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت
455	علي بن أبي طالب	اللهم خذني إليك فقد سئمتكم وسئمتوني

فهرس الأشعار:

الصفحة	الشاعر	الأبيات
--------	--------	---------

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

49	/	قد صغر الجوهر في ثغر لكنه تصغير تحبيب
67	/	وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم
73	عروة بن الورد	ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا يغرر وي طرح نفسه كل مطرح
73	/	حسنوا القول وقالوا غربة إنما الغربة للأحرار ذبح
92	/	فكنت كذئب السوء حين يرى دما بصاحبه يوما أحال على الدم
93	الربيع الفزازي	والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
119	طرفة بن العبد	وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
123	/	لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
130	/	وإن نبت بك أوطان قد نشأت بها فارحل فكل بلاد الله أوطان
166	السيوطي	تكلم في المهد النبي محمد ويحي وعيسى والخليل ومريم
171	/	وضعيفة فإذا أصابت فرصة قتلت كذلك فرصة الضعفاء
172	/	ولا تحسب هنذا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند
194	المتنبي	لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء
249	/	تنحي على الشوك جوازا مقضبا والهم تدريه اددكارا عجبا
285	/	ارحم بني جميع الخلق كلهم وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
379	/	اشتدي يا أزمة تنفرجي قد أذن الليل بالبلج
385	متمم بن نويرة	وقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
385	/	فلم تنسني أو في المصيبات بعده ولكن نكاه القرع بالقرح أوجع
386	/	فإن أك كاظما لمصاب شاس فإني اليوم منطلق لساني
386	/	فحضضت قومي واحتسبت قتالهم والقوم من خوف المنايا كظم
388	/	إني امرؤ لَجَّ بي حب فاحرطني حتى بليت وحتى شفني السقم

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

391	ذو النون	ليلتمسوك حالا بعد حال	إذا ارتحل الكرام إليك يوما
391	/	تمنيت أن أشكو إليه فيسمع	إذا تمنى الناس روحا وراحة
404	/	ومن يضر نفسه لينفعك	إن أخاك الحق من كان معك
421	النابغة الذبياني	قم في البرية فاجدها عن الفند	إلا سليمان إذ قال الملك له
422	/	أم هل لقول الصديق من فند	هل في افتخار الكريم من اود
422	/	فليس ما فات من أمري بمردود	يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي
422	جرير	طال الهوى وأطلتما التفنيديا	يا عادلّي دعا الملامة واقصرا
424	لبيد	بحطمة والمنى طرف الضلال	تمنى أن تلاقي آل سلمى
439	/	للطف المعاني والمعاني بما تسمو	ولطف الأواني في الحقيقة تابع
453	/	تدلّ على أنه واحد	وفي كل شيء له آية
469	زهير بن أبي سلمى	أقوم آل حصن أم نساء	وما أدري ولست أخال أدري

*المراجع

- التفسير :

- 1- أبو العباس بن عجيبة الحسني، تفسير الفاتحة الكبير
دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة 1، 1425 هـ / 2004
- 2- أبو العباس بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد

* لقد اعتمدت في سرد المراجع على الترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين مع إسقاط (أل) التعريف إن وجدت، غير أنني اكتفيت بإيراد تلك التي ليس لها علاقة مباشرة بالبحث في مواطنها من الكتاب، وأسقطتها هاهنا، فوجب التنبيه.

- مكتبة مشكاة الإسلامية، 2006
- 3- أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الجزء 9
دون دار نشر ولا تاريخ نشر .
- 4- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، الجزء 2
دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1412 هـ / 1992
- 5- أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، زاد المسير
قرص مضغوط
- 6- أبو القاسم بن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل
الدار العربية للكتاب، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 7- أبو القاسم الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، الجزء 2
دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 8- أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي ، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)
مكتبة مشكاة الإسلامية ، 2006
- 9- أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1413 هـ - 1993 م
- 10- أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، الجزء 12 - 15
دار إحياء التراث العربي، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 11- جلال الدين السيوطي وجمال الدين المحلي، تفسير الجلالين
دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1424 هـ / 2004
- 12- جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور
قرص مضغوط
- 13- حسن صديق خان القنوجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن
المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة 2 ، 1415 هـ / 1995
- 14- سعيد حوى، الأساس في التفسير ، الجزء 2
دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة 5 ، 1419 هـ / 1999
- 15- سيد قطب ، في ظلال القرآن
مكتبة مشكاة الإسلامية، 2006
- 16- شمس الدين بن قيم الجوزية ، التفسير القيم (جمع محمد أويس الندوي)

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 17- الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الجزء 12
الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1396 هـ / 1976
- 18- عبد الرحمان بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان
دار الفكر ، بيروت . الطبعة 1 ، 1423 هـ / 2002
- 19- عبد الرحمان الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الجزء 2
المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985
- 20- عبد الله أحمد النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)
دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 21- فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب
مكتبة مشكاة الإسلامية ، 2006
- 22- محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الجزء 1
دار عالم الكتب ، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 23- محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ،
مكتبة مشكاة الإسلامية ، 2006
- 24- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير
المكتبة العصرية ، بيروت ، 1424 هـ / 2004
- 25- محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني
شبكة مشكاة الإسلامية ، 2006

- علوم القرآن :

- 26- بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة 1 ، 1408 هـ / 1988
- 27- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن

- دار عالم الكتب ، بيروت ، 1370 هـ / 1951
- 28- جلال الدين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن (تحقيق عبد القادر أحمد عطا)
دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة 2 ، 1985
- 29- الحسين بن محمد الدامغاني ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة 3 ، 1980
- 30- الشريف قصار ، معاني الحروف في القرآن الكريم
الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984
- 31- شمس الدين بن قيم الجوزية ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن
مكتبة الهلال ، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 32- محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه
دار اليمامة ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، الطبعة 7 ، 1999

- بحوث في القرآن :

- 33- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن
دار الشروق ، القاهرة ، 1415 هـ / 1995
- 34- الطاهر بن عاشور ، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة
الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1985
- 35- مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية
دار الفكر ، دمشق ، إعادة الطبعة الرابعة ، 1425 هـ / 2004
- 36- محمد صبيح ، بحث جديد عن القرآن الكريم
دار الشروق . القاهرة ، الطبعة 8 ، 1413 هـ / 1983
- 37- موسى إبراهيم الإبراهيم ، تأملات قرآنية : بحث منهجي في علوم القرآن
دار الشهاب ، الجزائر ، 1988

- القصص القرآني :

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- 38- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي ، صحيح قصص الأنبياء (تحقيق سليم الهلالي)
مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة 2 ، 1422 هـ / 2002
- 39- سرور بن نايف زين العابدين ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله
دار ابن تيمية ، الجزائر ، الطبعة 5 ، 1410 هـ / 1990
- 40- عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء
دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة 3 ، دون تاريخ نشر
- 41- علي فكري ، أحسن القصص (الجزء 1)
مكتبة رحاب ، الجزائر ، دون تاريخ نشر
- 42- فضل حسن عباس ، القصص القرآني : إبحاؤه ونفحاته
شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1989

- بحوث في سورة يوسف :

- 43- أحمد ماهر محمود البقري، يوسف في القرآن
دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1404 هـ / 1984
- 44- سراج الدين الأوسي، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام (تحقيق كمال الدين علام)
دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى 2003 / 1424
- 45- عبد الرحمان المعلمي ، دروس وعظات وعبر في سورة يوسف
دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003
- 46- محمد صالح المنجد، 100 فائدة من سورة يوسف (تحقيق وتخريج الأحاديث : هاني فاروق)

- الحديث :

- 47- أبوداود السجستاني ، سنن أبي داود
بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت ن

- 48- أبو زكرياء النووي، ابن دقيق العيد ، العثيمين ، الرياض الندية في شرح الأربعين النووية شركة مكتب جرير، الطبعة 1 ، 1424 هـ / 2003
- 49- أبو عبد الرحمان النسائي، سنن النسائي
بيروت ، دار الفكر ، د ت ن
- 50 - أبو عبد الله بن ماجة ، سنن بن ماجة
بيروت ، دار إحياء التراث العربي
- 51- أحمد ، مسند أحمد
بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د ت ن
- 52- البخاري ، صحيح البخاري
بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت ن
- 53- الترمذي ، سنن الترمذي
بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1994
- 54- جلال الدين السيوطي ، الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير
دار الفكر، بيروت ، دون تاريخ نشر
- 55- جلال الدين السيوطي ، جمع الجوامع
شبكة الأنترنت ، مكتبة مشكاة
- 56 - الدارمي ، سنن الدارمي
بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت ن
- 57- زين الدين بن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم
دار الوفاء ، مصر ، 1419 هـ / 1998
- 58- زين الدين بن رجب الحنبلي ، ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء
دار الشهاب ، الجزائر ، 1987
- 59 - مالك بن أنس ، موطأ مالك
بيروت ، دار الكتاب العربي، 1988
- 60- محمد بن إسحاق بن خزيمة، صحيح بن خزيمة
بيروت ، المكتب الإسلامي ، د ت ن
- 61- محمد بن حبان البستي ، صحيح بن حبان
بيروت ، دار الفكر ، د ت ن

- 62- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة 1 ، 2004
- 63- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته
مكتبة مشكاة الإسلامية ، 2006
- 64 - مسلم ، صحيح مسلم
بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992

الرقائق :

- 65- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، بهامشه تخريج الحافظ العراقي (تحقيق عصام عبد الرحيم محمد)
دار ابن الهيثم ، القاهرة ، مصر ، 2004.
- 66- أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي ، تلبيس إبليس (تحقيق السيد الجميلي)
دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة 4 ، 1490 هـ / 1990
- 67- أحمد فريد ، دقائق الأخبار
دون دار نشر و لا تاريخ نشر
- 68- ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهج القاصدين (تحقيق محمد وهبي سليمان)
المكتبة العصرية ، بيروت ، 1424 هـ / 2004
- 69- أبو زكرياء النووي ، رياض الصالحين (تحقيق محمود المصري)
مكتبة المجلد العربي، القاهرة ، الطبعة 2 ، سبتمبر 2003
- 70- شمس الدين بن عثمان الذهبي ، الكبائر (تحقيق هاني الحاج)
دار الإمام مالك للكتاب ، الجزائر ، 1987
- 71- شمس الدين بن قيم الجوزية ، الروح
دار الجيل ، بيروت ، 1408 هـ / 1988
- 72- شمس الدين بن قيم الجوزية ، الفوائد
دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، 1408 هـ / 1988
- 73- شمس الدين بن قيم الجوزية ، فضائل الذكر والدعاء
دار الشهاب ، الجزائر ، 1987

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

- 74- عفيف عبد الفتاح طيارة ، الخطايا في نظر الإسلام
مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، دون تاريخ
- 75- محمد الغزالي ، خلق المسلم
مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة 15 ، 1408 هـ / 1987

- العقيدة :

- 76- أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن
دار الشهاب ، الجزائر ، الطبعة 1 ، 1985
- 77- عمر سليمان الأشقر ، عالم الملائكة الأبرار
قصر الكتاب ، الجزائر ، 1989
- 78- عمر سليمان الأشقر ، عالم الجن والشياطين
قصر الكتاب ، الجزائر ، 1989
- 79- محمد بن جميل زينو، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة
دون دار نشر ولا تاريخ نشر.
- 80- محمد قطب ، ركائز الإيمان
دار الشروق، القاهرة، الطبعة 1، 1422 هـ / 2001
- 81- يوسف القرضاوي ، حقيقة التوحيد
دار البعث، الجزائر، 1406هـ/1986

- التربية وعلومها :

- 82- عبد الرحمان النحلوي ، التربية بالعبرة
دار الفكر ، دمشق - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ / 1994
- 83- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية (الجزء 2)
دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة 4 ، 1403 هـ / 1983

- كتب متنوعة :

- 84- أبو بكر جابر الجزائري ، العلم والعلماء
دار الشهاب ، الجزائر ، 1405 هـ / 1985
- 85- أبو زكرياء النووي ، المجموع شرح المذهب
مكتبة مشكاة الإسلامية ، 2006
- 86- داود عبد العفو سنقرط ، جذور الفكر اليهودي
دار الثقافة ، الجزائر ، 1990
- 87- د. حسين عمر ، التنمية والتخطيط الاقتصادي
ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994
- 88- خالد بن علي العنبري ، قاموس تفسير الأحلام
دار المنهاج ، القاهرة ، الطبعة 1 ، 1422 هـ/ 2002
- 89- شمس الدين بن قيم الجوزية ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية
دار إحياء علوم الدين ، بيروت ، بدون تاريخ
- 90- شوقي أبو خليل ، الإسلام في قفص الاتهام
دار الفكر ، الجزائر ، 1412 هـ / 1992
- 91- شهاب الدين الأبهسي ، المستطرف من كل فن مستظرف
دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ نشر
- 92- ف. كوماروف ، طرائف علم الفلك
دار مير للطباعة والنشر ، موسكو ، 1985
- 93- محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي
دار الشهاب ، الجزائر ، دون تاريخ نشر
- 94- محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات
دار الشهاب ، الجزائر ، الطبعة 2 ، 1408 هـ / 1988
- 95- محمد الغزالي ، جدد حياتك
دار التنوير ، الجزائر ، د ت ن
- 96- مصطفى عشوي ، مدخل إلى علم النفس المعاصر
ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994

- اللغة :

- 97- أبو الطيب المتنبّي، ديوان المتنبّي
دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان ، 1980
- 98- الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن
قرص مضغوط
- 99- الرازي، مختار الصحاح (ترتيب محمود خاطر)
دار الفكر ، لبنان، الطبعة 1، 1421هـ / 2001
- 100- ابن منظور ، لسان العرب
مكتبة مشكاة الإسلامية 2006

- أقراص مضغوطة وسمعية :

- 101- إسماعيل حميدي، عظات وعبر من سورة يوسف
- 102- عائض القرني ، سلسلة أحسن القصص : سورة يوسف
- 103- عبد الحليم توميّات، قصة يوسف عليه السلام
- 104- عمر عبد الكافي ، سلسلة صفوة الصفوة : قصة يوسف عليه السلام
- 105- محمد متولي الشعراوي، تفسير سورة يوسف كاملة

-بحوث من شبكة الأنترنت :

- 106- د.إبراهيم أبو سالم ، يوسف عليه السلام في القرآن الكريم
- 107- حامد العولقي ، الملك والفرعون في القرآن
- 108- عائض القرني ، قضايا من آية وهو الذي ينزل الغيث ، الشبكة الإسلامية
- 109- عبد الحليم الكحيل ، قوة الشخصية في القرآن
- 110- عدنان علي الرنتيسي ، شبكة فلسطين للحوار
- 111- علاء الدين القبانجي ، الإكتئاب والعلاج القرآني

عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام

112- ياسر محمود الأقرع، الإعجاز البياني في سورة يوسف

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

113- الحضارة المصرية القديمة، دار المناقشات، شبكة مثير